

أصحاب القلوب المنكسرة

قائمة المحتويات

مقدمة

الله يقترب من أصحاب القلوب المنكسرة

"كثيرة هي أحزان الصديق"

الغرض من الألم

لماذا يجب علينا احتمال الألم؟

لماذا يبتلينا الله بمصاعب شتى؟

بركة الألم

فوائد الألم (1)

فوائد الألم (2)

الامتنان وسط الألم

المواقف المخيفة

حين تكون خائفاً جداً ومثقلاً في الروح

لماذا نختبر العوز والحاجة؟

حين تتكالب المصاعب والشدائد دفعة واحدة

"في وقت الضيق"

"ضعفي"

الإرهاق الشديد (الاحتراق النفسي)

حين تشعر بالإحباط
اليأس والقلق
أعباء أثقل من أن يحتملها الإنسان
أعباء هذا العالم الثقيلة
أعباء أثقل من أن تُحمل وحيداً
الروح المنسحقة
حين تشعر بأنك متروك مؤقتاً ومضطرب القلب
حين يرتجف قلبي
"حين يغمر قلبي الضيق"
"الأعباء الكامنة في داخلي"
"حتى حين تنسحق روحي في داخلي"
حين تشعر نفسي بالظلم
"حين أكون سجيناً"
الله يُظهر لطفاً أعظم حين نكون في الأسر
"يا رب، أعلم أنه لا ينبغي لي أن أقلق، لكنني عاجز تماماً عن السيطرة على قلبي"
كيف أجد السلام في مثل هذا الموقف المثير للقلق؟
حين لا تدري ما الذي يجب عليك فعله
"في أوقات الشدة"
الرب الذي يمنح السلام للقلب المضطرب
حين يعتصر قلبك الألم لدرجة أنك تتمنى الموت
حين ينقطع كل رجاء في هذا العالم
إيليا النبي: هل كان يعاني من اضطراب ثنائي القطب؟
حين تشعر بأن الله قد تخلّى عنك
"لماذا حدث كل هذا لنا؟" "لا يوجد معزٍ"
"يا رب، متى ستعزيني؟"
الحداد الذي يأبى التعزية
الله الذي يحزن في قلبه
الله الذي يسمع حتى صوت الصلوات المرفوعة بالدموع والمرارة
الرب الذي يعرف مخاوفي ويمنحني الشجاعة
"ألقِ حملك على الرب"

!لا تفقد عزيمتك

.دعونا لا نخف، بل لننتذكر

دعونا لا نقلق بشأن الغد. سيُعيننا الله حتماً

الله، الذي يُعزينا حين تخور عزائمنا

المُعزي المُشفق

!تعزيةً بالكلمات

!الأزمة فرصة

حكمة تتلألأ وسط الأزمات

!المحنة فرصة

امتحان الإيمان

نعمة تُمنح بعد الكوارث

الله، الذي يصير عوني

الله، الذي يُقويني

"أحبك يا رب، يا قوتي"

"...إنّ الأمور التي حدثت لي قد أفضت في الواقع إلى"

الذين يتألمون وفقاً لمشينة الله

"اجعل دموعي في قربتك"

"سأتمسك بالأمل دائماً"

الخاتمة

مقدمة

الربّ الذي يشفي المنكسري القلوب؛ أيّها الأب السماوي، تولّ أمري. اهدني في طريقك وحزّني؛ اصنع عملاً جديداً وأحدث" نهضةً روحية... " (ترنيمة إنجيلية: "المنكسرو القلوب")

لا أدري لماذا تكثر في هذا العالم الأمور التي تتسبّب في انكسار القلب. فنحن لا نكتفي بمعاناة جراح عاطفية عميقة يلحقها بنا من تتعذّب فيها قلوبنا وتنّ ألماً جرّاء الهموم الكثيرة—أكثر بكثير من مجرد مرة أو اثنتين—نحبّهم فحسب، بل تمرّ بنا أوقات لا تُحصى وهو مكانٌ غالباً—والمعاناة الشديدة التي يتسبّب بها أولئك الأحباء أنفسهم. وبينما نمضي في غمار حياتنا اليومية في هذا العالم، كثيراً ما نجد أنفسنا مُعذّبين بعبءٍ ثقيلٍ وساحقٍ يروح فوق أرواحنا. ولا ينبع هذا العبء من التوتر—ما يكون حافلاً بالألم والمعاناة والجراح، ولو علة القلب، والدموع التي تُفرزها علاقاتنا البشرية المتعددة فحسب، بل ينجم أيضاً عن شتى التجارب والمحن الأخرى، التي تُثقل كواهلنا. وعلاوةً على ذلك، حين تتكالب علينا المصاعب والشدائد فجأةً وفي آنٍ واحد، قد نشعر بالإرهاك والضيق ونصارغ شعوراً بالضيق والأسى يبدو أثقل من أن نطيق حمله. حقاً، إنّ هذا العالم لمليءٌ بالأحداث المُقلقة؛ عالمٌ تتصافر فيه ظروفٌ، لا حصر لها لتتركنا مُحبطين ومنكسري الخاطر. وفضلاً عن ذلك، تتكرر المناسبات التي تباغتنا فيها أحداثٌ مفاجئةٌ وغير متوقعة فتملأ قلوبنا بالخوف. ورغم إدراكنا أنّه لا ينبغي لنا أن نقلق، إلا أنّنا كثيراً ما نجد أنفسنا نغرق في حالةٍ من الاكتئاب والقلق جرّاء تلك الأمور ذاتها التي تثير فينا الوجل. ومثلّ هذه اللحظات قد لا تؤدي إلى اليأس والقنوط فحسب، بل قد تقودنا أحياناً إلى حالةٍ من القنوط المُطبق واليأس التام. هناك أيام نكافح فيها لمجرد البقاء على قيد الحياة، متجرعين مرارة كل لحظة بشعور من الدمار الشامل؛ إذ نشعر وكأننا محاصرون ومكتومون من كل جانب، وكأننا قد جُردنا من كل أمل. لماذا إذن يسمح الله لنا بأن نخنبر مثل هذا الألم وهذه عاجزين عن إدراك مقاصد الله—الشدائد؟ وما هي، حقاً، مشيئة الله في كل هذا؟ عندما نجد أنفسنا نتخبط في أعماق الركود الروحي قد تعتصر قلوبنا من شدة الألم لدرجة أننا نتمنى لو أننا متنا. وفي تلك اللحظات، يكون حزننا عميقاً للغاية لدرجة أننا قد—الغامضة نرفض حتى العزاء الذي يقدمه لنا الآخرون. وهناك أوقات أيضاً لا نشعر فيها بشيء سوى الاستياء تجاه الله. فماذا عسانا أن نفعل إذن؟ وكيف يمكن لقلوبنا المنكسرة أن تُشفى يوماً ما؟

إنّ إلهاً هو إله يقترب ممن انكسرت قلوبهم. والرب وحده هو الذي يشفي من انكسرت قلوبهم. والرب وحده هو القادر على أن يحررنا. إنني أصلي بحرارة لكي يشفي الرب قلوبنا المنكسرة ويمنحنا الحرية الحقيقية. قبل بضع ليالٍ، وبينما كنت غارقاً في التفكير العميق، تذكرت عنواني كتابين كنت قد نشرتهما سابقاً: *الأنقياء في القلب* (وهو كتاب تأملات روحي لمدة 40 يوماً)، و*الحكماء

،في القلب* (وهو كتاب تأملات حول سفر الجامعة). وحينها، خطر ببالي عنوان آخر: *المنكسرو القلوب*. وكما شاءت الأقدار ،*كنت أصلي بالفعل من أجل أحبائ من حولي يعانون حالياً من قلوب مجروحة؛ ولذا، عندما لمع في ذهني عنوان *المنكسرو القلوب عقدت العزم على تمحيص كل التأملات الكتابية التي كتبتها على مر السنين، وتجميع كل فقرة تتعلق بهذا الموضوع تحديداً. وتنفيذاً لهذا العزم، قمت بجمع هذه التأملات الكتابية المتنوعة تحت عنوان *المنكسرو القلوب* ونسقتها في هذا المجلد. ورغم أن هذه المجموعة قد لا تكون كاملة أو خالية من النقص من جوانب عديدة، إلا أنني عملت بجد واجتهاد لتجميع وتنظيم هذه التأملات في قد يستخدم كتاب التأملات هذا، *المنكسرو القلوب*، ليجلب الشفاء لروح—وربما فقط—مكان واحد، متمسكاً بالأمل في أن الرب مجروحة واحدة على الأقل. إنني أصلي لكي يستخدم الرب هذا الكتاب كأداة للشفاء والتحرير لأولئك الذين انكسرت قلوبهم.

يونيو 2018

مشاركة من القس جيمس كيم

(من مكتب القس في كنيسة "فيكتوري" المشيخية)

الله، القريب من منكسري القلوب

الرَّبُّ قَرِيبٌ مِنَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيَخْلَصُ الْمُنْسَحِقِي الرُّوحِ. كَثِيرَةٌ هِيَ بَلَايَا الصِّدِّيقِ، وَمِنْ جَمِيعِهَا "يُنَجِّيهِ الرَّبُّ" (المزمور 34: 18-19)

لا أحد يعرف حق المعرفة عمق الجرح الذي يُصيب القلب سوى الله والشخص المصاب نفسه. فهناك أوقات في حياتنا نُعاني فيها حتى أننا نجد أنفسنا نرفض أي تعزية يُقدمها لنا المحيطون بنا (المزمور 77: 2). وفي —عميقة للغاية— من جروح بالغة العمق حالتني أنا شخصياً، طوال أسبوع كامل عقب وفاة طفلي الأول "جويونغ"، رفضتُ الرد على مكالمات أي شخص. لقد كان أسبوعاً لم أكن أرغب فيه ببساطة في تلقي أي تعزية من أي إنسان. وما زلت أذكر بوضوح شديد تلك اللحظة التي عدنا فيها إلى شقتنا، وحين طلبتُ من زوجتي أن ترفع جميع الصور الفوتوغرافية؛ ورغم أنها كانت بلا شك تعاني ألماً أشد عمقاً مما كنت أعانيه أنا، إلا أنها سهرت حتى ساعات الصباح الأولى، وهي تُنظّم الألبومات بدقة وعناية فائقة. ولن أنسى أبداً مشهدها في تلك اللحظة. ولعل السبب إذ يبدو أن وفاة الطفل —في ذلك يكمن في القول المأثور بأن محبة الوالدين تتدفق "إلى الأسفل"— أي نحو الخارج باتجاه الأبناء دوماً تخترق قلوبنا كالخنجر، تاركةً جرحاً عميقاً وبقايا. وبالطبع، لا يبدو أن الأب والأم يعانيان بنفس الطريقة تماماً عقب وفاة طفلهما؛ بل أعتقد أن كلاً منهما يختبر شكلاً فريداً وخاصاً به من الألم. حتى الدموع التي يذرفانها قد تكون مختلفة

وكما—نصادف الكثير من البلى والشدائد. وعلاوة على ذلك—شأننا شأن كاتب المزمور تماماً—وفي مسيرة حياتنا الإيمانية، فإن التجارب المتنوعة قد كانت حاضرة في حياتنا في الماضي، وما زالت حاضرة في حاضرتنا الراهن—لاحظ الرسول يعقوب، وستستمر بلا شك في الظهور مستقبلاً. وفي خضم هذه المحن، لا تكمن إحدى أكثر التجارب إيلاماً التي نواجهها في المعاناة ذاتها، مُجتاحين بموجة أشد وطأة من البلاء—بعد أن رفعنا صلوات حارة إلى الله طلباً للخلاص—بل في تلك اللحظة التي نجد فيها أنفسنا بدلاً من نيل الخلاص الذي كنا ننشده. وفي مثل تلك اللحظات، نشعر بأننا قد طغت علينا الأحداث تماماً، وتُترك في حالة من الذهول قائلين: "لماذا—بل ونطرح السؤال على الآخرين أيضاً—والحيرة الشديدة. عندما نعجز عن استيعاب مشيئة الله، نجد أنفسنا أحياناً يسمح الله لي بمواجهة معاناة أشد صعوبة وقسوة، بدلاً من الاستجابة لصلواتي وإنقاذي منها؟" إن هذا الأمر يشبه إلى حد كبير تجربة

بني إسرائيل في مصر: فقد سمع الله صرخات المهم (خروج 3: 7) وأمر موسى بالذهاب لإنقاذهم؛ ومع ذلك، فإن الرجل ذاته الذي توقعوا أن يجلب لهم الخلاص، تسبب بدلاً من ذلك في دفع فرعون ليفرض عليهم أعباءً أثقل، مغرقاً إياهم في معاناة أعمق (خروج وبالمثل، غالباً ما يبدو الأمر وكأن الله يسمح لنا بالهبوط إلى هوة أعمق من اليأس، بدلاً من منحنا الخلاص الفوري الذي ننشده. (5) وفي مثل تلك اللحظات، تكون قلوبنا منكسرة تماماً ومجروحة بلا حدود، وتذرف عيوننا دموعاً تعبر عن يأس مطبق.

، وإذا ما وجدنا أنفسنا حالياً عالقين في هوة كهذه، فكيف ينبغي لنا أن ننظر إلى حالتنا وظروفنا؟ أقترح أن نتأمل في نقطتين: أولاً، فإننا نفقد القدرة على—بدلاً من مجرد 10 أمتار—ينبغي علينا أن نقدم الشكر، وتحديدًا لأننا حين نُغرق في هوة عمقها 100 متر الاعتماد على قوتنا الذاتية أو وجهة نظرنا الخاصة. وبعبارة أخرى، ينبغي أن نكون ممتنين لأننا نصل إلى إدراك عميق بأن كل ما كنا نعتمد عليه سابقاً يصبح عديم الجدوى تماماً ونحن في أعماق هوة كهذه. علاوة على ذلك، ينبغي أن نقدم الشكر لأن هذه التجربة، تفرض علينا الإقرار الكامل بعجزنا أمام الله، وتقودنا نحو التوبة. وبالطبع، حتى هذا الامتنان سيكون مستحيلاً لولا نعمة الله. ثانياً، ينبغي أن نقدم الشكر لأنه من أعماق هوة المعاناة هذه، نصل إلى إدراك الحقيقة والامتنان لها؛ وهي أن لا خيار لنا سوى أن نثبت ضامنين بذلك أن يكون مجده هو الذي يتجلى، وليس—أنظارنا على الله وحده، ونضع ثقتنا الكاملة فيه. وبما أننا نعتمد على الله وحده فلا يبقى لنا أي بديل سوى الصلاة، والأمل، والانتظار له. فهناك فرق شاسع بين أن يمد الله يده لينقذنا من هوة عمقها—مجد البشر أمتار، وبين أن يفعل الأمر ذاته لينقذنا من هوة عمقها 100 متر. إن أعمال الله العجيبة التي نشهدها حين نُنقذ من هوة سحيقة 10 يبلغ عمقها مائة متر، قد تختلف عن تلك القوة والأعمال الجبارة التي نلمسها حين نُنتشل من حفرة لا يتجاوز عمقها عشرة أمتار ولعل هذا هو السبب الذي من أجله يسمح لنا الله بأن نتحمل معاناة وجراحاً أشد عمقاً. إنني أؤمن بأن الجراح العميقة تُمثل فرصةً للتأمل في مجد الله العظيم، بل وتُعدّ، فضلاً عن ذلك، فرصةً ثمينةً لاختبار حضوره بطريقة ملموسة وعميقة. غير أن التحدي يكمن فيما إذا كنا قادرين حقاً على إدراك مجد الله العظيم وقربه منا، ونحن في خضم المعاناة والألم العميقين. وهذا الأمر أيضاً يُعد مستحيلاً لولا نعمة الله. لذا، فإنني أصلي بالحاح لكي يفيض الله بهذه النعمة الثمينة على حياة إخواننا وأخواتنا الذين تحيط بهم حالياً المعاناة الجسيمة والجراح والأحزان؛ سائلاً إياه أن يقترب من قلوبهم المنكسرة ويضمّد جراحهم.

"كثيرةٌ هي أحزانُ الصديق"

[المزمور 34: 15-22]

هل يمكن حقاً اعتبار المعاناة أمراً هيناً أو خفيفاً؟ وإذا أجاب أحدهم بـ "نعم" على هذا السؤال، فكيف لمثل هذا الأمر أن يكون ممكناً؟ وكيف أن المعاناة قد تكون، في الواقع، أمراً—بينما كنت أقرأ الفقرة أدناه للقس "كيم نام-جون"، بدأت أستبصر شيئاً من الإجابة خفيفاً.

إن عمق خطيئة العالم يزداد وضوحاً وجلاءً في معاناة الصديقين... فالمعاناة التي يتحملها الصديقون تحمل في طياتها مغزى "الكفارة عن خطايا العالم. إنه ذلك الشعور البشري الفطري، والحدس، والقناعة الراسخة بأن الشر لا بد أن يُقابَل بالعقاب. ومع ذلك ودون استثناء، فإن العالم غارقٌ في الشر. وإذا كان الأمر كذلك، ألا ينبغي لهذا العالم أن يواجه الدمار؟ إن السبب في أن العالم لا هو أن هناك من يدفع ثمن الخطيئة نيابةً عنه. وهذا هو مغزى معاناة الصديقين. فمعاناة الصديق—على الرغم من شره—يهلك تتضمن حمل خطايا العالم ودفع ثمنها بدلاً منه. وسواء قصد الصديق ذلك أم لم يقصده، فإنه يؤدي دور الذبيحة الكفارية. وبهذه الطريقة، يجلب الصديق الحياة إلى العالم. إن الصديقين يواجهون أحزاناً وضيقاً كثيرة؛ ومع ذلك، فإن المعاناة ذاتها التي لم "يرغبوا فيها هي التي تُخلص العالم".

على يسوع: حمل الله الذي يحمل خطايا—وسط تجاربنا—لا يمكن لمعاناتنا أن تصبح أمراً خفيفاً إلا حين نُثبت أفكارنا وأنظارنا في شخص يسوع، الذي تألم بل ومات على—بينما نتحمل المشقات—العالم. وبعبارة أخرى، تصبح معاناتنا خفيفة حين نتأمل الصليب ليدفع الثمن نيابةً عنا؛ وحين نقفدي نحن أيضاً بمثاله، فندفع الثمن عن خطيئة شخصٍ آخر.

أعتقد أن هناك نوعين متميزين من المعاناة: النوع الأول هو المعاناة التي تنشأ كنتيجة لخطاياي أنا؛ والنوع الثاني هو المعاناة التي لا تنبع من تعدياتي الخاصة، بل تشكّل مشاركة في آلام الرب. وإن المشاركة في آلام الرب هي، في حد ذاتها، نعمة من الله (فيلبي بالنسبة لأولئك الذين يدركون كيفية احتضان هذه النعمة، يصبح الألم عبئاً خفيفاً. والسبب في ذلك هو أنهم يختبرون النعمة). (29: 1: الكامنة في صميم ذلك الألم. إن نعمة الألم هذه هي، بالتحديد، اختبار حضور الله.

المزمور 34: 15-22—نلتقي بكاتب المزامير، داود، الذي يختبر نعمة الألم هذه ذاتها. ففي النصف—في المقطع الكتابي لهذا اليوم وتحت عنوان "كثيرة—الأول من الآية 19 من نص اليوم، يُعلن قائلاً: "كثيرة هي أحزان الصديق..." وإذ نركّز تأملنا على هذه الآية سن تأمل في ثلاثة جوانب من جوانب الله الذي يلقاه الصديقون وسط آلامهم. ومن خلال هذا التأمل، نسعى—"هي أحزان الصديق نحن أيضاً لننال نعمة اختبار حضور الله في خضم تجاربنا الخاصة.

أولاً: إن الله الذي يلقاه الصديقون في أوقات الألم هو إله يقترب من منكسري القلوب.

تأملوا معي في المزمور 34: 18 ضمن مقطع اليوم: "قريب هو الرب من منكسري القلوب، ويُخلص المنسحق الروح" إن الله الإله الذي يقترب من منكسري القلوب. لماذا كان داود—الذي التقاه كاتب المزامير داود في زمن أمه كان هو هذا الإله بالتحديد منكسر القلب، أو لماذا كانت روحه منسحقة؟ أعتقد أن السبب يكمن في أنه كان قد ارتكب خطيئة في حق الله. وبالطبع، فإن الطبيعة المحددة للخطيئة التي ارتكبتها داود لم تُكشف بوضوح في نص اليوم. إذ يظل الأمر غير واضح عما إذا كانت خطيئته تكمن في أم أنه أخطأ بشفتيه حين تقاعس عن الابتعاد عن—أي ما إذا كان الكذب هو الذي شكّل الخطيئة—تظاهره بالجنون" أثناء معاناته الشر في زمن ضيقته (الآيتان 13-14). ومع ذلك، يظل هناك أمر واحد مؤكد: لقد كان داود الصديق منكسر القلب وسط آلامه الكثيرة (الآية 18). ووسط تجاربه العديدة، كانت روح داود منسحقة. وهذه بالتحديد هي الذبيحة التي يطلبها الله. تأملوا في المزمور إن الذبائح التي يشتهيها الله هي الروح المنكسرة؛ يا الله، إنك لن ترفض القلب المنكسر والمنسحق. "إن قلوبنا بحاجة إلى": 17: 51 أن تنكسر. إن قلوبنا بحاجة إلى أن تتحطم. تماماً كما تُحرث الأرض البور، لا بد لقلوبنا القاسية والعنيدة أن تتحطم وتتفتت. وسواء كان ذلك من خلال توبيخ الله أو تأديبه، فإن قلوبنا بحاجة إلى أن تنكسر وتتذلل. ومع ذلك، فإن السبب الذي يجعلنا غالباً ما نعجز عن نخفيها عن الله ونقصر في الاعتراف—بعد ارتكابها—إدراك هذه الحاجة هو أننا إما لا نعتبر خطايانا خطايا في الأساس، أو أننا بها. لذا، يجب ألا نعود نخفي خطايانا؛ بل علينا بدلاً من ذلك أن نعترف بها لله. وبضميرٍ مُوبّخٍ وقلبٍ منكسر، يجب علينا أن نلتمس رافة الله ورحمته.

في سفر إشعياء 57: 15، نلاحظ أن النبي إشعياء يقرن بين "الروح المنسحقة" و"الروح المتواضعة". وبعبارة أخرى، فإن التواضع ويحيي قلوبهم—أي أولئك الذين يملكون قلوباً منكسرة أو أرواحاً منسحقة—يعني أن تكون منسحقاً. إن ربنا يدنو من المتواضعين: (إشعياء 57: 15). ولا يكتفي ربنا بإحياء قلوبنا المنسحقة فحسب، بل إنه يشفيها أيضاً في انكسارنا ويجبر جراحنا (مزمور 147: 3).

إن الرب يدنو من منكسري القلوب، ويخلص أولئك الذين هم منسحقون حقاً. طوبى للمساكين بالروح، فإن عزاء الرب سيغمرهم من—إن رب المحبة يحط من كبرياء المتكبرين، ويبحث عن أولئك الذين ينوحون؛ فمن ذا الذي سيشارك في تلك الكأس من الألم "أجل الرب، ومن أجل قريبه؟ ما الذي يغمرك بمثل هذه الفرحة فتضحك بكل حرية، بينما الرب يبكي على الهالكين؟

("مقتطف من ترنيمة إنجيلية بعنوان: "إلى منكسري القلوب")

ثانياً، إن الله الذي يلقي الصديقون وسط معاناتهم... هو الإله الذي يسمع صرخة الصديقين

تأملوا معي في نص اليوم، من سفر المزامير 34: 15 و17: "عينا الرب نحو الصديقين، وأذناه مصغيتان إلى صراخهم... يصرخ الصديقون، والرب يسمع، وينقذهم من كل ضيقاتهم" يقول سفر الخروج في الإصحاح 3، الآية 7: «فَقَالَ الرَّبُّ: "إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ، وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخَّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ مَضَائِقَهُمْ"». ومن خلال هذه الآيات، ندرك أن إله هو إله يرى معاناة الصديقين ويسمع صلواتهم حين يصرخون إليه. وبالفعل، ففي المزمور 34 (الآيتان 4—إلهنا نحن—إسرائيل و6)، كان داود قد أعلن من قبل أن الله هو إله يستجيب له، وأنه حين كان في ضيق وصرخ إلى الله، سمع الله صراخه. وعندما نتأمل أي في المزمور 34 (الآيات 4 و6 و15 و17)—يبدو جلياً أنه رفع—كيف يكرر داود موضوع الصلاة أربع مرات في فقرة اليوم بل، في الواقع، لأن—الكثير من الصلوات الحارة وسط تجاربه العديدة. إن مثل هذه المعاناة الشديدة تدفعنا لأن نصلي بتواتر أكبر إلى الله. وهذا بالتحديد هو سر النصر حين نواجه المعاناة؛ إذ يكمن ذلك السر في الصراخ إلى—نرفع صلوات أكثر جدية وإخلاصاً إلى الله. وحين نفعل ذلك، يميل إلهنا بأذنه ليسمع صرخاتنا (الآية 15)

وإذا كان الله يميل بأذنه إلينا ويسمع صرخاتنا، فهل توجد صلاة يعجز الله عن سماعها؟ مع أن الله يسمع كل صلواتنا، إلا أنني أعتقد أن هناك صلوات معينة لا يستجيب لها. وهي تلك الصلوات التي نرفعها دون روح منكسرة أو قلب يتسم بالندامة والتوبة الصادقة؛ إذ يقول الكتاب: «هَا يَذُ الرَّبُّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تُخَلِّصَ، وَلَا أَذُنُهُ تَقْلُتْ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ. بَلْ آثَامُكُمْ قَدْ فَصَلَتْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلَهُكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ» (إشعياء 59: 1-2). والدرس الذي تعلمنا إياه هذه الحقيقة هو أنه مهما بلغت حرارة صراخنا إلى

الله، فإنه لن يمنحنا طلباتنا إن كنا نفتقر إلى الروح المنكسرة والقلب المفعم بالندامة الصادقة. ولهذا السبب بالتحديد، تُعد صلاة التوبة أمراً حيوياً؛ فبينما نقترّب من إلهنا القدوس، يتحتم علينا أولاً أن نتوب عن خطايانا بقلب يتسم بالندامة الصادقة. عندئذٍ فقط يمكننا التماس خلاص الله... فإذا ما ابتغيينا النعمة، وجب علينا أن نرفع تضرعاتنا إلى الله؛ وحين نفعل ذلك، سيصغي إلهنا إلى استغاثاتنا ويستجيب لصلواتنا.

وثالثاً، إن الإله الذي يلقي الصديقون في خضم المعاناة هو الإله الذي يُنَجّي الصديقين من كافة ضيقاتهم.

تأمل في نص اليوم، من المزمور 34: 17، 19، و22: «يصرخ الصديقون، والرب يسمعهم وينقّذهم من كل ضيقاتهم... كثيرة هي ضيقات الصديق، ولكن الرب ينجيه من جميعها... الرب يفدي نفوس عبده، وكل من يحتّم به لن يُدان». إن إلهنا هو إله يسمع صرخاتنا وينقّذنا من كل الضيقات حين نتوب بقلب منسحق، ونتوق إلى نعمة الخلاص، ونتضرع بصدق لكي ننال النجاة. والحقيقة المذهلة هي أن خلاص الله أمر يقيني وواضح في آنٍ واحد. فبالنظر إلى المزمور 34: 4، يقول الكتاب المقدس إنه حين نصلي، فإن إلهنا ينقّذنا من «كل المخاوف»؛ وبالنظر إلى الآية 6، نجد أنها تقول إن الله هو إله يخلصنا من «كل الضيقات». وعلاوة على ذلك في الآية 17، يذكر الكتاب المقدس أن الله ينقّذنا من «كل الشدائد»، وفي الآية 19، يقول إنه على الرغم من كثرة الآلام التي تواجه أي—الصديقين، فإن الله ينقّذهم من «كل الشدائد». وباختصار، يقول الكتاب المقدس إن الله هو إله يضمن لأولئك الذين يطلبونه ألا يعوزهم شيء من كل الصالحات (الآية 10)—الذين يتضرعون إليه.

إن الله يسمع صلواتنا ويخلص منسحقي القلوب، ولكنه أيضاً إله يهلك الأشرار في سبيل خلاصنا. وبعبارة أخرى، فإن إلهنا يخلص الصديقين عن طريق إهلاك الأشرار في سياق عملية خلاص الصديقين (الآية 16). إن الله هو إله يُظهر قداسته في عمله على خلاص الصديقين؛ ولذلك، لا يمكن للأشرار أن يثبتوا في حضرة قداسة الله. وهكذا، فإن الله يمحو آثار فاعلي الشر من هذا العالم. وفي نهاية المطاف، يلقي الأشرار حتفهم بسبب شرهم: «الشر يقتل الشرير، وكل من يبغض الصديق سيعاقب» (الآية 21). ومع ذلك، فإن إلهنا يحمي الصديقين حمايةً أكيدة: «يحفظ جميع عظامهم، ولا تُكسر واحدة منها» (الآية 20). إن الإله الذي ينظر إلينا بعين العناية في أوقات شدائدنا هو ذاته الإله الذي يخلصنا.

وعلى الرغم من أن الصديقين يواجهون الكثير من المصاعب، إلا أنهم ينعمون بالبركات حتى في خضم تلك المصاعب. إن البركة التي ينعمون بها هي، على وجه التحديد، اختبار حضور الله. فإلهنا هو إله يقترب من منكسري القلوب، وإله يسمع الصلوات المشفوعة بالدموع، وإله ينجيننا من كل ألم ومعاناة. إن البار الذي يختبر لقاءً حقيقياً وعملياً مع هذا الإله، ينظر إلى المعاناة التي يكابدها على الذي تألم بدلاً—أنها أمرٌ يسير؛ وذلك لأنه يدرك أن يسوع يحمل عنه تلك المعاناة نيابةً عنه. وحين نرفع أبصارنا بإيمانٍ نحو يسوع يجدر بنا أن نتأمل في ذلك الإله الذي نأى بنفسه عن يسوع حين كان الأخير منكسر القلب. وعلاوةً على ذلك، لا بد لنا أن نتأمل—منا

في الله الأب الذي تخلص عن يسوع حين كان قلبه منكسراً. فإلهنا الأب لم يستجب لصرخة يسوع حين نادى من على الصليب قائلاً وهو منكسر—إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" (مرقس 15: 34)، كما أنه لم يحم بابقاذه. تُرى، لماذا لم يُصنع الله الأب إلى صلاة يسوع" على الصليب، ولم يبادر إلى خلاصه؟ إن السبب في ذلك يعود، تحديداً، إليك وإليّ؛ إنه يعود إلى خطايانا جميعاً. لقد حمل—القلب يسوع كل خطايانا نيابةً عنا، ومات على الصليب، ليحمو بذلك كل أئامنا. ولأن الرب قد نجانا من كل ألم وشدة وخوف، فقد باركنا بكل الصالحات (مزمور 103: 34؛ أفسس 1: 4). وعليه، لم يعد أئامنا من خيار سوى أن نسبح الله ونحمده (مزمور 34: 1-3).

الغرض من المعاناة

وَلَكِنَّهُمْ يَكُونُونَ لَهُ عِبِيداً، لِيَعْرِفُوا خِدْمَتِي وَخِدْمَةَ مَمَالِكِ الْبُلْدَانِ» (أخبار الأيام الثاني 12: 8)«

للمؤلف الذي لُقِّبَ بـ «طبيب الروح البيوريتاني»، القس توماس كيس، يناقش المؤلف واحداً (Affliction) * في كتاب * المحنة وعشرين درساً يُعلِّمها الله لشعبه من خلال مواقف المعاناة. وبينما كنت أقرأ تلك الدروس الواحدة والعشرين، انتابني شعور بالخوف ومع ذلك يظل جاهلاً—ونتيجة لذلك، دَوَّنْتُ التأمل التالي: «إنه لأمر مخيف حقاً أن يجد المرء نفسه تحت "عصا الله"—متلقياً تأديبه بالسبب الحقيقي الذي من أجله يُؤدَّب. غير أن ما هو أشد خوفاً من ذلك، هو أن يكون المرء قد احتمل تأديب الله، ومع ذلك يفشل في تعلُّم الدرس الذي قصد الله تعليمه إياه». والسبب في نشوء مثل هذه الأفكار المخيفة في داخلي هو إدراكي أنه في كثير من الأحيان نفشل في تمييز الخطايا ذاتها التي ارتكبتها. وهكذا، عندما—بعد أن نخطئ في حق الله ونقع بالتالي تحت تأديبه—نحن المسيحيين كثيراً ما نجد أنفسنا في حيرة، متسائلين عن سبب حلول مثل هذه الظروف—خاضعين لتأديب الله—نجد أنفسنا في موقف من المعاناة المؤلمة بنا. وعلاوة على ذلك، كثيراً ما نستسلم للشكوى والتذمر بسبب المواقف المؤلمة التي نواجهها. وبالتأكيد، ففي إطار سيادة الله، يوجد غرض محدد خلف المعاناة التي يسمح بحدوثها في حياتنا؛ ومع ذلك، ففي أحيان كثيرة جداً، نفشل في إدراك ذلك الغرض ونتيجة لذلك، نجد أنفسنا تائهين في حيرة واضطراب. لماذا يسمح الله لنا بالمعاناة؟ وهل يمكن أن يكون إرساله للمعاناة نتاجاً لخطايانا فكيف ينبغي علينا أن نستجيب حينئذ؟ وإذا ما نَجَّوْنَا من تلك—أي أنها بسبب خطايانا—وتعديتنا؟ وإذا كان الأمر كذلك بالفعل التي كان مقدراً لنا أن نتعلمها من خلال تلك التجربة؟ عند—تعاليم الله—المعاناة بقوة نعمة الله ورحمته، فما هي الدروس الإلهية أخبار الأيام الثاني 12: 8—نرى أن الملك رحبعام، ملك يهوذا، وشعب إسرائيل قد احتملوا—فحص سياق النص الكتابي لليوم معاناة عظيمة. وكانت هذه «المعاناة العظيمة» في الواقع أزمة تمثلت في خطر الدمار الوشيك (الآية 12). لقد كان ذلك نتيجةً لتخلي الله عن إسرائيل وتسليمهم إلى أيدي شيشق، ملك مصر (الآية 5). لماذا واجه رحبعام وإسرائيل أزمة دمار كهذه؟ كان السبب بالتحديد، هو أنهم قد تخلوا عن الله (الآية 5). وبعبارة أخرى: ولأن رحبعام وإسرائيل قد هجروا شريعة الله (الآية 1)، فقد تخلى الله

عنهم في المقابل (الآية 5). لماذا إذن تخلى رحبعام وإسرائيل عن شريعة الله؟ كان السبب هو أن مملكة يهوذا قد رسخت أركانها واكتسبت قوةً وبأساً (الآية 1). وبصيغة أخرى: إن السبب الجذري لتخلي رحبعام وشعب يهوذا عن شريعة الله — وبالتالي خطيئتهم ضده (الآية 2) — كان الكبرياء. ونتيجةً لذلك، وفي غمرة غضبه (الآية 12)، أقام الله شيشق، ملك مصر، ليشن هجوماً على أورشليم (الآيات 2-4).

وبينما كنت أتأمل في هذا المقطع الكتابي، خطرت ببالي فكرة أخرى تبعث على الوجل؛ وتلك الفكرة المخيفة كانت تتمحور حول مفهوم "الاعتقاد". فتماماً كما اعتاد رحبعام ومملكة يهوذا على حالة الاستقرار والقوة التي ينعمون بها — مما أدى بهم في نهاية أخشى أن يكون الأمر ذاته يحدث معي أنا أيضاً. فبينما أعتاد أنا وعائلتي، وكذلك —المطاف إلى الغرور والتخلي عن شريعة الله على أجواء السلام والوفرة والاستقرار، يساورني القلق من أن تُزرع في قلبي بذور —العائلة الروحية —أي الكنيسة التي أخدم فيها، مما يسمح لـ "جذر المرارة" بأن يتعمق وينمو في خبايا روحي الخفية. وعلاوة على ذلك —الكبرياء —دون أن أدرك ذلك حتى، أخشى أن تنمو بذرة الكبرياء الكامنة في قلبي لتتحول إلى شجرة تُثمر ثماراً مُرّة، وتقودني في نهاية المطاف إلى رفض كلمة الله وعصيانته عمداً، وبالتالي ارتكاب الخطيئة ضده. وبطل هذا الخوف ملازماً لي، وأنا أدرك تمام الإدراك أن الله —الذي هو قدوسٌ مُطلَعٌ تماماً على غروري وعلى الخطايا التي أقترفها حين أُلقي بكلمته جانباً وسط غمرة ذلك الكبرياء. إنني —وعادلٌ بلا أدنى شك (Victory) "مفعّم بالقلق، وأسأله في نفسي: ماذا عساي أن أفعل لو أن الله رفع عصا تأديبيه ليضربني أنا وعائلتي، و"مجتمع النصر: الذي أخدم فيه؟ لو أن الله القدوس قد ضربني، لُعمرتُ حتماً في بحرٍ من المعاناة؛ ومع ذلك، أجد نفسي أسأله (Community) "كيف لي أن أطيق مثل هذا الألم، وقد اعتدتُ كلَّ الاعتقاد على حياةٍ من السلام والوفرة والاستقرار؟"

إذن، ما الذي يتوجب علينا فعله؟ تماماً كما تواضع رحبعام ورؤساء يهوذا الذين اجتمعوا في أورشليم (الآية 6)، يتحتم علينا نحن الأزواج (الآباء) والرعاة —أيضاً أن نتواضع. يجب علينا أن نُذَلَّ أنفسنا أمام الله البار (الآية 6). وبوجهٍ خاص، يجب علينا نحن، أن نتواضع أمام الله؛ إذ لا بد لنا من الاعتراف بخطية الكبرياء والتوبة عنها —الذين يضطلعون بدور القيادة في بيوتهم وكنائسهم تلك الخطية التي دفعتنا إلى نبذ كلمة الله، ومن ثم، إلى نبذ الله ذاته. وهذا بالتحديد هو الغرض الكامن وراء المعاناة التي يسمح الله لنا —نحن المتكبرين والعصاة والخطاة —باجتبارها. إن الهدف الذي يصبو إليه "الله الأب" حين يرفع عصا تأديبه المحب لكي يضربنا، هو أن يُعيننا على إدراك الخطايا التي اقترفناها في حق الله البار، وأن نتحول عن تلك الخطايا تائبين، ونعود إلى أبينا السماوي ولأنه كان لا يزال هناك قدرٌ من الصلاح —ونعيش حياةً قوامها طاعة كلمته. وفي نهاية المطاف، ونظراً لأن رحبعام قد تواضع صرف الله غضبه ولم يُفْنِ مملكة يهوذا إفاءً تاماً (الآية 12). وبعبارةٍ أخرى، لم يسكب الله كامل غضبه —موجوداً في يهوذا

وعلى مملكة يهوذا، كما أنه لم يُدمّرهم تدميراً شاملاً (الآية 7). بل منحهم، عوضاً عن ذلك، خلاصاً—الذي تواضع—على رحبعام جزئياً (الآية 7). أليس هذا أمراً مثيراً للدهشة؟ أليس من اللافت للنظر أن الله لم يُبذّر مملكة يهوذا إبادةً تامة، ولم يمنحهم في الوقت ذاته خلاصاً كاملاً وشاملاً؟ لماذا تصرّف الله على هذا النحو؟ وفي حين أن توقعاتنا تنصبّ على الخلاص الكامل، فلماذا لا يُنجينا الله تماماً من معاناتنا؟ إن الغرض من وراء ذلك هو أن يُلقّنا الله درساً؛ ليرينا الفارق بين خدمته وخدمة العالم (أو الأوثان) التي غالباً ما نُفضّلها عليه. ألقوا نظرةً أخرى على نص اليوم، من سفر أخبار الأيام الثاني 12: 8: "وَلَكِنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ عبيداً لَهُ، لِكَيْ يَعْرِفُوا الْفَارَقَ بَيْنَ خِدْمَتِي وَخِدْمَةِ مَمَالِكِ الْأُمَمِ" إن السبب الذي دفع الله، حين رأى رحبعام ورؤساء يهوذا يتواضعون، إلى ألا يدمرهم وذلك—تدميراً شاملاً، بل أن يمنحهم بدلاً من ذلك خلاصاً جزئياً، كان يكمن في تعليمهم الفارق بين خدمة الله وخدمة ممالك الأمم تحديداً من خلال السماح لهم بأن يصبحوا عبيداً لشيئش، ملك مصر. هل ندرك أنا وأنت حقاً هذا المقصد الإلهي العميق؟ وهل نميز حقاً بين خدمة الله في خضم المعاناة، وبين خدمة الثروة والنجاح وأوثان هذا العالم؟

في أمس الحاجة إلى يسوع؛ ذاك الطبيب الحقيقي لنفوسنا. والسبب في ذلك هو أننا—أفراداً وكنيسة—في هذه اللحظة الراهنة، نحن قد أصبنا بمرض روحي؛ إذ لقد اعتدنا أكثر مما ينبغي على نعمة الله وبركاته. لقد أَلفنا حد الإفراط حياةً قوامها السلام والوفرة والاستقرار والسلطة الدنيوية. ونتيجة لذلك، استبدّ بنا الكبرياء، فألقينا بكلمة الله وراء ظهورنا، وتخلينا عن الله ذاته. لقد غرقنا في الدنيوية إلى حد بعيد. إننا نخطئ حالياً في حق إلهنا البار؛ ولذا، فنحن نرزح الآن تحت وطأة تأديبه. فإلهنا يضربنا في الوقت الراهن بعضاً "العالم". ومع ذلك، ورغم كل هذا، فإننا لا نتواضع أمام الله. فحتى في هذه اللحظة، ونحن في حضرة إلهنا القدوس، لا نزال شعباً "صلب الرقبة"—عاجزين عن إدراك حقيقة خطايانا. وهكذا، وبدلاً من أن نتوب، لا نكف سوى عن التذمر واختزان مشاعر الاستياء. وفضلاً عن ذلك، ما زلنا عاجزين عن التمييز بين خدمة الله وخدمة العالم. فماذا عسانا أن نفعل إذن؟ وهل بقي لنا حقاً أي أمل؟

لماذا يجب علينا أن نتألم؟

وَأَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ قَدْ صَارَتْ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ مُعَذِّبَةً مِنَ الْأَمْوَاجِ، لِأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ مُضَادَّةً» (متى 14: 24)

لماذا يجب علينا نحن المسيحيين أن نتحمل المعاناة؟ وكيف ينبغي لنا أن نفسر الألم الذي نمر به حالياً؟ وما هي، حقاً، مشيئة الله؟ أو يسمح لنا بأن نتألم؟ وما هو، في نهاية المطاف، الغرض من المعاناة؟—ولماذا يتسبب الله في معاناتنا

إن إلهاً يمتلك عمقاً من المعرفة لا يمكن قياسه بالمقاييس البشرية (مزمور 92: 5؛ جامعة 3: 11). ولا يسعنا أن نستوعب إدراكاً لماذا سمح لأيوب بأن يمر—كاملاً للأعمال التي يصنعها (أيوب 5: 9؛ مزمور 145: 3). كما لا يمكننا أن نفهم فهماً تاماً مشيئة الله كادت أن تحطم—محدثاً «عاصفة هوجاء» في عرض المحيط—بمثل تلك المعاناة، أو لماذا أطلق «ريحاً عظيمة» على البحر السفينة التي كان يونان يبهر على متنها (يونان 1: 4). فمن منا يستطيع أن يدرك إدراكاً كاملاً قلب الله في سماحه لأيوب بالمعاناة؟ ومن يستطيع أن يفهم فهماً تاماً قلب الله في جلبه المعاناة على يونان؟ ولهذا، أعلن الرسول بولس في رسالته إلى رومية (11: 33-34) قائلاً: «يَا عُمُقَ غَيِّ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامُهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطَرَفُهُ عَنِ الْاسْتِقْصَاءِ! لِأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ (34) من خلال—مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرٌ؟». ورغم أننا قد لا نتمكن من استيعاب قلب الله إدراكاً كاملاً في إرساله المعاناة إلينا، إلا أننا يمكننا على الأقل أن نلقي نظرة خاطفة على قلبه، وأن ندرك، إلى حدٍ ما، لماذا يسمح لنا بتحمل—دراسة كلمته، أي الكتاب المقدس مثل هذه التجارب. فعلى سبيل المثال، في حالة أيوب، قد نستنتج أن الله قد سمح له بالمعاناة لغرض محدد هو تنقيته وتصفيته، لكي يخرج من تلك التجربة نقياً كالذهب الخالص (أيوب 23: 10). علاوة على ذلك، وفي حالة يونان العاصي، قد نستنتج أن الله قد مُنقِذاً إياه وهدياً له من محنة إلى أخرى (يونان 1: 4؛ ثم الآية 17)—وذلك لكي يحثه على الصراخ إلى الله—أرسل عليه الألم بالتضرع (الأصحاح الثاني، ولا سيما الآية 2)، ولكي يقوده في نهاية المطاف إلى العودة لطاعة كلمة الله (الأصحاح الثالث). وقد فهم كاتب المزامير الألم الذي تكبده على هذا النحو: "قَبْلَ أَنْ أَذِلَّ ضَلَلْتُ، أَمَّا الْآنَ فَحَفِظْتُ قَوْلَكَ... خَيْرٌ لِي أَنِّي تَذَلَّلْتُ، لِكَيْ أَتَعَلَّمَ

فَرَأَيْتَكَ" (مزمور 119: 67، 71). لقد آمن بأنه قد عانى لأنه ضلّ عن الطريق؛ وبعبارة أخرى، لقد تقبّل ألمه باعتباره نتيجة لضلاله الخاطئ الذي ارتكبه هو بنفسه. ومع ذلك، أعلن كاتب المزامير أن ألمه كان في الواقع نافعاً له. وكان السبب في ذلك أنه، من خلال ضيقته، تعلّم فرائض الرب؛ ونتيجة لذلك، وبعد تحمّل ذلك الألم، بدأ يحفظ كلمة الرب. وبالفعل، كيف ينبغي لنا إذن أن نفهم الألم الذي نتحمّله نحن أنفسنا؟

من إنجيل متى 14: 24—تُصوّر تلاميذ يسوع وهم في خضم المعاناة. فقد كانوا يستقلون—إن الفقرة الكتابية المخصصة لهذا اليوم قارباً، وقد ابتعدوا بالفعل عدة أميال عن الشاطئ؛ وحينها هبّت ريح عاتية، مُهَيِّجَةً الأمواج [أو "العباب" (متى 14: 24)] (يوحنا 6: 18)؛ وكانوا يكابدون المشقة لأن تلك الرياح العنيفة وتلك الأمواج كانت تلطم قاربهم بعنف (متى 14: 24). وفي تلك اللحظة (6: 18) كانوا يجهدون أنفسهم في التجديف معاكسين بذلك قوى الطبيعة الهائلة (مرقس 6: 48). وبينما كنت أتأمل في هذه الفقرة، تذكرت ما ورد في سفر يونان 1: 13: "وَمَعَ ذَلِكَ، جَدَّفَ الرِّجَالُ بِكُلِّ قُوَّتِهِمْ لِيَعُودُوا إِلَى الْيَابَسَةِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا، لِأَنَّ الْبَحْرَ ارْتَدَا هَيَّجَاناً عَلَيْهِمْ". على الرغم من أن النبي يونان كان قد قال: "احملوني وألقوني في البحر، فيهدأ البحر عنكم؛ لأنني أعلم أنه بسببي قد لم يلقوا يونان في البحر؛—جاءت عليكم هذه العاصفة العظيمة" (الآية 12)، إلا أن البحارة الأمميين—الذين لم يكونوا يؤمنون بالله، بل سعوا بدلاً من ذلك، في محاولة بشرية لإنقاذ حياته، إلى التجديف بقوة لتوجيه السفينة عائدةً نحو اليابسة (الآية 13). ومع ذلك، كلما اشتد سعيهم، ازداد البحر هيجاناً وعنفاً ضدهم (الآية 13). وبينما أقرأ هذا المقطع، يتكون لدي انطباعٌ راسخ بأن الله، بمعنى ما كان في حالة صراعٍ مع هؤلاء البحارة الأمميين. والسبب الذي يدفعني إلى هذا الاعتقاد هو أن مشيئة الله—التي تجلت حين "ألقى ريحاً عظيمة" على البحر (الآية 4)—لم تكن تقتصر مجرد على أن يلقي البحارة الحمولة في البحر (الآية 5)، بل كانت تهدف في نهاية المطاف إلى أن يحملوا يونان ويلقوه في البحر (الآية 12). ونظراً لأنهم كانوا يقاومون هذه المشيئة الإلهية—رافضين إلقاء فقد جعل الله، خالق السماء—يونان في البحر، وساعين بدلاً من ذلك لإنقاذه عبر جهودهم البشرية الخاصة بالتجديف نحو الشاطئ Modern* والأرض، أمواج البحر تزداد عنفاً وهيجاناً [مُرسلاً أمواجاً أشد ضراوة لتتحطم على السفينة (كما ورد في ترجمة [الآية 13]). فمن انتصر في هذا الصراع؟ الله، بالطبع. وفي النهاية، وبعد أن صرخوا إلى الله، حمل البحارة (Man's Bible*) الأمميون يونان وألقوه في البحر (الآيتان 14-15). ونتيجةً لذلك، توقف هيجان البحر على الفور [حيث سكن البحر الهائج في [الآية 15]]. وفي مقطع اليوم—من إنجيل متى 14: 24—يلفت (Modern English Version*) حسب ترجمة لحظتها انتباهي أن تلاميذ يسوع كانوا منخرطين في صراعٍ (أو على الأقل في مصارعة) ضد الله، خالق السماء والأرض. فقد كانوا يعانون لأن رياحاً عاتية وأمواجاً قوية كانت تلطم القارب الذي كانوا يستقلونه؛ ونتيجة لذلك، جدّفوا بصعوبة بالغة (مرقس 6: 48) في أو بالأحرى لمصارعتها. فقد وجّه الله تلك الرياح والأمواج العاتية—محاولة لمقاومة تلك الرياح والأمواج المعاكسة التي أرسلها الله لتعترض سبيل سفينتهم، بينما كان التلاميذ يجهدون أنفسهم في التجديف عكس تلك القوى المرسلّة من الله، وتمكنوا من التقدم مسافة عشرة* لي* تقريباً [4.5 كيلومترات (حسب الترجمة الإنجليزية الحديثة)؛ أو 3 إلى 3.5 أميال (حسب الترجمة الإنجليزية الجديدة)] (يوحنا 6: 15). وظلّوا يصارعون الله على هذا النحو حتى "الهزيع الرابع من الليل" على الأقل (وهي الفترة الواقعة تقريباً ما بين

الساعة الثالثة والسادسة صباحاً) (الآية 48؛ متى 14: 25). وبعبارة أخرى، لقد قضوا الليل بأكمله يصارعون الرياح العاتية والأمواج الهائجة التي أرسلها الله. وبإله من صراع كان لا بد وأنه قد استنزف قواهم الجسدية والعقلية استنزافاً تاماً! ألم يصارع —يعقوب هو الآخر ملاكاً منذ حلول الظلام وحتى بزوغ الفجر؟ (تكوين 32: 22-24). وإذا كان يسوع يراقب هذا الصراع وبالتحديد، وهو يرى التلاميذ يجدفون بصعوبة شديدة بينما يكافحون ضد الرياح المعاكسة (مرقس 6: 48) —سار فوق الماء متجهاً نحوهم (يوحنا 6: 19)، واقترب منهم في وقت الهزيع الرابع من الليل تقريباً (متى 14: 25). وبينما كنت أتأمل في هذا المقطع بسبب الكتابي، تذكرت ما ورد في سفر الخروج 3: 7-8: "فقال الرب: 'إني قد رأيت حقاً شقاء شعبي في مصر، وسمعت صراخهم سُخْرَانَهُمْ...'" "إني قد رأيت حقاً شقاء شعبي في مصر، وسمعت صراخهم بسبب سُخْرَانَهُمْ، وعرفت آلامهم. فنزلت لأنقذهم من يد وهي موطن الكنعانيين والحثيين —المصريين، وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وفسيحة، أرض تفيض لبناً وعسلاً والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين." إن الله إله إرانا بوضوح ونحن نرزع تحت وطأة المعاناة (الآية 7). وعلاوة على ذلك، فإله يسمع صراخاتنا ويعلم أحزاننا (الآية 7). عندما رأى الله نفسه شعب إسرائيل يتألم ويصرخ مستغيثاً، نزل وأخبر موسى بأنه سيقذهم من أيدي المصريين على يده، ويقودهم إلى "أرض الموعد" —أي كنعان (الآية 8). وهكذا، فإن إلهنا هو إله يرى معاناتنا بوضوح، ويسمع توسلاتنا، ويعلم أحزاننا، ويقرب منا، ويُقننا. لقد رأى يسوع تلاميذه وهم في ضيق، فسار على سطح البحر ليدنو منهم (متى 14: 25؛ مرقس 6: 48؛ يوحنا 6: 19). وفي تلك اللحظة، ارتعب التلاميذ، ظناً منهم أن تلك الهيئة التي تسير على الماء هي شبح، فصرخوا من شدة الخوف (متى 14: 26). وإلى التلاميذ، الذين كان الرعب الشديد قد تملك منهم، قال يسوع على الفور: "تشجعوا! إنه أنا. لا تخافوا" (الآية 27). فأجاب بطرس يسوع قائلاً: "يا سيد، إن كنت أنت هو، فمرني أن آتي إليك ماشياً على الماء"، فقال له يسوع: "تعال" (الآيتان 28-29). حينئذ خرج بطرس من القارب وسار على الماء باتجاه يسوع؛ ولكن عندما رأى شدة الرياح، خاف وبدأ يغرق، وفي تلك اللحظة صرخ مستغيثاً بيسوع... صرخ قائلاً: "يا سيد، نجني!" (الآيتان 29-30) وعلى الفور، مد يسوع يده وأمسك ببطرس، وقال له: "يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟" (الآية 31). قد يبدو لنا هذا الأمر مذهلاً؛ فمن وسط رياح عاتية—وجهة نظرنا، لا يكاد بطرس يبدو رجلاً "قليل الإيمان". فمن منا يجروء على الخروج من قارب إلى بحر هائج لمجرد أن يسوع قال له: "تعال"؟ على الأرجح، لن نتحرك خطوة واحدة من داخل القارب. والسبب في ذلك هو—وأمواج متلاطمة أننا سنعتقد أن داخل القارب أكثر أماناً بكثير من سطح الماء. وبشكل خاص، سنكون مقتنعين اقتناعاً راسخاً بأن البقاء داخل القارب فقط لنصاب بالذعر من الرياح ونبدأ في الغرق، تماماً كما حدث لبطرس. وهكذا، فإننا—أكثر أماناً بما لا يُقاس من المشي على الماء لن نخطو خارج القارب لمجرد أن يسوع قال: "تعال". ومع ذلك، يجدر بنا أن نتأمل في هذا السؤال: "هل القارب الخالي من يسوع هو ببساطة ما إذا—بدلاً من القارب نفسه أو المياه—هو حقاً أكثر أماناً من المياه التي يحضر فيها يسوع؟" أليس العامل الحاسم كان يسوع معنا أم لا؟ (انظر خروج 33: 15). وعلى أقل تقدير، عندما قال يسوع: "تعال"، خطا بطرس خارج القارب ومشى على إذ كان بطرس قد ارتعب من الريح—الماء نحوه (متى 14: 29). ومع ذلك، وحتى بعد أن مد يسوع يده فوراً ليمسك ببطرس وينقذه

قال له يسوع: "يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟" (الآية 31). وبعد ذلك، صعد يسوع وبطرس إلى القارب؛ وحين انضما—وبدا يغرق إلى التلاميذ الآخرين في داخله، سكنت الريح (الآية 32؛ مرقس 6: 51). إنني أفسر التفصيل القائل بأن يسوع وبطرس دخلا القارب معاً على أنه يعني أن بطرس أيضاً قد مشى على الماء بمحاذاة يسوع طوال الطريق عودةً إلى السفينة، وذلك قبل أن يصعدا إليها. فحين خطا بطرس خارج القارب بمفرده وحاول المشي على الماء نحو يسوع، ارتعب من الريح وبدأ يغرق؛ غير أن الكتب المقدسة لا تذكر شيئاً عن انتباهه للريح أو شعوره بالخوف خلال الفترة التي مشى فيها على الماء بمحاذاة يسوع، طوال الطريق عودةً إلى القارب وحتى لحظة صعودهما إليه معاً. وفي تلك اللحظة، انتاب التلاميذ ذهولٌ شديد (مرقس 6: 51). ثم سجدوا أمام يسوع واعترفوا قائلين: "حقاً أنت ابن الله" (الآية 33).

لقد احتمل تلاميذ يسوع معاناةً تسببت فيها الرياح العاتية والأمواج الهائجة. تُرى، لماذا كان عليهم أن يتألّموا؟ ومع أننا لا نستطيع أن ندرك إدراكاً تاماً الأعمال التي يجريها الله في إطار حكمته التي لا تُحد، إلا أنني أعتقد أنه يمكننا أن نستنتج أن الله قد سمح لهم بالمعاناة لغايةٍ محددة: ألا وهي أن يقودهم إلى إدراك أن يسوع هو، في الحقيقة، ابن الله. وبعبارة أخرى، فإن الغاية الجوهرية من معاناتنا —نحن تلاميذ يسوع— هي أن تكشف لنا عن حقيقة مَنْ يكون يسوع. ولذلك، فعندما نواجه المعاناة، وبدلاً من أن نتساءل لماذا؟" (لماذا حلّت بي هذه المعاناة؟)، أو "كيف؟" (كيف يُعقل أن يحدث هذا لي؟)، أو حتى "ماذا؟" (ما هي مشيئة الله؟)، ينبغي علينا أن نتساءل: "مَنْ؟" (مَنْ هو إلهي؟). وفي خضمّ هذه الظروف، يتحتم علينا أن نتأمل بعمقٍ أكبر في الكتب المقدسة التي تؤكد على الطبيعة الإلهية لله وسيادته المطلقة. وهكذا، وبينما ننمو في معرفة الله من خلال معاناتنا (هوشع 4: 1، 6؛ 6: 4)، ينبغي أن نكون قادرين على إطلاق الاعتراف ذاته الذي أطلقه الرسول بولس: "...معرفة المسيح يسوع ربي هي أسمى قيمة" (فيلبي 3: 8) وأصلي أن نواصل أنا وأنتم النمو في معرفة ربنا يسوع المسيح —الذي هو أسمى الأشياء جميعاً— حتى ونحن نعبر من خلال بوتقة المعاناة.

لماذا يبتلينا الله بمختلف الشدائد؟

فَقَامَتْ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَدِينَةٌ عَلَى مَدِينَةٍ، لِأَنَّ اللَّهَ أَرَعَ عَجَهُمْ بِكُلِّ ضَيْقٍ» (2 أخبار الأيام 15: 6)«

بالتحديد؟ ينادي العديد من الرعاة بضرورة القيام بـ "إصلاح"، ولكن ما هو المعنى الحقيقي (Reformation) "ما هي" الإصلاح لذلك؟ لقد صرّح القس "سيو مون-جانغ" —وهو مترجم قضى حياته بأكملها في التعريف باللاهوت الإصلاحية في هذه البلاد من خلال ترجمة العديد من كتابات "البيوريتانيين" (المتطهرين)— ذات مرة بأن الشخص "الإصلاحي" هو ذلك الذي يرغب في إصلاح نفسه* أولاً وقبل كل شيء، بدلاً من السعي لإصلاح أي شخص آخر (مصدر إنترنت). وأنا أتفق معه في هذا الرأي من كل قلبي* فكيف لنا أن نأمل في إصلاح عائلتنا أو الكنائس التي نخدم فيها، ونحن عاجزون عن إصلاح أنفسنا؟ إذن، ما الذي يجب علينا فعله لإصلاح ذاتنا؟ أولاً وقبل كل شيء، يجب علينا العودة إلى الكتاب المقدس. ويجب أن نحيا حياتنا وفقاً لما جاء في الأسفار المقدسة وهذا بالتحديد هو جوهر الحركة التي اندلعت خلال "الإصلاح البروتستانتي" في القرن السادس عشر. وعليه، فإذا كنا نرغب حقاً في تحقيق الإصلاح، فلا بد لنا من العودة إلى كلمة الله؛ ويجب أن نعيش حياتنا في طاعة لتلك الكلمة.

إن النص الكتابي المخصص لقراءتنا اليوم —المذكور في سفر 2 أخبار الأيام 15: 6— هو جزء من الرسالة التي أعلنها النبي عزريّا للملك "آسا" ولشعبي يهوذا وبنيامين (الآية 2)؛ والذين كانوا آنذاك في خضم عملية إصلاح ديني، وذلك بعد أن حلّ عليهم روح الله (الروح القدس) (الآية 1). وفي سياق هذه الرسالة —وتحديداً في النصف الثاني من الآية 6— أعلن النبي "عزريّا" كلمة الله لهم على النحو التالي: «...لَأَنَّ اللَّهَ أَرَعَ عَجَهُمْ بِكُلِّ ضَيْقٍ». وفي ليلة أمس، بينما كنت أشرع في قراءة الإصحاح الخامس عشر توقفت عيناى عند الجزء الأخير من الآية السادسة، مما دفعني إلى التأمل فيها —من سفر 2 أخبار الأيام —بدءاً من الآية الأولى بعمق. وبينما كنت أفعل ذلك، خطرت ببالي الفكرة التالية: "لماذا ابتلى الله شعب يهوذا بمختلف الشدائد والمصاعب؟" ووجدت نفسي بمثل هذا القدر من المعاناة؟" وبناءً على —أطرحُ هذا التساؤل: "لماذا قد يُعَذَّبُ إلهٌ محبُّ شعبه الخاص —أي أسباط يهوذا وبنيامين ذلك، أعدتُ قراءة سياق الآية السادسة. وفي غمرة ذلك، اهتديتُ إلى قناعة مفادها أن الإجابة تكمن في الآية الثالثة: "فقد ظلَّ إسرائيلُ لفترةٍ طويلةٍ بلا إلهٍ حقيقيٍّ، وبلا كاهنٍ مُعَلِّمٍ، وبلا شريعة" (الآية 3). وبعبارةٍ أخرى، أعتقد أن السبب الذي دفع الله إلى ابتلاء شعب إسرائيل بمختلف المصاعب يكمن في أنهم، على مدار فترةٍ زمنيةٍ طويلةٍ، كانوا محرومين من الإله الحقيقي، ومن الكاهن الذي

أن يعيش كل—الذي كان يؤمن بالله—يُرشددهم ويُعلمهم، ومن الشريعة. إنه لأمرٌ يصعب استيعابه؛ فكيف يتسنى لشعب إسرائيل تلك المدة الطويلة بمعزلٍ عن الإله الحقيقي؟ وكيف أمكنهم الصمود والبقاء طوال تلك الفترة دون وجود كاهنٍ يُعلمهم كلمة الله؟ وبالنظر إلى أن الشريعة لا بد وأنها كانت تحظى لديهم بأهمية قصوى، فكيف استطاع شعب إسرائيل أن يحيا كل هذا الزمن دون شريعة؟ باختصار، وجدت نفسي أمام تساؤلٍ مُحيرٍ: ما دامت مكانة الله، والكهنة، والشريعة تُعدُّ بلا شكٍ أمراً جوهريَّةً وحيويَّةً بالنسبة لشعب إسرائيل، فكيف أمكنهم الاستمرار في حياتهم كل تلك المدة الطويلة دون أيٍّ من هذه الأركان؟ إنني أعتقد أن الإجابة تكمن في عبادة الأوثان. وبكمن وجه الاستدلال على ذلك في أن الكتاب المقدس يذكر أن الملك "آسا"—الذي استمدَّ العزيمة والقوة من كلمات النبي "عزريا": "لذلك تشدُّوا ولا تضعف أيديكم، فإن عملكم سيُكافأ عليه"—قد أزال تماماً جميع الأوثان، ليس فقط من أراضي يهوذا وبنيامين، بل أيضاً من كل مدينةٍ كان قد استولى عليها في منطقة المرتفعات الجبلية التابعة لأفرايم (الآية 7، بحسب —"بل إن الملك "آسا" قد مضى إلى أبعد من ذلك، إذ أقدم على عزل والدته "معكة". (*Modern People's Bible* ترجمة التي كانت قد صنعت تمثالاً بغيضاً للإلهة "أشيرة"؛ فقام بقطع تمثالها، وسحقه، وأحرقه في وادي "قدرون" (الآية—الملكة الأم وفي نهاية المطاف، يتلخص السبب الذي دفع الله إلى إنزال شتى المصاعب بشعب إسرائيل في خطيئة عبادة الأوثان التي. (16) اقترفوها. ونتيجةً لذلك، سادَ في تلك الحقبة اضطرابٌ عارمٌ بين سكان البلاد قاطبةً، وانعدمَ السلام والأمانُ لكلٍّ من يخرجُ أو يدخلُ في تلك الأيام، عمَّت الفوضى العالم أجمع، ولم يعد بمقدور " (*Modern People's Bible* من الناس [(على حدِّ تعبير ترجمة أحدٍ أن يتنقل بأمانٍ وسلام)] (الآية 5). وسط تلك الشدة، عاد شعب إسرائيل أخيراً إلى الله وطلبوه (الآية 4). وأعتقد أن هذا هو الذي عاش طويلاً في خطيئة عبادة—بالتحديد تدبير الله وعنايته. فمن خلال مصاعب شتى، سمح الله أن يُبتلى شعب إسرائيل مما قادم في نهاية المطاف، خلال تلك الأوقات العصيبة، إلى العودة—الأوثان، بلا إله حقيقي، وبلا كهنة يعلمونهم، وبلا شريعة على تقوية قلب الملك آسا، مما مكنه—من خلال النبي عزريا—إليه والتماس وجهه. وفي سياق قيادته لهم لكي يطلبوه، عمل الله من تطهير البلاد من كل الرجاسات، ليس فقط في أراضي يهوذا وبنيامين بأسرها، بل أيضاً في المدن التي كان قد استولى عليها في منطقة جبال أفرايم؛ وعلاوة على ذلك، قاد الله الملك إلى ترميم مذبح الرب الذي كان قائماً أمام رواق الهيكل (الآية 8). وإضافة إلى ذلك، ومن خلال عمله في حياة الملك آسا، قاد الله الشعب إلى الدخول في عهد: وهو أن يطلبوا الرب، إله آبائهم، بكل قلوبهم وكل سواء كان كبيراً أم صغيراً، رجلاً أم—إله إسرائيل—نفوسهم؛ بل إنهم مضوا إلى حد أن أقسموا يميناً بأن كل من لا يطلب الرب ،امراً، يستحق أن يُقتل (الآيتان 12-13). وفي نهاية المطاف، ولأن شعب يهوذا بأكمله أقسم يمينه بكل قلبه وطلب الله بكل إرادته سمح الله لنفسه بأن يُجوده، ومنحهم سلاماً من كل جانب (الآية 15). وهكذا، لم تعد هناك حروب حتى السنة الخامسة والثلاثين من حكم الملك آسا (الآية 19؛ *كتاب الشعب المقدس - النسخة الحديثة*)

فيجب أن تأتي التوبة في المقام الأول. إذ يتحتم علينا—الذين نتوق إلى العودة إلى كلمة الله والعيش وفقاً لها—أما نحن المصلحين أن نتوب عن خطيئة محبة الأوثان وخدمتها أكثر من محبة الله، بعد أن عشنا زمناً بلا إله، وبلا كلمته، وبلا معلمي مدارس الكتاب

المقدس الذين يُعلّمون تلك الكلمة. ويجب علينا أن نتحول ونصرف عن تلك الخطيئة. وبعد أن نتحول عنها، يجب علينا أن نعود إلى —الحق الحقيقي— ومن كلمة الله—الإله الحقيقي—الله. ويجب علينا أن نطلب الله. كما يجب علينا أن نتلقى التعليم والإرشاد من الله الراعي الحقيقي؛ وإذ نضع إيماننا في يسوع المسيح وحده، يتحتم علينا أن نعيش لمجد الله. ولتحقيق ذلك، حين يبتلينا—ومن يسوع الله، بمصاعب شتى، لا بد لنا أن نصل إلى حالة من الإدراك [إرميا 10: 18]: «...سأجلب عليهم ضيقاً لكي يفهموا...». وتحديدًا يجب أن ندرك الخطايا التي اقترفناها في حق الله. وعليه، وبخلاف ما فعله الملك آحاز، لا ينبغي لنا أن نتمادى في الخطيئة ضد الله؛ بل بالأحرى، وعلى غرار الملك منسى، يجب علينا أن نطلب وجه الله وأن نتواضع تماماً أمامه (33: 12؛ *كتاب (22: 28) المقدس للشعب المعاصر*). وأصلي لكي نتمكن، أنا وأنتم، من أن نتواضع تواضعاً عميقاً أمام الله حين نمر بمحن ومصاعب شتى (الآية 12).

بركة الألم

فَقَالَ الْمَلِكُ لِتَائِي الْجَيِّ: «لِمَاذَا تَذْهَبُ أَنْتَ أَيْضًا مَعَنَا؟ ارْجِعْ وَأَقِمِ مَعَ الْمَلِكِ، لِأَنَّكَ غَرِيبٌ وَمَنْفِيٌّ أَيْضًا مِنْ» مَكَانِكَ. أَمْسِ جَنْتَ، وَالْيَوْمَ أُتِيهِكَ مَعَنَا وَأَنَا ذَاهِبٌ إِلَى حَيْثُ أَذْهَبُ؟ ارْجِعْ وَرَدِّ إِخْوَتَكَ مَعَكَ. الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ مَعَكَ.» (2 صموئيل 15: 19-20)

إن الألم تجربة شاقة ومؤلمة و عسيرة بينما نكون في خضمها؛ ومع ذلك، فإن الله - الفخاري الإلهي - يستخدم هذا الألم عينه ليصوغنا، ويشكلنا. وفي عملية الصياغة هذه، يوظف الله الألم تحديداً لتحطيم قلوبنا المتصلبة وإذابتها، مانحاً إيانا بذلك قلباً وديعاً. وباختصار، يستخدم الله الألم لتشكيل قلوبنا.

"في المقطع الكتابي المخصص لهذا اليوم - 2 صموئيل 15: 19-20 - نلاحظ الكلمات التي نطق بها الملك داود مخاطباً "تَائِي الْجَيِّ". وقد يتساءل المرء: "ما هي الدلالة العميقة التي قد تنطوي عليها كلمات داود هذه؟" وبوجه خاص، ونظراً لأن "تَائِي" شخصية لسنا على دراية كبيرة بها، فقد يتساءل البعض عن السبب الذي يجعل كلمات الملك داود الموجهة إليه ذات أهمية كبرى. وبالفعل، وحتى وقت قريب، كنت أنا أيضاً أكتفي بقراءة هذه الآيات مرور الكرام دون التوقف عندها طويلاً. غير أنه بينما كنت أتأمل في سيرة حياة داود، خلال صلواتنا الصباحية المبكرة منذ الأسبوع الماضي - وبينما واصلت التأمل تحديداً في مقطع اليوم، 2 صموئيل 15: 20 أثناء خدمة هذا الصباح - منحني الله بصيرة جديدة. وهذه الرؤية الجديدة المستمدة من الله هي ما أود مشاركته معكم اليوم. وخلاصة هذه المشاركة هي الآتي: من خلال الألم، صاغ الله قلب داود، غارساً فيه قلباً يُقَدَّر بعمق ويُثَمَّن أتباعه الأوفياء. أولاً، ما يجب علينا تأملهُ هو الألم الذي عاشه داود: (1) تمثلت المرحلة الأولى من آلام داود في المشقات التي تكبدها بينما كان يلوذ بالفرار خوفاً، في الوقت الذي كان فيه الملك شاول يسعى لقتله. ثرى، لماذا تألم داود؟ ويكمن السبب في حقيقة أنه عندما عاد داود بعد أن قتل العملاق الفلسطيني "جليات" باسم الله (1 صموئيل 17: 45-50)، خرجت النساء من جميع مدن إسرائيل وهن يرقصن ويغنين: "ضرب شاول ألوفه، وداود ربواته" (18: 6-7)؛ ونتيجة لذلك، ومنذ ذلك اليوم فصاعداً، نظر شاول إلى داود بعين الغيرة القاتلة (الآية 9)، وبعد ذلك، حاول الملك شاول قتل داود، وبدأ داود يهرب من مطارده شاول. ومن تلك اللحظة بالتحديد بدأت معاناة داود. ومع ذلك، وحتى في خضم تلك المعاناة، صاغ الله قلب داود، ومكّنه من أن يُكَيِّنَ للملك شاول تقديرًا كبيراً (1 صموئيل 24: 10؛ 26: 21، 24) بعد أن أصبح—وأن يعامله بلطف (24: 17). (2) أما فترة المعاناة الثانية التي مر بها داود فقد تمثلت في المصاعب التي كابدها

،حينما أثار ابنه "أبشالوم" تمرداً ضده (2 صموئيل 15: 12)، مما اضطر داود إلى الفرار بصحبة عبيده (الآية 14). تُرى—ملكاً، لماذا عانى الملك داود؟ يكمن السبب في حقيقة أن داود، عندما رأى "بنشبع"—زوجة "أوريا الحثي"—وهي تستحم (11: 2-3) بسيف العمونيين (12: 9). وفي ذلك—الجندي الوفي أوريا—اتخذها زوجة له؛ وعلاوة على ذلك، دبر أمراً لكي يُقتل زوجها الوقت، وحينما بلغه نبأ وفاة أوريا، أرسل الملك داود رسولاً إلى القائد "يوآب" حاملاً هذه الكلمات: "لا تدع هذا الأمر يثقل كاهلك فالسيف يلتهم هذا كما يلتهم ذاك. شدد هجومك على المدينة بقوة أكبر ودمرها؛ وبهذه الطريقة، شجعه" (11: 25). لقد لم يُبد أي والذي كان شراً في عيني الله (الآية 27)—مات في—اكتراث لحياة أوريا، ذلك الجندي الوفي. ونتيجة لهذا الفعل الذي ارتكبه داود نهاية المطاف الطفل الذي أنجبته بنشبع، زوجة أوريا، لداود (12: 14، 18)؛ علاوة على ذلك، اغتصب أمنون، ابن داود، أخته ثامار (13: 1)—وهي شقيقة ابن آخر لداود يُدعى أبشالوم (الآية 14)—ونتيجة لذلك، وبعد مرور عامين كاملين بالتحديد (الآية أقدم أبشالوم في نهاية المطاف على قتل أمنون (الآية 29). وفي الختام، وبينما كان الملك داود لا يزال مقيماً داخل القصر، (23) حيث—وهي نتيجة مباشرة لجرائم الزنا والقتل التي كان هو نفسه قد ارتكبها—الملكي، شهد فصول تلك المأساة المتكشفة أمامه اغتصب أحد أبنائه ابنته، بينما أقدم ابن آخر على قتل الابن ذاته الذي ارتكب جريمة الاغتصاب. ويا له من ألم مبرح لا بد وأنه قد—الذي قضى قرابة عامين وهو يخطط لقتل أمنون ويتربق اللحظة المناسبة لذلك—اعتصر قلب داود الأب! ومع ذلك، فإن أبشالوم لم يَر وجه أبيه داود طوال تلك الفترة (14: 28)؛ والآن، دبر خطة للتمرد بهدف عزل أبيه، الملك داود، عن العرش والاستيلاء على الملك لنفسه (الأصحاح 15). وكما كان قد خطط تماماً، نجح في استمالة قلوب شعب إسرائيل وكسب ولائهم (15: 6). بل إنه مضى ليتولى منصب المستشار—وهو مستشارٌ يحظى بمكانةٍ بالغة الأهمية لدى أبيه الملك داود—أبعد من ذلك، فاستعان بأخيتوفل الخاص به (الآية 12). وكان السبب وراء اعتبار أخيتوفل شخصيةً محوريةً إلى هذا الحد هو أن حكمته ورجاحة عقله كانت تُعدّان في منزلةٍ تضاهي كلمة الله ذاتها (16: 23). ونتيجةً لذلك، ومع اكتساب تمرد أبشالوم زخماً متزايداً، ازداد عدد الأشخاص الذين احتشدوا إلى جانبه بشكلٍ ملحوظ (15: 12). وبالفعل، تحولت قلوب الأمة الإسرائيلية بأسرها مبتعدةً عن داود ومتجهةً نحو أبشالوم (الآية 13). وعندما تلقى داود هذا النبأ عن طريق أحد الرسل، سارع بالفرار في عجلةٍ شديدة، ومعه جميع رجاله بلاطه الذين كانوا برفقته في أورشليم (الآية 14). وفي خضم رحلة الفرار اليائسة تلك، خاطب الملك داود "إتاي الجتي" قائلاً: "عُد أدراجك واصطحب معك بني قومك"، ثم باركه بكلماتٍ مفادها: "ليكن معك الإحسان والحق" (15: 19-20). بينما كنت أتأمل في هذا المقطع من الكتاب المقدس، خطرت ببالي رؤيتان ألهمني الله بهما: (1) في حين أن الملك داود، إبان إقامته في القصر الملكي، قد التقدير الذي كان يليق به؛ إلا أنه، حينما أصبح طريداً هارباً، أولى—قَصَرَ في تقدير قيمة "أوريا الحثي"—ذلك الجندي الوفي—مكانةً رفيعةً واحتراماً عظيماً. أليس هذا أمراً مذهلاً؟ أليس من المثير للعجب أن داود—إتاي—"وهو فلسطيني غير يهودي" قد واصل إبداء هذا القدر الرفيع من التقدير للآخرين—الذي كان يعامل الملك شاول بكل توقير واحترام حتى وهو مطارداً من قبله

الذي كان، حينما ينعم بالراحة—وتحديداً للفلسطيني "إتاي"، حتى وهو يفرّ من وجه ابنه "أبشالوم"؟ أليس من اللافت للنظر أن داود في محاولةٍ منه—والسلام داخل أسوار القصر، قد استسلم لشهوة العيون وشهوة الجسد لينتهك حرمة زوجة رجل آخر، والذي قام بتجاهل حياة جنديه الوفي "أوريا" في نهاية المطاف، تاركاً إياه يلقي حتفه على أيدي الأجنبي؛ نراه—للتستر على تلك الخطيئة يُبدي كل هذا التوقير العميق—وهو يتجرع مرارة العذاب والهروب من "أبشالوم" جزاءً للتأديب الإلهي العادل والمملوء حباً—الآن، لحياة إنسانٍ غريبٍ مثل "إتاي"؟ هذا، بالتحديد، هو بركة المعاناة. فمن خلال المعاناة، صاغ الله قلب داود ونقّاه. وعبر بوتقة المعاناة إلى رجلٍ يدرك حقاً مدى قدسية كل حياةٍ بشريةٍ ومدى غلاء—الذي كان قد قصّر يوماً في تقدير قيمة فردٍ واحد—تحوّل داود ثمنها. (2) إنني أعتقد أنه حينما كان الملك داود مطارداً من قِبَل ابنه "أبشالوم"—تماماً كما كان مطارداً من قِبَل الملك شاول قبل بشكلٍ أعمق وأشدّ مما شعر به في أي وقتٍ مضى—فلا بد أنه قد استشعر قيمة حب "يوناثان"—ابن شاول—اعتلائه العرش والسبب الذي يدفعني لهذا الاعتقاد هو أنه بينما كان ابنه "أبشالوم" يتعقبه بنشاطٍ وبنيةٍ قتله، كان "يوناثان"—على النقيض تماماً من قد خاطر بحياته هو لإنقاذ داود، وكاد أن يُقتل على يد والده نفسه في—مساعدة والده الملك شاول في أي محاولةٍ للنيل من حياة داود، سبيل ذلك. وعليه، فبينما كان داود يفرّ هارباً من "أبشالوم"، كم كان لا بد أنه يتوق بشدةٍ وعمقٍ إلى حب رفيق دربه وأخيه في السلاح يوناثان—"ذلك الحب الذي فاق في عظمتها حتى حب النساء! (مرجع: 1:2) يا لها من محبةٍ بدت له ثمينةً للغاية! إنني أؤمن بأنه" وسط عذابات حياته كهاربٍ شريد، غدا داود يُقدّر محبة يوناثان ويُجلّها بتقديرٍ أعظم وأعمق. وبعبارةٍ أخرى، أرى أنه في خضم برية المعاناة" (15:24)، وحينما تأمل داود في محبة يوناثان الثمينة، أدرك عمق محبة الله التي لا تفتنى (مزمو 3:63) بوضوح" لم يعهده من قبل. وفي نهاية المطاف، تكمن البركة الحقيقية للمعاناة في التوصل إلى إدراكٍ عميقٍ لمحبة الله الأبدية. ورغم أنه طُرد أدرك—في خضم تلك "البوتقة" القاسية من الألم—إلى البرية وتحول إلى لاجئٍ بانسٍ بفعل كراهية ابنه "أبشالوم"، إلا أن داود محبة الله ورأفته بطريقةٍ لم يكن ليتمكن منها قط وهو ينعم بالراحة والرفاهية داخل القصر الملكي.

أصلي لكي نختبر نحن أيضاً تلك "البركة النابعة من المعاناة" ذاتها التي عرفها داود. إذ يتحتم علينا نحن أيضاً أن نسمح لأنفسنا بأن تتغير وتتحول، من خلال المعاناة، لنصبح أناساً يُقدّرون حقاً قيمة كل فردٍ من الأفراد. وإن السبب الذي يجعلنا في حاجةٍ ماسةٍ وعاجلةٍ إلى هذا التحول الروحي هو أنه، في هذه الأزمنة الحديثة، يبدو أننا قد فقدنا القدرة على تقدير القيمة الحقيقية للنفس البشرية الواحدة—وعلى وجه الخصوص، يبدو أنه بينما قد يُقر قادة كنائسنا بألسنتهم بأن النفس الواحدة أثمن من العالم بأسره، إلا أنهم في قلوبهم لا يُقدّرون كل نفسٍ حق قدرها بقلب "الله الأب"، ولا بتلك العاطفة الصادقة التي تحلى بها "المسيح يسوع" (فيلبي—وفي واقع الأمر ويبدو أنه كلما اتسع نطاق جماعتنا وكبر عدد أعضائها، قلّ ميلنا إلى تقدير قيمة النفس الواحدة. ونتيجةً لذلك، يبدو أن حالات. (8:1 أخذت تتكرر وتتزايد بشكلٍ مطرد. ولهذا—والتي غالباً ما تحدث على أيدي قاداتنا أنفسهم—جرح النفوس الفردية داخل الكنيسة

السبب، فإننا نحن أيضاً في حاجة ماسة إلى تلك "البركة النابعة من المعاناة" التي أنعم بها الله ذات يومٍ على داود. إننا في أمس الحاجة أن ندرك عمق محبة—من خلال بوتقة المعاناة—إلى قلبٍ يُقدّر حقاً قيمة كل نفسٍ بشريةٍ على حدة. وعلاوةً على ذلك، يتحتم علينا الله ورافته، وسعتها، وارتفاعها، وفيضها، بوضوحٍ يزداد تجلياً وإشراقاً يوماً بعد يوم. وفوق كل شيء، وعبر معاناتنا نحن—من لا بد لنا أن نبلغ إدراكاً أعمق لمحبة الرب الفدائية المذهلة—خلال تثبيت أنظارنا والتأمل في آلام يسوع وموته على الصليب والعظيمة. وحين نفعل ذلك، سنغدو أشبه بـ "حديقة رويانة" بالمحبة، متمكنين من احتضان كل نفسٍ بشريةٍ ومحبتها بتلك المحبة الإلهية الفائضة. فلينعم علينا جميعاً ببركة المعاناة هذه.

فائدة المعاناة (1)

خَيْرٌ لِي أَنِّي تَدَلَّلْتُ لِكَيِّ أَتَعَلَّمَ فَرَأَيْضَكَ" (المزمور 71: 119)

الإلكتروني، خبراً ترك قلبي مضطرباً للغاية. لقد وقعت CNN بينما نحتفي بـ "شهر الأسرة"، صادفتُ مجدداً اليوم، عبر موقع حادثة مروعة في بلدة صغيرة تقع على مشارف شيكاغو؛ حيث أقدم أبٌ يبلغ من العمر 34 عاماً على طعن ابنته البالغة من العمر 8 سنوات 20 طعنة، وطعن صديقته البالغة من العمر 9 سنوات 11 طعنة، مما أدى إلى مقتلهما كلتيهما. وكان الأمر الذي يعجز الذي تجرباً على تسمية نفسه "أباً" —قد طعن ابنته في—اللسان حقاً عن وصفه في التقرير الإخباري هو الكشف عن أن هذا الرجل عينيها الاثنتين أيضاً. وإزاء خبر كهذا، لم يسعني إلا أن أمتلئ غضباً، متسائلاً عما إذا كان هذا الفعل هو بعينه "شر الشرور" —تلك الفظاعة التي لا ينبغي لأي إنسان أن يكون قادراً على ارتكابها قط. "هل هذا الشخص إنسان حقاً؟" "وهل يمتلك أدنى مؤهل ليكون أباً؟" لكي يقود المرء سيارة، يتحتم عليه الحصول على رخصة قيادة؛ ومع ذلك، لا توجد شهادة مماثلة يُشترط الحصول عليها، ليصبح المرء أباً. ونتيجة لذلك، يساورني الظن بأن الناس نادراً ما يبذلون جهداً خاصاً للدراسة أو الإعداد لهذا الدور. وفي هذه الليلة وهو خبر أم ضربت ابنتها على رأسها وتركها لثموت في غرفة—أستحضر في ذاكرتي مجدداً خبراً إخبارياً كنت قد صادفته سابقاً وهي حادثة بلغت ذروتها المروعة في النهاية بقطع رأس الطفلة الصغيرة الجميلة والتخلص من جثتها. وهذا—المعيشة لمدة يومين الأمر يتركني أتساءل: هل نمتلك نحن، بصفقتنا آباءً وأمّهات، المؤهلات الحقيقية للاضطلاع بهذا الدور؟

"نحمل مسؤولية" رعاية—بصفقتنا أزواجاً وآباءً—في الإصحاحين الخامس والسادس من رسالة أفسس، نتعلم أننا نحن الرجال زوجاتنا وأبنائنا. وفي هذا السياق، يحمل الجذر اللغوي اليوناني لكلمة "رعاية" دلالة معنى "الضيق"—أي ما هو "محدود" أو مدعون لأن نُظهر لزوجاتنا وأبنائنا "الطريق الضيق" الذي سلكه—بصفقتنا أزواجاً وآباءً—محصور. وبعبارة أخرى، نحن يسوع؛ ألا وهو "طريق الصليب". ولصياغة الأمر بطريقة أخرى، فإن ذلك يعني أنه يتحتم على كل واحد منا أن يحمل صليبه ويتبع يسوع، سالكاً بذلك طريق المعاناة. ومع ذلك، فإننا نمتلك غريزة تدفعنا لتجنب السير في طريق المعاناة؛ إذ نحاول عمداً النأي بأنفسنا

نظل غافلين عن الفوائد التي—بصرف النظر عن ما ينطوي عليه هذا الطريق من ألم وكرب—عنه. ويعود السبب في ذلك إلى أننا تجلبها المعاناة. وعلاوة على ذلك، ولأننا لم نختبر بعد فوائد المعاناة بشكل مباشر، فإننا غالبًا ما نفتقر إلى الإيمان اللازم للصبر وتحمل عبور نفق الضيق.

واليوم، وبالتركيز على المقطع الكتابي الوارد في المزمور 119: 65-72، أود أن أتأمل في نقطتين جوهريتين تتدرجان تحت "عنوان: "فوائد المعاناة".

أولاً: تتمثل إحدى فوائد المعاناة في أنها توقظنا وتنبهنا إلى طرقنا الخاطئة.

تأملوا معي في النصف الأول من الآية 67 في نصنا لهذا اليوم، من المزمور 119: 67: "قَبْلَ أَنْ أَذِلَّ ضَلَلْتُ...". ففي كثير من الأحيان، وقبل أن تحل بنا المعاناة، نظل غافلين تمامًا عن حقيقة أننا نسير في طريق الضلال. وبالطبع، صحيح أن هناك أوقاتًا نختار فيها الضلال عمدًا، ونحن مدركون تمام الإدراك أننا نسلك الطريق الخاطئ. غير أنه في مناسبات عديدة، نصاب بعمى وصمم نميل يمينًا أو يسرًا، ونتيه بلا هدى وسط حالة—روحي؛ فبدلاً من السير في "الطريق الضيق"—طريق الصليب الذي سلكه الرب من الارتباك والضياع. وفي مثل تلك اللحظات، ومن خلال المعاناة التي يسمح الرب بوقوعها في حياتنا، نستعيد وعينا ونعود إلى—صوابنا. فتمامًا كما يستخدم الراعي الشاب عصاه ليرشد برفق نعجةً ضالةً ويعيدها إلى المسار الصحيح، كذلك يستخدم الرب عصا "المعاناة ليعيدنا إلى الطريق القويم كلما بدأنا في الضلال والشرود. وقد أعلن النبي إشعياء قائلاً: "كُلُّنَا"—راعينا الصالح كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. كُلُّ وَاحِدٍ مَالٍ إِلَى طَرِيقِهِ... (إشعياء 53: 6). فنحن أشبه بالنعاج الحمقاء؛ أي بشر غالبًا ما نكون شديدي الانشغال "بالسير في طرقنا الخاصة. ويقول "طرقنا الخاصة"، لا أقصد بذلك "الطريق الضيق" الذي رسمه الرب، بل أقصد "الطريق الواسع الذي يمثله العالم. وفي تلك اللحظة بالتحديد، تأتي المعاناة التي تُرسل إلينا لتكون بمثابة أداة توقظنا وتنبهنا إلى حقيقة طرقنا الخاطئة تتمثل إحدى فوائد المعاناة في أنها تقودنا إلى حفظ كلمة الرب والعمل بها. تأمل في النصف الثاني من الآية 67—وأخيرًا—ثانيًا كيف يُعيننا—في نحو ست نقاط—في نص اليوم، من المزمور 119: "...أَمَّا الْآنَ فَقَدْ حَفِظْتُ قَوْلَكَ." وهنا، يجدر بنا أن نتأمل: الألم على حفظ كلمة الرب

الألم يقودنا إلى الإيمان بوصايا الرب (1).

تأمل في النصف الأول من الآية 66 في نص اليوم، من المزمور 119: "أَمَنْتُ بِوَصَايَاكَ..." بالنسبة لأولئك منا الذين يسبسون في طريق خاطئ، يأتي الألم ليقظنا من سبات ضلالنا؛ فإذ يُلزِمنا بالعودة أدر اجنا وتغيير مسارنا، فإنه يقودنا إلى الإيمان بأن وصايا

الرب وحدها هي التي تُمثّل الطريق الحق. إننا نعيش كل يوم ونحن نختار بين طريقين: طريق الرب الضيق، أو طريق العالم الواسع أو—وبعبارة أخرى، في كل لحظة من لحظات كل يوم، نجد أنفسنا أمام خيار: إما اتباع وصايا الرب، وإما اتباع كلمات الشيطان كلمات العالم. إن الألم لا يقتصر دوره على تنبيهنا وإيقاظنا لندرك خطأ خياراتنا فحسب، بل إن الألم الناجم عن تلك الأخطاء يُلزمنا. وبالسير قدماً في ذلك الطريق—أي طريق الرب ووصاياه—أيضاً بالإيمان بالطريق الصحيح.

"الألم يُعلّمنا "حُسن الفهم والمعرفة (2)

—تأمل في النصف الثاني من الآية 66 في نص اليوم، من المزمور 119: "...عَلِّمْنِي حُسْنَ الْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ." كم منا نحن المسيحيين وقد فقدنا "حُسن الفهم" (أي: التمييز السليم والحكمة الناضجة)—يسير في طريق خاطئ وهو غارق في الجهل؟ إن فقدان التمييز الروحي يُورثنا الحيرة والاضطراب بدلاً من اليقين والقناعة الراسخة. وفي نهاية المطاف، يحول ذلك دون سيرنا بخطوات ثابتة—ومستقيمة على درب وصايا الرب. بل على العكس من ذلك، يتسبب فقدان التمييز الروحي في تيهنا وشرودنا في دروب العالم وهي دروبٌ تكتنفها الحيرة والضلال. وفي خضم هذه الحالة، يستخدم الرب الألم وسيلةً لانتشالنا وإنقاذنا من مستنقع جهلنا ومن حالة فقداننا للقدرة على التمييز السليم. وهكذا، وفي نهاية المطاف، ومن خلال منحه إيانا نعمة التمييز الروحي السليم والمعرفة اللازمة لإدراك مشيئته، يُعيننا الرب ويُمكننا من الاندفاع بشوقٍ وحماس نحو كلمته المقدسة.

الألم يُتيح لنا تذوق صلاح الرب. تأمل في النصف الأول من نص اليوم، المزمور 119: 68: "أَنْتَ صَالِحٌ وَمُحْسِنٌ..." ومن (3) بين فوائد تذوق صلاح الرب من خلال المعاناة (المزمور 34: 8)، فإن أعظم فائدة ننالها هي اختبار إله صالح، ذاك الذي يجعل كل حين نشعر بأقصى—تعمل معاً لخيرنا (رومية 8: 28). وبشكل خاص، حين نكون في أدنى حالاتنا—بما في ذلك معاناتنا—الأشياء وحين نكون في خضم الألم الشديد والشدائد، فإن مجد إلهنا الصالح يسطع حينئذٍ بمزيد من—درجات الضيق والإعياء والانكسار الإشراف في حياتنا. ولهذا السبب، حتى في أعماق المعاناة القاسية، نتمكن من ترنيم التسيبحات قائلين: "إله صالح، إله صالح... يا إلهي الصالح حقاً!"

المعاناة تجعلنا نمقت أكاذيب المتكبرين (4)

تأمل في النصف الأول من نص اليوم، المزمور 119: 69: "المتكبرون قد اختلقوا عليّ أكاذيب..." قبل أن نختبر المعاناة، كانت أكاذيب المتكبرين غالباً ما تبدو واضحة ومقنعة جداً لأسماعنا، لدرجة أننا كنا نجد أنفسنا مراراً سائرين في دروبهم الخادعة. نحن، ألسنا—تلك النفوس الحائرة التي تخطئ بين أكاذيب متكبري العالم والحقيقة، وتقبلها كواقع وتختار الدروب الخاطئة—المسيحيين

حتى في هذه اللحظة، منشغلين بالركض مسرعين في تلك الدروب ذاتها المليئة بالزيف؟ إن متكبري هذا العالم يعرضون درباً من النجاح الزائف، والشرف الموهوم، والمادية البحتة؛ ومع ذلك، فبعد احتمال المعاناة، نغدو نمقت كل تلك الدروب الخادعة التي يسلكها المتكبرون. والسبب في ذلك هو أننا، من خلال المعاناة، نكتسب فهماً واضحاً للدرب الحقيقي؛ ألا وهو درب الرب. إن درب الرب ذاك هو الطريق الضيق المتمثل في الصليب، والذي كشفه لنا يسوع المتواضع من خلال الكتب المقدسة. والغاية القصوى لذلك الدرب هي الموت. يا له من فرق شاسع بين هذا وبين الغاية القصوى لدرب العالم! هل تشعر بجاذبية روحية؟ هل نجد في أنفسنا انجذاباً روحياً تجاه حقيقة أن ذروة الطريق الضيق الذي نسلكه هي الموت؟ هل تشعر بانجذاب نحو حقيقة أن خطأ مثلنا يمكنهم نيل إكليل الشهادة من أجل مجد الرب؟ يبدو أن ليس كل أحدٍ بمقدوره احتضان مثل هذه الحقائق. إن القلب المتكبر لا يستطيع أن يصون، هذه الحقائق ولا أن يقبلها؛ غير أن الرب، من خلال المعاناة، يغرس هذه الحقيقة عميقاً في قلوبنا. وفي خضم عملية غرسها ذاتها، يستخدم الرب المعاناة لكي يجعلنا نمقت أباطيل المتكبرين.

الآلم يُزيل "الترسبات الدهنية" من القلب (5).

تأمل في النصف الأول من نص اليوم، مزمر 119: 70: "قَلْبُهُمْ سَمِينٌ كَالشَّحْمِ...". في الولايات المتحدة اليوم، برزت السمنة كمشكلة رئيسية؛ ونتيجة لذلك، ينخرط عدد لا يُحصى من الناس في أنظمة غذائية وتمارين رياضية في محاولة لإنقاص أوزانهم بل إن الكثيرين يخضعون لعمليات جراحية في هذه اللحظة بالذات لإزالة هذا "الشحم". وفي حين يبذل الكثيرون كل هذا الجهد لإزالة الشحوم الجسدية من أجسادهم، يجب علينا نحن المسيحيين أن نكرس أنفسنا لإزالة "الترسبات الدهنية" من قلوبنا. عندما يتراكم الشحم "الجسدي"، ألا يؤدي ذلك إلى شتى أنواع المتاعب الجسدية، وفي نهاية المطاف، إلى أمراض متنوعة مرتبطة بنمط الحياة؟ ومع ذلك، يبدو أن "الترسبات الدهنية" في القلب تُفرخ خطيئة أعظم: فعلى الرغم من أنها تُنتج عواقب خاطئة تعيق حياتنا الروحية —أو حتى نجد فيها نوعاً من المتعة المنحرفة. إنني أؤمن بأن الآلم هو العلاج الأمثل—إلا أننا نميل إلى الاستخفاف بتلك العواقب والضروري لتطهير قلوبنا من هذه الترسبات الدهنية عندما نجد أنفسنا في مثل هذه الحالة الروحية. فمن خلال الآلم، يجب علينا أن نُنَقِّي قلوبنا من هذه التراكمات الدهنية.

الآلم يُمكننا من إدراك القيمة السامية لكلمة الله إدراكاً عميقاً (6).

—تأمل في نص اليوم، مزمر 119: 72: "شَرِيعَةُ فَمِكَ خَيْرٌ لِي مِنْ أُلُوفِ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ". أثناء فترة الخروج، أدرك شعب إسرائيل أن "لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الْإِنْسَانُ" (تثنية—عبر أربعين عاماً من المعاناة في البرية، الذي سلكه الرب نفسه في هذا العالم الذي يشبه البرية—وبالمثل، بينما نسير على "الطريق الضيق"—أي طريق الصليب. (3: 8: فإبنا نواجه حشداً من الآلام المتنوعة. ومن خلال هذه التجارب، يجب علينا نحن أيضاً أن نصل في نهاية المطاف إلى إدراك أننا

كائنات لا يمكننا البقاء أحياء إلا بكل كلمة تخرج من فم الرب. وعندما نصل إلى هذا الإدراك، سنعترف بأن قيمة كلمته أثمن من حياتنا ذاتها. فكيف يمكن لكلمة الله الأزلية أن تُقارن بالمدى المحدود لحياتنا البشرية على هذه الأرض؟ إن المعاناة تُمكننا من .وهي قيمة تفوق بكثير قيمة الثروات المادية—إدراك مدى نفاسة هذه الكلمة وقيمتها السامية

من المرجح أننا، نحن المؤمنون بيسوع—العالم الذي يهرع بخطى حثيثة نحو نهايته المحتومة—في هذا العالم المضطرب اجتماعياً .المسيح، سنواجه معاناة أشد وطأة مما واجهناه في الماضي أو الحاضر، وذلك بينما نسير على الدرب الضيق الذي رسمه الرب لنا .فسيمكننا أن—مختبرين النعمة والبركات التي ترافقنا في كل لحظة من لحظات الضيق—ومع ذلك، فإذا ما احتضنا ثمار المعاناة .نغدو أناساً يتحلون بمرونة حقيقية؛ أناساً يعرفون كيف يكتشفون البركات الكامنة في صميم المعاناة، حتى وإن واجهوا في المستقبل مصاعب تفوق في شدتها كل ما عرفوه من قبل. وكما أعلن صاحب المزمور في المزمور الخامس والستين: بينما نختبر الرعاية الحانية لربنا الصالح ونتذوق حلاوة جوده، سنتمكن من أن نشهد من أعماق قلوبنا قائلين: "إن الله صالح". وأصلي باسم يسوع أن تُمنح بركات المعاناة هذه لي ولك على حد سواء

فائدة المعاناة (2)

"فقال: 'في ضيقي دعوتُ الربَّ، فاستجاب لي. ومن أعماق القبر استغثتُ طلباً للعون، فأصغيتَ إلى صرختي'" (يونان 2:2).

(Dancing) *إذن، كيف ينبغي لنا أن نستجيب للمعاناة والألم والجراح والكدورات التي تقتحم حياتنا؟ في كتابه *الرقص مع الله يقترح هنري نووين أربع طرائق للاستجابة؛ ويشير إلى هذه الطرائق الأربع بوصفها "الخطوات الأربع للرقص مع (with God) الله".

الخطوة الأولى في الرقص مع الله هي أن ننوح على الألم والجراح التي نكابدها (1).

يجب علينا أن نبكي حين يحين وقت البكاء. ومع ذلك، فحين نبكي، يجب أن نفعل ذلك أمام الصليب. وعلاوة على ذلك، حين نكون في حالة ألم أو معاناة، يجب أن نمضي إلى حضرة الله الأب ونخبره بدقة عن مدى شدة ما يؤلمنا. غير أنه، لسبب ما، وبدلاً من الاعتراف بآلامنا وجراحنا وأحزاننا، غالباً ما نحاول إنكارها أو تجاهلها أو كبثها في أعماق قلوبنا. وإذا ما فعلنا ذلك، فمن المستحيل —وعلى غرار بني إسرائيل في العهد القديم تماماً— أن تعود علينا المعاناة التي نمر بها بأي نفع يُذكر. بل على العكس من ذلك يصبح من المرجح جداً أن نخطئ في حق الله من خلال التذمر والشكوى في كل مرة نواجه فيها الشدائد.

الخطوة الثانية في الرقص مع الله هي أن نواجه وجهاً لوجه الأسباب الجذرية لآلامنا ومعاناتنا (2).

تلك الخسارات التي سجتتنا داخل زنازة من الإنكار والخزي—يجب علينا أن ننظر مباشرة إلى الخسارات الخفية التي شلت حركتنا والشعور بالذنب. فما هي، حقاً، الأسباب الكامنة وراء آلامنا ومعاناتنا؟ لن يتسنى لنا الاختيار بين مواجهة السبب الجذري لمعاناتنا أو عدم مواجهته إلا إذا كنا نعلم ماهية ذلك السبب؛ ومع ذلك، يبدو أننا في كثير من الأحيان نظل غافلين عن منشأ الآلام والمعاناة التي نكابدها. ونتيجة لذلك، فإننا لا نعجز فحسب عن مواجهة مصدر كربنا وحننا، بل إنه حتى لو *عرفنا* ذلك السبب، فإن غرائزنا البشرية ستقودنا إلى التهرب منه بدلاً من مواجهته مباشرة. والسبب في ذلك بسيط للغاية: لقد اعتدنا على أسلوب التهرب. ما لم نواجه الجذور العميقة للألم والمعاناة التي نختبرها، فلن يتسنى لنا أن ننال النعمة التي يفيض بها الله علينا من خلال التجارب التي قدّرنا لها.

صميم آلامنا، ومعاناتنا، وخساراتنا، وجراحنا—ونعبر من خلال—الخطوة الثالثة في هذه "الرقصة" هي أن ندخل إلى (3)

لا ينبغي لنا أبداً أن نهدر طاقة مفرطة في محاولة الإنكار؛ بل على العكس من ذلك، وفيما نُقرّ بواقع حالنا، يجب علينا أن نخطو مباشرة نحو الألم، والمعاناة، والخسارة، والجراح التي نكابدها. إذ لا يجوز لنا بعد الآن أن نتهرب منها؛ بل يجب علينا أن ندخل إلى نفق "الألم والمعاناة". ورغم أن هذا النفق قد يكون مظلماً وموحشاً، إلا أنه يتحتم علينا دخوله رغم كل شيء؛ فما لم ندخل ذلك النفق لن نُثمر التجارب التي قُدرت لنا أي نفع يُذكر.

في هذه "الرقصة"، فهي لقاء الله الأب في خضم آلامنا، ومعاناتنا، وخساراتنا، وجراحنا—الرابعة—أما الخطوة الأخيرة (4)

يجب علينا أن ندخل إلى نفق الألم، والمعاناة، والخسارة، والجراح؛ وهناك، يتوجب علينا أن نستشعر الألم، والمعاناة، والخسارة والجراح التي كابدها يسوع نفسه. وحينما نفعل ذلك، يتدفق الشفاء إلى آلامنا وجراحنا الخاصة. وعلاوة على ذلك، نغدو مؤهلين لنكون بمثابة "معالجين مجروحين"، ويستخدمنا الرب كأدواتٍ في خدمته.

كما ورد وصفها في النص الكتابي المخصص لهذا اليوم، سفر يونا 2: 2—يمكن تلخيصها—إن المعاناة التي عاشها النبي يونا في أربع نقاط:

لقد وقعت تجربة يونا داخل جوف حوتٍ عظيم (يونا 2: 1). وبعبارةٍ أخرى، كانت المحنة الأولى التي ألمّت بيونا هي (1) جوف الهاوية" (الآية 2). فكما لو كان محبوساً داخل كهفٍ حالك الظلمة في جوف حوتٍ عظيم في أعماق البحار، وجد يونا نفسه أنه لا يوجد أي مخرج أو حلٍ لورطته. لقد كان محاصراً؛ تماماً كما حوصر—مهما وجّه نظره—في مأزقٍ عصيب؛ حيث بدا له بنو إسرائيل أمام البحر الأحمر إبان رحلة الخروج (وإن كان ذلك، بطبيعة الحال، هو التصور الذي ارتسم في ذهن فرعون، بل وفي

أذهان بني إسرائيل أنفسهم). وكما توحى كلمات المقطع الثالث من الترنيمة رقم 539، فقد انقطعت عنه كل الأواصر وكل ما كان. إلا حين نُلقَى في حالة من اليأس القنوط—الذي هو رجاؤنا الحقيقي—يضع ثقته فيه من أمور هذا العالم. لا نوجّه أنظارنا نحو الرب. وهذه بالتحديد هي ثمرة المعاناة.

لقد اتخذت محنة يونان شكل "أمواج الرب" (الآية 3) (2).

وهنا، لا يحمل مصطلح "الأمواج" المعنى الحرفي فحسب، بل يحمل في طياته معنى "الأمواج الكاسرة"—أي تلك الأمواج التي تهوي بقوة لثُحْطَمَ وتُفْتَت كل ما يعترض طريقها (بحسب باريك يون-سون). لقد كان الله آنذاك بصدد تحطيم وتفتيت قلب يونان القاسي. فمن خلال إرسال عاصفة هوجاء على البحر، لم يكن الله يكتفي بتحطيم السفينة التي كان يونان على متنها فحسب (1: 4)، الذي كان قد نسي الرسالة التي ائتمنه الرب عليها، —بل كان في الوقت ذاته يُحْطَم قلب يونان العنيد. وعبر تحطيم قلب يونان القاسي كان الرب يعمل على تليين قلبه، قائداً إياه بذلك إلى طاعة توجيهات الرب. وهذه بالتحديد هي ثمرة—وكان يهرب عصياناً لأمر الله المعاناة.

لقد تمثلت محنة يونان في ذلك الشعور الساحق بأنه قد هُجِر وترك من قِبَل الرب (3).

تأمل في سفر يونان 2: 4: "...مع أنني قد طُرِدْتُ من أمام عينيك...". وكان السبب وراء شعور يونان هذا هو أنه كان يهرب بعيداً عن الله، محاولاً الاختباء من حضرته (1: 3). وبعبارة أخرى، ونظراً لأن يونان كان يحاول الهروب بعيداً عن الله، فقد انتابه شعور بأن الله أيضاً قد ابتعد عنه وهجره. وينطبق الأمر ذاته علينا؛ فمتى ينتابنا شعور بأن الله قد هجرنا؟ شأننا شأن يونان، قد نختبر هذا الشعور بالهجران حين نعصي وصايا الله ونهرب بعيداً، محاولين الاختباء من حضرته. ويبلغ هذا الشعور ذروته ويصبح حاداً للغاية حين نكون في خضم المعاناة—حين يبدو لنا، رغم رفعنا الصلوات الحارة إلى الله، وكأن صلواتنا تذهب سدى ولا تلقى أي استجابة؛ ففي مثل تلك الأوقات، قد نشعر بأن الله قد صرف وجهه عنا وتخلّى عنا. وهذا بالتحديد هو الشعور الذي انتاب كاتب المزامير؛ ولذا هتف قائلاً في المزمور 22: 1: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟ لماذا أنت بعيد عن خلاصي، وبعيد عن كلمات أنبيائي؟". قد ينتابنا شعور وما يصاحب ذلك من أنين وصراخ—بأن الله قد تخلّى عنا حينما لا نتلقى منه أي استجابة أو عون، رغم توقنا الصادق لطلب معونته إليه. إن إحساسنا بهذا التخلي يُعد ضرباً من ضروب المعاناة؛ بل إنه أشد إيلاماً من أن يكون المرء محتجزاً جسدياً داخل جوف حوت عظيم، أو أن تتقاذفه أمواج الرب العاتية. فكما أن شعور المرء بأن والدًا محباً قد تخلّى عنه هو أمر أشد وطأة على النفس بكثير من —فوق كل أشكال التأديب الأخرى—مجرد احتجازه في غرفة مظلمة أو تأديبه بالعصا، كذلك فإن الشعور بأن الله قد تخلّى عنك يظل التجربة الأكثر إيلاماً وقسوة التي قد يمر بها الإنسان. ومع ذلك، وحتى في خضم هذه المعاناة، تكمن البركة التي يمنحنا إياها الله في

قدرتنا على سماع صرخة يسوع وهو يتألم فوق الصليب: "إلوي، إلوي، لَمَا شَبَقْتَنِي؟" (أي: إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟) (مرقس 15 على وجه التحديد لأن الله الأب قد تخلى عن—وحيثما نسمع صرخة يسوع تلك، يزداد يقيننا وتتأكد لدينا الحقيقة القائلة إنه (34). فإننا نحن أنفسنا لن يتخلى عنا الله أبداً، إلى أبد الأبد. وهذه هي بالتحديد ثمرة المعاناة وفائدتها—ابنه الوحيد، يسوع

لقد تمثلت طبيعة معاناة يونان في أن روحه قد أعيت فيه (4).

تأمل في سفر يونان 2: 7: "حِينَ أُعِيْتُ فِي نَفْسِي..." هنا، تحمل كلمة "أعيت" (أو "فترت") معنى "الذبول" أو "الضمور". وتكشف وهو—هذه الكلمة أن يونان كان قد بلغ حالة من اليأس المطبق. لقد دفعت المعاناة التي حلت بيونان به إلى وضع من العجز التام وضع يستحيل على أي قوة بشرية أن تفلت منه (أو أن تجلب الخلاص منه). وحقيقة أنه ظل عالقاً في هذا المأزق لمدة ثلاثة أيام تشير بوضوح إلى أن يونان كان قد بلغ بالفعل أقصى درجات اليأس وعمقه السحيق. ومع ذلك، فحتى في خضم هذا اليأس الناجم عن تجربة العجز الكلي والضعف المطلق، تكمن النعمة التي يمنحنا إياها الله في قدرتنا على تثبيت أنظارنا نحو الرب، الذي هو بذاته: يقود الله قلوبنا وألسنتنا لترديد هذا الاعتراف—مخلصنا—رجاء خلاصنا. وعلاوة على ذلك، فمن خلال تمكيننا من النظر إلى الرب الْخَالِصُ لِلرَّبِّ" (الآية 9). وهذه، حقاً، إحدى الفوائد العميقة التي تجلبها المعاناة. يتحتم علينا أن نحتضن النعمة التي يهبها إياها" حين—شأننا في ذلك شأن يونان تماماً—الله، وأن ننهل منها من خلال المعاناة التي نصادفها في حياتنا. وعلى وجه الخصوص نعصي وصايا الله ونفرّ بعيداً عنه، يجب علينا أن نتقبّل الفوائد الكامنة في المعاناة التي يرسلها؛ ونحقق ذلك من خلال الدخول في رقصة مع الله وسط عواصف الشدائد الهوجاء التي يسمح بوقوعها. وعليه، فإن صلاتي هي أن نتمكن نحن أيضاً من أن نردد الاعتراف ذاته الذي قاله صاحب المزمور: «خَيْرٌ لِي أَنِّي تَذَلَّلْتُ، لِكَيْ أَتَعَلَّمَ فَرَائِضَكَ» (المزمور 119: 71).

الامتحان في خضم المعاناة

فَصَلَّى يُونَانُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِ مِنْ جَوْفِ الْخُوتِ... قَائِلًا: "أَنَا بِصَوْتِ الْحَمْدِ أَذْبَحُ لَكَ. أُوْفِي بِمَا نَذَرْتُهُ. لِلرَّبِّ".
«الْخَلَّاصُ» (يونان 2: 1، 9)

إن المعاناة أمرٌ مؤلمٌ ومُضني. وحين نقع في براثن الألم والضيق، فإننا عادةً ما نننّ ونضطرب وسط جراحنا ودموعنا. بل قد نذهب إلى أبعد من ذلك، فنضمّر في أنفسنا مشاعر الاستياء والمرارة؛ إذ نلقي باللوم على الآخرين، دافعنا في ذلك شعورنا بأن إلقاء اللوم قد يجلب لنا قدرًا من الراحة والتخفيف. ولا يقتصر لومنا على الأشخاص فحسب، بل—أيًا كان ذلك الشخص—على شخصٍ ما بينما ننتشغل باستمرار بإلقاء اللوم على الآخرين وعلى أوضاعنا—نلقي باللوم أيضاً على ظروفنا المحيطة. وبهذه الطريقة نادرًا ما نلوم أنفسنا، إن حدث ذلك أصلاً. ويكمن السبب في ذلك في أننا، حين يطغى علينا الألم والضيق، نميل بطبيعتنا—الراهنّة إلى الانغلاق على ذواتنا والتركيز على أنفسنا بشكلٍ أكبر. وحين نغرق في الأنانية والتركيز على الذات، فإننا لا نعجز فحسب عن إدراك أن معاناتنا قد تكون نابعةً من تصرفاتنا وأفعالنا نحن، بل نصبح في الواقع عاجزين تمامًا عن استيعاب هذا الاحتمال. ونتيجةً لذلك، وبصفتنا أفراداً متمركزين حول ذواتنا بينما نرزح تحت وطأة المعاناة، فإننا نفشل في استخلاص أي دروسٍ أو عبرٍ من خلال محننا وشدائدنا؛ فمن خلال المعاناة، لا نتعلم شيئاً عن أنفسنا، ولا نكتسب أي معرفةٍ أو بصيرةٍ من كلمة الله. ومألٌ ذلك أننا نصبح عاجزين عن تقديم الشكر لله ونحن في خضم معاناتنا وأوجاعنا.

كما يصوّره لنا المقطع الكتابي المخصص لهذا اليوم (يونان 2: 1 و9)—يرفع صلاة شكرٍ لله حتى—ومع ذلك، فإن النبي يونان وهو حبيسٌ داخل—وهو في قلب معاناته، ويعقد العزم على تقديم ذبائح حمدٍ وامتنانٍ له. كيف يتسنى له ذلك؟ وكيف تمكّن يونان جوف حوتٍ عظيم (الآية 1)، وفي وضعٍ كانت فيه أمواج الرب ولججه الهائجة تتلاطم فوق رأسه (الآية 3)—من رفع صلاة شكرٍ لله والعزم على تقديم ذبائح امتنانٍ له؟ وكيف استطاع يونان أن يشكر الله حتى وهو يتجرع مرارة الشعور المؤلم بأنه قد طُرد وأُقصي عن محضره الإلهي، بينما كانت روحه تذوي وتخور قواها (أو تتلاشى) في داخله؟ ما هو السرّ إذن؟ أعتقد أن هناك ثلاثة عناصر رئيسية على الأقل لهذا الأمر:

أولاً، يكمن سر قدرة يونان على تقديم الشكر لله حتى في خضم معاناته في حقيقة أنه تذكر نعمة الخلاص التي كان الله قد أنعم بها عليه بالفعل.

ألا يبدو ذلك منافياً للبديهية إلى حد ما؟ ففي نهاية المطاف، أليس يونان موجوداً حالياً داخل جوف حوت عظيم؟ وأليس هو، في هذه اللحظة بالذات، لا يزال في خضم محنته؟ كيف إذن يمكننا الحديث عن تجربة يونان باعتبارها تجربة خلاص؟ إذا نظرنا إلى سفر وبذلك أنقذه وخلّصه. وإذا اختبر يونان فعل—الذي كان قد ألقى في البحر—يونان 17:1، نرى أن الله أعدّ حوتاً عظيماً ليبتلع يونان نعمة الخلاص السابق هذا، تمكّن من تقديم صلاة شكر لله في فقرة اليوم، أي في سفر يونان 2:1. [ملاحظة: إن كلمة "صلّى" في ؛ وكما يتضح من سفر *yitpallel* العبارة القائلة: "فَصَلَّى يُونَانُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِ مِنْ جَوْفِ الْحُوتِ" تقابل المصطلح العبري صموئيل الأول 2:1 وصموئيل الثاني 7:27، فإن هذا المصطلح يُستخدم هنا تحديداً للدلالة على صلاة الشكر.] ألا يبدو لكم هذا —بينما كان لا يزال يواجه المحنة ذاتها المتمثلة في وجوده داخل الحوت العظيم—الأمر محيراً بعض الشيء؟ كيف استطاع يونان أن يقدم الشكر على فعل الخلاص ذاته الذي أعدّ الله فيه ذلك الحوت ليبتلعه بعد أن ألقى في البحر؟ ألا يبدو لكم ذلك غريباً بعض الشيء، "أي من" جوف الحوت العظيم—الشيء؟ عادةً ما يكون الخلاص الذي نصلي من أجله ونتوقعه هو أن يُخرجنا الله *من* معاناتنا أي بينما كان لا يزال—إذا جاز التعبير. ومع ذلك، لم ينتظر يونان حتى الفصل الثالث ليقدم صلاة الشكر؛ بل قدمها في الفصل الثاني إلا أن السبب الذي مكّنه من تقديم—بل وأعظم منها—داخل جوف الحوت العظيم. ورغم أنه نجا من محنة واحدة لمواجهة أخرى الشكر لله في خضم هذه المعاناة هو أنه تذكر نعمة الخلاص التي كان الله قد أنعم بها عليه بالفعل في الماضي. إن أي إنسان يتذكر تلك، لا يسعه إلا أن يفيض شكراً لله. على غرار يونان—حتى وهو في خضم المعاناة—النعمة السابقة للخلاص ويقدرها حق قدرها دعونا نحن أيضاً نتذكر نعمة الخلاص التي منحنا إياها الله في الماضي، ولنرفع صلوات الشكر لله حتى ونحن في خضم المحن الكبرى التي نواجهها حالياً.

ثانياً، يكمن سر قدرة يونان على تقديم الشكر لله، حتى في وسط المعاناة، في امتلاكه لليقين بالخلاص والأمل في المستقبل معاً.

إن السبب الذي يجعلنا نحن أيضاً قادرين على تقديم الشكر لله في خضم تجاربنا لا يقتصر فقط على نعمة الخلاص التي أنعم بها الله علينا في الماضي؛ بل يعود أيضاً إلى إيماننا بأن الإله ذاته الذي خلّصنا في الماضي سيخلّصنا بالتأكيد من المحن الحالية التي نواجهها نصبح قادرين على تقديم التسبيحات وصلوات الشكر—لأننا نمتلك يقين الخلاص هذا والأمل ذاك—الآن. ولهذا السبب بالتحديد لله، حتى ونحن نعيش حالياً في قلب المعاناة. وهذا بالضبط ما فعله بولس وسيلا، كما هو مسجل في سفر أعمال الرسل، الإصحاح السادس عشر. فعلى الرغم من أنهما كانا مسجونين ويواجهان احتمال تنفيذ حكم الإعدام فيهما في اليوم التالي مباشرة، إلا أن بولس وسيلا صليا وسبحا الله (الآية 25). وكيف كان ذلك ممكناً؟ لقد كان ممكناً لأنهما كانا يمتلكان كلاً من يقين الخلاص والأمل. وعلى

وجه الخصوص، كان بولس يؤمن بأن الله سيرشده طوال الطريق وصولاً إلى روما ليقف أمام قيصر؛ ولذلك، كان واثقاً تمام الثقة سفر يونان—بأن الله سيخلصه من سجنه. ولهذا السبب صلى لله وسبحه. وبالمثل، في فقرة الكتاب المقدس المخصصة لهذا اليوم و9—يقدم النبي يونان الشكر لله؛ فإيماناً منه بأن الإله ذاته الذي خلّصه في الماضي سيخلصه بالتأكيد من مأزقه الحالي داخل 1: 2، جوف حوت عظيم، رفع صلاة الشكر لله، راسخاً في رجاء الخلاص. وبعبارة أخرى، ولأن يونان آمن بمحبة الله الخلاصية والأمانة—على تقديم صلوات الشكر لله وتقديم ذبيحة امتنان. إن إيماننا بأن الله—حتى في خضم معاناته—ووضع رجاءه فيها، فقد عزم سيخلصنا ليس فقط من الصعوبات التي نواجهها حالياً، بل أيضاً من تلك التي قد نصادفها—المخلص الأمين الذي خلّصنا في الماضي في المستقبل، ينبع من حقيقة أن إله خلاصنا هو هو: أمس واليوم وإلى الأبد (رسالة العبرانيين 13: 8). حينما نودع إيماننا ورجاءنا، حتى في خضم المعاناة التي قد تبدو ميؤوساً منها—لدى هذا الإله الأمين، إله الخلاص، نغدو قادرين على تقديم الشكر له بإيمان وذلك لأننا نطل نتوق إلى إلهنا المخلص ونعلق رجاءنا فيه، حتى—تماماً كحال من يجد نفسه محتجزاً داخل جوف حوت عظيم ونحن نغوص في أعماق اليأس.

وثالثاً وأخيراً، يكمن السر وراء قدرة يونان على تقديم الشكر لله، حتى وهو يرزح تحت وطأة المعاناة، في كونه قد احتفظ بنعمة الله عزيزة ومكونة في أعماق قلبه.

تأملوا معي في سفر يونان (2: 8-9): «الَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً يَتْرُكُونَ نِعْمَتَهُمْ. أَمَّا أَنَا فَبِصَوْتِ الْحَمْدِ أَدْبَحُ لَكَ، وَأُوفِي بِمَا نَذَرْتُهُ. لِلرَّبِّ الْخَلَّاصِ». هنا، وُصفت عبارة «الَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً» في النص العبري الأصلي باستخدام كلمتين محددين؛ تحمل في طياتها معنى «النفس الذي يتبدد سريعاً» أو «الزفير *Hebel*» فالكلمة *Saw* و *Hebel*: وهاتان الكلمتان هما إلى «الفراغ» أو «الخواء». وبعبارة أخرى، فإن المعنى الضمني هنا هو أن الأصنام كائنات *Saw* «العاثر»، بينما تشير الكلمة وهي فضلاً عن ذلك عديمة الجدوى تماماً، أشبه ما تكون بفراغ—تتلاشى وتضمحل بالسرعة ذاتها التي يتبدد بها النفس—عابرة إنما—تلك الأشياء التي تتلاشى كالنفس وتتسم بالخواء والعبثية—أجوف. إن أولئك الذين يكرسون أنفسهم لخدمة مثل هذه الأصنام وإذا ما انخرطنا—يديرهم ظهورهم فعلياً للنعمة التي أفاضها الله عليهم. فعلى سبيل المثال، إذا ما أحببنا الماديات أكثر من محبتنا لله فإننا بذلك نكون، في حقيقة الأمر، قد ألقينا جانباً النعمة التي منحنا إياها الله. ونتيجةً—في عبادة المادة الزائفة والعديمة الجدوى من يوم الاثنين—لذلك، نغدو عاجزين عن تقديم العبادة لله بلسانٍ يلهج بالشكر والامتنان. وحينما نقضي أيام حياتنا في هذا العالم ساعين وراء أباطيل الدنيا وزخارفها الزائلة، فإننا بذلك نبذل النعمة التي أنعم الله بها علينا (تلك النعمة التي—وحتى يوم السبت ثم نصعد لاحقاً—بل ونلقي بها جانباً—نختبرها وننالها خلال عبادتنا يوم الأحد). وحين نفشل في صون تلك النعمة والاحتفاء بها

إلى قدس الأقداس في الكنيسة يوم الأحد لتقديم العبادة لله، فإن قلوبنا تظل خاويةً ومجردةً من أي شعور بالامتنان. وهكذا، لا نكون عاجزين فحسب عن دخول بيت الرب بقلبٍ يفيض شكرياً، بل نغدو أيضاً غير قادرين على تقديم التسبيح والعبادة لله بلسانٍ ينطق بالحمد والامتنان. ومع ذلك، إذا ما صُننا بأمانةٍ في قلوبنا النعمة التي أنعم الله بها علينا، فبإمكاننا أن نصعد إلى بيت الرب يوم الأحد مفعمين بالامتنان، مقدمين له التسبيح والعبادة بقلوبٍ شاكرة. وهناك فارقٌ لافتٌ للنظر هنا: فعبداء الأوثان ينبذون نعمة الله جانباً لكي يخدموا ويقدموا الذبائح لأشياءٍ سريعة الزوال كالنفس، وفارغةٍ كالعدم؛ وفي المقابل، فإن العابدين الحقيقيين لله يصونون في قلوبهم وبذلك يقتربون من الله ليقدموا له، (*hesed* - *بالعبرية*: *حسيد*) النعمة التي يفيض بها الله من خلال محبته العهدية الأمانة العبادة بامتنان. وكان يونان، بالتحديد، عابداً لله من هذا الطراز؛ إذ كان السبب الذي مكنه من تقديم الشكر لله حتى في خضم معاناته مدركاً أن الله—هو أنه كان يحمل نعمة الله عميقاً في أعماق قلبه. وحينما حظي يونان ولو ببارقةٍ من البصيرة تجاه محبة الله العهدية عزم حينئذٍ—لم يتخلَّ عنه رغم عصيانه ومحاولته الهرب من وجه الله ومن رسالته، بل بسط له النعمة ليتم مشيئته المقدرة سلفاً على تقديم ذبائح الشكر لله. وفي نهاية المطاف، فإن كل من اختبر نعمة الله اختباراً حقيقياً يجد نفسه مدفوعاً للزعم على عبادة الله بامتنان، مقدماً له صلوات الشكر. وكما أننا نختبر نعمة الله، فإنه يتحتم علينا نحن أيضاً أن نقدم له صلوات الشكر والعبادة؛ ولتحقيق ذلك، لا بد لنا أن نصون نعمة الله بأمانةٍ في داخل قلوبنا.

و، على الرغم من أن المعاناة قد تكون مؤلمةً ومسببةً للضيق، إلا أنه يجب علينا أن نتخذ منها فرصةً لتمجيد اسم الله. ولبلوغ هذه الغاية حتى ونحن في خضم تجاربنا. وعلاوةً على ذلك، يجب علينا أن نستحضر في—مخلصنا—ينبغي علينا أن نثبت أنظارنا على الله ذاكرتنا نعم الخلاص التي أنعم الله بها علينا في الماضي، وأن نستذكر تلك البركات ونحن نكابذ مصاعبنا الراهنة. وبينما نحفظ—مخلصنا الأمين—بأمانةٍ في قلوبنا بمرحمة الله السابقة ونستذكرها في خضم معاناتنا الحالية، يجب أن نظل على ثقةٍ راسخةٍ بأن الله سيخلصنا حتماً، حتى في هذه اللحظة الراهنة. وحينما نمتلك هذا اليقين بالخلاص، يصبح بوسعنا أن نضع رجاءنا في الله، حتى ونحن نغوص في أعماق اليأس. وحينما نتمسك بقوةٍ بهذا الرجاء في الخلاص، نغدو قادرين على الاحتمال والمثابرة في الإيمان، حتى—مخلصنا—ونحن نمر بتجاربنا. وبذلك، يمكننا أن ننتظر خلاص الله في سكونٍ وصبر. إنه لزامٌ علينا أن نرفع أنظارنا نحو الله ونحن في خضم معاناتنا. إذ نستحضر نعم الخلاص التي منحنا إياها الماضي، يتحتم علينا أن نعتق كلاً من يقين الخلاص الحاضر سنغدو قادرين على أن نرفع إليه صلواتنا وعبادتنا—ورجاء النجاة المستقبلية. وحين نفعل ذلك—مستمدين القوة من نعمة الله بقلوبٍ تفيضُ شكرياً.

مواقف الخوف

[المزمور 27: 1-6]

هل يوجد بينكم من يواجه موقفاً يبعث على الخوف في هذه الأيام؟ وإن كان الأمر كذلك، فلماذا أنتم خائفون؟ يبدو أن السبب الرئيسي لشعورنا بالخوف هو أنه ينبع من داخل قلوبنا نتيجة للقلق والتوتر والترقب. وحين يُطرح موضوع "الخوف" للنقاش، غالباً ما تتبادر إلى ذهن إحدى الفقرات الكتابية، وهي ما ورد في سفر إشعياء 41: 10: "لا تخف، لأنني معك...". غير أنه بالنسبة لي شخصياً عندما أفكر في "الخوف"، فإن ما يتبادر إلى ذهني هو ما جاء في رسالة يوحنا الأولى 4: 18: "لا خوف في المحبة، بل المحبة الكاملة تطرد الخوف إلى خارج؛ لأن الخوف له عذاب. وأما من يخاف فلم يتكلم في المحبة". يذكر الكتاب المقدس بوضوح أنه لا وجود للخوف في المحبة؛ فلماذا إذن لا نزال نشعر بالخوف؟ إن السبب يكمن في الافتقار إلى المحبة الكاملة. ورغم تأكيد الكتاب المقدس بأن المحبة الكاملة تطرد الخوف، فإن حقيقة أننا لا نزال نضمّر الخوف تشير إلى أن محبة الله الكاملة لم تكتمل فينا تماماً بعد.

ووفقاً لما ورد في منشور "رسائل حول تطوير القيادة لرجال الأعمال المسيحيين" (العدد 64)، فإن المخاوف اللاواعية الكامنة بداخلنا يمكن أن تدمر حياتنا بأربع طرق رئيسية: (1) الخوف يشلّ إمكاناتنا؛ فهو يقيدنا ويمنعنا من استخدام المواهب التي أنعم الله بها علينا استخداماً صحيحاً، كما يوقعنا في التردد، مما يجعلنا في نهاية المطاف عاجزين عن تسخير تلك المواهب لمجد الله. وهذا يشبه إلى حد كبير حال الرجل الذي لم يتلق سوى "وزنة" واحدة في "مثل الوزنات". (2) الخوف يدمر العلاقات التي قمنا ببنائها؛ فهو يعيقنا عن التفاعل بصدق وانفتاح مع الآخرين. فخوفاً من التعرض للرفض، نرتدي الأقنعة، متظاهرين بأننا أشخاص غير حقيقين، وناكرين لمشاعرنا الصادقة. بل إن الخوف يحول دون اختبارنا للمحبة الصادقة من كل القلب والتعبير عنها. (3) الخوف يعكر صفو السعادة التي ننعم بها؛ فالسعادة والخوف لا يمكن أن يجتمعا معاً في آن واحد. (4) الخوف يعترض طريق نجاحنا؛ فكثيراً ما نهى أنفسنا للفشل بتركيزنا على الأمور ذاتها التي نخشاه، بدلاً من التركيز على النتائج التي ننشدها. فالخوف يجلب علينا تلك الأمور ذاتها التي نخشى وقوعها (المصدر: الإنترنت). إذن، كيف يمكننا التغلب على الخوف الذي يعصف بحياتنا المزمور 27: 1-6—نجد داود يواجه موقفاً يبعث على الرهبة. وبينما—ويدمرها؟ في فقرة الكتاب المقدس المخصصة لهذا اليوم نتأمل في كيفية استجابة داود وسط تلك الأزمة، دعونا نستخلص ثلاثة دروس من مثاله، ولنطلب القوة لكي نتمكن من تطبيق هذه الدروس في حياتنا الخاصة.

أولاً: في مواجهة المواقف المخيفة، ظل داود آمناً ومطمئناً. وبعبارة أخرى، حافظ داود على شجاعته رغم الظروف المحيطة به.

أرجو منكم النظر إلى فقرة الكتاب المقدس لهذا اليوم، وتحديدًا المزمور ٢٧: ٣: «وإن نزل عليّ جيش، لا يخاف قلبي؛ وإن قامت وسط ظروف كهذه تثير الرعب والوجل؟—وشجاعاً—عليّ حرب، ففي ذلك أنا واثق». كيف تمكن داود من البقاء آمناً

،(١) السبب الرئيسي هو أن داود تثبت نظره على الله. ولذلك، إذا كنا نحن أيضاً نرغب في أن نظل آمنين وشجعاناً في مواجهة الخوف، فيجب علينا أن نتثبت أنظارنا على الله.

الذي هو «نوري وخلصي»، و«قوة حياتي». إن السبيل الأول—في لحظة الخوف التي عاشها، تطلع داود بهدوء وثبات نحو الله، هو أن نتثبت أنظارنا على الله، الذي هو نورنا، ومخلصنا—حتى وسط الظروف المخيفة—الذي يمكننا من خلاله العثور على السلام المزمور ٢٧: ٢-٣—نرى أن—وقوة حياتنا. لقد كان الموقف الذي وجد داود نفسه فيه مظلماً حقاً. وعندما نتأمل في نص اليوم فاعلي الشر، وخصومي وأعدائي» قد هجموا على داود «ليأكلوا لحمي»، كما نزل جيش ضده وحاصره. لقد كان داود وسط ضيقة» شديدة (الآية ٥). ومع ذلك، وفي خضم هذه الظروف المظلمة، اختار داود أن يتطلع بدلاً من ذلك نحو الله. ومن خلال إقراره بمن هو لم يستسلم للخوف؛ بل ظل ينعم بالسلام ووقف بثبات وجرأة—أي من خلال إدراكه لطبيعته الإلهية—الله حقاً.

في مواجهة الخوف، كما فعل داود، ليس بالمهمة السهلة. فعندما نصطدم بمواقف مخيفة—والتحلي بالشجاعة—إن البقاء في سلام بشكل مباشر، يكاد يكون من المستحيل ألا نشعر بالخوف في تلك اللحظة. إن شعورنا بالقلق، وامتلاءنا بالهموم والهواجس، لهو علامة على ضعفنا البشري المتأصل فينا. تماماً كما ارتعب الرسل من الأمواج الهائجة، رغم حقيقة أن يسوع كان ينام بسلام داخل القارب، كذلك نحن أيضاً؛ إذ لا يسعنا إلا أن نشعر بالخوف حين تنهال علينا أمواج الحياة العاصفة وتياراتها المليئة بالخطايا. ومع ذلك، تمر بنا أوقات نشعر فيها بالرعب في دواخلنا، لكننا نتظاهر بالاتزان والهدوء في ظاهرها. والسبب في ذلك هو ترددنا في الاعتراف بمخاوفنا أمام الآخرين. غير أنه يتحتم علينا أن نقر بصدق بالمخاوف الكامنة في قلوبنا، وحين نفعل ذلك، ينبغي أن نأتي "أمام الله ونمكث في حضرته يسكون وهدوء. وفي خضم هذه الحالة الروحية، يجب علينا أن نتثبت أنظارنا على الله، الذي هو "نورنا وهنا، يحمل مفهوم "النور" دلالةً ضمنيةً على القدرة التلقائية على تبديد الظلام. وفي هذا السياق، يشير "الظلام" إلى خصوم داود؛ وبالتحديد، الجيوش المعادية التي اصطفت ضده في ساحة المعركة. وكان—فقد استخدم داود مصطلح "الظلام" لوصف أعدائه، سيبدد هذا الظلام ويزيله تماماً. وكما يزداد النور سطوعاً كلما اشتدت ظلمة المحيط—الذي هو النور—داود على يقين تام بأن الله

إذ يبدد كل ظلام، مهما بلغت درجة الرهبة في الموقف. وحين تثبت داود أنظاره على "إله—الذي هو النور—كذلك يفعل الله نظر إليه باعتباره التجسيد الحقيقي للخلاص، والنصر، والنجاة. وفي كل الظروف، أودع—الإله الذي هو النور—الخلاص" هذا، الذي يملك القدرة على منحه النصر بغض النظر عن موازين القوى أو احتمالات الواقع. وعلاوة على ذلك—داود ثقته في قوة الله، الذي كان له ملجأً وحصناً منيعاً. وباختصار، ظل داود على ثقةٍ راسخة بأن الله سيحميه—نظر إلى الله باعتباره قوة الحياة ذاتها مهما بدت—النور—مهما كانت طبيعة الظروف العسكرية أو العدائية التي تحيط به. وعلينا نحن أيضاً أن نثبت أنظارنا على الله المواقف التي نواجهها حالكة الظلام. فكما يزداد نور الله المُخْلِص سطوعاً كلما اشتدت قتامة الظروف، كذلك يجب علينا أن نعمق—حين نثبت أنظارنا على الله—اعتمادنا على قوة الله المُخْلِصة كلما وجدنا أنفسنا في مواقف تبعث على الرهبة. وحين نفعل ذلك، ستغدو قدرته على منحنا النصر في أي موقف هي القوة المهيمنة على قلوبنا، وعقولنا، ومشاعرنا، وكياننا بأكمله. وبناءً على ذلك، سنتمكن من طرح مخاوفنا جانباً، وأن نقف بدلاً من ذلك بثباتٍ، متحلّين بروح من السكينة والجرأة.

السبب الثاني هو أن داود تأمل في نعمة أعمال الله الخلاصية السابقة. ولذلك، إذا أردنا نحن أيضاً أن نظل ساكنين وجريئين في (2) مواجهة الظروف المخيفة، فيجب علينا أن نستحضر في أذهاننا ونتأمل في تجاربنا السابقة التي شهدنا فيها نصر الله وخلصه.

لِيَأْكُلُوا لَحْمِي، تَعْتَرُوا—خُصُومِي وَأَعْدَائِي—تأمل في النص الكتابي لهذا اليوم، مزمور 27: 2: «عِنْدَمَا جَاءَ عَلَيَّ الْأَشْرَارُ وَسَقَطُوا». ففي خضم الظروف المظلمة التي كان يواجهها آنذاك، عاد داود بنظره إلى الماضي؛ فمن خلال تذكّره كيف تسبب الله في تعثر خصومه وسقوطهم، تمكن من أن يظل ساكناً وجريئاً حتى في وسط موقفٍ يبعث على الرهبة. وبينما نمضي قدماً وسط يجب علينا أولاً أن نتأمل في نعمة الخلاص التي أنعم بها—وقبل أن نتأمل في مستقبلٍ يبدو قاتماً تماماً—ظروفنا المظلمة الحالية الذي هو النور بعينه وسط الظلام—الله علينا في الماضي. وبفعلنا ذلك، يمكننا أن نكتسب يقيناً راسخاً بالخلاص والنصر في الرب الذي نواجهه حالياً.

بل وجريئين—السبب الثالث هو أن داود وضع اتكاله المطلق على الله. ولذلك، إذا أردنا نحن أيضاً أن نظل بلا خوفٍ وأمنين (3) وسط الظروف المظلمة، فيجب علينا أن نعهد بمستقبلنا بالكامل إلى الله—أيضاً

لقد أعلن داود أنه لن يخاف، حتى لو اندلعت الحرب في المستقبل وخيم جيش من الخصوم ضده بقصد سلب حياته (الآية 3). وكان الذي هو نوره، ومخلصه، وقوة حياته ذاتها. وكما فعل داود—السبب وراء هذه الثقة التي لا تتزعزع هو اتكاله المطلق على الله، مستمدة مباشرة من الكتاب—يجب علينا نحن أيضاً أن نظل جريئين في مواجهة المواقف المخيفة. إنني أحمل قناعةً مطلقةً واحدة المقدس، وتحديدًا من رسالة فيلبي 1: 6: «إِنَّ الَّذِي بَدَأَ فِيكُمْ عَمَلًا صَالِحًا سَيَتِمُّهُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ». وعلاوةً على ذلك، أنا سَيتِمُّ بالتأكيد الوعد الذي قطعه لكنيستنا: «سَأُبْنِي كَنِيستِي» (متى 16: 18)—الذي هو أمينٌ إلى الأبد—مقتنعٌ تماماً بأن الرب —بصرف النظر عما قد أواجهه من ظروفٍ باعثةٍ على الخوف، فإنني أرغبُ في أن تُرشدني وعودُ الرب؛ وأتمنى أن أظلَّ بلا خوفٍ —وأن أشارك بفاعليةٍ في عملِ الربِّ المستمرِّ لبناءِ جسده، أي الكنيسة—واقفاً بثباتٍ وجرأةٍ.

وثانياً، وفي خضمِّ الظروفِ الباعثةِ على الخوف، توجَّه داودُ إلى الله بالصلاة.

أرجو منكم النظر إلى النص الكتابي المخصص لهذا اليوم، وهو المزمور 27: 4: "واحدةً سألتُ من الرب، وإياها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لأتأمل جمال الرب وأستشير في هيكله". في خضمِّ ظروفٍ تبعث على الخوف، طلب داود من الله أمراً واحداً. وكان طلب الصلاة الوحيد ذاك هو أن يسكن في بيت الله ويتأمل جماله. لماذا إذن ينبغي علينا أن نتوق إلى بيت الله حينما نجد أنفسنا في مواقف مخيفة؟

السبب في ذلك هو أنه عندما نتأمل وجه الله الأب، يتبدد الخوف من قلوبنا، ونُنعَم بالسلام (1).

الذي—حتى في خضمِّ الظروفِ المخيفة، ظل داود يتأمل جمال الله طوال كل أيام حياته. فأولئك الذين يتأملون جمال إعلان الله ينعمون بسلام القلب، حتى عند مواجهة مواقف تبعث على الخوف (بارك يون-سون)—يفيض بالنعمة.

إن السبب الذي جعل داود يرغب في السكن في بيت الله والتأمل في جماله هو توقه إلى حماية الله الأب (2).

أرجو منكم النظر إلى النص الكتابي المخصص لهذا اليوم، وهو المزمور 27: 5: "لأنه في يوم الضيق يحفظني آمناً في مسكنه؛ ويخفيني في ظل خيمته المقدسة، ويرفعني عالياً على صخرة". إن السبب الذي جعل داود يرغب في التواصل مع الله في هيكله (كما عبَّر عنه في الآية 4) هو أن الشركة مع الله داخل الهيكل كانت بالنسبة له الوسيلة ذاتها التي بها ينجو من كافة الأخطار (بارك يون-سون). وهناك ترنيمة إنجيلية أمريكية كنت أستمع إليها مراراً وأتأمل في معانيها حينما كان طفلي الأول، "جويونغ"، يعاني من

(Under the Shadow of Your Wings) "مرضٍ ويزوي ببطء. وتحمل تلك الترنيمة الإنجيلية الإنجليزية عنوان: "تحت ظل جناحك يا إلهي، إياك أنتظر. هنا في—من بين كلمات هذه الأغنية، ثمة مقطع يقول: "تحت ظل جناحك، وفي مسكنك المقدس. (Wings) حرمك، وبينما يقودني حبك، أقدم ذاتي لأعرفك حق المعرفة. غطّني بحبك؛ وأقّدي إلى أعماق قلبك. احمني تحت ظل جناحك؛ فأني أتوق إلى معرفتك". وفي كل ليلة، بعد قضاء بعض الوقت مع "جويونغ" في وحدة العناية المركزة بالمستشفى، كنت أردد كلمات هذه الأغنية بصوت عالٍ بينما أغادر موقف السيارات، رافعاً بصري نحو السماء الفسيحة. وبينما كنت أغني، كان قلبي يفيض خلال ساعات الفجر الأولى تلك، حينما يتعذر عليّ أنا وزوجتي أن نكون حاضرين جسدياً بجوار—بصلاة حارة: أن يقوم الله باحتضان "جويونغ" وإخفائه في مكان مقدس وسري، تحت الظل الحامي لجناحيه. لقد كانت هذه الأغنية بمثابة صلاة تسليم—طفلاً وإيداع؛ نودع بها طفلاً في رعاية أبينا السماوي الحامية.

ولأن داود كان يحمل في قلبه رجاءً راسخاً بأن الله الأب سيهزم أعداءه ويمنحه النصر، فقد رفع إلى الله طلباً محدداً، حتى في (3) خضم الظروف التي تثير الرهبة والخوف.

تأملوا معي في النصف الأول من نص الكتاب المقدس المخصص لهذا اليوم، وتحديدًا في المزمور 27: 6، حيث يقول: "الآن يرتفع رأسي فوق أعدائي المحيطين بي...". وتعليقاً على هذه الآية، قدم الدكتور "بارك يون-سون" الشرح التالي: "يشير هذا المقطع إلى أن داود، بدلاً من أن ينهار ويندثر أمام كثرة أعدائه، سيحيا بثباتٍ وسكينةٍ وثقة، مستمداً قوته من رجاءٍ لا يتزعزع". إننا لا نستطيع، وهو رجاءنا الحقيقي وذاته. ولذلك—الصمود والبقاء في البيئات المظلمة والعسيرة دون أن يكون لنا رجاء؛ غير أننا نمتلك الرب، يتحتم علينا أن نرفع رؤوسنا ونثبت أنظارنا على الرب، مفعمين بترقبٍ يملؤه الرجاء.

وعلى غرار داود، يجب علينا أن نسكب تضرعاتنا أمام الله حينما نجد أنفسنا في مواقف تثير الخوف والوجل. وكما فعل داود، ينبغي علينا أن نصلي إلى الله بقلبٍ يتوق بشوقٍ عارمٍ إلى السكن في بيته، وإلى التأمل في جماله وجلاله. وبوجهٍ خاص، وفي خضم الظروف المخيفة، يجب علينا أن نلزم السكون والهدوء أمام الله، وأن نصلي بقلبٍ ملتهبٍ وشوقٍ صادقٍ إلى مجده. فكلما اشتدت أمواج الخطية والشر وتلاطمت علينا، ازداد توقنا وشوقنا إلى بيت الله، حتى ليغدو ذلك الشوق أمراً لا نملك له دفعاً ولا فكاً. يحضرني هنا تذكراً بكلمات المقطع الثاني من الترنيمة رقم 543: "وإن كنتُ أقطُنُ هنا حيث يفيضُ الألمُ والخطيئةُ، فإنني أطلُعُ يومياً نحو ذلك المكان الساميِّ المتألّي". في هذا العالم الذي تكثرُ فيه المتاعبُ ويخيّمُ عليه شبحُ الموتِ بثقله، كيف لنا ألا نسعى بلهفةٍ صادقةٍ وراء جماله ومجده، بقلبٍ يتوقُّ إلى بيتِ الله؟ وفي أوقاتِ الخوف، يتحتمُ علينا أن نرفع تضرعاتنا إلى الله، تماماً كما فعل داود.

وثالثاً وأخيراً، وفي خضمِّ الظروفِ المخيفة، قدّم داودُ التسبيحَ لله

تأملوا معي، رجاءً، في نصِّ اليوم، المزمور 27: 6: "...فَأَقْدَمْتُ فِي خِيَمَتِهِ ذَبَائِحَ الْفَرَحِ؛ وَأَغْنَيْ وَأَعَزَّفُ لِلرَّبِّ". فوسط الظروف المخيفة، وبينما كان يتوقُّ إلى هيكَلِ الله، أودع داودُ رجاءَهُ في حمايةِ الله ووعدهُ له بمنجِه النصر (الآية 5). وعلاوةً على ذلك وبدافع الإيمان، نذر أن يُقدِّم الشكرَ والتسبيحَ على تحقيقِ رغبتهِ في المستقبل (الآية 6؛ بارك يون-سون). ويُعدُّ هذا الفعلُ بمثابة تقديم ذبيحة شكرٍ "لله، ينبعُ من منظورٍ شخصٍ قد أحرزَ النصرَ بالفعل (بارك يون-سون). ولكن كيف يتسنى لمثلِ هذا الفعلِ أن يحدث؟" أن ينذرَ بتقديم التسبيح لله—بينما كان لا يزالُ غارقاً في محنةٍ مظلمةٍ أثارها خصومه وأعداؤه الأشرار—وكيف استطاع داودُ بقلْبٍ مفعمٍ بالشكر، وكأنَّه قد غدا منتصراً بالفعل؟ لقد كانَ ذلكَ لأنَّ داودَ، حتى في لحظاتِ رفعِ تضرعاتِهِ إلى الله، كانَ على يقينٍ ليس فقط في تلكَ الظروفِ المظلمة—مطلقاً بأنَّ الإلهَ ذاته الذي منحه النصرَ (الخلاص) في الماضي، سيُنْجِيه حتماً ويمُنِّحه الغلبة التي كانَ يواجهها آنذاك ضدَّ أعدائه، بل في أيِّ مواقفٍ مشابهةٍ قد تنشأ في المستقبل. أليسَ ذلكَ أمراً مذهلاً؟ إنَّ الظروفَ بحدِّ ذاتها لم تتغير، غيرَ أنَّ قلبَ داودَ قد تحوَّل؛ إذ تبدَّدَ الخوفُ ليحلَّ محلُّه اليقين. وهذا هو بالتحديد جوهرُ العقليَّة التي يمتلكها صاحبُ الإيمان ذلكَ الإيمانُ الذي يُثبِّتُ نظره على الله—الحقيقي

وهنا، يجدرُ بنا أن نتأمَّلَ في الكلماتِ الواردةِ في سفرِ أعمالِ الرسل 16: 25: "نَحْوُ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، كَانَ بُولُسُ وَسَيْلَا يُصَلِّيَانِ وَيُرِيمَانِ اللَّهَ، وَكَانَ سَائِرُ السُّجَنَاءِ يُصْنَعُونَ إِلَيْهِمَا". إن السببَ الذي مكَّن بولس وسيلا من الصلاة إلى الله وتسبيحه، حتى وهما محتجزان داخلَ زنزانة السجن، يكمن في أنهما وضعاً ثقتهما في "إله الخلاص"، بدلاً من أن يسمحا لظروفيهما المخيفة بالسيطرة اختار كاتب المزمور، داود، ألا يستسلم لسيطرة ظروفه؛ بل وضع—المزمور السابع والعشرين—عليهما. وفي نصنا لهذا اليوم بايمان—إيمانه في الله الذي يهيمن على تلك الظروف ذاتها ويدبِّرُها. وهكذا، مدعوماً بايمان مطلق بالله، قدَّم داود تسبيحاته له حتى وهو يواجه تلك البيئة المظلمة والمريهة. وعليه، فإن الذين يصلُّون إلى الله بايمان هم أنفسهم القادرون على تقديم—راسخ أن نرفع تسبيحاتنا إلى الله بايمان، حتى—تماماً كما فعل داود—التسبيح له؛ فالمصلِّي هو المسيح. ولذلك، يتحتَّم علينا نحن أيضاً .عندما نواجه مواقف تبعث على الخوف

—إن الله يخاطبنا قائلاً: "لا تخف، فإنني معك.." (إشعياء 41: 10). وبغض النظر عما قد نواجهه أنا وأنت حالياً من مواقف مخيفة، ثابتين وجريئين—على غرار داود—فإنني أصلي لكي نترسخ جميعاً كعبادٍ حقيقيين: أولئك الذين يظلون—أو ما قد نواجهه مستقبلاً—رافعين طلباتهم إلى الله بايمان، ومقدمين له في نهاية المطاف تسبيحاتهم بايمان صادق

حينما تكون خائفاً جداً ومثقلاً بالضيق

**فخاف يعقوب جداً وضاق به الأمر... أنقذني، أرجوك، من يد أخي، من يد عيسو؛ لأنني أخافه، لنلا يأتي»
(تكوين 32: 7 و 11) ويضربني أنا والأمهات مع الأولاد»**

هل تخاف الموت؟ وهل تخشى، ليس فقط موتك أنت، بل أيضاً موت أفراد عائلتك الذين تحبهم؟ وحينما تقف عند مفترق طرق الحياة وتشعر بأنك مثقل بالضيق لدرجة أنك تكاد تعجز عن التنفس لأنك لا تدري كيف تحل—مواجهاً رعب الفناء الزاحف—والموت هذه الأزمة، فماذا عساك أن تفعل؟

سفر التكوين 32: 7 و 11—نرى يعقوب؛ الذي حينما كان خائفاً جداً ومثقلاً بالضيق، رفع—في فقرة اليوم من الكتاب المقدس تضرعه إلى الرب. كان يعقوب قد أرسل رسلاً يسبقونه إلى أخيه عيسو، الذي كان يقيم في أرض سعيير، بلاد أدوم (الآية 3). وحين عاد أولئك الرسل حاملين معهم الخبر بأن عيسو قادم لملاقاته ومعه سرية من أربعمئة رجل (الآية 6)، خاف يعقوب جداً وضاق به وشعر باختناق شديد جراء الضيق حتى أنه لم يدر كيف يتجاوز هذه—الأمر (الآية 7). وحينما تملكه الخوف الزاحف من الموت توجه إلى الله بالصلاة. وكيف رفع تضرعه إلى الله؟ يمكننا تأمل هذا الأمر من—الأزمة المصيرية التي تفصل بين الحياة والموت خلال ثلاث نقاط:

أولاً: حينما كان خائفاً جداً ومثقلاً بالضيق، رفع يعقوب تضرعه إلى الله مستذكراً كل النعمة التي أنعم بها الله عليه. يرجى النظر في سفر التكوين 32: 9-10: «فقال يعقوب: "يا إله جدي إبراهيم وإله أبي إسحاق، يا رب، أنت قلت لي: «ارجع إلى أرضك وإلى لسث مستحقاً لأدنى رحمةٍ أو لأيٍّ من الحقائق التي أظهرتها لعبدك؛ فإني قد عبرتُ نهر الأردن هذا".» "عشيرتك، وسأحسن إليك وعصاي وحدها معي، والآن قد صرثُ جيشين." وبينما كان يعقوب يغادر بيت خاله لابان ويشق طريقه عائداً إلى وطنه كنعان، كان الذي كان يقيم في أرض سعيير، بلاد أدوم (الآية 3)—فالتجأ إلى الله بالتضرع. ومع ذلك، وقبل أن—ممتلئاً بالخوف من أخيه عيسو يرفع طلبته، قدّم صلاة شكرٍ لله، متأملاً أولاً في الوفرة الغامرة من النعمة والحق التي كان الله قد أسبغها عليه بالفعل. فقبل عشرين

عاماً من ذلك الحين، وبعد أن خدع أخاه عيسو ليغتصب البركة التي كانت مُعدّة له من أبيه إسحاق، كان يعقوب قد فرّ إلى بيت خاله لابان خوفاً من أن يقتله عيسو. غير أنه خلال فترة إقامته هناك التي امتدت عشرين عاماً، باركه الله؛ فمع أنه كان قد عبر الأردن وليس معه سوى عصاه، مكّنه الله الآن من أن ينمو ويصبح جيشين كبيرين (الآية 10). وفي لحظة من الخوف الشديد والضيق العميق في القلب، التفت يعقوب إلى الله بالصلاة، متمسكاً بذكرى تلك النعمة الفائضة

، لا يزال في مقدوري أن أتذكر تلك اللحظة الزمنية؛ إذ أستحضر بوضوح الكلمات التي نطقت بها جدتي لي ولزوجتي قبل عدة سنوات بينما كانت ترقد في المستشفى. في ذلك الوقت، وحين رأيتُ جدتي مستلقيةً على جنبها في سرير المستشفى وهي تبكي، سألتها عن الخوف من الموت ذاته. حينها، أخبرتني جدتي أنها تذرف—سبب بكائها. وقد سألتها ذلك لأنني افترضتُ أنها تبكي بدافع الخوف، امتناناً لأن الله، في محبته لعائلتنا، قد أقام خداماً للرب من بيننا. لقد كانت الدموع التي ذرفتها جدتي، حقاً—الدموع بدافع الامتنان، دموع شكرٍ لله. وأتساءل: هل سأكون أنا أيضاً قادراً على ذرف دموع الامتنان لله حين أقف وجهاً لوجهٍ أمام الموت؟ وحين أتأمل ألمحُ لمحةً من—وكذلك أولئك الذين لا يزالون معنا اليوم—ليس فقط في جدي وجدتي، بل أيضاً في شيوخ كنيسةنا الذين رحلوا نعمة الله التي أسبغت عليهم؛ إنني أرى كيف صان الله حياتهم وهداهم طوال الطريق إلى هنا في أمريكا، حاملاً إياهم عبر العصور المظلمة للحكم الاستعماري الياباني والحرب الكورية. وعلاوة على ذلك، لدي ذكريات حية عن أفراد معينين قدموا الشكر والتسبيح لله، حتى وهم يواجهون الموت المحتوم. ورغبتني هي أن تصبح هذه الذكريات أكثر حيوية ووضوحاً لي عندما أقف أنا أيضاً أمام موتي الذي بات وشيكاً. ولذلك، عندما يحين ذلك الوقت، أود أن أقدم شكري وابتهالاتي لله، مستذكراً كل النعمة التي أسبغها عليّ.

ثانياً، عندما غمره الخوف والضيق، تمسك يعقوب بكلمة وعد الله وصرخ إليه بالصلاة.

"يرجى النظر في سفر التكوين 32: 12: "وَأَنْتَ قَدْ قُلْتَ: إِنِّي إِحْسَاناً أَحْسِنُ إِلَيْكَ، وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ الَّذِي لَا يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ. ويذبحه هو وزوجاته وأطفاله (الآية 11)—الذي كان يقترب بصحبة أربع مائة رجل—كان يعقوب مرتعباً من أن يأتي أخوه عيسو ومع ذلك، تغلب يعقوب على خوفه هذا من الموت بالتمسك بكلمة وعد الله وسكب قلبه أمام الله في الصلاة. باختصار، وفي خضم موقف من الرعب الشديد، رفض يعقوب أن ينجرف وراء *مشاعره* الخائفة؛ وبدلاً من ذلك، وضع *إيمانه* في *الحقيقة*—أي ورفع ابتهالاته أمام الرب. والسبب في قدرته على التصرف بهذه الطريقة هو أنه، عندما غمره الخوف والضيق—كلمة وعد الله العميق، استذكر أولاً "كل اللطف وكل الأمانة التي أظهرها [الرب] لعبدك" (الآية 10)، ثم رفع طلباته إلى الله

وعلى غرار يعقوب، أرغب أنا أيضاً في أنه عندما يسيطر عليّ الخوف الشديد والضيق، أن أتذكر أولاً كل نعمة الله وحقه، وأرفع طلباتي أمامه. ولذلك، وبدلاً من أن تتقاذفني مشاعر الخوف، أود أن أهتدي بحقيقة كلمة الله، متغلباً بذلك على الرهبة الطاغية التي

بينما تتلاطم عليّ أمواج الحياة. على العكس من ذلك، ففي—حائراً وعاجزاً—تقع في داخلي. وبالتأكيد، لا أريد أن أرتعد خوفاً مسترشداً بالوعد الوارد في قصة "إطعام الخمسة—مثل هذه اللحظات، أرغب في استحضار نعمة الله، وأن أصرخ إليه بالصلاة وهو يتوق إلى نعمة الله—آلاف" والمسجل في إنجيل يوحنا (6: 1-15)، وهو وعدٌ نُقش على لوح قلبي. فكما تمسك يعقوب المُخْلِصة (تكوين 32: 11)—بمواعيد الله، وأعلنها، واقترب إليه بالصلاة؛ كذلك أنا أيضاً أنوي أن أقرب إلى الله بالصلاة، متمسكاً. بالوعد الذي مُنح لي شخصياً في إنجيل يوحنا (6: 1-15) ومُعلنًا إياه، فضلاً عن الوعد الذي مُنح للكنيسة في إنجيل متى (16: 18) أمل أن أختبر ذلك السكون العميق الذي يفيضه الله؛ سلامٌ يتسم بالهدوء—حتى في خضم أمواج الحياة الهائجة—وبفعلي ذلك. والسكون، تماماً كالمياه العميقة الراكدة في أعماق المحيط.

وثالثاً وأخيراً: حينما اجتاح الخوف والضيق الشديد يعقوب، تضرّع إلى الله بإلحاح لا يلين، رافضاً الاستسلام حتى يمنحه الله بركةً منه.

"تأمل معي من فضلك في سفر التكوين (26: 32): "فقال الرجل: 'أطلقني، فقد طلع الفجر'. فأجاب يعقوب: 'لن أطلقك حتى تباركني'. كان يعقوب قد عبّر بعائلته وجميع ممتلكاته مخاضة "يبوق"؛ ثم بقي وحيداً في الخلف، حيث صارح مع ملاكٍ حتى بزوغ الفجر (الآيات 22-24). وحينما أوشك الفجر على الانبلاج، قال الملاك ليعقوب: "أطلقني"؛ غير أن يعقوب أجاب بأنه لن يطلق سراح الملاك ما لم يباركه أولاً. تُرى، ماذا يرمز هذا المشهد؟ إنه يعني أن يعقوب كان قد عقد العزم وأخذ قراراً حازماً ألا يُنزل يديه عن الصلاة حتى ينال بركةً من الله. فهل نمتلك أنا وأنثما ذات العزم وذات الإصرار؟

علينا نحن أيضاً أن نتمسك بالله بنفس هذا العزم والإصرار. وعلينا أن نتضرع إلى الله بعزيمة راسخة قائلين: "لن أكف عن الصلاة حتى يستجيب الله لصلواتي". ولا يجوز لنا، تحت أي ظرف من الظروف، أن نتوقف عن الصلاة؛ إذ لا ينبغي لنا أن نتخلّى عن الصلاة بهذه السهولة، بل يجب علينا أن نتضرع إلى الله بإلحاح ومثابرة، وأن نرفع صلواتنا إليه بصبر وأناة. ولأن الله أمين، فإنه سيتم بالتأكيد الوعود التي قطعها لنا في كلمته المقدسة. وعلينا أن نصلي لهذا الإله الأمين بعزيمة قوية قائلين: "لن أرخي قبضتي عن حبل النجاة هذا المتمثل في الصلاة، حتى تمنحني الإجابة التي أرجوها".

إنني لا أرغب في أن ينتابني الخوف من الموت الجسدي؛ ولا أرغب في أن أخشى موتي أنا فحسب، بل ولا حتى موت زوجتي الحبيبة وأبنائي. بل إن ما أرغب في أن أخشاه حقاً هو احتمال أن يفشل أصدقائي الأعزاء في الإيمان بيسوع، وبالتالي يواجهون الموت الأبدي. أرغب في أن أخشى احتمالية أن يفشل أفراد عائلات وأقارب إخوتي وأخواتي الأحباء في الكنيسة—أولئك الذين لم يؤمنوا بعد—في قبول يسوع، ويزوقوا بدلاً من ذلك مرارة الموت الأبدي. أرغب في أن يزداد خوفي من هذا الأمر يوماً بعد يوم، وأتوق لأن يزداد قلبي ثقلاً وهمّاً بسببه. ولذلك، أرغب في أن أتضرع إلى الله وسط هذا الخوف الشديد وهذا الألم العميق

،الذي يعتصر قلبي. أرغب في أن أصلي إلى الله بحرارة وشغف، مدفوعاً بقلبٍ يفيض حباً للنفوس. وكما فعل موسى وبولس أرغب في أن أتضرع إلى الله طالباً منه—حتى لو كان الثمن أن أقطع أنا نفسي عن المسيح، أو أن يُمحى اسمي من "سفر الحياة"—أن تؤمن النفوس الهالكة التي يحبها الله، والتي أحبها أنا أيضاً، بيسوع وتعاليم الخلاص. وإذ أستحضر في ذاكرتي نعمة الخلاص التي أنعم الله بها عليّ، أرغب في أن أتضرع إليه لكي يمد يد تلك النعمة عينها—نعمة الخلاص—إلى تلك النفوس الهالكة التي يحبها هو أيضاً. وبإيماني الراسخ وعياني المثبتين على الله الأمين—الذي قطع لي وعده ويتممها بأمانة وصدق—أرغب في أن أثابر وأواظب دون كلل أو ملل، باذلاً حياتي كلها في التضرع إليه، حتى أنال الإجابة على صلواتي.

لماذا نحن في عوز؟

وَكَانَ جُوعٌ فِي أَيَّامِ دَاوُدَ ثَلَاثَ سِنِينَ سَنَةً لِّلسَّنَةِ. فَطَلَبَ دَاوُدُ وَجْهَ الرَّبِّ. فَقَالَ الرَّبُّ: "هُوَ لِأَجْلِ شَاوُلَ" وَبَيَّتَ الدِّمَاءَ، لِأَنَّهُ قَتَلَ الْجَبْعُونِيِّينَ" (2 صموئيل 21: 1)

في أيامنا هذه، يعاني العالم بأسره من ضائقة مالية. ونتيجة لذلك، يعاني عدد لا يُحصى من البشر من ضغوط نفسية وكرب شديد تحت وطأة الأعباء المالية. وإلى جانب هذه الصعوبات الاقتصادية، يعاني الكثيرون أيضاً من احتياجات نفسية وعاطفية؛ مما أدى بالعديد منهم إلى حالة من عدم الاستقرار النفسي والعاطفي، وبدأت تظهر عليهم أعراض شتى من الضيق والاضطراب. ومع ذلك، فإن الأمر الأكثر خطورة من كل أشكال الحرمان هذه هو حقيقة أن العالم بأسره يمر حالياً بحالة من العوز الروحي وفي خضم هذا الفراغ الروحي، يسعى الناس وراء أشكال متنوعة مما يُسمّى "الروحانية"، غير أنهم يبدون وكأنهم يقعون في فخ الوهم الروحي. لماذا يحلّ بنا "جوع" كهذا؟ وما هو السبب الحقيقي وراء ذلك؟

عندما نقرأ الكتاب المقدس، كثيراً ما نصادف كلمتي "جوع" أو "جفاف". فعلى سبيل المثال، إذا نظرنا إلى الإصحاح 43 من سفر التكوين في العهد القديم، نكتشف أنه في زمن يعقوب، ضربت مجاعة شديدة حتى أرض كنعان الخصبة (تكوين 43: 1) وعلاوة على ذلك، وبالانتقال إلى الإصحاح 15 من إنجيل لوقا في العهد الجديد، نعلم أن مجاعة قاسية قد اندلعت في المنطقة ذاتها التي كان يقيم فيها "الابن الضال" (الآية 14). لماذا تحدث مثل هذه المجاعات؟ وهل هي مجرد صدفة؟ إنها ليست صدفة بأي حال من الأحوال؛ فالله الخالق لديه غاية محددة وهدف واضح من السماح لمثل هذه المجاعات بأن تحلّ بنا. ويمكن تصنيف هذه الغايات بشكل عام إلى نوعين: (1) مجاعة للتدريب، و(2) مجاعة للتأديب. وأنا أعتقد أن المجاعة الموصوفة في الإصحاح من سفر التكوين، ورغم أنها كانت بمثابة مجاعة للتأديب بالنسبة لإخوة يوسف، إلا أن هدفها الأساسي كان تدريب يوسف 43 وإعداده. إنني أنظر إلى ذلك المجاعة باعتبارها حدثاً أتاح ليعقوب ويوسف وأفراد عائلتهما أن يختبروا عمل الله الخلاصي بشكل مباشر؛ مما مكّنهم بالتالي من التمتع ببركة إيمان ينمو ويتعمق في الثقة والاعتماد على إله الخلاص، ليخرجوا في النهاية كالذهب المصقّى. وفي المقابل، أعتبر المجاعة المصوّرة في الإصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا مجاعة تأديب؛ وهي مجاعة صُممت لتقود الابن الضال إلى التوبة والعودة إلى أبيه. وإذا وجدتم أنفسكم تواجهون مجاعة في الوقت الراهن، فما هو نوع المجاعة الذي تعتقدون أنها تنتمي إليه؟

سفر صموئيل الثاني 21: 1—هي بالتحديد مجاعة تأديب. وسبب اعتقادي—إنني أؤمن بأن المجاعة المذكورة في نص اليوم هذا هو أن الله نطق بهذه الكلمات لداود، الذي كان يطلب وجهه بجد وإخلاص: "إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَجْلِ شَاوُلَ وَبَيْتِهِ السَّفَّاحِ، لِأَنَّهُ قَتَلَ مَجَاعَةً اسْتَمَرَّتْ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ فِي عَهْدِ دَاوُدَ (الآية 1)؛ وذلك—الحارس الأمين للعهد—الْجَبْعُونِيِّينَ" (الآية 1). لقد أرسل الله الذي تصرف بدافع الغيرة والحماس لأسباط إسرائيل ويهوذا (الآية 2)—كان قد انتهك العهد الذي قطعه يشوع—لأن شاوُل وشعب إسرائيل باسم الله مع الجبعونيين الناجين من بين الأموريين. بل إن شاوُل سعى لقتل الجبعونيين، وقام بالفعل بذبحهم: وإبادتهم لكيلا يعودوا قادرين على السكن داخل حدود إسرائيل (الآية 5). ولذلك، استدعى داود الجبعونيين (الآية 2) وسألهم مَادَا أَفْعَلُ لَكُمْ؟ وَمَادَا أَكْفَرُ لِكَيْ تُبَارَكُوا نَصِيبَ الرَّبِّ؟" (الآية 3). ورداً على ذلك، طالب الجبعونيون بأن يسلمهم سبعة من أحفاد الرجل الذي تأمر عليهم (الآيتان 5-6). وذكروا أنهم، في حال فعل ذلك، سيقومون بشنق هؤلاء الأحفاد السبعة لشاوُل أمام الله في "جبعة"—مسقط رأس شاوُل (الآية 6). وعند سماع هذا المطلب، قام داود بتسليم الأحفاد السبعة لشاوُل إليهم (الآيتان 7-8) ولم يُسلمهم إليهم (الآية 7). وكان السبب في ذلك أن —؛ ومع ذلك، فقد استثنى مَفْيُوشَثَ —حفيد شاوُل وابن يوناتان (9-8) داود كان قد قطع عهداً أمام الله مع ابن شاوُل، يوناتان (الآية 7). وفي نهاية المطاف، قام الجبعونيون بتعليق أحفاد شاوُل السبعة على جبل أمام الرب، وماتوا جميعاً في آن واحد (الآية 9). وحينئذٍ، أخذت رَصْفَةُ ابنة —الذين كان داود قد سلمهم إليهم— أَيْتَةً، زوجة شاوُل، مِسْحاً وبسطته لنفسها على صخرة؛ ومنذ بداية موسم الحصاد وحتى انهيار المطر من السماء على تلك الجثث، ظلت تمنع طيور السماء من النزول عليها نهراً، ووحوش البرية من الاقتراب منها ليلاً (الآية 10). وعندما بلغ داود نبأ ما فعلته (الآية 11)، ذهب واسترد عظام شاوُل وابنه يوناتان من أهل يابيش جلعاد (الآية 12). ثم جمع عظام أحفاد شاوُل السبعة الذين كان الجبعونيون قد أعدموهم (الآية 13)، ودفنهم جميعاً معاً في قبر أبيهم "قيس" في "صيلة"، ضمن أراضي سبط بنيامين (الآية 14). ولم يستجب الله للصلوات التي رُفعت من أجل الأرض إلا بعد إتمام هذا الأمر (الآية 14). وبينما كنت أتأمل في هذه الرواية الكتابية، وجدت الإجابة عن السؤال القائل: "لماذا نختبر حالة من العوز والضييق؟". إن السبب الجذري يكمن بالتحديد في خطيئتنا نحن. وتلك —للعوز الذي يتسلل إلى حياتنا— سواء كان روحياً، أو ذهنياً، أو عاطفياً، أو مادياً الخطيئة هي، على وجه التحديد، خطيئة نكث العهد الذي قُطِعَ أمام الله. وبالطبع، ففي حالة داود، كان الجوع الذي حلَّ بشعب إسرائيل نتيجةً لخطيئة ارتكبها شاوُل وأهل بيته؛ إذ انتهكوا العهد الذي كان يشوع وأسباط إسرائيل قد أبرموه مع الجبعونيين، (الآية 2)، وقاموا بارتكاب المجازر وإبادتهم. وعليه، يمكن القول إن العوز الذي نواجهه في حياتنا نحن هو أيضاً، إلى حد ما نتاج خطايا أسلافنا. ومع ذلك، فإنني أعتقد أن التركيز الأساسي هنا لا ينصب مجرد على عواقب خطايا الماضي، بل بالأحرى وبالتحديد، العهد الذي أبرم أمام الله. وبعبارة أخرى، يولي الله قيمة عظيمة للعهد التي تُبرم باسمه. ورغم—على العهد ذاته وذلك عن طريق—خلال حقبة يشوع—أن الجبعونيين كانوا قد دخلوا في عهد مع يشوع وأسباط إسرائيل في الماضي السحيق. ظل ينظر إلى ذلك الاتفاق باعتباره أمراً مقدساً—بصفته إلهاً يُقدَّر العهود ويصونها—إخفاء هوياتهم الحقيقية بخداع، إلا أن الله

قد استجاب لتظلمات الجبعونيين الذين تعرضوا لمذبحة على يد الملك شاول—إله العهد—وفي ضوء هذا الفهم، يبدو أن الله وبذلك حقق العدالة من خلال—تحديداً عن طريق إرسال مجاعة—وأهل بيته. وقد عالج الله تلك التظلمات خلال عهد داود وساطة داود. يا له من إله أمين في عهوده! إن إلهنا القدوس أمين حقاً؛ فهو يفي بأمانته فيسكب البركات على أولئك الذين يحفظون عهودهم، وفي المقابل، يفي بنفس القدر من الأمانة فيجلب اللعنات على أولئك الذين يتقاعسون عن الوفاء بها. ولذلك سواء كانت عهوداً أبرمت مع أشخاص آخرين—يجب علينا أن نسعى بكل ما أوتينا من قوة للوفاء بالعهد التي قطعناها أمام الله (مثل النذور التي يتبادلها الزوج والزوجة أمام الله في حفل زفافهما)، أو عهوداً أبرمت مباشرة مع الله نفسه (مثل النذور الشخصية التي قطعناها على أنفسنا أمامه). وبوجه خاص، يجب علينا أن نتمسك بأمانة بالعهد الذي أقامه الله معنا من خلال يسوع المسيح. وعلينا أن نجتهد لكي نطيع ونحفظ بدقة وإخلاص الوصايا التي منحنا إياها "إله العهد". فإذا ما تقاعسنا عن نخفق—شأننا شأن الملك شاول—الوفاء بهذا العهد بأمانة واجتهاد، فستكون حياتنا محكومة حتماً بالمجاعة والفاقة. لماذا إذن في الوفاء بأمانة للعهد أو النذور التي قطعناها مع الله؟ يكمن السبب تحديداً في "غيرة غير مستنيرة" (الآية 2). فتماماً كما حينما كان لا يزال يُعرف باسم "شاول"—الكنيسة بغيرة شديدة قبل أن يلتقي بيسوع القائم من الأموات—اضطهد الرسول بولس على طريق دمشق (فيلبي 3: 6)، كذلك تصرف الملك شاول بدافع غيرة غير مستنيرة من أجل مصلحة إسرائيل ويهوذا حينما أولئك القوم ذاتهم الذين كان يشوع والإسرائيليون قد أبرموا معهم عهداً أمام الله. لا تكمن—ارتكب مذبحة بحق الجبعونيين المشكلة في الغيرة بحد ذاتها، بل في الغيرة المضللة؛ فهي أمرٌ بالغ الخطورة حقاً. ويا له من خطرٍ داهم حينما يخدم الأفراد ومع ذلك، فبدلاً من أن يخدموا وفقاً لمشية الله، تراهم—وهم مقتنعون بأنهم يحبون الله والكنيسة على حد سواء—بحماس شديد يخدمون بغيرة متقدة ولكن وفقاً لمشيتهم الخاصة! ونتيجة لذلك، عندما نلاحظ وجود أشخاص داخل الكنيسة يثيرون المتاعب فغالباً ما نكتشف أنهم، في حقيقة الأمر، أفراد يخدمون—حتى ليلبغ بهم الأمر حد الإخلال بنظام الكنيسة وسلامها—والنزاعات يخدمون بدافع غيرة مضللة. ولماذا تُعد هذه—على غرار شاول—الكنيسة بغيرة هائلة. ثرى، لماذا يحدث هذا؟ السبب هو أنهم الغيرة مضللة؟ لأنهم لا يُقدّرون العهد الذي أبرم أمام الله بالقدر الذي يُقدّره به الله نفسه. ورغم أن الجبعونيين كانوا قد خدعوا يشوع وبنو إسرائيل بالفعل، إلا أن اللوم كان يقع أيضاً على عاتق يشوع وقادة إسرائيل؛ إذ أنهم أخفقوا في استشارة الله قبل الدخول في عهدٍ مع أولئك الجبعونيين. ومع أن كلا الطرفين كان قد ارتكب أخطاءً، إلا أن الملك شاول كان ملزماً، رغم ذلك باحترام ذلك العهد والوفاء به؛ وتحديداً لأنه قد أبرم في حضرة الله. غير أنه، وتحت ذريعة العمل نيابةً عن أسباط إسرائيل ويهوذا، ضرب ذلك العهد عرض الحائط وارتكب مجزرة بحق سكان جبعون. وكلما ارتكبتنا خطيئةً ما، سرعان ما نجد لها تجعل أفعالنا تبدو صائبةً في نظرنا، وغالباً ما نصوغ هذا التبرير في قالب العمل—أو ذريعةً ما—تبريراً يخدم مصالحنا الذاتية عن خطيئة نكث الوعود التي قُطعت له، أو نقض—ولا يسعه أن يتغاضى—من أجل الآخرين. ومع ذلك، فإن الله لا يتغاضى العهود التي أبرمت مع الآخرين في حضرته، لمجرد أننا نسوق مثل هذه الذرائع الواهية. والسبب في ذلك هو أن إلهنا ليس

،مقدساً وعادلاً فحسب، بل إنه يُحبنا أيضاً. وعلاوةً على ذلك، فإنني أوّمن بأنه تماماً كما أصغى إلهنا إلى شكاوى الجبّونيين فإنه يُحب أيضاً غير المؤمنين الذين قطعوا لنا وعوداً في حضرته، وسوف يُصغي إلى شكاواهم كذلك. وعليه، وكما فعل داود عن السبب الذي جلب علينا هذه الشدائد؛ وعلينا أن نتأمل في نصوصٍ—عبر الصلاة—تماماً، يتحتم علينا أن نستعلم من الله كتابيةً من قبيل نصّ اليوم، وأن نلتمس بصدقٍ واستجداءٍ استنارةً الروح القدس. وحينما نفعل ذلك، فإن الله الروح القدس سينقل إلينا صوت الله عبر كلمته المقدسة. وعليه، يجب علينا أن نصغي بتواضعٍ إلى كلمة الله تلك، وأن نخضع لها طاعةً، شأننا في أن نحرص أشدَّ الحرص على ألا ننكثَ—ذلك شأن داود. وفي خضمّ طاعتنا هذه، يتحتم علينا—ومرةً أخرى، أسوةً بـداود بالعهود أو الوعود التي قطعناها للآخرين، حتى ونحن نمثّلُ لكلمة الله. فما هو السبب في ذلك؟ إنَّ السبب يكمن في أنَّ إلهنا هو "إله العهد".

حين تنهال المصاعب والمتاعب دفعةً واحدة

«إن لم تثبتوا في إيمانكم، فلن تثبتوا البتة» (إشعياء 7: 9ب) ...»

لا أدرك السبب الذي يجعل المصاعب والمتاعب تنهال علينا، فيما يبدو، دفعةً واحدة. فبينما كنت أظن أن الأمور قد استقرت أخيراً، تنفجر المشكلات من كل حذبٍ وصوب، وأقف عاجزاً حائراً لا أدري ما عساي أن أفعل. إن مجرد التعامل مع واحدةٍ فقط من هذه القضايا لأمرٌ يفوق طاقتي وقدرتي على الاحتمال؛ ولكن نظراً لأنها ليست مشكلةً واحدةً أو اثنتين، بل هي جمهرةٌ، منها، فإنني أشعر بالإرهاك والإعياء الشديدين. لم تعد لدي القوة الكافية لأحمل هذه الأعباء؛ فقد استنزفت قواي، جسداً وروحاً تماماً. أشعر بثقلٍ وضيقٍ في قلبي، مما يتركني في حالةٍ من اليأس والقنوط. وفي خضم هذا الألم والمعاناة، تذرف عيناوي الدموع وحين تكون قد سقطت ولم—حينها، تتبادر إلى ذهني كلمات ترنيمةٍ إنجيلية تقول: «حين تكون مُنهكاً، ومُعيباً، وفاقداً للأمل يقترب هو منك في هدوء، ويمسك بيدك، ويحدثك». وتتابع الكلمات: «حين تشعر بخيبة—تبقى لديك أي قوةٍ للنهوض مجدداً تسمح يداي المتقويتان بالمسامير دموعك، بينما—أملٍ في ذاتك، وتستشعر مدى ضعفك البشري، وتذرف الدموع من شدة ألمك هو يحدثك...». إذن، ما الذي يتوجب علينا فعله؟ علينا أن نصغي إلى صوت الله وهو يحدثنا. وعلينا أن نطيع ذلك الصوت الرباني.

فإنه غالباً ما يعتمد—نحن المؤمنون بيسوع—عندما نقرأ الكتاب المقدس، كثيراً ما نلاحظ أنه حين يشن الشيطان هجماته علينا استراتيجية «الجهة الموحدة». فعلى سبيل المثال، نرى في الإصحاح الرابع من سفر نحemia أن الجماعات التي عارضت نحemia قد شكلت جهةً موحدةً ضدهم. فقد تضافرت جهود كلِّ—الذين كانوا منهمكين في إعادة بناء أسوار أورشليم—وشعب يهوذا من سنبط، وطوبيا، والعرب، والعمونيون، وأهل أشدود (نحميا 4: 7) لمعارضة نحemia وشعب يهوذا، سعياً منهم لإحباط مساعيهم الرامية إلى إعادة بناء أسوار أورشليم. وبمكنا أن نلمح هذا التحالف بين الخصوم والأعداء في موضعٍ آخر من الكتاب المقدس أيضاً، وتحديداً في إنجيل لوقا (23: 12)، حيث نقرأ: «وفي ذلك اليوم عينه، تصالح هيرودس وبيلاطس وصاروا اللذان—صديقين؛ إذ كانا قبل ذلك عدوين لبعضهما البعض». في سعيهما المشترك لاضطهاد يسوع، شكّل هيرودس وبيلاطس

جبهةً موحدة. وحتى يومنا هذا، نجد أن أولئك الذين يعارضون يسوع وكنيسته يوحدون قواهم—كانا عدوين لدودين فيما مضى لمهاجمة الكنيسة بشكل جماعي، ساعين بكل يأس للحيلولة دون إعادة بنائها. وبالمثل، يبذل الشيطان قصارى جهده لعرقلة تقوية إيماننا. وتتمثل إحدى تكتيكات الشيطان في إطلاق وابلٍ من المصاعب والشدائد على حياتنا دفعةً واحدة، مما يتركنا مُنهكين ومُتعبين وفاقدٍ الأمل. إن قصده وهدفه يكمنان في زرع البلبلة والحيرة فيما يتعلق بإيماننا بالله، وبالتالي زعزعة الأسس التي يرتكز عليها توكلنا على الرب. ويتمثل هدف الشيطان الأسمى، من خلال محاولته تقويض ثبات إيماننا، في إبعادنا عن الرب وعن كنيسته. فما الذي يتوجب علينا فعله إذن؟ علينا أن نصغي إلى صوت الله وهو يتحدث إلينا، وعلينا أن نطيع ذلك الصوت الصادر عن الرب.

وتحديداً الجزء الأخير من الإصحاح السابع، الآية—وبالنظر إلى الخلفية التاريخية لفقرة الكتاب المقدس المخصصة لهذا اليوم نجد أنه خلال فترة حكم الملك آحاز للمملكة الجنوبية "يهودا"، زحف الملك فقح، ملك المملكة الشمالية—التاسعة من سفر إشعياء إسرائيل"، لمهاجمة أورشليم، إلا أنه عجز عن احتلالها (الآية 1). ونتيجةً لذلك، عقد الملك فقح (ملك إسرائيل) تحالفاً مع" الملك رصين (ملك آرام/سوريا)، موحدٍ بذلك قواتهما بغية غزو مملكة يهوذا. وفي مواجهة هذا التهديد الوشيك بالغزو، استبدَّ الخوف بالملك آحاز (ملك يهوذا) وبشعبه؛ فارتجفت قلوبهم وتزعزعت، تماماً كما تتمايل أشجار الغابة بفعل الرياح (الآية 2) وفي تلك اللحظة الحرجة، خاطب الله الملك آحاز وشعبه على لسان النبي إشعياء. واستناداً إلى مضمون هذه الفقرة، أود أن أشارككم ثلاثة دروس حول الكيفية التي ينبغي علينا أن نستجيب بها عندما تحاصرنا الظروف الصعبة والمحن الشديدة دفعةً واحدة:

أولاً: يجب ألا نخاف، كما لا ينبغي لنا أن نفقد عزيمتنا أو يخور إيماننا. أرجو منكم النظر إلى سفر إشعياء 7: 4، حيث يقول — النص: «قُلْ لَهُ: «إِخْذَرْ، وَاهْدَأْ، وَلَا تَخَفْ. وَلَا يَضْعُفُ قَلْبُكَ بِسَبَبِ هَذَيْنِ الْعُودَيْنِ الْمُدَخَّنَيْنِ — رَصِينٍ وَأَرَامَ، وَابْنِ رَمَلِيَا قُلْ لَهُ إِنِّي أَنَا الرَّبُّ أَقُولُ: «إِخْذَرْ، وَاهْدَأْ، وَلَا» (CEV - بحسب ترجمة اللغة الإنجليزية المعاصرة) [«مَهْمَا اشْتَدَّ غَضَبُهُمَا تَخَفْ أَوْ يَضْعُفُ قَلْبُكَ. فَمَهْمَا بَلَغَ غَضَبُ رَصِينٍ مَلِكِ سُورِيَا وَابْنِ رَمَلِيَا، فَإِنَّهُمَا لَيْسَا سِوَى عُودَيْنِ مُحْتَرقَيْنِ»]. لقد خاطب «الله، من خلال النبي إشعياء، ملك يهوذا — الذي كان يرتعد خوفاً — قائلاً له: «إِخْذَرْ، وَاهْدَأْ، وَلَا تَخَفْ أَوْ يَضْعُفُ قَلْبُكَ هل يمكنكم تخيل هذا المشهد؟ إذا كان ملك الأمة خائفاً وفاقداً للأمل، فماذا سيحل بشعب تلك (CEV الآية 4، بحسب ترجمة) الأمة؟ وماذا سيحدث، على وجه الخصوص، إذا قام ذلك القائد — بدلاً من توخي الحذر والالتزام بالصمت وسط مخاوفه ويأسه بالإفصاح عن مخاوفه وإحباطه أمام شعبه، مما يتسبب في غرقهم هم أيضاً في بحر من الخوف واليأس؟ ولهذا السبب — «بالتحديد قال الله لآحاز، ملك يهوذا: «لَا تَخَفْ، وَلَا يَضْعُفُ قَلْبُكَ

حتى عندما نواجه مواقف مخيفة ومثبطة للعزيمة، يجب علينا — تمشياً مع كلمة الله — أن نرفض الاستسلام للخوف أو اليأس، ويصدق هذا الأمر بشكل خاص إذا كنا نضطلع بدور القيادة داخل أسرة أو مؤسسة؛ ففي مثل هذه الأدوار، يصبح إلزاماً علينا

وبشكل أكثر إلحاحاً، ألا نرضخ للخوف أو اليأس. فعلى سبيل المثال، عندما تحاصر الصعوبات العديدة إحدى الأسر، وإذا ما ارتعدنا نحن — بصفتنا ربانة لتلك الأسر — خوفاً وفقدنا الأمل، فماذا سيكون مصير زوجاتنا وأبنائنا؟ حتى وإن شعر القائد بالخوف أو الإحباط، يجب عليه — وفقاً لكلمة الرب — أن يرفض الاستسلام للخوف أو اليأس. وإنني لأعجز عن التعبير بكلمات تفي حق هذا التحدي الهائل الذي يواجهني شخصياً. ولتحقيق ذلك، أجد نفسي بلا خيار سوى أن أكرس نفسي للتأمل في كلمة الله بمزيد من الاجتهاد والمواظبة، ليلاً ونهاراً. والسبب في ذلك هو أنه كلما تعمقتُ في التأمل في كلمة الله، ازداد حتماً إيماني به وثقتي فيه (انظر: المزمور ١؛ إرميا ١٧). وعلاوة على ذلك، فكلما ازداد توكلني على الله، قلّت احتمالية أن يتمكنني الخوف أو اليأس، حتى عند مواجهة مواقف تبعث على الرهبة أو تثبط العزيمة. فبدلاً من الاستسلام للخوف، أرغب في أن أتحدى بالجرأة؛ وبالمثل، بدلاً من الرضوخ لليأس، أرغب في أن أمتلئ رجاءً. وإنني أصلي لكي أتمكن — من خلال توجيه من المضي قدماً بجرأة وأمل، متحاملاً ومثابراً حتى في خضم أصعب الظروف — نظري بإيمان نحو الرب، الذي هو رجائي وأكثرها مشقة.

ثانياً، يجب علينا أن نأخذ كلمة الرب كما هي تماماً، وأن نؤمن بها.

تأمل في سفر إشعياء 7: 7: «هَكَذَا قَالَ السَيِّدُ الرَّبُّ: "لَا تَقُومُ وَلَا تَكُونُ"» [(الترجمة الإنجليزية المعاصرة): «ومع ذلك، فإن هذا لن يحدث بالتأكيد وفقاً لخطتهم»]. ومن الرسائل الأخرى التي أوصلها الله إلى الملك آحاز ملك يهوذا عبر النبي إشعياء، هي أن «الأمر لن يتحقق أبداً» (الآية 7). وهنا، يشير تعبير «الأمر» إلى المؤامرة التي حاكها الملكان — اللذان — على خلاف خطط ملك آرام — للنهوض ضد الملك آحاز ملك يهوذا وإلحاق الأذى به (الآية 5، الترجمة الإنجليزية — عقدا تحالفاً بناءً على مشورة شريرة المعاصرة). فقد خطط ملك إسرائيل وملك آرام للزحف معاً، ومهاجمة يهوذا، واحتلالها (أو الإطاحة بها)، وتنصيب ابن طابئ على العرش (الآية 6، الترجمة الإنجليزية المعاصرة). ومع ذلك، كانت كلمة الله التي جاءت إلى الملك آحاز ملك يهوذا هي هذه: «هذا لن يحدث بالتأكيد وفقاً لخطتهم» (الآيات 5-7، الترجمة الإنجليزية المعاصرة).

إن الحقيقة التي يجب علينا الإيمان بها هي أن خطط الله وحدها هي التي تثبت إلى الأبد (مزمور 33: 11). وعلاوة على ذلك، لا توجد خطة يعجز الرب عن إنجازها (أيوب 42: 2). ورغم أن الإنسان قد يحمل في قلبه خططاً كثيرة، وقد يرسم لنفسه درباً يسلكه إلا أن الله هو الذي يوجه خطواته، وإرادة الرب وحدها هي التي تتحقق بالتمام (أمثال 16: 9؛ 21: 19). فربنا يُتم وينفذ بلا إخفاق، كل ما نطق به وما خطط له (إشعياء 46: 11). وقد امتلك الرسول بولس هذا الإيمان عينه؛ فبعد أن استأنف قضيته أمام قيصر الإمبراطور الروماني (أعمال الرسل 26: 32)، كان مبحراً نحو روما في إيطاليا وهو مقيد بالسلاسل (27: 1)؛ وخلال تلك الرحلة البحرية، واجه عاصفة هوجاء وخطر تحطم السفينة الوشيك. ومن بين الأشخاص المائتين وستة وسبعين الذين كانوا على متن تلك إذ رأوا أن كل أمل في النجاة قد تبدد. في تلك اللحظة، كان — السفينة آنذاك، استسلم الجميع لليأس من الحياة — باستثناء بولس وحده

أولئك الأفراد الـ 275 قد تخلوا عن كل أمل في النجاة، واستسلموا لقدرهم، ولم يعودوا سوى ينتظرون الموت. وإذا كانت عاصفة هوجاء تُعرف باسم "يوروكلایدون" تدفعهم أمامها، تركوا السفينة تنجرف حيثما شاءت الرياح؛ وفي خضم صراعهم اليائس من أجل البقاء، ألقوا حتى بحمولتهم في البحر، وفي اليوم الثالث، طرخوا معدات السفينة في اليم بأيديهم. ومع ذلك، وبينما استمرت تلك العاصفة الهائلة لأيام عديدة، وصلوا في نهاية المطاف إلى حالة تلاشت فيها تماماً حتى أضعف بارقة أمل في الخلاص. وكان السبب، تَبَتُّوا أنظارهم حصراً على العاصفة الهائجة. أما بولس—خالق السماء والأرض—في ذلك بسيطاً: فبدلاً من أن يتطلعوا إلى الله، فقد كان يمتلك كلاً من الأمل والثقة المطلقة في نجاتهم. وكان السبب في ذلك أنه قد سمع صوت الله ذاته (الآيتان 23-24). ولذلك أعلن بولس بثقة للأشخاص الـ 275 الآخرين قائلاً: "تشجعوا أيها الرجال، فإني أؤمن بالله أنه سيحدث تماماً كما أخبرني" (الآية وأنا أيضاً، أرغب بصدق في أن أمتلك الإيمان والثقة ذاتهما اللذين امتلكهما بولس. إنني أؤمن إيماناً راسخاً بأن الرب سيتم. (25) بأمانة الوعود التي قطعها لي: النص من إنجيل يوحنا (6: 1-15)، الذي خاطبني به الرب خلال خلوة روحية لخدمة الجامعات في عام 1987؛ والنص من إنجيل متى (16: 18)—الذي أعطي لي في عام 2003 بينما كنت أتأمل بشأن "كنيسة سيونغري المشيخية"—والذي خاطبني به الرب خلال خلوة استضافها "مجلس الرعاية لتجديد الكنيسة". وحتى عندما كان قلبي مضطرباً تماماً مثل دمية—ومحبطاً جراء المشقات والصعوبات، كان الرب يعزيني ويقويني من خلال هذه الوعود؛ لقد نهض بي مجدداً وبنعمته، أوصلني سالماً معافى إلى هذا اليوم بالذات. وإنني أصلي لكي أستمّر، في الأيام—التامبلر" التي تعود لتتصب ذاتياً" المقبلة، في الماضي قديماً بإيمان، حتى يحل اليوم الذي فيه يُثمر الرب تمام الإثمار كل وعد قد قطعه لي. وثالثاً وأخيراً، يجب علينا أن نثبت. تأمل في الجزء الأخير من سفر إشعياء 7: 9: «...إن لم تثبتوا في إيمانكم، فلن تثبتوا على الإطلاق» [(بحسب "النسخة الإنجليزية المعاصرة": «إن لم تؤمنوا بكلامي، فلن تدوموا طويلاً أيضاً»)]. وعبر فم النبي إشعياء، أخبر الله الملك آحاز - ملك يهوذا بأن عاصمة أرام ستظل محصورة في دمشق، وبأن الملك رصين - ملك أرام - لن يتمكن من توسيع أراضيه أكثر من ذلك، وبأن - إسرائيل أيضاً ستدُمّر في غضون خمسة وستين عاماً (الآية 9، بحسب "النسخة الإنجليزية المعاصرة"). وبعد أن أعلن الله ذلك حثّ الملك آحاز على أن يؤمن إيماناً راسخاً وأن يثبت. وحذّره قائلاً: إن فشل الملك آحاز في القيام بذلك، فإنه هو أيضاً لن يدوم طويلاً (الآية 9، بحسب "النسخة الإنجليزية المعاصرة").

يجب علينا أن نؤمن إيماناً راسخاً وأن نثبت. ورغم أن خصمنا - جند الشيطان - يُشكّل جبهة موحدة لمهاجمتنا، ساعياً بلا كلل لزعزعة إيماننا ودفعنا إلى التردد، إلا أنه يتحتم علينا مع ذلك أن نقف ثابتين في إيماننا ونظل غير مترعزين. لا ينبغي لنا أن نتردد بعدم الإيمان فيما يخص وعود الله؛ بل على العكس، يجب أن نتقوى في إيماننا وأن نعطي المجد لله (رومية 4: 20). وعلينا أن نتمسك بكلمة الله الموعودة بقوة، فلا نتركها أبداً، وعلينا أن نحرسها بعناية شديدة (أمثال 4: 13). وعلاوة على ذلك، وبما أن "الذي وعد هو أمين"، فيجب علينا أن نتمسك بلا حيد بالرجاء الذي نعترف به (عبرانيين 10: 23). كما يجب علينا أن نتمسك بقوة - حتى النهاية بالثقة التي كانت لدينا في البداية (عبرانيين 3: 14). ولأننا نثق بالله، فيجب علينا أن نثبت في الرب (2 أخبار الأيام 20: 20؛ 1 - تسالونيكي 3: 8). وحين تنهال علينا المصاعب والشدائد دفعة واحدة - وحين نسعى، وسط الخوف والارتعاد والقلق العميق، إلى

الاحتمال بكل ما أوتينا من قوة - تأتي أوقات نعجز فيها عن الصمود أكثر من ذلك، فنصاب بإرهاق شديد ونقع في براثن اليأس. وفي هذه—مثل تلك اللحظات، يجب علينا أن نثبت أنظارنا على الرب. كما يجب علينا أن نميل بأذاننا لنصغي إلى صوته. اليوم يوجه الرب إلينا هذه الكلمات: "لا تخافوا ولا يضعف قلبكم"؛ "آمنوا بكلماتي تماماً كما نطقت"؛ "اثبتوا" (إشعياء—اللحظة بالذات فلنكن جميعاً ممن يصغون إلى كلمات الرب هذه ويطيعونها. (9، 7، 4: 7)

«ضعفي»

فَقُلْتُ: «هَذَا هُوَ ضَعْفِي...» (المزمور 77: 10)

مع مرور السنين، ندرك أكثر فأكثر مدى هشاشة الكائن البشري وضعفه الحقيقي. ونستشعر واقع ضعفنا بأشد صورهِ حدةً وسط لا سيما حين تكون تلك الشدائد والمعاناة هائلةً لدرجة أنها تطغى على قدرتنا على—الشدائد والمعاناة. وعلى وجه الخصوص لا يسعنا إلا أن نشعر، بقناعة عميقة، بمدى عجزنا وقلة حيلتنا في مواجهتها. فماذا عسانا أن نفعل إذن في مثل تلك اللحظات؟—تحملها

المزمور 77: 10—يقرّ كاتب المزمور، آساف، بضعفه الشخصي. وفي الآيات من الأولى وحتى التاسعة من—في نص اليوم:
المزمور 77، يصف ضعفه بأربع طرق متميزة

أولاً: كان آساف قلقاً ومضطرباً

تأمل في النصف الأول من الآية 3 من المزمور 77: «أَذْكُرُ اللهَ فَأَضْطَرُّ...». إن هذا العالم، في الواقع، مكانٌ يزخر بالكثير من اليأس ومسببات القلق (ترنيمة رقم 474). وعلاوة على ذلك، فإن الأحداث التي تثير القلق في نفوسنا تقع بتواترٍ شديد. لماذا نشعر بالقلق؟ أحد الأسباب هو ألم الهجران من قِبَل شخصٍ عزيز أو أحباء. وبالنسبة لنا نحن المسيحيين على وجه الخصوص، غالباً ما يكون مصدر قلقنا هو الشعور بأننا قد هُجرنا من قِبَل إلهنا الحبيب (المزمور 43: 2). وفي فقرة اليوم، التمس كاتب المزمور آساف—أصبح قلقاً ومضطرباً. إن القلب المفعم بالقلق—وربما لأن استجابة الله بدت متأخرة—الرب في يوم ضيقه (77: 2)؛ ومع ذلك هو، حقاً، قلبٌ واهنٌ وضعيف—القلب الذي أثقلته الهموم

ثانياً: كانت روح آساف غارقةً في الضيق

وجد وسط قلقه وهمومه تأمل في النصف الثاني من الآية 3 من المزمور 77: «... غَشِيَتْ رُوحِي (سِلَاةً)». ففي يوم ضيقه كاتب المزمور آساف روحه غارقة تماماً في الضيق والأسى. ونتيجة لذلك، لم يستطع أن ينام [(الآية 4)]: «حَفِظْتُ عَيْنَيَّ، سَاهَرَتَيْنِ...»؛ بل إنه كان في حالة من الكرب الشديد جعلته عاجزاً حتى عن الكلام (الآية 4). عندما تكتظ قلوبنا بالضيق والأسى نعجز عن النوم، كما نعجز عن العثور على الكلمات التي ننطق بها. لا يزال يحضرني موقفٌ مررتُ به أثناء خدمتي، حين كنت أجتاز فترةً عصبية؛ إذ أذكر أنني قضيتُ نحو ثلاثة أسابيع دون أن أنعم بنوم هانئ. وأذكر أيضاً أنني عانيتُ من ضغطٍ نفسيٍّ شديدٍ لدرجة أنني كنتُ أعجز عن تناول الطعام، حتى وإن وُضِعَ أمامي مباشرةً. وكثيرون هم أولئك الذين يجدون أنفسهم عاجزين عن النوم أو الأكل بشكلٍ سليم، مثقلين بأعباء المصاعب والآلام الطاغية. وإذا ما استطعنا أن نقول لأحد أحبائنا: "إنني أشعر بضيقٍ شديدٍ في الآونة الأخيرة"، فربما يعني ذلك أن معاناتنا لم تبلغ بعد ذروتها القصوى. فهناك أشكالٌ معينةٌ من الأسى والضيق تتسم بعمقٍ هائل، لدرجة أنها تُصيبنا حقاً بالعجز التام عن النطق بكلمةٍ واحدة. إن مثل هذا الأسى يفرض علينا الصمت؛ وهو صمتٌ لا نلتزمه في حضرة الآخرين فحسب، بل حتى في حضرة الله نفسه. إن الأسى يجرح أرواحنا؛ والروح المجروحة هي روحٌ هشةٌ وضعيفة.

ثالثاً: رفض "آساف" تلقي العزاء

تأمل في الجزء الأخير من المزمور 77: 2: "...أَبْتُ نَفْسِي أَنْ تَنْعَزِّي". لقد كان "آساف" - كاتب المزامير - غارقاً في ضيقٍ عميقٍ لدرجة أنه مضى إلى حدٍ رفض أي شكلٍ من أشكال العزاء. فبينما كان يعتصره القلق والهَم، ويعجز عن النوم أو الكلام، كانت روح آساف "مجروحةً جرحاً غائراً، مما جعله يُعرض بوجهه عن كافة المحاولات الرامية إلى مواساته. وهذا المشهد يستحضر إلى "الأذهان" سفر أيوب؛ فـ "أيوب" - الذي كان يكابد آلاماً مبرحةً وأسىً شديداً - زاره أصدقاءً جاؤوا لتقديم العزاء له، إلا أن "أيوب" وصفهم بأنهم "مُعَزُّونَ مُنْعَبُونَ" (أيوب 16: 2). وحين يغمر الأسى والمعاناة الإنسان، فإنه غالباً ما يعزف عن تلقي العزاء من أي أحد. ويكمن السبب في ذلك في شعوره - سواءً كان شعوراً صائباً أم خاطئاً - بأنه لا أحد يمتلك القدرة الحقيقية على مواساته حقاً. المواساة. وبالفعل، تمرُّ بنا في حياتنا أوقاتٌ تحدث فيها مثل هذه الحالة؛ إذ نرفض تلقي العزاء من أي إنسانٍ آخر، إيماناً منا بأن الله وحده هو القادر على منحنا السلوى والعزاء. إن الشخص الذي يرفض العزاء على هذا النحو، هو شخصٌ يمرُّ بحالةٍ من الضعف والعجز.

رابعاً: شكُّ "آساف" في الله. تأمل في المزمور 77: 7-9: «هَلْ يَرْفُضُ السَّيِّدُ إِلَى الْأَبَدِ؟ وَهَلْ يَعُودُ فَلَا يَرْضَى بَعْدُ؟ هَلْ انْقَطَعَتْ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ؟ أَلَمْ تَصْنَعْ إِلَى الدَّهْرِ وَغَدُهُ؟ هَلْ نَسِيَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَ؟ أَوْ هَلْ ضَبَطَ بِسَخَطٍ مَرَاكِمَهُ؟ (سِلَاةً)». لقد صرخ كاتب المزمور "آساف" إلى الله وهو في خضم الضيق؛ ولكن، لعدم تلقيه أي استجابة، ضعُف قلبه وروحه. ونتيجة لذلك، وفي خضم هذا الضعف، بدأ آساف يساوره الشك فيما يتعلق بخلاص الله. وبعبارة أخرى، اهتزت ثقة آساف في الخلاص. إن حالة عدم اليقين هذه تكشف عن أن القلب قد أصابه الضعف؛ فالقلب الضعيف هو قلب منقسم: يبدو جزءٌ منه مؤمناً بالله، بينما يُضمر الجزء الآخر عدم

ثقة فيه. وفي نهاية المطاف، داخل القلب الممتلئ بالقلق والهموم والانكسار ورفض قبول العزاء، لا بد لبذور عدم الإيمان أن تضرب بجذورها وتنمو.

إذن، ماذا ينبغي علينا أن نفعل عندما نجد أنفسنا في حالة ضعف كهذه؟

أولاً: يجب علينا أن نتذكر أعمال الله العظيمة التي صنعها في الأزمنة الغابرة

حتى—تأمل في النصف الأول من المزمور 77: 11: «أَذْكُرُ أَعْمَالَ الرَّبِّ...». عندما تغمرنا الصعاب وتضيق قلوبنا، يجب علينا أن نتأمل في نعمة الخلاص التي أنعم بها الله علينا في الماضي. وعلى الصعيد الشخصي، كلما واجهت أوقاتاً—في أوج ضعفنا عصبية وشاقة، غالباً ما أفكر في طفلي الأول "جويونغ" الذي فارق الحياة بين ذراعي. والسبب في ذلك هو أنني، حتى يومنا هذا، لم أختبر قط وقتاً أشد إيلاماً من ذلك الوقت. ومع ذلك، لم يعد هناك أي ألم في قلبي؛ فكل ما تبقى في قلوبنا هو النعمة والمحبة التي أنعم اللتين—الله بها عليّ وعلى زوجتي. ولذلك، فإنني أتذكر، وأستحضر تلك الذكريات. وحين أتذكر وأستحضر نعمة الله ومحبه وسط الظروف الضاغطة والصعبة التي أعيشها في الحاضر، فإنني أختبر عمل الله المعجزي الذي يُحيي قلبي—أفيضنا علينا آنذاك وروحي الضعيفين، وأستعيد قوتي من جديد. فبينما أتذكر وأستحضر، تتجلى قوة الله وسط ضعفي.

ثانياً: يجب علينا أن نروي ونقصّ الأعمال التي صنعها الله. تأمل في الجزء الأخير من المزمور 77: 11: "...سَأَقْصُ ما صنّعه، أنت". لا ينبغي لنا أن نكتفي بمجرد تذكر الأعمال التي أجراها الله في الماضي؛ بل يجب علينا أيضاً أن نقصّها ونرويها. أحياناً "يسألني الشيوخ في الجماعة: لماذا لا أزال أتحدث عن طفلي البكر، "جويونغ"؟ ومع ذلك، فإنني أشارك أحياناً قصصاً عن "جويونغ" خلال عظاتي. والسبب في ذلك هو رغبتي في مشاركة النعمة والمحبة التي أسبغها الله عليّ من خلال "جويونغ". إن السبب يكمن في وفاء لمعنى اسم "جويونغ" (الذي يعني: مجد الرب)—قد شهدت مجد الرب، وأنا أرغب في الافتخار بذلك الرب. كما أن—أنني من الصمود وتجاوز تلك المحنة. ولذلك، فبينما أتذكر—أنا أو زوجتي—السبب هو أنه لولا وجود الرب معنا، لما تمكّن أيّ منا الأعمال التي أجراها الله في حياتنا خلال الفترة التي قضيناها مع "جويونغ"، غالباً ما أشارك تلك الذكريات أثناء عظاتي. وحينما نتذكر ونشارك الأعمال التي أجراها الله في الماضي، فإننا نختبر قوة الله المعجزية التي تُقوّي قلوبنا الضعيفة.

ثالثاً: يجب علينا أن نتأمل بعمق في جميع أعمال الرب

تأمل في المزمور 12: 77: "في كل أعمالك أتأمل، وفي أفعالك العظيمة أتفكر". في أوقات الضيق والضعف التي مرّ بها، استرجع الأعمال المعجزية التي كان الله قد أجراها في الماضي؛ وبينما كان يسرد تلك الأعمال، لم يقتصر تأمله—أساف—"كاتب المزمور" حقيقة أن الله لا يزال يعمل بفاعلية حتى في خضم المحن—بشكل أكثر شمولاً—على عمل الله في التاريخ فحسب، بل امتد ليشمل التي تواجهنا في الحاضر. وبالفعل، عندما نكون في حالة من الضعف ونركز انتباهنا حصراً على الظروف المؤلمة التي تعترض طريقنا، فإننا غالباً ما نعجز عن إدراك ما يفعله الله. أما إذا حوّلنا تركيزنا نحو الأعمال التي أجراها الله في الماضي، فإننا نصل إلى قناعة راسخة بأن الله ذاته لا يزال يعمل في الحاضر؛ ومن خلال هذا الإيمان، نتمكّن من معاينة أعمال الرب. ومع ذلك، لم يتوقف أساف" عند هذا الحد؛ بل مضى قدماً ليتأمل بعمق ويتفكر في الأمور التي سيتممها الله في المستقبل. ويُمثّل هذا النوع من التأمل" وهو أمر يستحيل تحقيقه دون الإيمان بالرب. إنه تأمل لا يُصبح ممكناً إلا من خلال الإيمان—شكلاً عميقاً من أشكال التفكير الروحي وحده. هذا، بالتحديد، هو سر التغلب على هشاشتنا. إذ لا يسعنا التغلب على ضعفنا إلا حين نتأمل بعمق في جميع أعمال الله وصنائه.

ومع مرور السنين، تزداد أجسادنا المادية وهناً وضعفاً، وكثيراً ما نجد أنفسنا نكابد وسط دوامة من القلق والهموم. وفي مثل هذه —الأوقات، تزداد الليالي التي ينعلم فيها النوم تواتراً، بل قد نعاني أحياناً من كربٍ لا يُطاق ولا يُعبّر عنه. وحينها، وبنفس منكسرة قد نقع فريسةً للشك حين يبدو لنا أن استجابته قد تأخرت، بل وقد نذهب إلى حد رفض أي عزاء—ورغم سعيها الصادق نحو الله يأتينا من أي أحد. وفي تلك اللحظات الحاسمة، يتحتم علينا أن نستحضر في أذهاننا أعمال الله المعجزية التي صنعها في سالف الأزمان؛ فلا ينبغي لنا الاكتفاء بالتأمل في الأعمال التي أنجزها الله فحسب، بل يجب علينا أيضاً أن نجهر بها وننطق بذكرها. وإني لأدعو الله أن نكون أنا وأنتم من أولئك الذين يتغلبون على هشاشتهم وضعفهم من خلال التأمل العميق في كل الأعمال التي أنجزها الله وأتمها.

الاحتراق النفسي

[ملوك 19: 1-14]

يخبرنا علماء النفس أنه عندما يتجاوز التوتر حداً معيناً، فإنه قد يؤدي إلى خيبة الأمل في الذات، والتقليل من شأن النفس، وتبني موقف ساخر من الحياة. وقد عثر على مقال يوجز سبع علامات تحذيرية للتوتر، أشارككم إياها هنا (المصدر: شبكة الإنترنت) الاعتقاد بأن المرء شخص لا غنى عنه؛ (2) محاولة إنجاز الكثير من المهام لدرجة أنه لا يتبقى وقت كافٍ للتعامل مع المهام (1) المهمة حقاً؛ (3) تعريض النفس باستمرار لضغوط قاسية؛ (4) الشعور بالقلق الدائم من أن المرء يتخلف عن الركب ولن يتمكن أبداً من بلوغ القمة أو أن يكون الأفضل؛ (5) الاعتياد على العمل لفترات طويلة في وضعية الجلوس؛ (6) الشعور بالذنب عند إنهاء العمل مبكراً للعودة إلى المنزل؛ و(7) جلب الهموم المتعلقة بالعمل إلى داخل المنزل. وإذا تجاهل المرء علامات التوتر التحذيرية، هذه واستمر في العمل، فإن النتيجة الحتمية ستكون "الاحتراق النفسي". فما هو الاحتراق النفسي إذن؟ إن الاحتراق النفسي هو حرقاً، حالة يتم فيها استنزاف قوة المرء وحيويته بالكامل، مما يؤدي إلى مشاعر من الإرهاق والعجز تتغلغل في حياة المرء العاطفية والجسدية والاجتماعية. وعندما يصل الراعي الروحي إلى حالة من الاحتراق النفسي، فإنه يفقد شغفه بالخدمة، وغالباً ما يؤدي ذلك إلى الإصابة باعتلالات جسدية ونزاعات زوجية. فكم عدد الرعاة اليوم الذين يعانون حالياً من صراع مرير في ظل حالة كهذه من الاحتراق النفسي؟

سفر 1 ملوك 19: 1-14 — يُقدّم لنا صورة للنبي إيليا وهو في حالة من الاحتراق — إن نص الكتاب المقدس المخصص لهذا اليوم النفسي. فبعد انتصاره على جبل الكرمل في المواجهة التي خاضها ضد 450 نبياً لبعل و400 نبي لأشيرة (1 ملوك 18)، أرسلت زوجة الملك آخاب، "إيزابل"، رسولاً لتهديده بالقتل (19: 2)؛ فارتعب إيليا وقام بالفرار. ثم انطلق بنفسه إلى البرية، وهناك تمنى الموت قائلاً: "كفاني يا رب؛ خذ الآن حياتي" (الآية 4). وفي هذه الصورة التي يظهر فيها إيليا متضرعاً طالباً الموت، لم يعد بوسعنا أن نتعرف على ذلك "إيليا" الذي رأيناه على جبل الكرمل. ومن خلال تأملي في حالة إيليا هذه، عكفتُ على التفكير في ظاهرة الاحتراق النفسي، محدداً أربعة جوانب رئيسية لها:

"أولاً: إن أولى تجليات الاحتراق النفسي هي "الخوف

فقد انتاب الخوفُ النبيَّ إيليا بعد تلقيه رسالة تهديد من الملكة إيزابل (2: 19). إن هذا السلوك الذي أبداه إيليا يقف على نقيص صارخ من صورة إيليا التي رُسمت في الإصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الأول. فإذا ما نظرنا إلى الآية الأولى من الإصحاح الثامن عشر (1 ملوك 18: 1)، نرى إيليا الذي، ما إن تلقى أمر الله القائل: "اذهب، وأر نفسك لأخاب"، حتى تقدم بكل جرأة وشجاعة حين واجه مأزقه—الإصحاح التاسع عشر من سفر الملوك الأول—ليعرض نفسه على الملك (الآية 2)؛ ومع ذلك، ففي فقرة اليوم الراهن، قام وهرب لينجو بحياته (الآية 3). لقد خاف إيليا؛ بل كان يرتعد رعباً من الموت. ولهذا السبب فرَّ هارباً لينقذ حياته.

لقد ظهرت هذه العلامة الأولى من علامات "الاحتراق الروحي" لدى إيليا فور انتصاره العظيم على جبل الكرمل. وبينما أتأمل في هذه الحقيقة، يغمرنى عزمٌ متجددٌ على تكريس نفسي لحراسة النعمة التي نلتها، ولا سيما في أعقاب اختبار تلك النعمة العظيمة. إن علينا أن نحرس قلوبنا؛ فإذا ما قصرنا في حراسة قلوبنا بعد نيل النعمة، فإننا نخاطر ليس فقط بالوقوع فريسةً للتجربة وارتكاب بالإصابة بشللٍ من شدة الخوف أمام التهديدات البشرية، مما يدفعنا إما إلى التهرب—على غرار ما حدث لإيليا—الخطيئة، بل أيضاً من مشاكلنا وإما إلى الفرار منها.

ثانياً: تتمثل العلامة الثانية من علامات "الاحتراق الروحي" في اليأس والقنوط. لقد فرَّ النبي إيليا حتى وصل إلى "بئر سبع" في أرض يهوذا؛ وهناك ترك خادمه خلفه (الآية 3)، وتوغل وحيداً في البرية. وبعد أن سار مسافة يومٍ كامل تقريباً، جلس تحت شجرة الرتم" وصلى طالباً الموت، قائلاً: "كفى الآن يا رب؛ خذ نفسي، فإني لستُ خيراً من آبائي" (الآية 4). ثرى، إلى أي مدى بلغ عمق" شعوره باليأس والقنوط حتى دفعه ذلك إلى التضرع طلباً للموت؟ لقد صلى إلى الله قائلاً: "كفى الآن يا رب"—وهي عبارة تعني ببساطةٍ شديدة: "لقد طفح الكيل، ولم أعد أطيق الاحتمال". فلم يعد إيليا يمتلك القوة اللازمة لمواصلة خدمته بصفته نبياً؛ فبينما كان منهك القوى ومحطم الروح، انهار تماماً وتضرع إلى الله لكي يقبض روحه، معلناً بذلك أنه لم يعد قادراً على المضي قدماً في طريقه.

وبالنسبة للعاملين في حقل الخدمة الروحية، يُعد اليأس والقنوط خطراً داهماً حقاً. ومع ذلك، ينتاب المرء شعوراً بأن هذين الداءين بطريقةٍ ما، أمرٌ لا مفر منه. بصرف النظر عن هوية الخادم، فمن المؤكد أنه لا يوجد أحد لم يمر بلحظات من القنوط واليأس في ولذا لا يسعني أن أدرك—كما فعل إيليا—غضون خدمته. ومع ذلك، فإنني شخصياً لم أختبر بعد يأساً عميقاً لدرجة أن أتمنى الموت إدراكاً تاماً ذلك العمق المحدد من الكرب والضيق. ومع ذلك، يساورني شعور بأنه في مرحلة ما من خدمتي الرعوية الخاصة، من المرجح أن أختبر أنا أيضاً لحظة يأس تشبه إلى حد كبير تلك التي عاشها إيليا.

ثالثاً: من مظاهر الإرهاق الشديد (الاحتراق الوظيفي) الضعف الجسدي.

عندما توغل النبي إيليا بمفرده في البرية واستلقى نائماً تحت شجرة الرتم، لمس ملاك ليوقظه، حاثاً إياه: "قُمْ وَكُلْ" (الآية 5). ثم زوّد الملاك إيليا بقرص خبز مخبوز على الجمر وجرة ماء (الآية 6). وبعد أن أكل القرص وشرب الماء، عاد إيليا ليستلقي مرة أخرى (الآية 6). إن حقيقة أن الملاك عاد مرة أخرى ليلمس إيليا ويحثه قائلاً: "قُمْ وَكُلْ" (الآية 7)، تشير إلى أن إيليا كان منهكاً جسدياً. وفي نهاية المطاف، وبعد الأكل والشرب، استمد إيليا القوة من ذلك الطعام (الآية 8).

ويبدو أن العديد من الرعاية يصابون بإرهاق جسدي يصل بهم إلى حد الانهيار، ليصابوا في نهاية المطاف بأمراض شتى. وحين يمكننا أن نبدأ في فهم السبب الذي—الذين يضطرون إلى تعليق خدماتهم مؤقتاً وأخذ قسط من الراحة—نتأمل حال هؤلاء الرعاية. جعل إيليا، في ظل حالة الإرهاق والوهن الجسدي التي كان يعيشها، يستسلم حتماً لذلك الإرهاق الشديد (الاحتراق الوظيفي).

رابعاً: من أعراض الإرهاق الشديد الشعور بالوحدة الفاسية.

بعد أن تناول النبي إيليا الطعام الذي زوده به الملاك واستعاد قواه، سافر لمدة أربعين يوماً وأربعين ليلة حتى وصل إلى حوريب جبل الله، حيث تحاور مع الله داخل أحد الكهوف (الآية 8). وخلال هذا الحوار، كرر إيليا نفس التضرع أمام الله مرتين: "...أنا وحدي بقيت، وهم يسعون لأخذ حياتي" (الآيتان 10 و 14). وقد ادعى إيليا أمام الله أن بني إسرائيل قد قتلوا جميع أنبياء الرب، تاركين إياه الناجي الوحيد. وعند التأمل في هذا الأمر، أشعر أن إيليا كان يعبر عن شكوى أو عتاب موجّه إلى الله وسط حالة الوحدة العميقة التي يبدو أنه كان يعاني من شعور طاغٍ بالعزلة—حوريب—كان يعيشها. بينما نتخيل إيليا جالساً وحيداً داخل ذلك الكهف على جبل الله.

؟(Burnout) "إذن، ماذا ينبغي علينا أن نفعل عندما نجد أنفسنا نمر بهذه الأعراض الدالة على "الاحتراق النفسي

أولاً: يجب علينا أن ننسحب طواعيةً إلى البرية (الآية 4).

واجبات—بشكل مؤقت—نحن بحاجة إلى أن نمكث بهدوء في محضر الله، منفردين تماماً. ومن الضروري أيضاً أن نضع جانباً خدمتنا. إذ لا ينبغي أن نستغرق في العمل لدرجة أن ينتهي بنا المطاف لنصبح مثل "مرثا". نحن بحاجة إلى الابتعاد عن بيئاتنا اليومية التي قد تتسم ببعض التعقيد، والانسحاب إلى مكان هادئ ومنعزل. إننا نحتاج إلى وقت ومساحة تخصصنا وحدنا تماماً. يجب علينا أن نوقف كل شيء، ونقترب بهدوء من الرب، ونخصص وقتاً للتأمل الصامت في كلمة الله وللصلاة.

ثانياً: نحن بحاجة إلى الراحة الجسدية (الآيات 5-7).

يجب أن نتعلم كيف نرتاح عندما يحين وقت—وهو عرض شائع من أعراض الاحتراق النفسي—للوفاية من الوهن الجسدي أمثال "مرثا"—قد يبدو فعل الراحة بحد ذاته تجربة شاقة—الراحة. بالنسبة للخدام الذين ينصب تركيزهم الأساسي على العمل ومؤلمة. ومع ذلك، وكما فعلت "مريم"، يجب علينا أن نضع عملنا جانباً للحظة، ونجلس بهدوء أمام يسوع، ونستمع إلى صوت لأنهم—جسداً وروحاً—الرب. علاوة على ذلك، يجب أن ننام عندما نكون بحاجة إلى النوم. فكم من خدام الله قد سقطوا مرضى أهملوا الحصول على قسط كافٍ من النوم، مما تركهم منهكين جسدياً ومنهارين تماماً؟ وكما فعل النبي إيليا، نحن بحاجة إلى الانسحاب إلى البرية لفترة من الزمن والحصول على بعض الراحة. كما أننا بحاجة إلى تناول طعام صحي ومغذٍ؛ فبصفتنا وكلاء الله، يجب علينا أن ندير صحتنا الجسدية بأمانة من أجل مجده. وينبغي علينا أن نسعى جاهدين لكي لا نقدم للرب جسداً عليلاً ومنهكاً ستزداد وهناً حتماً؛ ومع ذلك، فمن خلال إدارة صحتنا—وبالطبع، مع تقدمنا في العمر، فإن "خيمتنا الأرضية"—أي جسدينا المادي بحكمة، يمكننا أن نعيش الحياة التي وهبنا الله إياها بكل ملئها، وذلك من أجل مجده.

ثالثاً: يجب علينا أن نصغي إلى صوت الله الهادئ والمنخفض (الآية 12)

حيث سمع صوت الله الهادئ والمنخفض. علينا نحن أيضاً—بعد أن استعاد النبي إيليا قوته الجسدية، سافر إلى "حوريب"—جبل الله إلى صوت—أن نعتزل في "بريتنا" الخاصة، ونمكث في هدوء في محضر الله، وأن نصغي—من خلال التأمل في كلمته والصلاة، الرب الهادئ والرفيع. فليس ثمة فرح أعظم من سماع صوت الرب (ترنيمه 511). وحين نسمع ذلك الصوت، تتجدد قوتنا وننهض، ونتمم الرسالة التي ائتمنا الرب عليها. قد يسقط الصديق سبع مرات، ومع ذلك ينهض مجدداً (أمثال 24: 16). والسبب في ذلك هو أنه حتى لو بلغ بنا الإرهاق أشده وانهارنا تماماً، فإن الرب سيرفعنا مجدداً. علينا أن ننهض ونمضي قُدماً. إننا أشبه بتلك الدمى المتوازنة التي تعود للوقوف تلقائياً: فحتى حين نسقط، يرفعنا الرب مجدداً، ويمكّننا من الوقوف شامخين. وسواء كان ذلك فإن—اليوم أو غداً—ومهما كانت التجارب التي تجعلنا نشعر بالوحدة وسط الخوف واليأس، أو تتركنا مستنزفين جسدياً ومنهارين الرب سيرفعنا بالتأكيد مجدداً. فلنعتزل طواعيةً في البرية لننال قسطاً من الراحة الجسدية ولنصغي إلى صوت الرب الهادئ والرفيع؛ وحينئذٍ، وقد استعدنا حيويتنا، لنكرس قلوبنا وقوتنا بأسرها لإتمام الرسالة التي ائتمنا عليها. النصر لنا

عندما تشعر بالإحباط

إِنْ خُزْتُ فِي يَوْمِ الضِّيقِ، فَكَمْ هِيَ ضَنْبِلَةٌ قُوْتُكَ! [النسخة الإنجليزية المعاصرة] «إِنْ فَقَدْتَ عَزِيمَتَكَ عِنْدَ حُلُولِ الْمَتَاعِبِ، فَانْتَ حَقّاً شَخْصٌ ضَعِيفٌ.» [أمثال 24: 10]

بينما نمضي قدماً في رحلة هذه الحياة، من الطبيعي تماماً أن نشعر بالإحباط عندما تواجهنا الصعوبات. ويصدق هذا الأمر بشكل خاص عندما يبدو عبء تلك الصعوبات ثقيلاً للغاية وساحقاً لدرجة يصعب معها تحمله بمفردنا؛ وحينها، عندما نمد أيدينا طلباً للمساعدة ممن حولنا فلا نتلقى شيئاً، قد ننزلق بسهولة إلى هاوية من الإحباط العميق. وفي مثل تلك اللحظات، يجب أن ندرك أن الرب هو الوحيد الذي تبقى لنا لنلجأ إليه، وعلينا أن نصرخ إليه بصدق وتضرع في صلواتنا. ومع ذلك، وحتى بعد الصلاة بحرارة وشغف، إذا بدا وكأن الرب لا يقدم أي استجابة، فقد يزداد إحباطنا عمقاً وتجذراً (لوقا 18: 1). وبينما نغوص أعمق فأعمق في حالة الإحباط هذه، تتضاءل قوتنا بشكل ملحوظ؛ فبعد أن نكون قد استنزفنا جسدياً وذهنياً، قد نصل إلى نقطة من اليأس المطلق والاستسلام التام.

في سفر صموئيل الأول 17: 32، نجد الفتى الراعي داود يخاطب الملك شاول قائلاً: «...لَا يَسْقُطُ قَلْبُ أَيِّ إِنْسَانٍ بِسَبَبِهِ؛ فَإِنَّ عَبْدَكَ ذَلِكَ الْفِلِسْطِينِي الَّذِي كَانَ يَطْلُقُ تَحْدِياً—سَيَذْهَبُ وَيُحَارِبُ هَذَا الْفِلِسْطِينِي». وهنا، تشير كلمة «بسببه» تحديداً إلى جالوت الجتي، للمبارزة (الآية 23). وإذا لاحظ داود أن جميع الإسرائيليين كانوا يرتعدون رعباً من جالوت ويفرون خوفاً من أمامه (الآية 24) حثهم على ألا «يسقط قلبهم بسببه»، معلناً أنه هو نفسه سيذهب ويحارب جالوت (الآية 32). ما رأيك في كلمات داود هذه؟ لو كنت أنا وأنت واقفين هناك في تلك اللحظة بالذات، هل كان بمقدورنا أن نصغي لكلمات داود ونكف عن شعورنا بالإحباط تجاه جالوت؟ وهل كنا سنفعل—وحيث كان كل من حولنا يرتجفون رعباً لمجرد رؤية جالوت ويفرون هرباً لإنقاذ حياتهم، هل كان بمقدورنا أن نقف ثابتين راسخين، فلا نفر خوفاً ولا نستسلم لليأس؟ على مدار حياتنا، وبينما نواجه مراراً وتكراراً صعوبات هائلة—حقاً—قد يصيبنا التعب والإنهاك، وحينها يصبح الانزلاق إلى هاوية الإحباط العميق أمراً سهلاً للغاية—«تشبه في ضخامتها «جالوت يصدق هذا القول خاصةً عندما تتعلق تلك الصعوبات بأفراد عائلتنا الأعزاء؛ ففي مثل هذه الأوقات، قد نشعر بمزيد من اليأس والإحباط. فماذا ينبغي لنا أن نفعل في مثل هذه اللحظات؟

أولاً، وسط هذا الإحباط العميق، نحتاج إلى إدراك مدى ضعفنا وهشاشتنا (أمثال ٢٤: ١٠ ب). والسبب في ذلك هو أنه فقط عندما ندرك تمامًا هشاشة الوجود البشري، نستطيع أن نضع ثقتنا الكاملة في الرب، الذي هو رجاؤنا. تأملوا كلمات المقطع الأول وجوقة الترتيلة ٥٤٣: "عندما تأتي المحن ويضعف إيماني، أعتمد أكثر على ربي. ومع مرور السنين، هو سندي الوحيد؛ مهما واجهت أعتمد على يسوع". مع مرور الوقت، تضعف أجسادنا وعقولنا حتمًا، ومع ذلك قد نجد أنفسنا نواجه صعوبات أكبر من تلك التي واجهناها في الماضي. في تلك اللحظات، ندرك مدى ضآلة إيماننا في الواقع. بينما ينبغي أن يزداد إيماننا قوةً مع تقدمنا في العمر وضعف أجسادنا وعقولنا، نجد أنفسنا نواجه مصاعب جمة؛ فعندما نرى أنفسنا غارقين في القلق والهم واليأس، ندرك مدى ضعف إيماننا. عندها فقط ندرك أنه مع مرور السنين، لا سبيل لنا إلا الاعتماد على الله وحده. ولذا، نتضرع إلى الله بصدق طالبين عونهُ متوكلين عليه، ومرددين كلمات المرنم، نرفع دعاءنا إلى الله قائلين لأنفسنا: «لماذا أنت مكتئبة يا نفسي؟ ولماذا أنت مضطربة في داخلي؟ توكلني على الله، فإني سأحمده، لأنني سأشكره على نصرته» (زمور 42: 5، 11؛ 43: 5). لذلك، كلما شعرتُ بالإحباط أقول لنفسي هذا وأدعو الله: «يا يعقوب، لماذا أنت مكتئب؟ لماذا أنت قلق؟ توكلني على الله». في تلك اللحظات، تكون المساعدة الإلهية التي أختبرها هي الرب - من خلال قوة كلمته الموعودة - الذي يحيي نفسي التي سقطت في اليأس (زمور 19: 7). تمامًا كما تُداعب لعبةً متدحرجة، يستخدم الرب وعوده التي قطعها لي (يوحنا 6: 1-15) ليرفع من معنوياتي ويُعيد إليَّ الأمل، ويُقوّيني على الثبات في الإيمان والمضي قدمًا.

عندما خاف جميع بني إسرائيل من جليات وفرّوا أمامه، لم يفقد داود الفتى الصغير الأمل حين رأى جليات المحارب الجبار، بل أخبر الملك شاول أنه سيخرج بنفسه ليقاتله. تأمل ردة فعل الملك شاول حين سمع هذه الكلمات: "...لا تستطيع أن تذهب وتقاتل هذا - الفلسطيني، فأنت صبي صغير، وهو محارب منذ صغره" (صموئيل الأول 17: 33). فكّر في الأمر: في معركة بين جليات المحارب المخضرم منذ صغره - وداود - الصبي الصغير - من سيفوز؟ كانت معركة غير متكافئة تمامًا. علاوة على ذلك، من الطبيعي أن يتجنب الإنسان خوض مثل هذه المواجهة غير المتكافئة، لمجرد يقينه التام بالهزيمة. لذا، من المفهوم تمامًا الشعور بالإحباط في مثل هذا الموقف. ولكن كيف استطاع داود - دون أن يفقد الأمل أو يستسلم للخوف - أن يتقدم ويقاوم جليات؟ وجدّث الإجابة على هذا السؤال في الجزء الأول من سفر صموئيل الأول 17: 37: «فقال داود: الرب الذي أنقذني من مخلب الأسد ومخلب الدب، سينقذني من يد هذا الفلسطيني...». آمن داود بإله الخلاص، وكان واثقًا من أن الله سينقذه من يد جليات. ولأنه كان يملك هذا اليقين بالخلاص، لم يخشَ داود جليات فحسب، بل لم يفقد الأمل أيضًا.

وفي غلاطية 6: 9، كتب الرسول بولس: «لا نمل من فعل الخير، لأننا سنحصد في وقته إن لم نياس». بينما نسعى جاهدين لفعل الخير، قد نشعر بالإحباط أحيانًا بسبب المصاعب والتحديات. ومع ذلك، يجب ألا نفقد الأمل أو نستسلم. بل يجب علينا، كما فعل داود الشاب الذي حارب جليات وانتصر عليه، أن نضع ثقتنا الكاملة في الله. لذلك، بدلاً من أن نياس، فلنتغلب بشجاعة حتى على التحديات الجسام بالإيمان. فلنتقدم جميعاً - في الرب ومن خلال إيماننا به - بجرأة وثقة (أفسس 3: 12).

اليأس والقلق

«لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَّةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَضْطَرِّبِينَ فِيَّ؟ ارْتَجِي اللَّهَ، لِأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، خَلَاصَ وَجْهِي وَإِلَهِي»
(مزمو 43: 5).

من المرجح أن تكون هناك أسباب عديدة قد تدفع الإنسان إلى الوقوع في براثن اليأس والقلق. ومن بين هذه الأسباب الشعور بأن المرء قد هُجِرَ أو تُخْلَى عنه من قِبَل شخص عزيز عليه. فعلى سبيل المثال، قد نختبر بالفعل يأساً وقلقاً عميقين حينما نشعر بأننا قد هُجِرنا من قِبَل زوج أو زوجةٍ محبوبة. وينطبق الأمر ذاته على الأبناء؛ فإذا شعر الأطفال بأن آباءهم المحبين قد تخلوا عنهم، فقد وتستهلكهم مشاعر القلق. ولكن، تُرى ماذا سيحدث—وربما يصل بهم الأمر إلى حالة من انعدام الرجاء التام—يغرقون في اليأس لو شعرنا نحن، كمسيحيين، بأن الله الأب قد تخلّى عنا وهجرنا؟

وهو المزمور 43—نرى أن حالة اليأس والقلق التي انتابت كاتب—عند استقصاء سياق النص الكتابي المخصص لهذا اليوم المزمور قد نبعت من شعوره هو شخصياً بأن الله قد تخلّى عنه. ولذا، ارتفع صوته صارخاً: «لَأَنَّكَ أَنْتَ إِلَهُ جِصْنِي. لِمَاذَا رَدَّلْتَنِي؟...» (الآية 2). لقد كان كاتب المزمور، الذي عانى الأمرين على أيدي أناسٍ مخادعين وظالمين (الآية 1)، غارقاً في الأحزان جراء ما ألحقه به أعداؤه من ظلم واضطهاد (الآية 2). وفي خضم تلك المعاناة وتلك الأحزان، استسلم لليأس والقلق؛ إذ ساورته فكرة لا يتدخل لإنقاذه وتخليصه. لقد شعر بأن الله قد تخلّى عنه، لأن الخلاص الإلهي—الذي هو مصدر قوته وعزته—مفادها أن الرب هذه الصلاة والابتهاال إلى الله: «أَرْسِلْ—وهو في أوج يأسه وقلقه—بدا وكأنه قد تأخر في القدوم. ونتيجةً لذلك، رفع كاتب المزمور نُورَكَ وَحَقِّكَ، هُمَا يَهْدِيَانِي وَيَأْتِيَانِي بِي إِلَى جَبَلٍ قُدْسِكَ وَإِلَى مَسَاكِنِكَ» (الآية 3). فعندما خارت عزيمة كاتب المزمور واعتراه القلق جراء التصرفات المخادعة والظالمة التي ارتكبها أعداؤه، رفع ناظريه نحو نور الرب الهادي، حتى وهو يزرح تحت وطأة الذي هو في حد ذاته—الظلام الذي خيم على أعماق قلبه. لقد تاق إلى نيل هداية الرب وإرشاده، لكي يتسنى له الوصول إلى الله

ينبوع سعادته وبهجته (الآية 4). كما اشتاق بشوقٍ عظيمٍ إلى أن يرفع تسبيحه وحمده لذلك الإله الذي هو مصدر سعادته الغامرة نستبد بنا الكآبة والقلق حينما يساورنا الشعور بأن الله قد تخلّى عنا. وتزداد كآبتنا وقلقنا حينما يبدو لنا، وسط المعاناة والشدائد، أن الذي هو "قوتي" (الآية 2) —لم يعد يُنجينا— خلاص الله يتأخر في المجيء. وعلى وجه الخصوص، حينما نستبطن شعوراً بأن الله، من وطأة الظلم (الآية 2) الذي يمارسه أعداء اتسموا بانعدام التقوى والمكر والجور (الآية 1)، فإننا لا محالة نقع في برائن اليأس وتمتلئ قلوبنا بالقلق. وفي مثل تلك الأوقات، وكما فعل صاحب المزمور، يتحتم علينا أن نخاطب أنفسنا قائلين: "لماذا أنتِ منحنية يا نفسي؟ ولماذا تضطربين في داخلي؟ ضعي رجاءك في الله...". (الآية 5). علينا أن نقول لأنفسنا الكئيبة والقلقة: "ضعي رجاءك في الله". علينا أن نرفع أصواتنا بالنداء؛ أن نصرخ في وجوه أنفسنا، حاثّين إياها على الكف عن الكآبة والقلق، وأن تُعلّق رجاءها بدلاً، من ذلك على الله. علينا أن نرفع أنظارنا نحو إلها، الذي هو عوننا. وحينما نفعل ذلك، فبدلاً من أن نظل غارقين في الكآبة والقلق، سنجد أنفسنا حينئذٍ نرفع تسبيحنا وحمدنا لله.

أعباء تثقل كاهل البشر

[سفر الجامعة 6: 1-6]

ما الذي يثقل قلبك بشدة هذه الأيام؟ وما الذي يضغط على روحك؟ بالأمس، يوم الثلاثاء، اصطحبتُ أطفالاً إلى أكاديميتهم التعليمية؛ وبينما كان ابني الحبيب "ديلان" وابنتي "بيري" يتلقيان دروسهما، خرجتُ إلى الخارج لإجراء مكالمات هاتفية. وبعد انتهاء المكالمات دار حديثٌ وجيز بيني وبين طفلي الصغرى "بي-أون"، التي كانت قد لحقت بي إلى الخارج. وحين رأت "بي-أون" أنني قد فرغتُ من مكالمتي، اقترحتُ أن نذهب لنجلس في مكانٍ آخر؛ ثم سبقتني وجلستُ تحت إحدى الأشجار. (هاها). وهكذا، وقفتُ أمام "بي-أون" وهي جالسة هناك، وطرحتُ عليها هذا السؤال: "كيف تسير حياتك؟" فكان رد "بي-أون" ببساطة: "جيدة". وحين سألتها عما هو "جيد" بالتحديد في حياتها، باحتُ لي بهذا الاعتراف: "في الواقع، أنا متعبة". (هاهاها). يبدو إذن أن الحياة تبدو مُتعبة حتى في نظر طفلة في السادسة من عمرها! (هاهاها). وماذا عنك أنت؟ ألا تشعر بالإرهاق والتعب، جسداً وروحاً؟ ألا تشعر بأن العبء الذي يثقل قلبك هو عبءٌ ثقيل؟ إذا كان الأمر كذلك، فإنني أمل أن تستجيب في هذه اللحظة بالذات من هذا اليوم للدعوة التي يوجهها يسوع في إنجيل متى (11: 28-30): "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أَرْحِمُكُمْ. اِحْمَلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعٌ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنَفْسِكُمْ. لِأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ".

وبالنظر إلى النص الكتابي المخصص لهذا اليوم — سفر الجامعة 6: 1 — نجد الملك سليمان يقول: "رَأَيْتُ شَرّاً آخَرَ تَحْتَ الشَّمْسِ وَهُوَ ثَقِيلٌ عَلَى النَّاسِ". وفي سفر الجامعة (5: 13-20)، تحدث الملك سليمان عن شرٍ عظيم كان قد رصده. وكان هذا الشر العظيم يتمثل في ميل المرء إلى اكتناز ثروته وحبسها، مما يعود عليه هو نفسه بالضرر (الآية 13). وعلاوة على ذلك، فإن الشر العظيم الذي شهده الملك سليمان هو أن صاحب الثروة — بعد أن يكون قد اكتنزها وألحق الضرر بنفسه — سرعان ما يواجه كارثة ما في نهاية المطاف، فيخسر كل شيء، ولا يتبقى لديه أي شيء على الإطلاق ليورثه لابنه. وبناءً على ذلك، أعلن الملك سليمان أنه بما أن ولا يأخذ معه شيئاً من ثمرة تعبهِ في يده (الآية 15)، فإن هذا الأمر — وكما جاء، هكذا سيعود — الإنسان يخرج عارياً من بطن أمه إذا — حتى ليبلغ الأمر حد إلحاق الضرر بنفسه — أيضاً يُعد شراً عظيماً (الآية 16). فأني نفعٌ يُرجى من تكديس المرء لكل ثروته ما واجه في نهاية المطاف كارثة يفقد فيها كل شيء، وينتهي به المطاف بلا ثروة يورثها لأبنائه؟ إن الحياة التي تُقضى في المجيء: سفر الجامعة 6 — خالي اليدين والرحيل خالي اليدين، هي في الواقع، لا تقل شراً عن كونها شراً عظيماً. ومع ذلك، ففي نص اليوم يلحظ الملك سليمان شراً آخر في هذا العالم؛ إذ يصف هذا الشر بأنه شيء "ثَقِيلٌ عَلَى الْإِنْسَانِ" — أي عبءٌ جسيم [6: 8] — "لأن 1

شقاء الإنسان ثقيلٌ عليه".] فما هو إذن هذا الشرّ الجسيم الذي يثقل كاهل الناس إلى هذا الحد؟ تأمل في نص اليوم، سفر الجامعة 6 ومع ذلك، لم يُمكنه الله من التمتع بها، بل—رجلٌ أعطاه الله غنىً ومالاً وكرامةً، حتى لم ينقصه شيءٌ من كل ما تشتهيه نفسه": 2: تمتع بها غريبٌ بدلاً منه. وهذا أيضاً باطلٌ وشرٌّ جسيم". إن هذا الشرّ الجسيم الذي يثقل كاهل الإنسان هو تلك الحالة التي يتلقى فيها ومع ذلك يُحرم من القدرة على التمتع الفعلي—فلا ينقصه شيءٌ مما يشتهيه القلب—المرء من الله شتى أنواع الغنى والمال والكرامة بأيّ منها. وبدلاً من ذلك، يسمح الله لغريبٍ بالتمتع بكل تلك الأشياء. وبالفعل، مَنْ هو ذاك الذي يسمح الله له بالتمتع بكل ذلك الغنى والثروات والكرامة؟ تأمل في سفر الجامعة 2: 26: "لأنه لمن يرضيه، أعطاه الله حكمةً ومعرفةً وفرحاً؛ أما للخاطئ، فقد أعطاه مهمة الجمع والتكديس، لكي يعطي في النهاية لمن يرضي الله...". إن الله يجعل الخطاة يكدّون ويجمعون الثروات، ولكن في المطاف ويعطيها لمن يرضيه، سامحاً لذلك الشخص بالتمتع بها. لقد وصف الملك—التي جمعها الخطاة—الأخير، يأخذ الله كل تلك الثروة سليمان هذا الأمر أيضاً بأنه "باطل"؛ وتحديداً بأنه "داءٌ عضال"، أو "شرٌّ مؤلم" (الآية 2؛ بحسب ترجمة سوانسون). وعلاوة على ذلك، فإن البلاء المحدد الذي رصده الملك سليمان تمثّل في الآتي: قد يمتلك المرء ليس فقط كل هذا الثراء والمال والجاه، بل يرزق فإنه يفشل في الاستمتاع حقاً بأيّ من ذلك الثراء—ورغم عيشه كل تلك السنوات الطويلة—أيضاً بمائة ولد وعمرٍ مديد؛ ومع ذلك أو المال أو الجاه (الآية 3). تأمل في هذا الأمر: رغم نيل المرء بركات الثراء والمال والجاه والذرية وطول العمر، فإذا عجز عن فيا له من بلاءٍ مؤلمٍ حقاً! فضلاً عن ذلك، إذا لم يكتفِ—وبالتالي لم يجد أي بهجة في أعماق روحه—الاستمتاع بكل ذلك الوفرة ويا—المرء بالعجز عن الاستمتاع بكل تلك البركات فحسب، بل حُرْم أيضاً من نيل دفنٍ لائقٍ عند وفاته، فيا له من بلاءٍ مريعٍ حقاً له من "داءٍ عضال"—يصيب الإنسان! ففي الشرق القديم، كان الحرمان من الدفن اللائق يُعدّ قمة الإهانة والذل. ولهذا السبب، أعلن يعجز عن الاستمتاع—رغم امتلاكه ثروة طائلة—الملك سليمان أن الطفل المولود ميتاً هو في حالٍ أفضل من ذاك الشخص الذي بها، ويُحرم من الدفن اللائق عند وفاته (الآية 3/ب). فكيف إذن يمكن اعتبار الطفل المولود ميتاً في حالٍ أفضل من شخصٍ عجز عن الاستمتاع بكل ثروته، وتُرك دون دفنٍ في ختام حياته؟ يرجى التوجه إلى فقرة الكتاب المقدس المخصصة لقراءتنا اليوم، من سفر الجامعة 6: 4-5، حيث نقرأ: "لأنه في الباطلِ جاء المُولودُ ميتاً، وفي الظُّلْمَةِ ذَهَبَ، واسْمُهُ سِتْرٌ بِالظُّلْمَةِ؛ وَلَمْ يَرَ الشَّمْسَ وبغض النظر عن طول—وَلَمْ يَعْرِفْ شَيْئاً، وَلَهُ رَاحَةٌ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ". ووفقاً لما ذكره القس جون ماك آرثر، فإنه في تلك الأيام إذا مات دون أن يجد من ينوح عليه أو يكرمه، كان يُعتبر في حالٍ أسوأ من حال الطفل المولود ميتاً—عمر المرء أو كثرة ذريته وإن كانت لم ترَ نور هذا العالم قط، ولم تدرك شيئاً، وجاءت إلى—في نظر الملك سليمان، إن الحياة التي أجهضت في رحم الأم هي في الواقع أوفر حظاً وأفضل حالاً من حال إنسان يموت دون أن ينعم حقاً بالبركات التي—الوجود عبثاً لتغادر فوراً إلى الظلام والذي لا يحظى عند موته حتى بدفنٍ لائق. والسبب في ذلك—كالمال، والثروة، والشرف، والذرية، وطول العمر—تلقاها من الله

هو أن الرضيع الذي وُلد ميتاً ينعم بحس من الراحة والسكينة. وبعبارة أخرى، إن العلة التي تجعل الرضيع الميت أفضل حالاً من تكمن في أن ذلك الرضيع قد سَلِمَ من—والذي حُرِمَ من الدفن اللائق—الشخص الذي عجز عن التمتع بالبركات الموهوبة من الله رؤية الشرور والأعمال الآثمة التي تُرتكب في هذا العالم (سفر الجامعة 4: 3). فمهما طال عمر المرء في هذه الدنيا، إن هو، قاضياً أيامه وسط الكد، والحزن، والضيق، بينما يشهد كل الشرور التي تُرتكب من حوله—عجز عن التمتع بثرواتها ومباهجها فإن الرضيع الميت يكون حينئذٍ أوفر حظاً حقاً؛ إذ إنه، ورغم إجهاضه، ينعم بالتححرر من قلق—لِيُحرَمَ في النهاية من الدفن اللائق العالم، وآلامه، وكده، ومعاناته، محققاً بذلك حساً حقيقياً من الراحة. وفي هذا السياق، يطرح الملك سليمان سؤالاً ختامياً في نص "من سفر الجامعة 6: 6—قائلاً: "وإن عاش ألف سنة مرتين، ولم يرَ خيراً، أليس الجميع ذاهبين إلى مكان واحد في النهاية؟—اليوم وعاش—وفي المحصلة النهائية، وسواء كان الأمر يتعلق برضيعٍ أجهض، أو بشخصٍ حاز كل أشكال الثروة، والغنى، والشرف ألفي عام (أي ضعف الألف المضروب بها المثل)—ثم مات دون أن يختبر طعم السعادة الحقيقية قط؛ ألا يعود الجميع في نهاية المطاف إلى المكان ذاته: التراب؟ وعليه، ففي نظر الملك سليمان، يُعد هذا الأمر أيضاً شراً فادحاً وعبئاً ثقيلاً يزرع تحتة الجنس البشري.

أذكر مرةً كنتُ فيها أرتل الترنيمة رقم 363، وعنوانها "كل تجاربي وأعبائي الثقيلة"، في الكنيسة، حينها ذكر لي أحد المصلين أنه كلما رتل تلك الترنيمة تحديداً، انتابه شعورٌ بالثقل أو اليأس. في الواقع، إن أحد الأسباب التي تدفعني شخصياً لترنيم "الترنيمة رقم 363 هو أنني، حينما يشعر قلبي بالإعياء والثقل، أرغب في أن أضع كل ذلك بين يدي الرب يسوع. ولهذا السبب، كثيراً ما أترنم "363 بهذه الترنيمة:

،حين أضع كل تجاربي وأعبائي الثقيلة أمام الرب يسوع" (المقطع الأول)
 ينظر إليّ في ضيقي ويحمل كل همومي على عاتقه.
 ،حين أضع كل أحزاني ومصائب المحقة أمام الرب يسوع (المقطع الثاني)
 يُنقذني الرب بنفسه ويغمرني بمحبته التي لا حدود لها
 ،حين يزداد عبئي ثقلًا، فأضعه أمام الرب يسوع (المقطع الثالث)
 يُنقذني الرب بنفسه ويحمل العبء بدلاً مني
 ،حين أضع تجارب قلبي وخطاياي الفادحة أمام الرب يسوع (المقطع الرابع)
 يغدو يسوع قوتي ويمنحني القدرة على التغلب على العالم
 —حين أحمل عبئي الثقيل وحيداً، وأنهار عجزاً عن الاحتمال (اللازمة)
 "فالذي يرحمني ويخلصني هو رب النعمة: يسوع وحده

أجد نفسي أركز، ليس على خفة العبء، بل بالأحرى—محددًا بالرب الذي يحمل أعبائي الثقيلة ومعتمدًا عليه—وبينما أفعل ذلك على العبء ذاته الذي أسعى لوضعه أمام الرب؛ ونتيجة لذلك، كثيراً ما تمر عليّ أوقات يظل فيها قلبي مثقلًا حتى بعد أن أكون قد، انتهيت من الترنيم. ولهذا السبب بالتحديد، كثيراً ما شعرت بثقل في قلبي وبدا صوتي متعباً حتى أثناء ترنيم هذه الترنيمة. ومع ذلك كنت مستلقياً في غرفتي قرابة—أثناء زيارتي لأحد حقول الخدمة التبشيرية حيث كان يخدم قسٌّ أول—فقبل نحو ثلاث سنوات الساعة الرابعة فجراً، وأنا أوشك على الاستغراق في النوم، حين سمعت ذلك القس الأول يترنم بهذه الترنيمة ذاتها خلال خدمة صلاة الصباح، بصحبة مجموعة من ذوي الاحتياجات الخاصة وأحد الشماسية. وكما أذكر، كانت هناك قوةٌ مميزةٌ تنبعث من صوت القس، ترنيمٌ لم يُشعر فيها بأدنى أثرٍ لقلبٍ مثقلٍ بالهموم. وبينما أتأمل في ذلك الآن—وهو يترنم؛ لقد كانت ترنيمة تسبيحٍ مفعمةٍ بالحياة يتبادر إلى ذهني هذا التساؤل: كيف أمكن لهذا التسبيح القوي أن يتحقق؟ أعتقد أن السبب في ذلك يكمن في أن راعينا الأول قد استجاب وأودع عبئه بأكمله لدى الرب؛ وبذلك، إذ وجد راحةً—الذي يدعو إليه جميع المتعبين والثقيلي الأحمال—بتواضع لدعوة يسوع لنفسه، غدا قادراً على أن يرى حتى تلك الأعباء الثقيلة التي أوكلها إليه الرب وكأنها أعباءٌ خفيفة. ويحدوني الأمل أن نتمكن، من خلال فقرة الكتاب المقدس لهذا اليوم، من استيعاب الرسالة التي يرغب الله في أن يبلغنا إياها. وعلاوة على ذلك، وفيما نشهد علل فإنني أصلي لكي نأتي أمام الرب، ونضع تلك—وإذا ما وجدنا أننا نحن أيضاً نحمل أعباءً ثقيلة—هذا العالم التي تنقل كاهل قلوبنا. الأعباء جميعها بتواضع عند قدميه، فننال بذلك راحةً لنفوسنا لا يهبها سواه.

أعباء هذا العالم الثقيلة

لِذَلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ، وَسَأُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ نِيرِ الْمِصْرِيِّينَ. وَسَأُحَرِّرُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ لَهُمْ»
وَأَفْدِيَكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ. وَسَأَتَّخِذُكُمْ شَعْبًا لِي خَاصًّا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا. وَحِينَئِذٍ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا
الرَّبُّ إِلَهُكُمْ الَّذِي أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ تَحْتِ نِيرِ الْمِصْرِيِّينَ» (خروج 6: 6-7)

حينما تزداد أعبائي ثقلًا، وأطرحها أمام الرب يسوع، يأتي هو بنفسه لنجدتي ويحمل العبء بدلًا مني. (اللازمة) وحين أحمل أعباء»
فإن ذاك الذي يترأف ويجلب الخلاص هو رب النعمة: يسوع وحده» (ترنيمة—ثقيلة وحيداً وأنهار، عاجزاً عن الاحتمال أكثر
المقدس—المقطع الأول واللازمة). إن كل ما يمكن لهذا العالم أن يقدمه لنا هو الكد والأسى (مزمو 90: 10). إن هذا العالم، 363
يعذب قلوبنا ولا يضع على أكتافنا سوى الأعباء الثقيلة. ومع ذلك، فإن ما يتقل كواهلنا—بالمهوم، والمصاعب، والخطايا، والفناء
أكثر من العالم ذاته هو الكنيسة المتشبهة بالعالم. يشعر قلبي بثقلٍ خاصٍ حين أشهد وأسمع عن التصرفات الخاطئة التي تحدث داخل
الكنيسة في هذه الأيام الحاضرة. إن قلبي لثقلٌ حقاً حين تطفو على السطح وتُكشف شتى الأعمال الخاطئة بين زملائي الأحباء في
قد أصبحنا متأثرين—وكنائسنا—الخدمة، وداخل الكنائس التي يخدمون فيها، وداخل بيوت أبناء الرعية. إن قلبي مثقلٌ بإدراك أننا
—وأدون كتاباً—بالعلمانية إلى حدٍ بعيد. ولقد امتلأتُ بالأسى. وفي خضم هذا الثقل في القلب والأسى، أعود مرةً أخرى لأتأمل في
الذي—النص الوارد في سفر الخروج 6: 6-7، والذي كنت قد تأملت فيه ووعظت به خلال صلاة الصباح الباكر لهذا اليوم. إن الله
قد رأى رؤيةً مذلّةً شعبي الذي في مصر، وسمع صراخهم من أجل مسخريهم، لأنني علمت بمتاعبهم" (خروج 3: 7)، والذي شهد"
أيضاً الإساءات التي عذب بها المصريون شعب إسرائيل (الآية 9)—دعا موسى (الآية 4)، وأقنعه (3: 11 - 4: 17)، وأرسله إلى
فرعون، ملك مصر. وفي ذلك الوقت، قال الله لموسى وهارون: "أذهبوا إلى فرعون وقولوا له: 'هكذا يقول الرب إله إسرائيل: أطلق
شعبي ليعبّدوا لي في البرية'" (5: 1). ولدى سماع هذه الكلمات، أجاب فرعون، ملك مصر، قائلاً: "من هو الرب حتى أطيع صوته
الذي عصى الله كاشفاً في—لأطلق إسرائيل؟ أنا لا أعرف الرب، ولن أطلق إسرائيل" (الآية 2). وبينما أتأمل في شخصية فرعون

الوقت ذاته عن جهله حين سأل: "من هو الرب؟"—يحضرني ذكر موسى، الذي أبدى هو الآخر علامات للعصيان حين سأل الله من أنا؟" (4: 11). وفي نهاية المطاف، وكما لاحظ جون كالفن، فإننا نتوصل إلى معرفة أنفسنا من خلال معرفة الله، ونتوصل إلى معرفة الله من خلال معرفة أنفسنا؛ وهكذا أدرك أنه إذا افتقرنا إلى معرفة أيٍّ من أنفسنا أو الله، فإننا محتوم علينا لا محالة أن نعصي كلمة الله. إن الملك فرعون، الذي لم يكن يعرف الله، لم يكتف بعصيان أمر الله برفضه إطلاق سراح شعب إسرائيل فحسب، بل قام ظناً منه أن بني إسرائيل يتكاسلون وحسب حين قالوا: "دعونا نذهب ونقدم ذبيحة لإلهنا" (5: 8، 17)—بزيادة عبء—أيضاً السخرة المفروضة عليهم، مما جعل كدّهم وعملهم أشد قسوة وعناءً (الآية 9). وكان هدفه من وراء ذلك هو منع شعب إسرائيل من الإصغاء إلى ما اعتبره "كذبة" نطق بها موسى وهارون، وهي القول: "دعونا نذهب ونقدم ذبيحة لإلهنا" (الآية 9). ونتيجة لذلك أصيب شعب إسرائيل بالإحباط واليأس جراء عبديتهم الثقيلة (6: 9)، وتذمروا على موسى وهارون (5: 21). ما إن سمع موسى أصوات شكواهم، حتى وقف أمام الله وصرخ قائلاً: «يا رب، لماذا جلبت كل هذا السوء على هذا الشعب؟ ولماذا أرسلتني؟ فمذُ جئتُ إلى فرعون لأتكلّم باسمك، ازداد سوء معاملته لهذا الشعب، وأنت لم تُخلّص شعبك على الإطلاق» (الآيتان 23-24). فبعد أن أرسله الله، وتحدث بطاعةٍ إلى فرعون باسم الرب، شهد موسى فرعون وهو يصبُّ قسوةً أشدَّ على بني إسرائيل؛ ورؤيته لهذا المشهد دفعته إلى الاستنتاج قائلاً: «أنت لم تُخلّص شعبك على الإطلاق» (الآية 24). وفي تلك اللحظة، ذكّر إله العهد موسى بوعده بتخليص سفر الخروج 6: 6-7. ويكمن جوهر تلك الرسالة في وعد الله—شعب إسرائيل (6: 1-5)، ثم نطق بالكلمات الواردة في نص اليوم أي أنه سيُخلّص ذرية إسرائيل من «تحت أثقال المصريين». لقد كانت خطة الله للخلاص تهدف إلى إنقاذ شعب إسرائيل—بالخلاص من تحت الأثقال الثقيلة التي فرضها عليهم المصريون، وقيادتهم إلى أرض كنعان—تلك الأرض التي أقسم أن يهبها لأبائهم: إبراهيم وأن يمنحهم تلك الأرض ميراثاً لهم (الآية 8). وقد قام موسى، طاعةً لأمر الله، بنقل خطة الخلاص الإلهية هذه—إسحاق ويعقوب إلى شعب إسرائيل؛ غير أنهم، نظراً لانكسار أرواحهم والشدة القاسية لظروفهم، لم يُصغروا إليه (الآية 9). وفي نهاية المطاف، ولأن تلك الكلمات بعينها—أرواحهم كانت قد سُحقت تحت وطأة أثقال مصر الثقيلة، عجز شعب إسرائيل عن سماع وعد الله بالخلاص: «سأُخلّصكم من تحت أثقال المصريين».

كيف هو حالك أنت؟ هل تسمع وعد الله بالخلاص بأذان قلبك؟ أم أن روحك قد انكسرت بشدة تحت وطأة أثقال هذا العالم، حتى غدت عاجزاً عن سماع صوت الله المنادي بالخلاص؟ إن إلهنا هو، بلا أدنى شك، إلهٌ يُخلّص؛ فلماذا إذن لا تتجذب قلوبنا ولا تقتنع بوعوده تماماً كما فعل فرعون في قديم—بالخلاص؟ إن السبب يكمن في الأثقال الثقيلة التي يفرضها علينا هذا العالم. من خلال عبيده يعمل الشيطان على جعل كدنا وعناءنا في هذا العالم أثقل فائقل. ونتيجة لذلك، يسعى الشيطان إلى منعنا من الصعود إلى—الزمان بيت الله في يوم الرب لتقديم العبادة له. فهو يبثّ فينا روح الكسل، حائلاً بذلك بيننا وبين الذهاب إلى بيت الرب للعبادة. ومن خلال دفعنا إلى الاجتهاد والانشغال بشؤون العالم، يتسبب الشيطان في إهمالنا لعبادة الله. وعلاوة على ذلك، لا ينفك الشيطان يوسوس بالأكاذيب في أذاننا، زاعماً أن كلمة الله الحق هي كلمة باطلة، وبذلك يعيقنا عن تقديم تلك العبادة لله التي هي، في جوهرها، الغاية

القصى من خلاصنا. وفي نهاية المطاف، يُحْمِلُنَا الشيطان الأعباء الثقيلة لهذا العالم، فيجرح بذلك قلوبنا ويحول دون سماعنا لكلمة ذلك الإله عينه الذي يُخَلِّصُنَا (ويُنْتِشِلُنَا) من تحت وطأة الأعباء الثقيلة—الله. فماذا عسانا أن نفعل إذن؟ علينا أن نقترّب من الله بإيمان لهذا العالم (6: 6-7). وإذ نقترّب منه بإيمان، يجب علينا أن نضع قلوبنا المجروحة أمام الرب في الصلاة؛ فإله، بكل تأكيد، هو ذاك الذي يرى معاناتنا حقاً، ويعلم ضيقنا، ويسمع أنات قلوبنا المنكسرة؛ ولذلك، فإنه سيسمع صرخاتنا ويستجيب لنا (3: 7، 9). وسينزل الله (الآية 8) لِيُخَلِّصُنَا. وأصلي أن يحلّ هذا الخلاص وهذه النعمة من الله عليّ وعليكم جميعاً.

«نَعَالُوا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعٌ الْقَلْبِ»
«فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لِأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَجَمَلِي خَفِيفٌ» (متى 11: 28-30)

عبء ثقيل أثقل من أن يُحمل وحيداً

فقال موسى للرب: «لماذا أسأت إلى عبدك؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى أنك وضعت عبء كل هؤلاء»
الناس عليّ؟» (سفر العدد 11: 11)

أيها الأصدقاء، أرجو منكم أن تتوقفوا لحظةً لتحديد أيٍّ من الأعراض المدرجة أدناه، والتي استمرت بشكلٍ متواصلٍ لمدةٍ أسبوعين أو أكثر: (1) مشاعرٌ مستمرةٌ من الاكتئاب، أو القلق، أو الفراغ؛ (2) فقدانُ الحافزِ أو الاهتمامِ بالأنشطةِ والهواياتِ التي كانت ممتعةً بما في ذلك الحياة الجنسية للشخص؛ (3) مشاعرُ اليأسِ أو الأفكارُ التشاؤمية؛ (4) مشاعرُ الذنب، أو عدم القيمة، أو—في السابق العجز؛ (5) الأرق، أو الاستيقاظُ مبكراً جداً في الصباح، أو النومُ المفرط؛ (6) فقدانُ الشهيةِ أو خسارةُ الوزن؛ أو الإفراطُ في تناول الطعامِ أو زيادةُ الوزن؛ (7) شعورٌ بانخفاضِ الطاقة، أو الإرهاق، أو الخمولُ الجسدي؛ (8) أفكارٌ حول الموتِ أو الانتحار، أو محاولةُ الانتحار؛ (9) التملُّمُ أو سرعةُ الانفعال؛ (10) صعوبةُ التركيزِ أو تذكرُ الأشياء، ومتاعبٌ في اتخاذِ القرارات؛ (11) عللٌ جسديةٌ مثل الصداع، أو اضطراباتِ الجهاز الهضمي، أو الآلام المزمنة؛ (12) أعراضٌ جسديةٌ مستمرةٌ لا تستجيبُ بشكلٍ جيدٍ للعلاج. إنَّ قائمةَ التحققِ هذه هي، في الواقع، أداةٌ للفحصِ الأوليِّ لأعراضِ الاكتئاب. ووفقاً لمصادرٍ عبر الإنترنت، إذا انطبقت عليك اثنتان أو أكثر من النقاط الواردة في القائمة أعلاه، فهذا يشيرُ إلى أعراضِ اكتئابٍ في مراحله المبكرة؛ أما إذا انطبقت عليك خمسُ نقاطٍ أو أكثر، فهذا يدلُّ على أعراضِ اكتئابٍ حاد. وبعدَ قراءةِ هذا المقالِ وإجراءِ بعضِ التأملِ الذاتي، نشرثُ ما يلي على صفحتي الشخصية على فيسبوك: "سؤالُ النقاشِ لهذا اليوم على فيسبوك: الاكتئاب؟". لقد نشرثُ تدوينَةً على فيسبوك أملاً في الدخولِ في نقاشٍ مع أصدقائي حولِ الاكتئاب، فتركتُ إحدى الأخواتِ التعليقَ التالي: "أعتقدُ أنني قد أكونُ مصابةً بالاكتئاب في الوقتِ لم يعد يبدو لي هبةً بقدر ما يبدو عبئاً—وكلُّ ما مُنحتُ إياه—الراهن. فكلُّ من جسدي وعقلي مُرهقان للغاية، لدرجة أن كلَّ ما أملك عن ذلك الأملِ في عودةِ الربِّ الذي قد يحمله مؤمنٌ—بطريقةٍ ما—ثقيلاً. إنني فقط أتمنى لو يأتي الربُّ سريعاً. إنه شعورٌ مختلفٌ يتمتعُ بصحةٍ جيدة". بينما كنت أقرأ هذا التعليق، وجدتُ نفسي عاجزاً عن معارضةِ الشعور القائل بأن "كل ما يملكه المرء يتحول ربما—إلى عبء بدلاً من أن يكون هبة". وكلما تعمقتُ في التفكير في هذا الأمر، ازداد تساؤلي: بصفتي ربِّ أسرتي، هل يعقلُ أنني أنظر إلى زوجتي وأبنائي الأحباء باعتبارهم أعباءً لا هبات؟ وعلاوة على ذلك، وبصفتي الراعي الأول لكنيسة—دون أن أدري

سألت نفسي عما إذا كنت أنظر إلى القطيع الذي ائتمني الله عليه باعتباره عبناً—الرعية التي أخدمها—سونغري" المشيخية" ثقيلًا، بدلاً من كونه هبةً كريمةً أنعم بها عليّ. إنني أعلم، يقيناً ودون أدنى شك، أن زوجتي وأبنائي وأعضاء كنيسة "سونغري" هم في الحقيقة هباتٌ كريمةٌ من الله؛ ومع ذلك، لا بد لي أن أعترف بأنه قد مرت عليّ أوقاتٌ شعرتُ فيها بأن أفراد عائلتي الأحباء يشكلون عبناً عليّ. كما أعترف بأن السبب الرئيسي وراء إدراكي لهم كعبءٍ ثقيلٍ لم—سواء في المنزل أو في الكنيسة—هؤلاء —عائلتي ورعيتي—يكن يكمن فيهم هم، بل في شخصي أنا. وبعبارة أخرى، أظن أنني صرْتُ أنظر إلى هذه الهبات الثمينة من الله، باعتبارها أعباءً لا هبات، وذلك لأنني شعرتُ بخيبة أملٍ وإحباطٍ شديدين إزاء عجزٍ عن الوفاء بمسؤولياتي على النحو اللائق بصفتي قائداً لكلتا عائلتي: العائلة الجسدية والعائلة الروحية. ونتيجةً لذلك، جاءت عليّ فترةٌ بكيتُ فيها بكاءً مُراً، وقلبي ينوءُ بثقل المشاعر، بينما كنتُ أرثُلُ الترنيمة رقم 363 بعنوان: "كل تجاربي وأعبائي الثقيلة". وأتذكرُ بصفةٍ خاصةٍ ترتيلَ لازمةٍ تلك الترنيمة بقلبٍ يفيضُ بمشاعرٍ عميقةٍ وامتنانٍ عارم، قائلةً: "حين أحملُ أعبائي الثقيلة وحيداً، وحين أعجزُ عن الاحتمالِ وأنهارُ من شدة "فإن ذاك الذي يفيضُ رحمةً ويجلبُ الخلاص هو ربُّ النعمة: يسوع وحده—الإرهاق

سفر العدد 11: 11—نرى موسى وهو في حالةٍ من الضيق والهَمِّ، لأنه لم يعد—وفي فقرة الكتاب المقدس المخصصة لهذا اليوم قادراً على حمل عبئه الثقيل بمفرده. فصرخَ إلى الله متسائلاً: "لماذا جلبتَ المتاعبَ على عبدك؟ ولماذا لم أحظُ بنعمةٍ في عينيك، حتى ذلك الحشدُ الهائلُ الذي بلغ—أنك ألقيتَ عليّ عبءَ كلِّ هؤلاء الناس؟" (الآية 11). وبدلاً من أن ينظر موسى إلى شعب إسرائيل باعتبارهم هبةً، فقد أدركهم كعبءٍ ثقيلٍ (الآية 21). لماذا اعتبر موسى ذلك الحشد الهائل من—عدده 600,000 رجلٍ من المشاة بني إسرائيل عبناً ثقيلًا؟ لقد كمن السبب الجذري في حقيقة أن الغرباء الرعاع الذين كانوا يعيشون في وسط بني إسرائيل قد استسلموا للّجش؛ ونتيجةً لذلك، شرع بنو إسرائيل أنفسهم في البكاء مجدداً، شاكين: "مَنْ يُطعمنا لحماً؟" (الآية 4). وقد انتاب موسى حزن تبكي عند مدخل خيامها (الآية 10). هل يمكنك تخيل ذلك؟ دعني—كل عائلة منها—عميق حين سمع جماعة إسرائيل بأسرها وبينما كانت زوجتي بلا شك—أتحدث من واقع تجربتي الشخصية: حين كان أطفالنا الثلاثة رُضّعاً، وكانوا يتناوبون على البكاء. وجدتُ أنا أيضاً أن صوت بكاء ثلاثة رُضّع لم يكن أمراً مستساغاً على الإطلاق—هي مَنْ يتحمل العبء الأكبر من هذا العناء ذلك الحشد الذي يضم 600,000—والآن، تأمل في حال موسى: لو كان مضطراً للاستماع إلى صوت جماعة إسرائيل بأكملها: وهم سيكون عند مداخل خيامهم (الآية 10)، فكم كان قلبه لا بد وأنه قد ثقل واعتصره العذاب! وهكذا قال موسى لله—رجل ماشٍ لماذا أسأتِ إلى عبدك؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك، حتى أنك وضعتِ عبء كل هؤلاء الناس عليّ؟" (الآية 11). لقد أفرغ موسى" ما في قلبه المعذب أمام الله، معترفاً بأن ثقل مسؤوليته كان هائلاً لدرجة أنه لم يعد بمقدوره تحمل عبء كل هؤلاء الناس بمفرده. لقد

سكب روحه أمام الله، مقرأ بأنه لم يعد قادراً على تدبير شؤون بني إسرائيل الذين لا يُحصى عددهم، معتمداً على نفسه فحسب. ونتيجة لذلك، ذهب إلى حد التوسل إلى الله قائلاً: "إن كنت ستعاملني على هذا النحو، فإني أتوسل إليك، امنحني هذه النعمة: أمتني في الحال بشكل—لكي لا أضطر إلى مشاهدة بؤسي وشقائي" (الآية 15). لقد توسل موسى إلى الله لكي يأذن له بالموت. ألا يشبه هذا المشهد وحين ننهار تحت—حال شخص يعاني من الاكتئاب ويحاول الانتحار؟ حين تُسحق قلوبنا تحت وطأة الأعباء الثقيلة—أو بأخر لا يتبقى لنا خيار سوى الاستسلام في يأس مطبق. وفي مثل تلك—ضغط ذلك السحق لأننا لم نعد قادرين على حمل العبء بمفردنا الأوقات، نفقد في آن واحد قدرتنا على الثقة بالله، وتستهلكنا مشاعر القلق وسط دوامة من الشكوك وعدم الإيمان. يبدو أن موسى الذين بكوا وتذمروا بدافع من جشعهم، سائلين: "من—أيضاً كان قد بدأ يشك في قدرة الله. فعندما سمع الله أصوات بني إسرائيل يُطعمُنَا لحمًا؟" (الآية 4)—وأعلن أنه سيمدهم باللحم طوال شهر كامل، حتى يصلوا إلى حد كراهية رائحته ذاتها (الآية 20)، رد موسى على الله بهذه الكلمات: "...الشعب الذي أنا في وسطه يبلغ عدده ستمئة ألف رجل ماشٍ، ومع ذلك تقول أنت: 'سأعطيهم لحماً ليأكلوا شهراً كاملاً. وهل لو دُبحت لهم الأغنام والأبقار لكان ذلك كافياً؟ أم لو جُمعت لهم كل أسماك البحر لكان ذلك كافياً؟'" (الآيتان ومن منظور موسى، أعتقد أن هذا كان سؤالاً مفهوماً تماماً أن يطرحه على الله؛ ففي البرية، كيف يمكن للمرء أن يدبر ما (21-22) يكفي من اللحم لإطعام 600,000 شخص ماشٍ لمدة شهر كامل؟ وكما أشار موسى، حتى لو "دُبحت الأغنام والأبقار" من أجل هذا وهل كانت هناك أصلاً أي أغنام أو أبقار يمكن العثور عليها في البرية؟ علاوة—الحشد الهائل من بني إسرائيل، لما كان ذلك كافياً: على ذلك، وبما أن البرية ليست هي البحر، فكيف يمكن للمرء أن يجمع "كل أسماك البحر"؟ في تلك اللحظة، خاطب الله موسى قائلاً: أَقْصَرْتُ ذِرَاعَ الرَّبِّ؟ الآن ستري ما إذا كان كلامي سيتحقق لك أم لا" (الآية 23). وفي نهاية المطاف، وكما كان قد وعد موسى "مُمْكِنًا—من الشيوخ والقادة الجديرين بقيادة الشعب—تماماً، أخذ الله الروح الذي كان مستقراً على موسى ووضعه على سبعين رجلاً إياهم من مشاركة موسى عبء الشعب، لكي لا يضطر بعد ذلك إلى تحمله بمفرده (الآيات 16-17، 25). ووفاءً بكلمته، زوّد الله حتى وصلوا إلى حد كراهية رائحته ذاتها (الآيات 31-33). فهل قصرت ذراع الله حقاً؟—بني إسرائيل باللحم ليأكلوه شهراً كاملاً يحضرني هنا ما ورد في سفر إشعياء (59: 1-2): "هُوَ ذَا يَدُ الرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنِ الْخَلَّاصِ، وَلَمْ تَقُلْ أَدْنُهُ عَنِ السَّمْعِ. بَلْ أَثَامُكُمْ قَدْ فَصَلَتْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلَهُكُمْ، وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ". إنها آثامنا هي التي أحدثت هذا الانفصال بيننا وبين إلهاً فما هي آثامنا إذن؟ إنها بالتحديد تلك الشكاوى والمشاعر السلبية -النابعة من عدم الرضا- التي نضمرها تجاه الله وتجاه عباده. وما الذي يشكل جوهر إثمنا؟ إنه افتقارنا إلى الثقة بالله، فضلاً عن عصياننا لوصاياه. وفي نهاية المطاف، فإن عدم رضانا، وشكوانا وانعدام ثقتنا، وعصياننا لا تتسبب فحسب في غرقنا في حالة من الكآبة الروحية، بل إنها تجر قادتنا الروحيين معها إلى تلك الحالة ذاتها من الجمود الروحي. ومن الأسباب الجوهرية لذلك أننا اختلطنا بأهل العالم، وبفعلنا هذا، صرنا نضمّر في أنفسنا ذات الجشع والطمع الذي يستحوذ عليهم (الآية 4). وعلينا أن نستوعب بقلوبنا تلك الحقيقة القائلة: "ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبَلَتْ تُؤَلِّدُ حَظِيَّةً، وَالْحَظِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا" (يعقوب 1: 15). وفي الختام، فإن أولئك الذين استسلموا لمثل هذا الجشع قد دُفِنوا في مكان سُمِّي "قُبُورَ

الشَّهْوَة" (الآية 34)؛ إذ "إِذْ كَانَ اللَّحْمُ بَعْدُ بَيْنَ أَسْنَانِهِمْ لَمْ يَنْقَطِعْ، حَتَّى حَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى الشَّعْبِ وَضَرْبُهُمْ ضَرْبَةً عَظِيمَةً جَدًّا" (سفر العدد 11: 33).

ويواصل يسوع توجيه دعوته إليك قائلاً: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (متى 11: 28). إن ربنا هو إله الخلاص؛ ذاك الذي ينفقنا من الأعباء الثقيلة لهذا العالم، تماماً كما أنقذ في سالف الأزمان شعب إسرائيل من الأعباء الساحقة التي فرضها عليهم المصريون (خروج 6: 6-7). وعلى وجه الخصوص، فإن ربنا هو الإله الذي يخلصنا من العبء الثقيل لخطايانا الإله الذي هو خلاصنا (مزمور 68: 19). ولذلك، فلنلقِ جميعاً كل—علاوةً على ذلك، فإن ربنا هو الذي يحمل أعباءنا كل يوم: أعبائنا على الرب (1 بطرس 5: 7). فالرب، الذي يخلصنا ويعتني بنا، سيحمل عنا أعباءنا الثقيلة، مانحاً إيانا الراحة (متى 11: 28) وسيهب ربنا الراحة لنفوسنا (الآية 29). كما سينعش ربنا نفوسنا المُعْيَاة (مزمور 19: 7). إن الرب هو قوتنا (إرميا 16: 28). ولهذا، سنعلن هذا الاعتراف قائلين: "أحبك يا رب، يا قوتي" (مزمور 18: 1). (19).

قلبٌ موحش

[المزمور ١٤٣]

من بين أبناء عمومتي، لي ابن عم أصغر مني سنًا، كان في طفولته يخشى خوفًا شديدًا الغرف المظلمة حالكة السواد. وبقدر ما، وتحديدًا—تسعفني الذاكرة، كان سبب خوفه من تلك الأماكن المظلمة يكمن في أنه، أثناء نشأته، كلما عصى والديه، كان والده يؤدبه بوضعه داخل غرفة مظلمة. ونتيجة لذلك، وحين كان في المرحلة الإعدادية، ذهبت مجموعة الشباب في كنيسة في خلوة روحية إلى أحد مراكز الصلاة؛ ولأنه رفض مرارًا وتكرارًا الاستماع إلى مساعد الراعي، قام الراعي بوضعه بمفرده في منطقة مظلمة الذي كان آنذاك مرعوبًا—كشكلٍ من أشكال التأديب. لقد كانت تلك طريقة الراعي في تأديبه. أما السبب الذي جعل ابن العم هذا يخطر ببالي بينما كنت أتأمل في النص الكتابي لهذا اليوم، أي المزمور ١٤٣، فيكمن في الآية—للغاية من الغرف والأماكن المظلمة "الرابعة، حيث يعلن المرنم داود قائلًا: "قلبي موحشٌ في داخلي". ووفقًا للقاموس الكوري، فإن الكلمة التي تُرجمت هنا بـ "موحش تحمل معاني: (أ) "كئيب للغاية" أو (ب) "مروع". كما يذهب أحد قواميس الأحرف الصينية إلى تعريفها بشكل (*chamdām*) "أعمق بأنها تعني: (أ) "خافت، ومظلم، ووحيد"، أو (ب) "مروع وكئيب"، أو (ج) (فيما يتعلق بموقف أو حالة ما) "بائس ويائس (مصادر إنترنت). وحين يصف داود قلبه بأنه "موحش" في نص اليوم، فإن المصطلح العبري الأصلي يحمل دلالة أعمق: إذ يشير، وهو خوفٌ عميق نابغٌ من الحلول الوشيك لكارثة (أو مصيبة) عظيمة—إلى أنه، بسبب خطاياه هو، قد تملكه رعبٌ يجعله يرتعد المزمور ١٤٣—في وقتٍ وجد فيه نفسه، بعد أن—كان يدرك أنها تمثل قضاء الله ودينونته. وبعبارة أخرى، كتب داود نص اليوم واجه كارثةً عظيمةً جراء خطيئته، وسط ظروفٍ مظلمة وموحشة حقًا؛ فقد كانت روحه مجروحةً في أعماقها، وكان قلبه محطماً تمامًا.

وبالنظر إلى الآية الرابعة من نص اليوم، المزمور ١٤٣، يصف المرنم داود حالته بهذه الكلمات: "لذلك أغمي على روحي في داخلي؛ وقلبي في داخلي موحش". باختصار، كانت حالة داود تتسم بـ "روحٍ مجروحة" أو "قلبٍ موحش". فقد سبق لداود أن صرّح المزمور 143: 4—ظلت روحه—في المزمور 142: 3 قائلًا: "قد أغمي على روحي في داخلي"؛ وبالمثل، في نص اليوم مجروحةً في أعماق كيانه. وهذا يعني أن داود كان يعيش حالةً من وحشة القلب المطلقة. ثرى، لماذا كانت روح داود مجروحةً إلى

هذا الحد العميق؟ ولماذا كان قلبه موحشاً كل هذا القدر؟ يكشف داود عن السبب في الآية الثالثة من نص اليوم، حيث يقول: "لأن العدو قد اضطهد نفسي؛ وسحق حياتي إلى الأرض؛ وأسكنني في ظلمات، مثل الذين ماتوا منذ زمن بعيد". إن السبب وراء جرح روح داود ووحشة قلبه يكمن في أن عدوه كان يضطهده. وفي هذا السياق، يبدو أن عدو داود هو ابنه نفسه، أبشالوم. ويمكننا استنتاج يحمل العبارة التالية: "عندما كان ابنه أبشالوم يطارده—في بعض مخطوطات الترجمة السبعينية—ذلك لأن عنوان هذا المزمور المزمور—لكي يقبض عليه" (بارك يون-سون). فبينما كان الملك شاول هو من اضطهد داود في المزمور 142، نجد في فقرة اليوم سواء—أن الشخص الذي يضطهد داود ويسعى لقتله هو ابنه نفسه، أبشالوم. وبالنظر إلى هذا الأمر، ندرك أن حياة داود—143 قد اتسمت حقاً بالمعاناة والاضطهاد، مما جرح روحه وترك قلبه في حالةٍ من الوحشة المطلقة—قبل أن يصبح ملكاً أو بعد ذلك ومع ذلك، ثمة فارقٌ جوهري واحد: فعندما كان داود يُضطهد على يد الملك شاول، لم يكن ذلك تأديباً إلهياً أرسله الله رداً على خطيئةٍ محددةٍ كان داود قد ارتكبها في حقه؛ بل على العكس من ذلك، كان الاضطهاد الذي واجهه من أبشالوم في فقرة اليوم نتيجةً مباشرةً الخاتمة ضمن سلسلة "مزامير التوبة" السبعة (وهي—لخطيئة داود هو نفسه. ولهذا السبب، يُعتبر المزمور 143—نص اليوم المزامير: 6، 32، 38، 51، 102، 130، و143) (بارك يون-سون). كان داود يدرك إدراكاً حاداً أن الاضطهاد الذي كان يكابده إنما ينبع من خطيئته هو ذاته. وقد جعل هذا الإدراك قلبه يثقل أكثر فأكثر —وبالتالي، مصدر روحه الجريحة وقلبه الموحش— بالأسى والكرب واليأس. وفي مثل هذا الموقف، كم كان لا بد أن يكون شعوره بالشقاء مريعاً حقاً حين أدرك أن الشخص ذاته الذي يسعى لانتزاع حياته ليس سوى ابنه، أبشالوم! هل يمكنك حتى تخيل هول الموقف حين يتبين لك أن العدو الذي يضطهدك ويسعى وهو يفر ناجياً—للإحاق الأذى بحياتك هو من صلبك ودمك؟ وبينما نحاول أن نضع أنفسنا مكان داود، أجدي تصور داود—الأب بحياته، مطارداً من قِبَل ولده. هل يمكن أن يوجد موقف أكثر شقاءً أو يأساً من هذا؟ وفي خضم هذا المأزق العصيب، يصف داود نفسه بأنه ساكن في الظلمات—كشخص مات منذ زمن بعيد (مزمور 143: 3). وفي مثل هذا الموقف اليائس والمؤلم والعصيب: حقاً، ماذا فعل داود؟ مستمدين استنتاجاتنا بشكل أساسي من نص اليوم—المزمور 143—يمكننا النظر في هذا الأمر من زاويتين أولاً: تذكر داود الأعمال التي أنجزها الرب في الماضي.

أرجو منكم النظر إلى الآية الخامسة من نص اليوم، المزمور 143: "تَذَكَّرْتُ الْيَّامَ الْقَدِيمَةَ، وَتَأَمَّلْتُ فِي كُلِّ أَعْمَالِكَ، وَتَفَكَّرْتُ فِي صَنَائِعِ يَدَيْكَ". وبينما واصلت التأمل في المزامير، لاحظتُ غالباً نمطاً مميزاً في صلوات كتبة المزامير. وكان أحد هذه الأنماط هو هذا بالتحديد: تذكر الأعمال التي أنجزها الرب في الماضي، وذلك في خضم الصلاة. وشخصياً، أجدي أنني تدريجياً عادة في الصلاة تشبه تلك التي اتبعها كاتب المزمور؛ وهي النظر إلى الماضي للتأمل في تاريخ الله الخلاصي والنعمة التي أنعم بها. وقبل أن أبدأ التأمل في المزامير، كانت عادتني في النظر إلى الماضي غالباً ما تنصبّ، لا على أعمال الله، بل على مختلف الظروف الصعبة

فضلاً عن أفعالي الخاطئة أنا نفسي. غير أنه من خلال —والذكريات غير السارة— تلك الذكريات الخاطئة الملوثة بالفساد البشري تأملي في المزامير، قام الروح القدس بتحويل بؤرة تركيزي. والآن، حينما يقودني الروح القدس لأسترجع الماضي، فإنه يوجه، وبالتحديد، كيف أنقذني الله وأفاض عليّ من نعمته في تلك الأوقات التي شعرت فيها حقاً بالإعياء، والثقل—انتباهي نحو أعمال الله* والضيق، واليأس. وإن النعمة الممنوحة لي في خضم هذه العملية تُمكنني من تحويل بؤرة تركيزي من *أعمال* الله إلى *جوهر* مما يمنحني القوة لأرفع إليه تضرعاتي بكل جرأة وإيمان—أي صفاته الإلهية—الله ذاته.

المزمور 143: 5—حين وجد داود—على الرغم من أنني لا أستطيع الجزم بيقينٍ مطلق، إلا أنني أعتقد أنه في نصنا لهذا اليوم نفسه في مازقٍ حرجٍ باتت فيه حياته ذاتها مهددةً جراء اضطهاد أبشالوم له، وحين استرجع أيام القدم وتأمل في *كل* ما صنعه الرب، فإنه كان بلا شك يتأمل في نعمة الخلاص الإلهي؛ تلك النعمة ذاتها التي كانت قد أنقذته من اضطهاد الملك شاول قبل أن يتبوأ عرش الملك، وهي الخلفية التي يستند إليها المزمور 142. ومن الأسباب التي تدفعني لتبني هذا الرأي هو أن هذين الحداثين يحملان المزمور 143—فإننا—تشابهاً لافتاً للنظر فيما بينهما. وبعبارةٍ أخرى، وسواءً نظرنا إلى المزمور 142 أو إلى نصنا لهذا اليوم نلاحظ أن روح داود كانت مجروحةً في داخله، وأنه كان يمر بحالةٍ بائسةٍ حقاً؛ وإذ نتأمل في كيفية تكرار مثل هذه الظروف المتشابهة في حياتنا نحن أيضاً، فإنني أعتقد أن هناك عنايةً إلهيةً فاعلةً في الأمر؛ إنها دعوةٌ من الله لنتأمل في نعمة خلاصه التي اختبرناها في الماضي. ومن أبرز الأمثلة التي تبادرت إلى ذهني ما ورد في إنجيل يوحنا 9: 21؛ فبعد أن قام يسوع من بين الأموات وظهر لتلاميذه قائلاً: "يا سمعان بن يونا، أتحبني (أكثر من هؤلاء؟)" (الآيات—ثلاث مراتٍ متتالية—عند بحر طبرية، وجه إلى بطرس سؤالاً و16 و17). لقد حمل ذلك الموقف تشابهاً لافتاً مع تلك الواقعة التي أنكر فيها بطرس يسوع ثلاث مراتٍ من قبل. فكيف لنا أن 15: سواءً حين أنكر بطرس يسوع ثلاث مرات، أو لاحقاً حين سأله يسوع القائم من الأموات—ندرك وجه الشبه هذا؟ في كلتا الحالتين كان هناك "نارٌ (من الفحم)" حاضرةً في المشهد. هل تذكرون ذلك؟ ففيما يتعلق بالواقعة التي أنكر فيها—أتحبني؟" ثلاث مراتٍ، بطرس يسوع ثلاث مرات، سجل الإنجيلي لوقا ما يلي في الإصحاح 22، الآية 55: "وأوقد أناسٌ ناراً في وسط الدار وجلسوا معاً فجلس بطرس في وسطهم". حقاً، حين أشعل يسوع القائم من الأموات ناراً من الفحم، ووضع عليها سمكاً، وأعدّ خبزاً، ثم التفت إلى وسأله ثلاث مرات: "أتحبني؟"، لا بد أن بطرس قد استُعيدت إلى ذاكرته—الذي كان قد صعد إلى الشاطئ مع بقية التلاميذ—بطرس خطيئته الماضية: تلك المرة التي جلس فيها بجوار نارٍ وأنكر فيها يسوع. ومن خلال إعادة تمثيل ذلك المشهد الماضي، سعى يسوع إلى تحرير بطرس من شعوره بالذنب وإسناد رسالةٍ إليه. يا له من حبٍّ مذهلٍ حقاً، ويا لها من عنايةٍ إلهيةٍ! ولذلك، وكما فعل المرنم داود، كلما جُرحت أرواحنا وأفقرت قلوبنا جراء الآلام والشدائد التي نمر بها في حياتنا الحالية، يتحتم علينا أن نستحضر إلى أذهاننا النعمة التي أسبغها الرب علينا في الماضي. وبوجهٍ خاص، ومهما بلغت صعوبة الظروف التي نواجهها الآن، ينبغي علينا أن نتأمل حتى—مستذكرين كيف أنقذنا في الماضي من مواقف كانت أشد قسوةً وعسراً من مواقفنا الراهنة—ونتدبر في نعمة الله المُخلصة

نجد سبباً للاحتفاء بأمانته، حتى في ظل ظروفنا الحالية. إن الإله ذاته الذي سمع صلواتنا، واستجاب لها، وأنقذنا في الماضي، هو بلا شك قادرٌ على إنقاذنا من أي موقفٍ صعبٍ أو عسيرٍ قد نواجهه في هذه اللحظة. وأصلي أن نكون أنا وأنتم من أولئك الذين يمتلكون يقيناً راسخاً بالخلاص الذي يمنحنا إياه—من خلال تذكر أعمال الرب الماضية والتأمل فيها.

رفع داود تضرعه إلى الرب—وأخيراً—ثانياً.

تفضلوا بالنظر إلى النص الكتابي المخصص لهذا اليوم، وهو المزمور 143: 6: "بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَيْكَ؛ نَفْسِي تَغْطِشُ إِلَيْكَ كَأَرْضٍ —وبينما كانت روحه مجروحةً، وقلبه مفعماً باليأس والكرب والوحشة—يَابِسَةً (سلاة)". فوسط الاضطهاد الذي ألحقه به أعداؤه توقفت نفس داود إلى الرب؛ ولذا، بسط يديه وتضرع إليه. وبينما كان داود يتضرع إلى الرب، كان يتوقع أن يستجيب الله لصلواته بسرعةٍ فائقة (الآية 7). تلك كانت شدة إلحاح الموقف الذي يمر به. وقد وصف داود هذه المحنة العصبية بهذه الكلمات: "أَسْرِعْ وَأَجِبْنِي يَا رَبُّ؛ فَقَدْ كَلْتُ رُوحِي! لَا تَحْبُبْ وَجْهَكَ عَنِّي، لِئَلَّا أَصِيرَ كَالَّذِينَ يَنْحَدِرُونَ إِلَى الْقَبْرِ" (الآية 7). هنا، نود أن نتأمل في أربعة جوانب من صلاة داود، وأن ننظر في كيفية تطبيقها على حياتنا الصلاة الخاصة:

بدلاً من الانشغال بالتفكير في عدم أمانته وعدم برِّه الشخصي، اقترب داود من الله متضرعاً، معتمداً بدلاً من ذلك على أمانة (1) الرب وبرِّه.

تأمل في النص الكتابي لهذا اليوم، المزمور 143: 1: "اسْمَعْ صَلَاتِي يَا رَبُّ، وَأَصْنَعْ إِلَيَّ تَضَرُّعَاتِي! أَجِبْنِي بِأَمَانَتِكَ وَبِرِّكَ". عندما خارت روحه في داخله وأصبح قلبه موحشاً، اختار داود ألا يركز على الظروف القاسية التي أحاطت به؛ بل ثبت نظره على الله الذي يدبر ويسود على كل تلك المواقف. وبفعله ذلك، قدّم داود طلباته إلى الله، واضعاً ثقته في أمانة الله (صدقه) وبرِّه. ومن المزمور أي طبيعته الإلهية وصفاته—نتعلم أنه عندما نقف أمام الله في الصلاة، ينبغي أن تكون خطوتنا الأولى هي إعلان من هو الله، 142 وتحدد أمانته—المزمور 143—أن داود يعطي الأولوية مرة أخرى لطبيعة الله الإلهية—وعلاوة على ذلك، نلاحظ في نص اليوم باعتبارها الأساس الذي تبنى عليه صلاته؛ ويُعد هذا درساً قوياً مفاده أن هذا النهج ينبغي أن يصبح عادة راسخة في حياتنا—وبرِّه غالباً ما تكون غريزتنا الطبيعية—وربما ونحن نتحمل تأديب الله لنا نتيجة لخطايانا—الصلاة. عندما نجد أنفسنا في ظروف مؤلمة هي تحويل أنظارنا إلى الداخل، نحو ذاتنا ونحو الصعوبات المباشرة التي نواجهها. فمن السهل جداً أن نقع في دوامة من الشكوى ومع ذلك، فهذا هو بالتحديد ما يجب—وربما قد نفشل حتى في إدراك أن معاناتنا هي نتيجة مباشرة لتجاوزاتنا نحن—والاستياء

علينا تجنبه. بل ينبغي علينا، في مثل هذه الظروف، أن نغتزم الفرصة لفحص ذواتنا في محضر الله. وعلاوة على ذلك، يجب علينا أن ندرك عدم أمانتنا وعدم برّنا نحن. وعندما نفعل ذلك، سنجد أنفسنا مدفوعين للاعتماد على أمانة الله وبرّه.

وفيما كانت روحه منكسرة في داخله وقلبه موحشاً تماماً، تضرع داود إلى الله بالحاح شديد طالباً منه أن يُسمعه كلمة الرب (2)، تأمل في نص اليوم، من المزمور 143: 8: "أَسْمِعْنِي فِي الصَّبَاحِ رَحْمَتَكَ، لِأَنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ؛ عَرَفْتُ الطَّرِيقَ الَّذِي أَسْأَلُكَهَا، لِأَنِّي إِلَيْكَ رَفَعْتُ نَفْسِي". بروح منكسرة وقلب موحش، رفع داود تضرعه، متكللاً على أمانة الله وبرّه. وفي خضم هذا الضيق ابتهل إلى الله طالباً منه أن يُسمعه كلمة الرب المحبة في الصباح. لماذا رغب داود في سماع كلمة الرب المحبة؟ إن السبب الذي دفع إلى تمنّي سماع كلمته المحبة، هو رغبته في أن يسترشد بتلك الكلمة ذاتها. وبعبارة—بينما كان واثقاً بالرب ورافعاً تضرعه—داود: أخرى، سعى داود لسماع كلمة الرب المحبة لأنه أراد أن يتعلم مشيئة الرب وينفذها (الآية 10). ولهذا السبب صلى إلى الله قائلاً: عَرَفْتُ الطَّرِيقَ الَّذِي أَسْأَلُكَهَا" (الآية 8). تمر بنا أوقاتٌ نواجه فيها تأديب الله بسبب خطايانا؛ وفي مثل تلك الأوقات، قد يترك الألم والمعاناة الناجمان عن ذلك التأديب أرواحنا منكسرة وقلوبنا موحشة. وفي تلك اللحظات، يتحتم علينا أن نصلي إلى الله، وأن نتوق بشوقٍ صادقٍ إلى كلمة الرب، تماماً كما فعل داود. وما هو السبب في ذلك؟ السبب هو أننا من خلال كلمة الرب، نتمكن من تمييز الطريق الذي ينبغي علينا سلوكه، ونُمنح القدرة على العودة نحو المسار الذي يرضيه الرب. وحتى إن كنا قد أخطأنا وأذنبنا في حق الله قبل أن نختبر الشدائد، فيجب علينا أن نتكل على أمانة الرب وبرّه ونحن نصلي؛ وعلينا، مسترشدين بكلمته، أن نسلك في طريق الحق والبر الذي يريده هو.

ابتهل داود إلى الله طالباً منه أن يخلصه (3).

تأمل في فقرة اليوم، من المزمور 143: 9: "أُنْفِذْنِي يَا رَبُّ مِنْ أَعْدَائِي؛ فَيْكَ اخْتَمَيْتُ". عندما كانت روح داود منكسرة وقلبه موحشاً وسط اضطهاد أعدائه له، اتخذ من الرب ملجأً له. تماماً كما حدث في المزمور 142—حين كان داود يفرّ من الملك شاول وأدرك إذ لم يتوجه إلى أي إنسان طلباً للمأوى (142: 4)، بل فرّ إلى الرب وحده الذي هو—أنه لا أحد ممن حوله يمكن أن يكون له ملاذاً وتضرع إلى الله لكي—الذي هو ملاذه—ملجؤه (الآية 5)؛ هكذا أيضاً في فقرة اليوم، المزمور 143، التجأ داود واختبأ في الرب ينجيه من أعدائه. تأمل في صلاة داود طلباً للنجاة في المزمور 143: 11: «أَحْيِنِي يَا رَبُّ مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ! بَعْدَ ذَلِكَ أَخْرَجْ مِنَ الضِّيقِ. قادراً على رفع مثل هذه التضرعات إلى الله، هو أن إلهنا هو مخلصنا—ونحن معه، أنت وأنا—نفسياً». إن السبب الذي يجعل داود ولذلك، فإن الله، مخلصنا، يغفر خطايانا وينجيننا حين نتوب عن تعديتنا ونعود أدرجنا إلى الرب.

تضرع داود إلى الله لكي يدين أعداءه (4).

تأمل في فقرة اليوم، المزمور 143: 12: «وَبِرَحْمَتِكَ اسْتَأْصِلْ أَعْدَائِي، وَأَهْلِكَ جَمِيعَ الَّذِينَ يُضَايِقُونَ نَفْسِي؛ لِأَنِّي أَنَا عَبْدُكَ». لقد ابتهل داود إلى الله لكي يستأصل ويهلك جميع الأعداء الذين عذبوا نفسه. وكان داود قادراً على رفع مثل هذا التضرع إلى الله لأنه الذي—كان عبداً للرب. وهذا يعني ضمناً أنه، بما أن داود كان عبداً للرب بينما لم يكن أعداؤه كذلك، فقد رفع التماسه إلى الرب طالباً منه أن يمنحه الخلاص، بينما يُنزل الهلاك بالأشرار. وهكذا ينبغي أن تكون صلواتنا—يذكر عبده المختار ويرعاه بمحبته أولئك الذين ليسوا—نحن أيضاً؛ فانسجماً مع محبة الرب، يجب أن نصلي لكي يخلص عبيده المختارين، بينما يهلك الله أعدائنا عبيداً له ولم يقع عليهم الاختيار. وهكذا، لا بد أن تتجلى محبة الله (محبته الوفية) وعدالته. وبعبارة أخرى، يجب أن يظهر مجد الله أو، في الواقع، من خلال الخلاص الذي يتحقق عبر الدينونة. يحدوني أملٌ صادقٌ بأنه، مهما بلغت—من خلال الخلاص والدينونة سنختبر نعمة خلاص الله، تماماً كما فعل داود صاحب —الظروف التي قد نجد أنفسنا فيها من شدةٍ وقسوةٍ، فإننا —أنا وأنت المزامير؛ وذلك حين نرفع إليه تضرعاتنا، مستذكرين أعمال الخلاص التي أجزاها الرب في الماضي.

عندما تكون مهجوراً لفترة وجيزة ومضطرب الروح

لأنَّ الرَّبَّ قَدْ دَعَاكَ كَامْرَأَةً مَتْرُوكَةً وَمَحْزُونَةً الرُّوحِ، وَكَزَوْجَةٍ صَبَاً إِذْ رُفِضْتَ، قَالَ إِلَهُكَ. لُحِيظَةً تَرَكَتُكَ»
وَبِمَزَاجٍ عَظِيمَةٍ سَاجَمَعُكَ. بِفَيْضَانٍ غَضَبٍ حَبَبْتُ وَجْهِي عَنْكَ لِلْخَطِيئَةِ، وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِيٍّ سَأَرَحَمُكَ»، قَالَ الرَّبُّ
فَادِيكَ (إشعياء 54: 6-8)

منذ فترة، وخلال خدمة صلاة أقيمت في ساعات الصباح الباكر، تأملتُ في كلمات سفر إشعياء 48: 9: «مَنْ أَجَلُ اسْمِي أَوْخَرُ لم تكن موجهة فقط إلى المصلين—غَضَبِي، وَمَنْ أَجَلُ تَسْيِجِي أَحْبَسُهُ، لِيَأْ أَهْلِكَ». وبينما كنت أتأمل في هذه الآية، أَلْقَيْتُ عِظَةً مفادها أنه بينما نمضي في يومنا، يجب علينا أن نكون بطيئي الغضب—المجتمعين في الخدمة، بل، أولاً وقبل كل شيء، إلى نفسي بعد انتهاء خدمة الصباح، وبينما—وأن نمارس صبراً عظيماً من أجل اسم الله ومجده. ومع ذلك، وفي وقت لاحق من ذلك اليوم عينه غضبتُ وأطلقتُ العنان لثورتي. وفي غمرة جهلي، ودون أن أدرك—كنت أقود سيارتي في طريقي لممارسة التمارين الرياضية لمجرد أنه أطلق—وهو سائق السيارة التي كانت تسير خلفي—أنني كنتُ المخطئ، انفجرتُ غضباً في وجه شخص غريب تماماً—الراعي الكنسي—بوق سيارته. حينها ثقل قلبي، ووخزني ضميري بشدة. شعرتُ بأنني مثيرٌ للشفقة إلى أقصى حد؛ فكيف لي أنا أن أفشل في الالتزام بالرسالة ذاتها التي كنت قد بشرتُ بها خلال خدمة الصباح، عاصياً الله في اللحظة التي خرجتُ فيها من حرم الكنيسة؟ ثم، وحوالي وقت الغداء، وبينما كنتُ أفكر قائلاً: «لقد أخطأتُ بالفعل اليوم على أية حال، فما الضرر في أن أخطئ مرةً واحدةً أخرى؟»، ارتكبتُ خطيئةً أخرى ضد الله عن سابق معرفةٍ وقصد. ومرةً أخرى، ثقل قلبي من وطأة وخزات الضمير، وشعرتُ بأنني بائسٌ ومثيرٌ للشفقة تماماً. اعترفتُ بخطاياي لله وطلبتُ غفرانه؛ ومع ذلك، وإدراكاً مني بأن القوة اللازمة للارتداد عن الخطيئة لا تكمن في داخلي أنا، بل هي عند الله وحده، صليتُ إليه طالباً منه نعمة التوبة الحقيقية. بعد أن قضيتُ الصباح وأوائل فترة الظهر وهي تحديداً الآية التي—على هذا المنوال، لم يخطر ببالي فجأة تذكر الآية 48: 9 من سفر إشعياء إلا في وقت متأخر من ذلك اليوم كنتُ قد وعظتُ بها خلال خدمة صلاة الصباح الباكر في اليوم ذاته. وبينما كنتُ أتأمل في هذا الأمر، استبدَّ بي إدراكٌ عميقٌ بأن الله بطيء الغضب وفائض الصبر، حتى تجاه خاطي مثلي. فحتى تلك اللحظة، كان ذهني مستغرقاً تماماً في فكرة واحدةٍ فحسب: أنني

وأنتي قد أخطأت حين عجزت عن أن أكون بطيء الغضب، وحين قصرت في ممارسة—قد فشلت في أن أعيش وفقاً لكلمة الله—الصبر من أجل اسمه ومجده. ولكن عندئذٍ، أشرق في ذهني هذا الإدراك: أنه حتى تجاه *أنا*—ذلك الذي ارتكب مثل هذه الخطايا من نعمة الله العظيمة، رفعت—وإن كانت ضئيلة—كان الله يمارس صبره ويظل بطيء الغضب. وفي تلك اللحظة، إذ لمحت لمحّة إليه شكري من أعماق قلبي. وبينما كنت أتأمل في هذه النعمة الإلهية مرةً أخرى، استحضرتُ إلى ذاكرتي المقطع الوارد في سفر إشعياء 54: 6-8، والذي كنا قد قرأناه خلال خدمة صلاة الصباح الباكر بالأمس. وتأملتُ في تلك الحقيقة القائلة بأن إلهي ليس مجرد "بل هو أيضاً إلهٌ محبة؛ إلهٌ قد يحجب وجهه غضباً لـ" لحظةً وجيزة—إلهٌ يصبر عليّ ويكون بطيء الغضب—إلهٌ ذي نعمةٍ وافرة—(الآية 8) ويتخلّى عني لـ "فترةٍ قصيرة"، ولكنه في نهاية المطاف يرحب بعودتي إليه بمحبةٍ عظيمة (الآية 7). وحين أخطئُ أنا وأظُلُّ غير تائبٍ عن خطيئتي، فإن الله لا يكتفي بمجرد كشف خطيئتي من خلال كلمته؛ بل إنه أيضاً—الخاطئُ تجاه إلهٍ قدوسٍ يخترقُ ضميري ويلزمني—يؤبّخني على خطيئتي بدافع المحبة. فالروح القدس الساكنُ فيّ، مستخدماً "سيف الروح"—أي كلمة الله أي—بالاعتراف بخطيئتي. وهكذا، أعترفُ بخطاياي لله وألتمسُ منه الغفران. ومع ذلك، ونظراً لأنني أعجز عن تقديم توبةٍ حقيقية فإنني أعودُ وأرتكبُ الخطيئة ذاتها مراراً وتكراراً، مراتٍ لا تُحصى، ضد الله. وحين أفعلُ—الانصرافُ والابتعادُ عن تلك الخطيئة ذلك، يندرنى الله ويحذرنى من خلال كلمته؛ غير أنني أتجاهلُ تلك التحذيرات وأسقطُ مجدداً في فخ الخطيئة. ونتيجةً لذلك، وفي الوقت الذي حدده هو، يقوم الله بتأديبي في غضبه المقدس. في تلك اللحظات، أصرخ إلى الله في شدة الضيق، لكنني أشعر وكأنه يحجب وجهه عني، رافضاً سماع توسلاتي. ومع استئطالة أمد ذلك الألم، أبلغ أقصى حدود احتمالي وأغرق في يأس مطبق؛ بل إنني تماماً كحال الزوجة التي—أبدأ في الشعور بأن الله قد تخلّى عني. وفي مثل هذه الأوقات، لا يسعني إلا أن يمتلئ قلبي حزناً عميقاً تزوجت في ريعان شبابها، لتجد نفسها في النهاية منبوذةً ومقصاةً من قِبَل زوجها (الآية 6). ومع ذلك، وفي مشهدٍ يجسد نعمة الله تاركاً إياها غارقةً في—ومحبته المذهلة، فإنه يدعوني للعودة إليه (الآية 6). فكما يرحب الزوج بعودة زوجته التي كان قد نبذها، هكذا يدعوني الله للعودة؛ إنه يرحب بي مجدداً بمحبةٍ عظيمة، وبمراحمة الأبدية—الحزن بعد أن تجرعت مرارة غضبه ورفضه ينظر إليّ بعطفٍ عميق (الآية 8). إن الله، فاديّ (الآية 8)—ورغم أنه ربما غضب مني للحظة عابرة، ورغم أنه ربما تخلّى عني. هو ذات الإله الذي يدعوني للعودة، ويرحب بي مجدداً بمحبةٍ عظيمة، ويغمرني برحمته النابعة من عطفه الأبدي—لفترةٍ وجيزة.

قد سكب كامل غضبه على ابنه الوحيد، يسوع، الذي صُلب على الصليب. وفي—القيّاض بالرحمة—ومع ذلك، فإن هذا الإله ذاته تلك اللحظة، ومن فوق الصليب، صرخ يسوع قائلاً: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" (متى 27: 46). ورغم أن الله قد سمع تلك

الصرخة، إلا أنه أدار ظهره ليسوع؛ فلم يشفق الله على يسوع، بل تخلصى الله الآب عن ابنه الوحيد، يسوع. لقد سمح الله الآب لابنه وأن يموت. لقد كنتُ أنا من يستحق العقاب الأبدي—تلك الشجرة التي ترمز إلى اللعنة—الوحيد، يسوع، بأن يُسمَّر على الصليب بحق، غير أن يسوع تلقى ذلك العقاب نيابةً عني. ولذلك، دعاني الله ورحب بي بمحبة عظيمة. وفضلاً عن ذلك، فقد غمرني الله برحمته النابعة من عطفه الأبدي. والآن، وفي الأيام القادمة، سيستمر الله في إظهار رحمته لي من خلال عطفه الأبدي.

عندما يهتز قلبي

تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ يَا قَوْمُ. اسْكُبُوا قُدَّامَهُ قُلُوبَكُمْ. اللَّهُ مَلَجًا لَنَا. سِلاَ» (المزمور 62: 8)»

تذكرتُ الدرس القائل بضرورة التحلي باليقظة والحذر بعد نيل النعمة. ففي عام 2016، وبعد سفري إلى كوريا للقيام بخدمة عبر الإنترنت، وعودتي إلى الولايات المتحدة ممثلاً بنعمة وفيرة، مررتُ بفترةٍ شعرتُ فيها بأن قلبي مهتزٌ نوعاً ما. وخلال تلك الفترة أن قلبي بدأ ينحدر نحو الاكتئاب. ورغم أن تعبتي الجسدي كان يزول ويتعافى إلى حدٍ—دون أن أدرك ذلك تماماً بنفسـي—لاحظتُ كبير، إلا أنني لم أستطع أن أفهم تماماً لماذا كان قلبي يميل نحو اليأس والقنوط، ليعود ويستقر مجدداً. وفي خضم هذا الصراع، قرأتُ المزمور 62—وانجذب انتباهي تحديداً إلى الآية الثالثة: «إِلَى مَتَى تَهْجُمُونَ عَلَيَّ—فقرة الكتاب المقدس المخصصة لهذا اليوم كَمَا لَوْ كَانَ حَائِطًا مَائِلًا أَوْ سِيَاجًا مُتَدَاعِيًا؟». لقد كان صاحب المزمور، داود، تحت وطأة الهجوم؛ إذ اتحد أعداؤه—إنسانٍ لِيُحْطَمُوهُ—صفاً واحداً لينقضوا عليه بقصد إزهاق روحه. وفي مواجهة مثل هذه الهجمات، وصف داود مأزقه الحالي بأنه يشبه «حائطاً مائلاً أو «سيجاً متداعياً». وكان السبب وراء هذا الوصف هو أن أعداءه لم يكتفوا بالتآمر لإسقاط داود من مكانته الرفيعة فحسب، بل كانوا يفيضون بالبركات على شفاههم، بينما يضمرون اللعنات في قلوبهم—لكونهم ممن يجدون لذتهم في الكذب والباطل—إنهم—كالأسوار والسيجات—(الآية 4). وجوهر الأمر هو أن أعداء داود سعوا إلى زعزعة استقراره من خلال هزّ الحواجز الواقية، التي كانت تحيط به، محاولين إسقاطها وتحطيمها. وهذا بالتحديد هو عمل الشيطان واستراتيجيته؛ فالشيطان يهاجمنا بلا هوادة الأسوار والسيجات التي تشكل حواجز حماية لقلوبنا، تلك القلوب التي هي نبع—بل وحتى إسقاط—ساعياً بجِدٍ واجتهاد لزعزعة الحياة ذاته (أمثال 4: 23). إن الشيطان يسعى بلا كلل لمهاجمة قلوبنا باستمرار، مبتغياً أن يصيبنا بالإحباط والاكتئاب، بل وأن يدفعنا إلى الوقوع في براثن اليأس. وبناءً على ذلك، ماذا ينبغي علينا أن نفعل عندما تبدأ قلوبنا في التزعزع والاضطراب؟ لقد تأملتُ في هذه المسألة وقسمتُ تأملي إلى شقين:

في الله بكل هدوء وسكينة. تأمل في النصف الأول من الآية—وثقتنا—أولاً: عندما تتزعزع قلوبنا، يجب علينا أن نُودِعَ اتكالنا الثامنة في نص اليوم، من المزمور 62: "تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ يَا شَعْبُ...". عندما تهتز قلوبنا جراء هجمات الشيطان، يجب

علينا أن نتمسك في آنٍ واحد بحقيقتين: (1) أنه حتى لو ازدادت ثروتنا، فلا ينبغي لنا أن نضع اعتمادنا عليها (الآية 10)، و(2) أنه يجب علينا أن نعتمد كلياً على الله وحده (الآيات 1، 2، 5، 6). كثيراً ما يهاجمنا الشيطان، ولا سيما من خلال إغراء الماديات؛ فهو يعمل بجدٍ ليجربنا بالمال، خاصةً عندما نجد أنفسنا في حالة من الضائقة المادية. ومع ذلك، ففي محاولاته لتجربتنا، قد يذهب الشيطان إلى حد السماح لثروتنا بالازدياد، ساعياً في نهاية المطاف إلى دفعنا نحو حالة نحاول فيها خدمة الرب والماديات معاً في آنٍ واحد، ومن السهل جداً أن تهتز قلوبنا وتضطرب بفعل هذا الإغراء الشيطاني. غير أنه، وكما تُعلمنا الكتب المقدسة، حتى لو ازدادت ثروتنا يجب علينا دائماً أن نعتمد—تماماً—كما فعل المرنم داود—فلا يجوز لنا أن نضع اعتمادنا عليها (الآية 10). بل على العكس من ذلك يجب على نفوسنا أن—حتى عندما تكون قلوبنا مهتزة ومضطربة—كلياً على الله وحده (الآية 8). وفي خضم وضع اعتمادنا عليه تنتظر الله وحده في سكون وهدوء (الآيتان 1 و5). وعلينا أن نثبت أنظارنا في هدوء وسكون على الرب وحده (الآيتان 2 و6). ولكن كيف يتسنى لنا ذلك؟ وكيف يمكننا أن ننتظر الله وحده في سكون بينما قلوبنا تتأرجح وتضطرب؟ هنا تحضرني الكلمات الواردة في المزمير (42: 5 و11، و43: 5): "إِذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَّةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَضْطَرِّبِينَ فِيَّ؟ ارْتَجِي اللَّهَ، لِأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، خَلَّصَ وَجْهِي وَإِلَهِي". وكثيراً ما أجعل من هذه الآيات جوهر صلواتي وحواراتي الروحية مع الله؛ لا سيما عندما أشعر بالانحناء والاضطراب العميق في أعماق نفسي، حينها أصلي إلى الله وأنا أعلن لنفسي قائلة: "يا جيمس، لماذا أنت منحنية؟ ولماذا تضطربين في داخلي هكذا؟ أنت يا جيمس... ضعي رجاءك في الله!". وحينما أفعل ذلك، فإنني أختبر، بلا استثناء، معونة الله وعونه لي. إن الله بقوة كلمته الموعودة. وبهذه الروح ذاتها، كلما اهتز قلبي، أرغب في الاقتراب—التي كانت منكسرة وقلقة—يُحيي ويرفع نفسي صارخاً إلى نفسي قائلاً: "نعم يا نفسي، تجدي راحتك في الله وحده" (62—تماماً كما فعل كاتب المزمير داود—من الله بالصلاة. لماذا يجب علينا أن نثبت أنظارنا بهدوء على الله وحده؟ السبب هو أن "خلاصي" و"رجائي" يأتيان من الرب (الآيتان 1 و5). (5) ، والسبب هو أن الرب وحده هو "صخرتي" و"حصني" (الآيتان 2 و6). ولذلك، بينما نثق في الله بهدوء ونثبت أنظارنا عليه بسكون، فإننا لن ننزعزع (الآيتان 2 و6). بل على العكس من ذلك، سنكتسب قوة (إشعياء 30: 15).

عندما تهتز قلوبنا، يجب علينا أن نسكب قلوبنا أمام الله—وأخيراً—ثانياً.

تأمل في نص اليوم، المزمور 62: 8: "تَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ يَا شَعْبُ؛ اسْكُبُوا قُلُوبَكُمْ أَمَامَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ مَلْجُونَا. (سِلاَه)". داخل مجتمعنا الكنسي، يعجز العديد من الأعضاء عن مشاركة همومهم وأعبائهم. ويبدو أن السبب وراء عدم قدرتهم على فعل ذلك ينبع مما يؤدي في—من الخوف؛ خوفهم من أنه لو شاركوا صراعاتهم ومتاعبهم، لأصبحت تلك الأمور مادة للقليل والقال داخل الكنيسة النهائية إلى جرح مشاعرهم وإيذائهم. ونتيجة لذلك، لا يجدون أمامهم خياراً سوى حمل همومهم وأعبائهم في عزلة ووحدة. وبينما ينبغي للكنيسة أن تكون مجتمعاً قائماً على المشاركة المتبادلة، يبدو أن ثقافة تُفضي إلى المشاركة العميقة لهموم وأعباء بعضنا البعض لم تنسخ بعد. وهذا، بلا شك، واقع مؤسف. ومع ذلك، وحتى في خضم هذا الواقع، فإن السبب الذي يمنعنا من اليأس هو قدرتنا على

New*) "الاقتراب من الرب وسكب قلوبنا أمامه. ولهذا السبب، أنا شخصياً أعتز بالترنيمه رقم 539 في كتاب "الترانيم الجديد والتي تحمل عنوان "اذهب بهدوء إلى يسوع". وتقول كلمات لازمتها (مقطعها المتكرر) ما يلي: "اذهب بهدوء إلى، (*Hymnal الرب يسوع، واسكب قلبك أمامه؛ فالرب، الذي يرى دائماً في الخفاء، سيغدق عليك نعمة عظيمة". كم ينبغي لنا أن نكون ممتنين حقاً لأننا نستطيع أن نفترب بهدوء من الرب، ونسكب قلوبنا أمامه! إنها لامتياز وبركة لا يمكن إنكارهما أن نتمكن من الاقتراب من عبر الصلاة، صارخين إليه بينما نُلقي عن كواهلنا أثقال نفوسنا. لقد حثّ—الذي يحبنا حباً عميقاً ويعرفنا معرفة حميمة—الرب. كاتب المزامير، داود، شعب إسرائيل على الاتكال (الثقة) على الله دائماً، وعلى سكب قلوبهم أمامه؛ لأن الله هو ملجؤنا (الآية 8) بينما كان يتعرض لهجوم من أعدائه (الآيتان 3-4)—كان قد وضع اتكاله (ثقتَه)—وقد تمكّن من تقديم هذه المشورة لأنه هو نفسه وسكب قلبه أمام ذلك الإله عينه (الآية 7). وحين فعل ذلك، سمع داود كلمة—الذي كان قوته، وصخرته، وملجأه—المطلق على الله. وقد تمثلت الرسالة التي تلقاها في حقيقتين: (1) "الله القدرة" (الآية 11)، و(2) "للرب الرحمة" (الآية 12). وحين تضطرب قلوبنا، فإننا إذا وضعنا ثقتنا في الله وسكبنا قلوبنا أمامه، سنختبر قدرته ومحبته. وبينما نُثبّت أنظارنا بهدوء على الله وحده، ونضع تلك المحبة التي هي خير من الحياة ذاتها—ثقتنا فيه بسكينه، سننال القوة التي يمنحها (إشعيا 30: 15)، ونختبر محبته الأبدية (مزمو 63: 3).

إننا أشبه بحائط آيل للسقوط أو سياج متداعٍ (مزمو 62: 3). إذ يشنّ الشيطان وأعداؤنا هجمات منسقة ومتواصلة ضدنا بلا هوادة حيث تكذب كلماتهم نواياهم الحقيقية (الآية 4)—ولا يسعون—(الآية 3). وهم، إذ يجدون لذتهم في الباطل، يتحدثون بالمكر والخداع إلا لتقويض إيماننا والتسبب في سقوطنا (الآية 4). إنهم يمتلكون القدرة على زعزعة قلوبنا بعمق. وفي مثل تلك اللحظات، يتحتم (الآية 8). وعلينا أن نُثبّت أنظارنا بسكينه على الله وحده، الذي هو وحده خلاصنا—ونضع ثقتنا فيه—علينا أن نتكل بهدوء على الله ورجاؤنا (الآيتان 1 و5). وعلاوة على ذلك، يجب علينا أن نسكب قلوبنا أمامه (الآية 8). وحين نفعل ذلك، سيسند الله قلوبنا بقوته ومحبته (الآيتان 11-12). ونتيجةً لذلك، لن ننزع عزع بعدئذٍ (الآيتان 2 و6).

«حين يكلّ قلبي»

[رسالة مستوحاة من المزمور 61]

للقس د. م. لويد-جونز. وقد نبع (The Christian Warfare) «في الآونة الأخيرة، كنت أقرأ كتاباً بعنوان «الحرب المسيحية دافعي لقراءة هذا الكتاب من اهتمام متزايد وحاجة ملحة لمعرفة المزيد عن «الحرب الروحية»؛ وهو أمر برز لديّ أثناء مناقشة قصة أيوب وقوى الشيطان مع زميل عمل عزيز. وبينما كنت أقرأ هذا الكتاب، لاحظت أن القس لويد-جونز، في معرض حديثه عن «سفر أيوب»، قد ذكر أن إحدى استراتيجيات إبليس الواضحة هي امتلاكه لسلطة السيطرة على الطبيعة نفسها، إلى حد ما على الأقل فعلى سبيل المثال، عندما بدأ الشيطان يضرب أيوب بإذن من الله، جاء أحد خدام أيوب وأخبره بأن ثيرانه وحميره قد سُلبت، وأن قد نزلت من السماء وأحرقت—أي البرق—حراسه قد قُتلوا. وبينما كان لا يزال يتكلم، جاء رجل آخر وقال لأيوب: «...نار الله الغنم والخدم. أنا وحدي نجوت، وقد جئت لأخبرك يا سيدي» (أيوب 1: 16). وهذا يُعلمنا بوضوح أن إحداث البرق والتدمير بواسطته —هو مهاجمة العقل—الذي يمتلك هذه القوة المذهلة—يقعان ضمن نطاق سلطان إبليس وقوته. وإن أكثر ما يحرص عليه إبليس مهاجمةً ضاريةً تتسم بال المكر والقوة المرعبة. وعلى وجه الخصوص، يهاجم إبليس عقولنا—تلك أعظم هبةٍ مُنحت للإنسان مستخدماً شتى الحيل والمكائد؛ ومن بينها محاولته قمعنا والسيطرة علينا من خلال «روح الخوف» (جونز). ولناخذ بطرس مثلاً إلا أنه في نهاية المطاف—حتى لو تخلى عنه الجميع—على ذلك: فعلى الرغم من أنه كان قد أقسم بأنه لن يتخلى عن الرب أبداً قد بثّ في داخله—الذي هو روح الرعب الشديد—أنكره ثلاث مرات، مدّعيًا أنه لا يعرفه البتة. وكان السبب في ذلك هو أن إبليس، خوفاً مشلاً من فقدان حياته (جونز). وفي هذا السياق، قدّم الدكتور جونز هذه الكلمات النافذة والعميقة بشأن الكنيسة المعاصرة —قائلاً: «لقد حُدّرت الكنيسة، وأغرقت في حالة من الذهول والسبات، واستسلمت للنوم؛ فهي لا تزال غافلةً تماماً عن هذا الصراع هذه الحرب الروحية» (جونز). يبدو في هذه اللحظة أن الشيطان، الذي لا ينفك ينصب الفخاخ والأشراك، قد أخذ يكتسب اليد العليا داخل الكنيسة. وقد لاحظ الدكتور لويد-جونز أن الكآبة، وفقدان العزيمة، والشعور بالهزيمة، واليأس المطبق، هي في الغالب النتائج المباشرة لمكائد الشيطان. فكم منا نحن المسيحيين إذن يعيش حياةً موبوءةً بالكآبة، وفقدان العزيمة، والشعور بالهزيمة؟ وكم منا —يعيش متجرعاً مرارة اليأس؟ يتحتم علينا أن نخوض هذه المعركة الروحية ضد الشيطان، مقاتلين ومنتصرين بقوة الرب يسوع

ذاك الذي حسم النصر بالفعل. وعلينا أن نعيش كمسيحيين مجاهدين، متسلحين باليقين المطلق بالنصر. إننا مدعوون للانخراط في حرب روحية. واليوم، نجد تجسيدا لهذا الأمر في نصنا الكتابي لهذا اليوم: المزمور 61. ففي الآية الثانية من نصنا، يُعلن صاحب قائلًا: "عندما يغشى قلبي". وهنا، تحمل كلمة "يغشى" دلالةً محددةً وهي "الانطواء على الذات"؛ إذ تصف هذه—داود—المزمور حالةً من الشعور بالإرهاك والتحطيم جراء التجارب والمحن المختلفة التي يمر بها المرء—الكلمة حالةً من الإرهاق التام واليأس* (بحسب تفسير بارك يون-سون). فداود، الذي كان يرزح تحت وطأة اليأس بسبب اضطهاد أعدائه له (الآية 3)—كيف ينبغي لنا نحن، حقًا، أن نقاتل ونتغلب حينما تكون قلوبنا مثقلةً بقوى الشيطان الشريرة، تمامًا كما كانت حال قلب داود؟ سنسعى لتعلم أربعة دروس تتعلق بهذا الأمر:

أولاً: عندما تكون قلوبنا مثقلةً بالأعباء، يجب علينا أن نصرخ إلى الله.

أرجو منكم النظر إلى نصنا الكتابي لهذا اليوم، المزمور 61: 1: "اسمع صراخي يا الله؛ وأصغ إلى صلاتي". إنني أستحضر في ذاكرتي وقتاً مضى، أثناء إحدى اجتماعات الصلاة الأسبوعية، حينما كنت أتأمل في المزمور 42، إذ طرحتُ تحدياً قائلًا: دعونا نحول لحظات الكآبة واليأس في حياتنا إلى فرصٍ للتوق والشوق إلى الله. فحينما تمتلئ قلوبنا بالقلق، والكآبة، واليأس جراء مختلف شدائد الحياة وآلامها، يتحتم علينا أن نصرخ إلى الله، تمامًا كما فعل داود في نصنا الكتابي لهذا اليوم. علاوة على ذلك، وبينما نصرخ إلى الله، يجب علينا أن نرفع تضرعاتنا واضعين هذه الحقيقة نصب أعيننا بوضوح وثبات: "إن الله يتوق إليّ بعمقٍ أشد مما أتوق أنا إليه". ومع ذلك، ولسبب ما يبدو أننا ننسى في كثير من الأحيان حقيقة أن الله يتوق إلينا تحديداً في اللحظات التي نشعر فيها بأقصى درجات الضيق والإرهاك. ولعل هذا هو السبب الذي دفع داود، في نص اليوم، إلى أن يعلن قائلًا: "إِذَا غُشِيَ عَلَى قَلْبِي، اهْدِنِي إِلَى صَخْرَةٍ أَرْفَعَ مَنِّي". لماذا تحدث داود عن الصراخ "مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ"؟ السبب هو أن داود، في حالة اليأس المطبق التي عاشها شعر وكأن الله قد تخطى عنه؛ وكأنه قد جرف بعيداً جداً عن الله. ومع ذلك، وحتى في خضم تلك المشاعر، لم يستسلم داود لشفقةٍ على الذات، ولم يلق بنفسه جانباً في استسلام يائس؛ بل صرخ إلى الله قائلًا: "اهْدِنِي إِلَى صَخْرَةٍ أَرْفَعَ مَنِّي". فحتى في أعماق اليأس، تثبت داود نظره على تلك "الصخرة" التي تعلوه، وصرخ إلى الله.

إننا بحاجة إلى إيمانٍ تتسم روحه بمبدأ "ومع ذلك". وبعبارةٍ أخرى، وكما فعل داود تماماً، حتى عندما نغرق في أعماق اليأس، يجب علينا أن نواصل التوق إلى الله. يجب علينا أن نصرخ إليه. فكما أعلن النبي يونان من أعماق البحر قائلًا: "وَمَعَ أَنِّي قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامَ عَيْنَيْكَ، سَأَعُودُ وَأَنْظُرُ نَحْوَ هَيْكَلِكَ الْمُقَدَّسِ" (يونا 2: 4)، هكذا أيضاً يجب علينا أن نصرخ إلى الرب، بغض النظر عن الظروف التي نجد أنفسنا فيها؛ حتى عندما نشعر قلوبنا بأنها قد سُحقت تماماً. وثانياً، عندما تغشى قلوبنا الهموم، يجب علينا أن نلجأ إلى الرب.

تأمل في نص اليوم، من المزمور 61: 4: "سَأَسْكُنُ فِي خَيْمَتِكَ إِلَى الْأَبَدِ؛ وَسَأَلْتَجِي إِلَى ظِلِّ جَنَاحَيْكَ (سِلاَه)". ففي خضم اليأس، إن الشيء الوحيد الذي يسعنا فعله هو أن نصرخ إلى الله الأب، وأن نلجأ إليه. والسبب في ذلك هو أن الله وحده هو حامينا. وهكذا اعترف داود، في صلاته وتضرعه، بحقيقة—حتى في تلك اللحظات التي شعر فيها بالبعد عن الله—حينما طغى الكرب على قلبه جوهر الله وطبيعته قائلاً: "لأنك كنت لي ملجأً، وبرجاً حصيناً من وجه العدو" (الآية 3). ثرى، كيف استطاع داود أن يعترف بأن الله هو ملجؤه وبرجه الحصين، حتى وهو يغوص في أعماق اليأس ويشعر بأنه بعيد كل البعد عن الله؟ لقد وجدت الإجابة في النصف الثاني من الآية السابعة من نصنا لهذا اليوم: "... أَعَدَّ رَحْمَةً وَحَقًّا لِيَحْفَظَاهُ". إن السبب الذي مكّن داود من الإقرار بأن الله هو ملجؤه، وبرجه الحصين يكمن، على وجه التحديد، في أن الله كان قد أعدّ له الرحمة والحق؛ له هو، الذي كان قلبه مثقلاً بالأحمال. ولذلك، وحتى في خضم حالة الكرب التي اجتاحتها، وإدراكاً منه بأنه محفوظ ومصون برحمة الله وحقه، صرخ داود إلى الرب والتجأ إليه. إن الدرس الذي يمكننا استخلاصه هنا هو أنه، حتى حينما تغطي الأحمال على قلوبنا، يجب علينا أن نتمسك بقوة برحمة الله وحقه —الذي يحبنا حباً غير مشروط—و ألا نتركهما أبداً. وبعبارة أخرى، يتحتم علينا أن نلجأ إلى الرب، مدفوعين بإيمانٍ راسخٍ بأن الله قد وعد (أو قضى) بخلاصنا، وأنه سيتم ذلك الوعد بأمانةٍ وصدقٍ (في الحق) (بارك يون-سون).

وحتى في خضم يأس الحياة، يجب علينا أن نتشبث بقوة بمحبة الله الأبدية (رحمته) وبقوه. وفي خضم كل هذه الظروف، ينبغي أن تنجذب قلوبنا وتتوق إلى الرجاء بأننا سنسكن إلى الأبد في مسكن الله (الآية 4). وحتى في لحظات اليأس القاتم، يجب علينا أن نثبت أنظارنا ونوجهها نحو مسكن الله الأبدي.

«العبء الكامن في داخلي»

فضلاً عن أمور أخرى، يقع عليّ ضغط يومي: همّي من أجل جميع الكنائس» (2 كورنثوس 11: 28)»

لقد أصبحت راعياً أولاً دون أن أدرك حقاً طبيعة ما أنا مقبلٌ عليه؛ إذ لم أكن أمتلك سوى عامٍ واحدٍ من الخبرة بصفتي راعياً مساعداً — «وعلاوةً على ذلك، كانت تلك الخبرة مقتصرةً على الخدمة لمدة عامٍ واحدٍ بالضبط كراعٍ مساعد في «كنيسة سيونغري المشيخية»، وذلك بينما كان والدي يخدم فيها بصفته الراعي الأول. وعقب تلك التجربة — وهي الكنيسة ذاتها التي نشأت وترعرعت فيها على نصيحة والدي وفررتُ هارباً إلى كوريا. وبمجرد — عانيتُ من حالة «الاحتراق الوظيفي»؛ فتمردتُ — على غرار يونان، وصولي إلى كوريا، خدمتُ في «كنيسة سوهيون»؛ حيث عملتُ في البداية راعياً للتعليم مشرفاً على الخدمة الناطقة باللغة الإنجليزية، ثم عملتُ لفترةٍ وجيزةٍ لاحقاً في «خدمة العائلات الجديدة». وإجمالاً، لم تدم فترة خدمتي تلك سوى عامين وتسعة أشهر. وبالطبع، أنا أدرك أن الخبرة ليست الشرط المسبق الوحيد لتولي منصب الراعي الأول؛ ومع ذلك، ورغم افتقاري الشديد للخبرة، دعاني الرب للعودة مجدداً إلى «كنيسة سيونغري المشيخية» بعد أن أرسل إليّ كلمة وعدٍ — مأخوذة من إنجيل متى 16: 18 — على لسان ضيفٍ متحدثٍ في خلوةٍ روحيةٍ استضافتها «رابطة الرعاية من أجل تجديد الكنيسة». وهكذا، وبعد تقاعد والدي، توليتُ مهام منصب الراعي الأول. وبحلول الحادي والعشرين من ديسمبر من هذا العام، سيكون قد انقضى خمسة عشر عاماً تماماً على ذلك اليوم. وبينما أتأمل «في السنوات التي مضت، تظل عبارةً قالتها لي زوجتي ذات مرةٍ محفورةً في ذاكرتي ولا يمكنني نسيانها: «يا جيمس، لقد تغيرت لقد لاحظت زوجتي أنني قد تحولتُ إلى شخصٍ مختلفٍ تماماً بعد أن تقلدتُ دور الراعي الأول. وفي ذلك الوقت، لم أنكر صحة كنتُ قد تغيرتُ بالفعل — ملاحظتها؛ بل في الواقع، لم *أستطع* إنكارها. وكان السبب في ذلك هو أنني — حتى في نظري أنا وبطريقةٍ ما، كان يساورني شعورٌ وكان منصب «الراعي الأول» قد صاغني وحولني إلى شخصٍ مغايرٍ تماماً. فكانت تمر عليّ أشعر فيها بالعجز عن التحدث بصراحةٍ وعفويةٍ — أوقاتٌ — بينما أتأمل ذاتي وأنا حبيسٌ باستمرارٍ داخل المكتب الرعوي للكنيسة، مع إخوتي وأخواتي في الرب، أو الاستمتاع بالشركة الروحية معهم بملء قلبي كما كنتُ أفعل في السابق. وفي خضم تلك اللحظات «كنتُ أسأل نفسي: «ما هو تحديداً هذا المنصب المسمى "الراعي الأول"، الذي استطاع أن يُحدث فيّ تغييراً جذرياً وعميقاً كهذا؟ أعتقد أن أحد أسباب هذا التحول يكمن في الضغط الهائل المتأصل في منصب "الراعي الأول". وعلى وجه الخصوص، أشعر أن العبء النفسي الناجم عن هذا المنصب هو عبء جسيم. فبمجرد تولي منصب الراعي الأول، لم أشعر فحسب بإحساس متزايد بالمسؤولية، بل بدا لي أيضاً أنني كنت أفرض قدراً كبيراً من الضغط على نفسي. وعلاوة على ذلك، ومع تزايد وتعدد المسائل

مررت بمناسبات عديدة شعرت فيها بثقلِ هائلٍ—وبينما كنت أتحمل أعباء توتر وضغوط لم أكن أرغب فيها—التي تتطلب انتباهي غالباً ما يبرز تحت وطأة شعور بالضيق والانقباض. وفي خضم هذه—ولا يزال—يطبق على قلبي. وبعبارة أخرى، كان قلبي الحالة النفسية، وبينما كنت أقرأ الكتاب المقدس ليلة أمس استعداداً لخدمة الصلاة الصباحية المبكرة لهذا اليوم، صادفت الفقرة الكتابية المخصصة لقراءتنا اليوم: رسالة كورنثوس الثانية 11: 28.

كورنثوس الثانية 11: 28—نكتشف أن الرسول بولس أيضاً قد اختبر شعوراً مشابهاً بذلك الثقل الذي—وبينما نتأمل في نص اليوم يطبق على القلب. وكان ذلك العبء، على وجه التحديد، يتمثل في قلقه على سلامة ورعاية جميع الكنائس. فقد كان بولس قلقاً للغاية من أن يتعثر المؤمنون، نظراً لهشاشتهم وضعفهم البشري، فيسقطوا ويرتدوا عن الإيمان. تأملوا في ما جاء في كورنثوس الثانية كان يكمن—وفي صميم ضيق قلبه—مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لَا أَضْعُفُ؟ مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لَا أَلْتَهَبُ؟. وداخل دائرة قلق بولس هذا: 11: 29: أيضاً شعور بالخوف. وكان ذلك الخوف يتمثل في الرهبة من أن يقوم الشيطان بإفساد قلوب المؤمنين، مما يتسبب في انحرافهم وابتعادهم عن إخلاصهم النقي والصادق للمسيح (الآية 3). كان بولس يخشى أن يتحول أعضاء الكنيسة عن إنجيل يسوع المسيح الحق الذي كان قد بشرهم به، وأن يتبنوا "إنجيلاً آخر" (الآية 4)، ليؤول بهم المطاف في النهاية إلى الارتداد عن الإيمان. وكان—أي عمال مخادعين تنكروا في هيئة رسل للمسيح—السبب الذي جعله لا يملك إلا أن يحمل مثل هذا القلق هو وجود رسل كذبة كانوا يعملون على تضليل أعضاء الكنيسة وإضلالهم (الآية 13). وبما أن الشيطان نفسه يتنكر في هيئة ملاك نور (الآية 14)، وبما مستدرجين إياهم بعيداً عن الحق—أن خدامه يتنكرون هم أيضاً في هيئة خدام للبر (الآية 15)، فقد سعوا إلى خداع المؤمنين ومتسببين في خيانتهم لإيمانهم. وبناءً على ذلك، لم يستطع بولس أن يمتنع عن القلق نيابةً عن جميع الكنائس؛ فكان هذا القلق بالتحديد. على أعضاء الكنيسة هو ما أثقل كاهل قلب بولس يوماً تلو الآخر.

ويتحتم على الراعي الأول أن يتحلى بهذا الحس ذاته من العبء الروحي؛ إذ لا بد أن يشعر بثقلٍ داخليٍّ عميقٍ من القلق والاهتمام—تجاه الرعية التي أودعت في عهده ورعايته. وعليه أن يظل قلقاً باستمرار خشية أن يندفع أحدٌ من القطيع الذي ائتمنه الرب عليه على يد عملاء الشيطان المتخفين، فينحرف بذلك عن الإيمان ويخون الرب. وبالطبع، ورغم—سواء كان ضعيفاً أو عرضةً للخطر أن العمل الرعوي ينطوي على العديد من الاهتمامات الأخرى بخلاف هذا الأمر، إلا أن الشاغل الأساسي الذي يجب علينا نحن الرعاة أن نحمله هو الحالة الروحية لرعايتنا؛ إذ يجب أن تكون أولويتنا القصوى هي خلاص نفوسهم. وعلينا أن نولي اهتماماً عميقاً حتى وإن شعرت قلوبنا بالثقل جراء هذا—لضمان أن يظل إخوتنا وأخواتنا الأحباء راسخين بقوة في إيمانهم. وإن نحن فعلنا ذلك

فإن الرب سينعش أرواحنا المتعبة، وسيغمر قلوبنا بحيوية متجددة، وسيحدث في داخلنا نهضةً روحية. وأصلي أن تُمنح هذه —القلق
البركات لي ولك.

"عندما تعيا روعي في داخلي"

[المزمور ١٤٢]

شأنها شأن الأجمة—أيها الأصدقاء، هل تواجهون ربما مصادر عديدة للمعاناة في هذه الأيام؟ كثيراً ما يخطر ببالي أن الحياة يبدو—وفي خضم القلق والهموم والضغوط—تتشابك وتتعدد في كل الاتجاهات بأنواع شتى من المصاعب. ونتيجة لذلك—الشائكة أن الكثير من الناس يعانون، إذ يقعون ضحايا لعل جسدية وعاطفية متنوعة. ولهذا السبب، أنظر إلى الحياة على أنها أشبه ما تكون بأجمة شائكة. فكثيراً ما تحدث مناسبات تتشابك فيها الظروف المختلفة لدرجة أنها تنقل كاهل قلوبنا بشدة. وفي مثل تلك الأوقات غالباً ما نجد أنفسنا نتساءل: "لماذا تبدو حياتي ملتوية ومتشابكة إلى هذا الحد؟" وبالفعل، إنها بلا شك حياة تشبه الأجمة الشائكة. وإذا ما تساءلنا حينئذٍ عن *السبب* وراء ذلك، فيمكننا العثور على العلة الكامنة في "مثل الزارع" الذي ضربه يسوع. إذ يكمن السبب، الجذري في تجارب العالم، وهموم الحياة، وإغراءات الغنى. فبينما نمضي في دروب هذا العالم، نستسلم أحياناً لتجارب دنيوية شتى فنخطئ بذلك في حق الله؛ ونتيجة لذلك، نتراكم الظروف المؤلمة وتتشابك، تاركةً إيانا في حالة من الضيق والإنهاك الشديد. وفي تلك اللحظات، غالباً ما نحاول فك عقد هذه التشابكات معتمدين فقط على قوتنا الذاتية؛ ولكن كلما اشتدت محاولتنا، ازداد الأمر تعقيداً وتشابكاً بشكل يبدو ميؤوساً منه. فما عسانا أن نفعل إذن؟

المزمور ١٤٢—فسنرى أن صاحب المزمور، داود، كان يواجه موقفاً—إذا ما نظرنا إلى النص الكتابي المخصص لهذا اليوم تضافرت فيه المصاعب المختلفة وتشابكت معاً، تماماً كالأجمة الشائكة. وكيف لنا أن ندرك ذلك؟ يمكننا العثور على الإجابة في الآية *siach* الثانية من نصنا: "أَسْكُبُ أَمَامَهُ شَكْوَايَ؛ وَأُخْبِرُهُ بِكُلِّ ضَيْقِي." وهنا، تقابل عبارة "شكواي" الكلمة العبرية الأصلية (وتُنطق: *سي-آخ*)؛ وهذه الكلمة، في الواقع، تحمل معنى محدداً هو "الأجمة" أو "الشجيرة". ويشير مصطلح "الأجمة" ضمناً إلى أن حياة داود لم تكن محاصرة بمصدر واحد أو اثنين فقط من مصادر المعاناة، بل بمصادر عديدة جداً لدرجة أنها تشابكت وتداخلت كالأجمة الشائكة، تاركةً إياه في حالة من الضيق الشديد والإنهاك التام (بارك يون-سون). لماذا واجه داود ذلك الكم الهائل من تلك الضيقات التي كادت تدفعه إلى حافة اليأس؟ كان السبب في ذلك هو أن داود كان يتعرض للاضطهاد على يد شاول—الضيقات (الآية 6؛ بارك يون-سون). وفي غمرة اضطهاده له، تمادى الملك شاول إلى حد نصب الفخاخ الخفية على طول طريق داود في محاولة منه للإيقاع به وأسرهِ (الآية 3). وفي نهاية المطاف، كان الملك شاول يسعى بنشاطٍ وحزمٍ لانتزاع حياة داود (1 صموئيل

يختبئ في "مغارة عدلام" (22:1). ومن جميع النواحي الظاهرية، بدا وضع—الهارب من وجه شاول—بينما كان داود، (24-18) داود يائساً تماماً؛ إذ كانت محنة لا يُرجى منها أي خلاص أو أملٍ دون تدخلٍ إلهي (ماك آرثر). ولو أراد المرء تلخيص هذا الوضع في عبارة واحدة، فإن الكتاب المقدس، في نص اليوم من المزمور—الذي بدا فيه داود بلا أي أملٍ يُذكر لولا تدخل الله—اليائس يصوغ ذلك على النحو التالي: "...لأنني قد انحطت جداً". وبعبارة أخرى، ونظراً لاضطهاد الملك شاول له، كان داود، 6: 142 قد انحدر إلى حالة من الانحطاط والضعف الشديدين (الآية 6؛ بارك يون-سون). وقد تجلت حالة الانحطاط والهشاشة الشديدة هذه ظاهرياً في حقيقة أنه كان يختبئ آنذاك في "مغارة عدلام" هرباً من الملك شاول [(الآية 7) "أخرج من الحبس نفسي..."]. وعلاوةً على ذلك، كان داود يعاني داخلياً؛ إذ كانت روحه مجروحةً في أعماقها، وكان يكتنفه شعورٌ بمرارة الظلم والشكوى (الآيتان 2-3) نرى أن داود قد شعر بأنه—وبينما نتأمل في المزمور 142: 4، وهو النص المحوري ليومنا هذا—وفي خضم هذه الظروف متروكٌ تماماً؛ إذ قال: "انظر إلى يميني وأبصر؛ فلا أحد يعرفني. ليس لي ملجأ؛ ولا أحد يكثرث لنفسي". ومهما أطل داود النظر من حوله، لم يجد أحداً يبدي اهتماماً به، ولا أحداً يعتني بأمره، ولا أحداً يمد له يد العون، ولا أحداً يقدم له العزاء. ومن منظورٍ بشري بحث، يالها من محنةٍ موحشةٍ ومقفرةٍ حقاً! ومع ذلك، ففي هذا الموقف بالتحديد تكمن العناية الإلهية؛ إذ يبدو وكأن الله كان يتعمد قطع كل سبل الدعم المحيطة بداود. فما عسى أن يكون السبب وراء ذلك؟ كان السبب في ذلك أن الله كان يعمل لضمان أن يسكب داود أمام الله وحده. تأمل في نص اليوم، المزمور 142: 1-2: "بصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ—من خلال الصلاة—روحه المنكسرة والحزينة أَصْرُخُ، بِصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ أَتَضَرَّعُ. أَسْكُبُ أَمَامَهُ شَكْوَايَ، بِضِيقِي قُدَّامَهُ أُخْبِرُ". حتى في حالته الوضيعة والمعدمة، لم يفقد داود عزيمته؛ بل، ممتلئاً بالأمل، سكب بلا تحفظ كل تفاصيل ظروفه أمام الله في الصلاة (بارك يون-سون). انظر إلى الآية 3: "عِنْدَمَا أُعْيِيَتْ رُوحِي فِي دَاخِلِي، أَنْتَ عَرَفْتَ سَبِيلِي. فِي الطَّرِيقِ الَّتِي أَسْلُكُ فِيهَا، أَحْفُوا لِي قَحّاً". وبملاحظة صلاة داود هذه، نرى أنه كان يزيح الأعباء عن قلبه أمام الله. بعبارة أخرى، كان داود يسكب روحه أمام الله من خلال الصلاة. وكان السبب في ذلك أن روحه، كانت منكسرة في أعماقه. ولأن داود كان يحمل شعوراً بظلم عميق في قلبه (الآية 2)، فقد كانت روحه مجروحة. وفي تلك اللحظة، سكب أعماق قلبه أمام الله.

الموجود—وهنا، أود أن أتأمل في صلاة داود من ثلاثة منظورات متميزة. وبعبارة أخرى، أرغب في فحص محتوى صلاة داود: في الآيات من 5 إلى 7 من نص اليوم، المزمور 142—من خلال ثلاث نقاط محددة، وأن نتأمل في كيفية تطبيقها على حياتنا الخاصة

، أي بطبيعته الإلهية وسيادته. يرجى النظر إلى المقطع الكتابي لهذا اليوم—أولاً: كانت صلاة داود صلاةً تقر بجوهر الله ذاته، المزمور 142: 5: "إِلَيْكَ صَرَخْتُ يَا رَبُّ؛ قُلْتُ: أَنْتَ مُلْجئِي، وَحَظِّي فِي أَرْضِ الْأَحْيَاءِ". عندما بدأ داود صلاته، اقترب أولاً من "وقد فعل ذلك بقلب يقر بطبيعته الحقيقية. باختصار، استهل داود صلاته بقناعة راسخة بأن الله هو "ملجئي—الله معلناً من هو الله

ولا ملجأ يأويه، ولا من يكثرث لأمره أو لنفسه (الآية 4) —حينها فقط— "حظي". عندما نظر داود إلى يمينه فلم يجد أحداً يعرفه حتى وإن سكبنا شكوانا—ثبّت نظره على الله، ذاك الذي يمثل الملجأ الحقيقي. وحين تكون أرواحنا منكسرة وقلوبنا مفعمة بالمرارة هل يمكنك أن تقول بثقة إن *هؤلاء* هم ملجؤك؟ إن جعل البشر ملجأً لنا لأمرٌ بالغ الخطورة؛ فهو أشبه—أمام الناس هنا وهناك—ببناء بيتٍ على الرمال. ونظراً لهشاشة هذا البناء بطبيعته، فإنه محتوم السقوط؛ إذ لا مفر من أن ينتهي المرء إلى حالٍ أشدّ بؤساً، بمقدوره أن يحميك ويحميني—الذي هو ملجؤنا—هو ملجأنا. فالرب وحده—الله وحده—وشقاء. لذا، يتحتم علينا أن نجعل الله وأن يعزّي أرواحنا المنكسرة، وأن يهبّ لنجدتنا. لم يكتفِ داود بالإيمان بالله والإقرار به بوصفه "ملجأً" فحسب، بل آمن به وأقرّ بكونه أيضاً "نصيبي" بينما كان يرفع صلواته. فما المقصود إذن بعبارة "نصيبي"؟ إنها تعني أنه بما أن الله هو منبع الحياة ذاته، فلا يمكن لأحدٍ أن يختبر الحياة الحقيقية وينعم بها فعلاً إلا من كان الله هو نصيبه ومُلكه (بارك يون-سون). ولهذا السبب نترنم أحياناً الذي هو ملجؤنا وحياتنا—بالتريزيم رقم 82 قائلين: "يا فرحي، يا رجائي، يا حياتي أنت يا ربي...". علينا أن نتقرب من الرب حاملين إليه أنين شكوانا وقلوبنا المنكسرة، لنرفع إليه تضرعاتنا وابتهاالاتنا—الأبدية.

ثانياً: كانت صلاة داود صلاةً يطلب فيها خلاص الله.

تأملوا في نص الكتاب المقدس لهذا اليوم، مزمو 142: 6: "أصغ إلى صراخي، فأني في ضيقٍ شديد؛ أنقذني من الذين يطاردونني لأنهم أقوى مني". فمن أعماق حالة العوز والضييق الشديد التي كان يرزح تحت وطأتها، صرخ داود إلى الله متوسلاً إليه أن ينجيه (يخلصه) من الملك شاول، الذي كان يضطهده. وكان السبب الذي لم يترك له خياراً سوى الصراخ إلى الله بهذه الصورة، هو أن كانوا أقوى منه بكثير. ومع ذلك، ونظراً لأنه قد أنهك بشدة جراء اضطهادهم له، لجأ داود—أي مضطهديه—الملك شاول وحاشيته وسط ضعفه الشديد، وابتهل إلى الله القدير لكي يمنحه نعمة الخلاص. وكلما وجدتُ نفسي وسط المعاناة—إلى الله—ملاذه الحقيقي: أتذكر تلك التريزيم المسيحية المعاصرة التي تقول—والشائد—و غالباً ما يحدث ذلك أثناء الشركة مع إخوتي وأخواتي في المسيح إنه يمنح القوة حين أكون ضعيفاً. والسبب في ذلك، في اعتقادي، هو أنني أشهد كيف أن الله—كلما واجهوا صعوبات من شتى—يُمكنهم من إدراك ضعفهم المتأصل في ذواتهم. وفي تلك اللحظات، وبينما يثبّتون أنظارهم نحو الله وسط ضعفهم، ألمح—الأنواع أرفع—يداً إلهيةً قديرةً تعمل بجوارهم. وحين أشهد قوة ذواتهم الداخلية—تلك القوة التي منحها الله لهم تحديداً حين كانوا ضعفاء شكري القلبي لله على عمله الخلاصي. ولذلك، لا داعي لأن نخشى أن نغدو ضعفاء تماماً؛ بل على العكس من ذلك، ينبغي علينا أن ننظر إلى لحظات الضعف الشديد تلك باعتبارها فرصةً لنتوق بصدقٍ وشوقٍ إلى نعمة الله المُخلّصة. فحين نكون ضعفاء، يتحتم علينا أن نتكلّى على قوة الله ونرفع إليه تضرعاتنا؛ وحين نفعل ذلك، سيُنقذنا الله ويُخلصنا وسط ضعفنا.

وثالثاً وأخيراً، كانت صلاة داود صلاةً تركز على قناعةٍ راسخةٍ بأن الرب سيعامله بسخاءٍ وفضلٍ عظيمٍ.

تأملوا في فقرة الكتاب المقدس المخصصة لهذا اليوم، وتحديدًا في المزمور 142: 7: "أَخْرِجْ مِنْ الْخَبْسِ نَفْسِي لِكَيْ أَحْمَدَ اسْمَكَ الصِّدِّيقُونَ يُجِيطُونَ بِي لِأَنَّكَ تُحْسِنُ إِلَيَّ". ورغم أن داود كان يختبئ داخل "مغارة عدلام" فراراً من الملك شاول، إلا أنه كان على يقينٍ بأن الله سيُخرجه ويُخلصه من تلك المغارة — التي كانت تبدو له وكأنها سجنٌ حقيقي. وباختصار، كان داود يمتلك يقيناً راسخاً بالخلاص. بيد أن داود لم يكتفِ بامتلاك هذا اليقين بالخلاص فحسب، بل كان يؤمن أيضاً بأن الرب سينتشله من قبضة شاول وسيجعل الصديقين يتجمعون ويحيطون به. فماذا يعني هذا؟ إذا نظرنا إلى نص اليوم — المزمور 142: 4 — نجد داود ينوح قائلاً إنه حين يلتفت يمنةً، لا يجد أحداً يعرفه، ولا يجد ملاذاً يأوي إليه، ولا يجد شخصاً يكثرث لأمره أو يهتم به. ومع ذلك، فبحلول الآية الخامسة، يُقرُّ بأنه يجد في الله ملجأه، ويلوذ بالربِّ مُصلياً؛ ثم، في الآية السابعة، يُعرب عن قناعته الراسخة بأنه سيجد حتماً أبراراً، يعتنون به. وكيف يتسنى له ذلك؟ إنما يرجع الأمر إلى إيمان داود بأنه يُعامل عباده بسخاءٍ وفضلٍ عظيم. ففي المزمور 116: 7 يُعلن الكتاب المقدس قائلاً: "عُودِي يَا نَفْسِي إِلَى رَاحَتِكَ، لَأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ". وعلى غرار داود كاتب المزامير، حينما تضعف أرواحنا وتخور في داخلنا، يتحتم علينا أن نُودع ثقتنا في إحسان الربِّ الفياض؛ وحينئذٍ، وبينما نفيض بضراعاتنا وابتهاالاتنا أمام الله ستعود نفوسنا لتتعم بحالةٍ من السكينة والراحة. فبينما نسكب شكوانا أمام الله في الصلاة، ونختبر نعمة خلاصه، نغدو قادرين على الذي يعجز العالم عن منحه — ألا وهو سلام الله — التمتع بسلام.

يزخر هذا العالم بالكثير من الهموم والمتاعب؛ فهو يفيض بالخطايا، ويكتظ بالمخاطر المحدقة التي تهدد الحياة (ترنيمة 474). وفي وُصَاب بالكدمات جراء خضم العيش في عالم كهذا، غالباً ما تشبه حياتنا غابةً شائكةً كثيفة؛ إذ تمر بنا أوقاتٌ تتعقد فيها أرواحنا ظروفٍ مؤلمةٍ شتى. كما أننا كثيراً ما نختبر مرارة الوحدة، إذ لا نجد من نُفْضي إليه بأحزاننا ونُبْته همومنا. وفي مثل تلك اللحظات، يتحتم علينا — على غرار المرنم داود — أن نسكب قلوبنا أمام الله في الصلاة. وبينما نسكب قلوبنا، يجب علينا أولاً أن نتقدم بخطواتٍ نصيبي. وعلينا أن نصرخ "يملؤها الإيمان، معلنين حقيقة جوهر الله وصفاته؛ ومقرّين بأنه هو الله حقاً. فالله هو "ملجأى"، والله هو إلى هذا الإله — الذي يمثل ملجأنا ونصيبنا — سائلين إياه أن يُنجينا (أو يخلصنا). وحين نصرخ إليه، ينبغي أن نرفع تضرعاتنا ونحن على يقينٍ راسخٍ من نوال الخلاص؛ والسبب في ذلك هو أن إلهنا هو إلهٌ يجزل العطاء لنا ويغمرنا ببركاته. وعليه، فإنني أصلي لكي ننال أنا وأنتم نعمة الله المُخْلِصة ونختبرها في حياتنا.

عندما تشعر روعي بالظلم

نَصَبُوا شَبَكَةً لِحُطُوتِي؛ انْحَنَتْ نَفْسِي. حَفَرُوا قُدَّامِي حُفْرَةً، فَسَقَطُوا هُمْ فِيهَا" (مزمور 57: 6)

هناك أوقات نشعر فيها بظلم عميق يقع علينا. قد لا أكون قد ارتكبتُ أي خطأ، ومع ذلك يكرهني شخص ما ويعدّمني. بل إنني لا أعرف حتى سبب كراهية ذلك الشخص لي، ولا أدري لماذا يعدّمني. لكان من المفيد لو أنني عرفتُ السبب على الأقل؛ ولكن دون أي سببٍ ظاهر، هم يكرهونني ويجعلون حياتي بائسة. ومع ذلك، يبدو أنهم لا يكتفون بهذا فحسب؛ بل يجمعون أعوانهم لاختلاق قصصٍ كاذبةٍ عني، مشوّهين سمعتي، بل وموقعين بي في فخ الاتهامات الباطلة. وفضلاً عن ذلك، فهم ينشرون شائعاتٍ خبيثةً عني. لقد تضافرت جهودهم للإيقاع بي وإحداث سقوطي؛ بل إنهم يذهبون إلى حد محاولة دفعي نحو أزمةٍ خانقة. أشعر وكأن لم يعد لي مكانٌ أقف عليه، وكأنني لم أعد أطيق احتمال هذا الوضع. لقد امتلأ قلبي بالأسى والضيق الشديدين، وأشعر بأنني أعامل معاملةً ظالمةً للغاية. عندما تشعر روعي بهذا الظلم العميق، تُرى ماذا عساي أن أفعل؟

مزمور 57: 6—يُعلن صاحب المزمور، داود، قائلاً: "انْحَنَتْ نَفْسِي" (أو بتعبيرٍ آخر: "تشعر—في فقرة الكتاب المقدس لهذا اليوم بل إنه في الواقع قد جلب—روحي بالظلم"). لماذا تحدث داود بهذه الطريقة؟ السبب هو أنه على الرغم من كونه لم يرتكب أي خطأ. إلا أن الملك شاول بدأ ينظر إليه بعين الغيرة والحسد، وسعى لقتله—النصر لإسرائيل بهزيمة لعدوهم "جليات الفلسطينيين" باسم الله. وهكذا، وبينما كان داود مختبئاً في مغارةٍ هرباً من الملك شاول، أَلَفَ هذا المزمور (مزمور 57) وسكب شكواه وتظلماته أمام الله وبناءً على ذلك، ومن خلال التأمل في خمس طرقٍ استجاب بها داود عندما كانت روحه في ضيق، نسعى نحن أيضاً لتلقي الدروس التي يقدمها لنا الله:

أولاً: عندما كانت روحه في ضيق، التجأ داود إلى الله.

تأمل في الآية الأولى من المزمور 57 في الكتاب المقدس: "ارْحَمْنِي يَا الله، ارْحَمْنِي، لِأَنَّهُ بِكَ انْحَمَتْ نَفْسِي، وَفِي ظِلِّ جَنَاحَيْكَ أَخْتَمِي إِلَيَّ أَنْ يَغْبُرَ الْفَسَادُ". عندما ضاقت نفس داود، تاق إلى نعمة الله؛ فتضرع إلى الله بإلحاحٍ لكي يفيض عليه بنعمته. وعلاوةً حتى تنقضي كل المصائب التي واجهها (الآية 1). ونحن أيضاً، يجب—وبالتحديد إلى ظل جناحيه—على ذلك، التجأ إلى الرب

علينا أن نلجأ إلى الرب عندما تضيق نفوسنا؛ والسبب في ذلك هو أن الله هو ملجؤنا وبرج حصين لنا في وجه العدو (61: 3). وحين حتى تنقضي تلك العواصف والأنواء—ملجئنا—تثور علينا عواصف الحياة وأنواؤها، يجب علينا أن نسارع بالفرار إلى الرب، تماماً (55: 8). وعلينا أن نلجأ تحت ظل جناحي الرب (36: 7). كما يجب علينا أن نتكل دائماً على الله، الذي هو ملجؤنا (62: 8)، وأن نفرّ إلى الرب كلما ضاقت نفوسنا. وحينئذٍ، سيسترنا الرب تحت ظل جناحيه (17: 8)، حافظاً إيانا وحامياً لنا.

الذي يُتَمَّ كل شيءٍ لأجله—ثانياً: عندما ضاقت نفس داود، صرخ إلى الله.

تأمل في المزمور 57: 2 من الكتاب المقدس: "أَصْرُخُ إِلَى اللَّهِ الْعَلِيِّ، إِلَى اللَّهِ الَّذِي يُتَمَّمُ لِي كُلَّ شَيْءٍ". فبينما كان يختبئ في كهفٍ الذي يُتَمَّ كل شيءٍ نيابةً عنه. ثرى، كيف تمكّن داود من رفع صلاةٍ كهذه؟—فراراً من الملك شاول، صرخ داود إلى الله العليّ مُعلنًا أن الله هو الذي—بالتأكيد، لو أنه نظر إلى ظروفه بعيون الجسد فحسب، لما استطاع داود أبداً أن يُطلق اعترافاً إيمانياً كهذا وهو محصورٌ من كل—يُحقق مشيئته الإلهية خصيصاً لأجله. ولو أنه ركّز انتباهه فقط على محتته الراهنة داخل حدود ذلك الكهف لما استطاع داود حتى أن يلتمس مشيئة الله وسط ذلك القدر من اليأس. ولكن، ولأن داود نظر إلى الله العليّ بعيون الإيمان—جانب هو الذي سيُتَمَّ مشيئته الإلهية لأجله. ونحن أيضاً، يجب أن نمثلك الإيمان—وليس هو ذاته—وهو داخل ذلك الكهف، فقد آمن بأن الله ذاته. وهذا الأمر يُعيد إلى الأذهان قصة بولس وسيلا، كما وردت في سفر أعمال الرسل، الإصحاح 16؛ إذ بينما كانا محبوسين، صليا إلى الله وسبّحاه. بينما يُعد لجوؤهم إلى الصلاة لله أمراً مفهوماً بلا شك—ومغلقاً عليهما من كل جانب—داخل جدران السجن، ذلك الذي يرفع—قد يتساءل المرء: كيف تمكنوا من تقديم التسبيح لله في ظل تلك الظروف العصيبة؟ في نظري، إن الإنسان المؤمن يستطيع أن يسبح الله بإيمان؛ لأنه يضع ثقته واعتماده على جوهر طبيعة الله ذاتها بصفته—دعاه إلى الله ويثق بأن مشيئته ستتحقق الإله، بغض النظر عن مآلات الأمور. وهذه هي بالتحديد قوة التسبيح: فهو ليس تسبيحاً يستند إلى ظروفنا الراهنة، بل تسبيح يرتكز على حقيقة "من هو الله". ومهما كان الموقف الذي نجد أنفسنا فيه، فإن إلهاً يستحق أن ينال كل حمد وتسبيح. ولذلك، وبصرف النظر عن ظروفنا، يحتتم علينا أن نرتل تسابيح الحمد للرب تعظيماً لسموه وجلاله. وعلينا أن نرفع أصواتنا بالدعاء إلى الله العليّ متمسكين بإيمان راسخ بأن الله، حتى في خضم المصائب التي تعترض طريقنا، سيتم مشيئته الإلهية من أجلنا. وثالثاً، كان داود يثق بأنه حين تضيق نفسه وتكتئب، فإن الله سيرسل إليه رحمته وحفه.

تأملوا معي في المزمور 57: 3: "يُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَيُخَلِّصُنِي. عَيَّرَ الَّذِي يَنْهَمَمُنِي. سِلَاةً. يُرْسِلُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ وَحَقَّهُ". لقد كان داود يمتلك يقيناً راسخاً بالخلاص؛ فعلى الرغم من أنه كان يمر بظرف اضطره فيه الهرب من الملك شاول والاختباء داخل كهف، إلا

آمن بأن الله سينجيهِ. وعلاوة على ذلك، وثق داود بأن الله سيرسل إليه رحمته وحقه—حتى في خضم تلك الظروف القاسية—أنه (الآية 3). فما هو إذن المعنى الكامن وراء هذه العبارة القائلة بأن الله يرسل رحمته وحقه؟ شخصياً، لقد اختبرت ذات مرة تلك الرحمة والحق اللذين أرسلهما الله إليّ، وذلك حين كان طفلي الأول يعاني من مرض عضال. وكانت كلمة الحق التي أرسلها الله إليّ هي الآية الواردة في المزمور 63: 3: "لَأَنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ، شَفَقَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ". وحين تلقيتُ هذه الآية في صباح يوم اثنين، اتخذتُ أنا وزوجتي قراراً بأن نسمح لطفلنا الأول، "جويونغ"، بأن يرحل بسلام. وتجمعنا حول "جويونغ"—الذي كان يرقد في وحدة العناية ووقف أفراد عائلتنا في حلقة دائرية ليعبدوا الله؛ ثم، وبعد إطفاء جميع الأجهزة الطبية وإزالة الأنابيب، غفا—المركزة بالمستشفى، "جويونغ" بين ذراعيّ. وفي وقت لاحق، وبعد أن تم حرق جثمان "جويونغ" وقمنا بنثر رماده، وبينما كنا عاندين إلى البر الرئيسي، مكنتني الله من تقديم التسبيح له على محبته الخلاصية البديعة والعجيبة. وفي نهاية المطاف، وخلال أعظم أزمة مررنا بها في حياتنا، أرسل الله إلينا محبته وحقه، دافعاً إيانا لتقديم التسبيح له. ولذلك، فإنني أؤمن بأن الأزمة تُعد فرصة ثمينة لاختبار محبة الله وحقه. رابعاً: عندما كانت نفس داود مضطربة، ترنم وقدم التسبيح بقلب راسخ وعازم.

تأملوا معي في المزمور 57: 7: "يَا اللَّهُ، قَلْبِي رَاسِخٌ، قَلْبِي رَاسِخٌ؛ سَأَرْنِمُ وَأُسَبِّحُ". فبعد أن التجأ إلى الله وسط الكوارث التي واجهها لم يؤمن داود فحسب بأن الله سيتم مشيئته لأجله، بل آمن أيضاً بأنه سيرسل رحمته وحقه (الآيات 1-3). وفي نهاية المطاف، وبينما كان ينال نعمة الله ويتمتع بها حتى في خضم تلك الكوارث، اكتسب داود شعوراً عميقاً باليقين والاطمئنان في قلبه (الآية 7). فلم يكن يمتلك يقين الخلاص فحسب، بل امتلك أيضاً القناعة بأن مشيئة الله ستتم بالكامل، وأنه سيختبر محبة الله وحقه حتى وسط تجاربه، وبفعلها ذلك—وارتكازاً على هذا اليقين، عزم داود على تقديم التسبيح لله (الآية 7). ونتيجة لذلك، استيقظت نفس داود المضطربة أيقظت الفجر ذاته (الآية 8). ونفوسنا نحن أيضاً يجب أن تستيقظ وتوقظ الفجر؛ فلا ينبغي لنفوسنا أن تظل بعد الآن في حالة من أن نقدم التسبيح للرب على علوه وعظمته—بقلوب ملؤها اليقين—الضيق والاضطراب، بل يجب علينا

. عندما كانت نفس داود مضطربة، صلى طالباً أن يتعالى الله، وأن يرتفع مجده فوق الأرض كلها—خامساً—وأخيراً

أرجو منكم النظر إلى الآيتين 5 و 11 من المزمور 57: "ارتفع يا الله فوق السماوات، وليكن مجدك فوق كل الأرض... ارتفع يا الله بينما كان يختبئ في كهفٍ فراراً—فوق السماوات، وليكن مجدك فوق كل الأرض". إن هذا الأمر مذهل؛ فمن المثير للتأمل أن داود قد صلى طالباً أن يرتفع الله فوق السماوات، وأن يُرفع مجد الله عالياً فوق الأرض بأسرها. ويجد عقلي صعوبة—من الملك شاول خاصةً في استيعاب حقيقة أنه، حتى في خضم ملاحقة الملك شاول له ظلماً ومواجهته لمصائب شتى، ظل داود يرفع الشكر للرب بين الشعوب ويسبحه بين الأمم (الآية 9)، وكل ذلك بينما كان يصلي ليرتفع الله فوق السماوات ومجده فوق الأرض كلها. وبينما

أتأمل في الكيفية التي تمكّن بها داود من فعل ذلك، أو من بأن الأمر كان ممكناً لأنه قد اختبر شخصياً "الرحمة والحق" اللذين أرسلهما الله (الآية 3). انظروا إلى الآية 10: "لأن رحمتك عظيمة، تبلغ السماوات، وحقك يبلغ السحاب". فحين ضاقت نفس داود ولجأ إلى الله وسط مصائبه، اختبر النعمة التي كان قد ابتهل من أجلها، وإرادة الله التي كان قد صرخ طلباً لها، والرحمة والحق اللذين كان يتوق إليهما؛ ونتيجةً لذلك، أطلق هذا الاعتراف: "لأن رحمتك عظيمة، تبلغ السماوات، وحقك يبلغ السحاب". وبناءً على ذلك، تمكّن "من الصلاة لله قائلاً: "ارتفع يا الله فوق السماوات، وليكن مجدك فوق كل الأرض

أثناء مراسم الجنازة الخاصة—ما زلت أذكر ذلك بوضوح تام؛ إنها ذكرى محفورة في قلبي بصورة لا تُمحى. أستحضر تلك اللحظة حين انضممت، بعد إعلاني لكلمة الله، إلى جميع المعزين في ترنيم الترنيمة رقم 40 ("يا ربي وإلهي—بخالي الثالث، الذي كان قساً حين أتأمل في عظيم عجائبك") بحماسٍ شديد، مقدمين تسبيحنا لله. وعلى وجه الخصوص، لن أنسى أبداً تلك التجربة الروحية التي أعيشها عند ترنيم اللازمة القائلة: "تسبح نفسي عظمة الرب وجلاله"؛ إذ في تلك اللحظات، يُمكن الروح القدس الساكن في نفسي من ماثلةً في ذهني بوضوح شديد؛ ففي أثناء رحلة تبشيرية—الذي كان راعياً كنسياً—تقديم التسبيح لله. لا تزال صورة عمي الثالث إلى "تيخوانا" بالمكسيك، وقف أمام مجموعة من المكسيكيين ذوي الإعاقة وأُنشد تلك اللازمة ذاتها باللغة الإسبانية. وعلاوة على ذلك، أستحضر مشهد عمي الثالث في إحدى صلوات العبادة العائلية بمناسبة رأس السنة، وذلك قبل فترة وجيزة من وفاته؛ فعلى الرغم من معاناته من مرض السرطان وضعف جسده وهزاله، إلا أنه استجمع قواه ونهض ليستبّح بحمد الرب ويعظم عظمته وجلاله. أن يظل قادراً على تسبيح الرب وتمجيد عظمته وجلاله؟—وهو يكابد آلام المرض وعذاباته—كيف يتسنى لمريض بالسرطان أن يظل مترنماً بتسابيح تمجد عظمة الرب وجلاله في مراسم—وهو يودّع فرداً عزيزاً من أفراد عائلته—وكيف يمكن للمرء، "الجنازة؟ إنني أشعر بتحدٍ عميق حين أتأمل في شخصية "داود"—الذي رفض، حتى وهو مختبئ في كهف فراراً من الملك "شاول أن ينشغل بظروفه العصبية والكارثية؛ وبدلاً من ذلك، ركّز نظره على الله مخلصه، ومجدّ الرب من خلال محبته وحقه، مصلياً أن يرتفع مجد الله فوق كل الأرض. لقد أدركت حينها أن نطاق صلواتي كان محدوداً للغاية؛ إذ كنت أميل إلى التركيز حصراً على ظروف الراهن أو على خدمتي الرعوية فحسب. أما الآن، فقد غدت رغبتني أن أصلي لكي تملأ معرفة مجد الله الأرض قاطبة، تماماً العالم—ومجده—كما تغطي المياه أعماق البحار". وإنني لأصلي أن يوسع الله نطاق صلواتي، لكي تملأ عظمة الرب وجلاله" بأسره حقاً وبقيناً.

إننا نعيش في عالمٍ يعجّ بالظلم؛ فحتى داخل الكنيسة ذاتها، غالباً ما يعاني الناس من سوء المعاملة والظلم. إنني ببساطة لا أستطيع شأنها شأن السيف القاطع (مز مور 57: 4). ولا أفهم لماذا يختار البعض—استيعاب السبب الذي يجعل السنة البشر حادةً للغاية على أمل أن يسقط ذلك—تشويه سمعة إخوتهم وأخواتهم (الآية 3). ويبدو الأمر وكأنهم يحفرون حفرةً أمام شخصٍ ما مباشرةً

بل ويتمادون إلى حدّ نصب شتى أنواع الفخاخ خصيصاً ليتسببوا في تعثر إخوتهم في الإيمان. ونتيجةً لذلك، نجد—الشخص فيها بين أعضاء الكنيسة من يعانون من جراحٍ أعمق وأشدّ إيلاًماً؛ فعلى الرغم من وقوع الظلم عليهم، إلا أنهم لا يجدون ملاذاً يلجؤون إليه ليبوحوا بشكواهم ويعربوا عن مآلهم. وفي نهاية المطاف، ينتهي المطاف ببعض هؤلاء الأعضاء إلى ترك الكنيسة بالكامل ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ وفي داخل الكنيسة أيضاً، يوجد العديد من الأعضاء الذين يعانون جراء كوارث شتى؛ وهم في حيرة من أمرهم، لا يدرون ما عساهم أن يفعلوا. لذا، يتحتم علينا أن نُثبِت أنظارنا على الرب وحده، وأن نصرخ إليه مستغيثين. وعلينا أن نلجأ إلى الله، الذي هو ملاذنا ومأوانا؛ فإله سيُنمِّم بالتأكيد مقاصده من أجلنا. فضلاً عن ذلك، فحين نجد أنفسنا في خضم الكوارث سيرسل الله محبته وأمانته، لكي نختبرهما اختباراً عميقاً. وهكذا ستثبت قلوبنا، وبملاء الثقة، سنرفع تسبيحنا لله قائلين: «ارْتَفِعْ يَا اللهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَلَيَرْتَفِعْ مَجْدُكَ فَوْقَ كُلِّ الْأَرْضِ» (الآية 5)

الله، الذي يفيض علينا بمزيدٍ من اللطف حين نكون في الأسر

وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ وَبَسَطَ إِلَيْهِ لُطْفًا، وَأَعْطَاهُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ رَئِيسِ بَيْتِ السِّجْنِ «(تكوين 39: 21)»

تمرُّ بي أوقاتٌ يشعر فيها قلبي بالثقل؛ والسبب في ذلك هو أنني أشهد أحبائهم لي وهم يعانون من المرض، ويقفون عند مفترق الطرق. الفاصل تماماً بين الحياة والموت. وحين أرى بعيني الألم الجسدي الذي لا يُصدَّق والذي يتحملونه، غالباً ما يشعر قلبي بالثقل والضيق مسجِّحاً الله، ومصلياً إليه من أجلهم، ومشاركاً إياهم كلمته المقدسة. ومع ذلك، وحتى—ولا يسعني حينها سوى الوقوف بجانبهم تمرُّ لحظاتٌ يفيض فيها قلبي بالمشاعر الجياشة، وأجد صعوبةً في حبس—ولا سيما حين أكون مصلياً لأجلهم—بينما أقوم بذلك دموعي. وفي وقتٍ لاحق، حين يرحل أولئك الأحبة أخيراً من بيننا، أتمكن من قيادة مراسم جنازتهم مستمداً قوتي من النعمة العظيمة التي يهبها الله؛ غير أنني حين أعود إلى حرم الكنيسة في صباح يوم أحدٍ ما، وأرى مقاعدهم خالية، غالباً ما أجد نفسي غارقاً مرةً أخرى في بحرٍ من الشوق، بينما تتدفق ذكرياتهم إلى ذهني. ومع ذلك، ثمة نعمةٌ مذهلةٌ حقاً تتجلى هنا: فكلما ازداد قلبي ثقلًا وصعوبةً، في شعوره، ازداد الله إفاضةً لمحَبَّته عليَّ بعمقٍ وغازرةٍ واتساعٍ. لقد اختبرتُ هذه الحقيقة بأعمق صورها في أواخر العام الماضي بتوديع المبشِّر الراحل «آن ديوك-إيل» وهو يرحل لينضم إلى الله—«بصفتي عضواً في جماعة كنيسة «جيونغهي»—حين قمْتُ الأب؛ ففي تلك اللحظة، اختبرتُ محبة الله بطريقةٍ كانت أعظم وأعمق وأكثر اتساعاً مما كانت عليه في أي وقتٍ مضى. ولا يمكن لهذا الأمر أن يكون شيئاً آخر سوى نعمة الله. إن الإدراك المتواضع الذي منحنيهِ الله هو هذا: كلما ازداد القلب ثقلًا وأعباءً، ازداد الله إفاضةً لمحَبَّته.

سفر التكوين 39: 21—ثُعِرْنَا بيوسف: ذلك الرجل الذي لُقِّقَتْ له التهم ظلماً، واتُّهم—إن الفقرة الكتابية المخصصة لهذا اليوم زوراً، وسُجِّن بغير وجه حق. ولأنه كان فائق الجمال وحسن الصورة (تكوين 39: 6)، فعندما أُلِّقَتْ عليه زوجة سيده — وهو فوطيفار، رئيس الشرطة الملكية الذي كان يخدم فرعون ملك مصر (الآية 1) — نظراتٍ مغرية (الآية 7)، وألحَّت عليه يومياً لكي يضاجعها (الآية 10)، رفض يوسف أن يصغي إليها؛ بل إنه لم يرضَ حتى بالبقاء في حضرتها، إذ كان عازماً ألا يرتكب مثل هذه الفاحشة العظيمة ويخطئ في حق الله (الآية 9). ثم في أحد الأيام، دخل يوسف إلى بيت سيده ليؤدِّي واجباته، ولم يكن في البيت آنذاك، "أحد سواه؛ إذ لم تكن حاضرة إلا زوجة سيده (الآية 11). وحينئذٍ، أمسكت المرأة بثوب يوسف وطالبته قائلة: "اضطجع معي فترك يوسف ثوبه في يدها وهرب إلى الخارج (الآيتان 12-13). ولما رأت المرأة ذلك، نادَتْ على خدام البيت واتهمت يوسف زوراً

بمحاولة الاعتداء عليها (الآية 14)؛ وفي وقت لاحق، عندما عاد زوجها فوطيفار إلى البيت، كذبت عليه هي الأخرى، مدعيةً أن يوسف قد دخل إلى غرفتها ليسخر منها، ولكنه لم يهرب تاركاً ثوبه خلفه إلا بعد أن صرخت هي (الآيات 16-18). ونتيجة لذلك أُلقي بيوسف في السجن الذي كان يُحتجز فيه سجناء الملك (الآية 20)؛ ومع ذلك، ظل الله مع يوسف، وأفاض عليه من رحمته، ومكّنه من أن يحظى بالقبول في عيني رئيس السجن (الآية 21). فعهد رئيس السجن إلى يوسف برعاية جميع السجناء الموجودين في المعتقل، وولّاه مسؤولية الإشراف على كافة العمليات الجارية داخل السجن (الآية 22). وعلاوة على ذلك، لم يتدخل رئيس السجن بأي شكل من الأشكال في العمل الذي كان يوسف مسؤولاً عنه؛ والسبب في ذلك هو أن الله كان مع يوسف، فجعله ينجح ويزدهر في كل ما يضطلع به من أعمال (الآية 23؛ *ترجمة "كتاب الشعب الحديث"*) . إن سر الازدهار الحقيقي يكمن في حضور الله معنا، (الآيات 2 و3 و21 و23). ولأن الله معنا، فقد أصبحنا أناساً ينعمون بالازدهار والنجاح (الآية 2). إن الله يكلل مساعينا كافة بالنجاح مما يتيح حتى لغير المؤمنين أن يشهدوا على نجاحنا (الآية 3). وعلاوة على ذلك، يمنحنا الله حظوةً وقبولاً في عيون غير المؤمنين هؤلاء أنفسهم (الآيتان 4 و21). غير أن ما يجب أن نضعه نُصب أعيننا هو أن حتى أولئك الذين ينعمون بالازدهار قد يواجهون تجارب قاسية ويعانون من مصاعب ظالمة (الآيات 7-20). ونتيجة لذلك، قد نجد أنفسنا محصورين ومحاصرين داخل صعوباتٍ نعجز عن الإفلات منها بقوتنا الذاتية، مهما بحثنا يائسين في كل اتجاه عن مخرج. ومع ذلك، فإن الأمر المذهل حقاً هو أن الله، حتى في خضم هذه الشدائد، يغمرنا بمحبته ورأفته (الآية 21). يا لها من محبةٍ عجيبةٍ تلك التي يُبديها الله! وعليه، ورغم أننا قد نكون في نستمذ من تلك المحبة القوة اللازمة لتحمل—وأكثر اتساعاً وعمقاً—وضع الأسر أو الحصار، فإننا إذ نختبر محبة الله بصورةٍ أكمل مصاعبنا بصبرٍ وثبات. وفي نهاية المطاف، وإدراكاً منا بأن محبة الرب ورأفته هي خيرٌ من الحياة ذاتها، فإن الله يُحرك قلوبنا! وشفاهنا لكي نرفع إليه آيات الحمد والعبادة (المزمور 63:3). هلوليا

يا رب، إني أعلم أنه لا ينبغي لي أن أقلق، ولكنني أجد نفسي عاجزاً عن" ".السيطرة على قلبي

فإن كنتم لا تقدرون ولا على أصغر شيء، فلماذا تقلقون بشأن الأمور الأخرى؟" (لوقا 12: 26)

من بين الأمور التي شغلت بالي وأقلقنتني مؤخراً، ما يتعلق بإخوتنا وأخواتنا الذين يعانون من الاكتئاب، أو اضطرابات الهلع، أو الخرف. كما ينتابني القلق والاضطراب حين أفكر في أفراد عائلاتهم الذين يتولون رعايتهم بكل حب وتفانٍ. وحين أتأمل مدى صعوبة وضعهم وما يسببه لهم من ضيق عاطفي ونفسي، يمتلئ قلبي بالهم والقلق. وحتى بينما أذكرهم وأرفع الصلوات إلى الله من أجلهم، يظل القلق مسيطراً عليّ. لقد ذكر الكتاب المقدس بوضوح: "ألقوا كل همكم عليه، لأنه هو يعتني بكم" (1 بطرس 5: 7)؛ ومع ذلك، ورغم معرفتي التامة بهذه الآية، لا أزال أجد نفسي أستسلم للقلق. إنني أتشبث بهذه الآية وأصلي من أجلهم، ولكن بمجرد أعود لأقلق من جديد. ولعل السبب في ذلك هو أنني أخفق في إلقاء—وكلما عاودتني الأفكار المتعلقة بهم—أن أنصرف عن الصلاة كل همومي على الرب، تماماً كما يوصينا الكتاب المقدس. وبكل بساطة، فإن السبب يكمن في ضعف إيماني.

أي إنجيل لوقا 12: 26 (وبالتحديد الآيات من 22 إلى 34)—فسنرى أن يسوع يخاطب تلاميذه—وإذا نظرنا إلى سياق نص اليوم قائلاً: "لا تقلقوا". ويسوع يوجه حديثه إلينا نحن أيضاً، قائلاً: "لا تقلقوا بشأن حياتكم، ماذا ستأكلون؛ ولا بشأن أجسادكم، ماذا سترتدون" (الآية 22)، ويقول أيضاً: "لا تعلقوا قلوبكم بما ستأكلون أو تشربون؛ ولا تقلقوا بشأن ذلك" (الآية 29). فما هو السبب في هذا النهي؟ (1) السبب الأول هو: "من منكم يستطيع، بقلقه، أن يضيف ساعة واحدة إلى عمره؟" (الآية 25). فما الجدوى التي ومع ذلك، نجد أنفسنا نواجه—إذ لا يقدم لنا عوناً ولا يعود علينا بفائدة—نجنيتها من قلقنا؟ إن الواجب يحتم علينا أن نمتنع عن القلق صعوبة بالغة في تحقيق ذلك. (2) أما السبب الثاني، فهو أننا عاجزون عن إنجاز حتى أصغر المهام وأبسطها (الآية 26). وبما أننا لا نقوى على تدبير مثل هذه الأمور البسيطة والتافهة، فلماذا إذن نقلق بشأن الأمور الأخرى أيضاً؟ (الآية 26؛ *الكتاب المقدس الكوري المعاصر*). (3) السبب الثالث هو أن هذه الأمور هي بالتحديد تلك الأشياء التي يسعى غير المؤمنين جاهدين للحصول عليها (متى 6: 32؛ *الكتاب المقدس الكوري المعاصر*). (4) السبب الرابع هو أن أبانا يعلم تمام العلم أنكم (نحن) بحاجة إلى كل هذه الأشياء (لوقا 12: 30؛ *الكتاب المقدس الكوري المعاصر*). ولأن الله الأب يعلم بدقة ما نحتاج إليه، فلا ينبغي لنا أن نقلق؛

مراراً وتكراراً. والسبب في ذلك هو أننا أناسٌ قليلو الإيمان (الآية 28). وبصفتنا أناساً قليلي الإيمان، فإننا—ومع ذلك، فإننا نقلق بشأن ما سنأكله لنعيل حياتنا، وما سنرتديه لنكسو أجسادنا (الآية 22)—اليوم وغداً على حد سواء—نقلق

إذن، ماذا ينبغي علينا أن نفعل؟ ينبغي علينا أن نتأمل في الغربان (الآية 24). وينبغي علينا أن ننظر إلى طيور السماء (متى 6: 26) ، لا يزال ذلك المشهد عالماً بذهني بوضوح تام. فخلال خلوة مشتركة عقدتها مؤخراً خدمتنا الناطقة باللغة الإنجليزية في منطقة جبلية ترتفع عالياً—جلستُ ذات صباح على كرسي في الشرفة الخلفية لمكان إقامتنا. وبينما كنتُ أراقب الطيور وهي تحلق في الأرجاء تذكرتُ الكلمات الواردة في إنجيل متى 6: 26: «أَنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تُزْرَعُ وَلَا فِي الْجَوِّ تَحْطُ عَلَى الْأَشْجَارِ تَحْصُدُ وَلَا تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبْوَكُمُ السَّمَاءِيُّ يَفْوَتْهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟». وهكذا، وبينما كنتُ أراقب تلك الطيور وأقضي لحظات أتأمل في ذلك النص المقدس، خطرت ببالي هذه الفكرة: «إذا كان أبي السماوي يعتني حتى بالطيور، فكيف له أن الذي يعتبرني أكثر قيمةً وأهميةً وكرامةً منها بكثير؟» (إشعياء 43: 4). وبالفعل، طوال حياتي حتى—يُقَصِّرُ في العناية بي أنا حتى أنني لم أصب بالجوع قط لمرة—ووفره لي بوفرة عظيمة—هذه اللحظة، كان أبي السماوي يعيلني؛ فقد وفر لي خبزي اليومي واحدة بسبب نقص في الطعام. وعلاوة على ذلك، فقد زودني أبي السماوي بالكساء، ضامناً ألا أضطر أبداً للسير عارياً لافتقاري. وهو ما يفوق بكثير ما أستحقه—إلى ما أرتديه. على العكس من ذلك، لقد أنعم الله عليّ بحياةٍ أمتع فيها بوفرةٍ من الطعام والكساء وبالتحديد: ما الذي ينبغي—ومع ذلك، ورغم كل هذا، لا أزال أجد نفسي قلقاً بشأن أمورٍ شتى؛ فأنا أقلق بشأن علاقتي بالآخرين وكيف لي أن أَرْضِي زوجتي" (1—عليّ قوله لهم، وكيف ينبغي لي أن أقوله (متى 10: 19). كما أقلق بشأن "شؤون العالم كورنثوس 7: 33). وأشعر بالقلق والاضطراب إزاء المسائل المتعلقة بالكنيسة (2 كورنثوس 11: 28؛ قارن لوقا 10: 41) ويساورني القلق من أن يتحول بعض أعضاء الرعية عن الكنيسة أو أن يهجروا يسوع (تنثية 29: 18). وفوق كل شيء، أخشى أن أستسلم أنا نفسي لتجارب الشيطان (1 تيموثاوس 3: 7). وهكذا، غدا قلبي مُثْقَلًا ومُتَبَلِّدًا بفعل هموم الحياة اليومية (لوقا 21: 34)؛ وعلاوةً على ذلك، ولأنني أضمر في نفسي هذه الهموم الدنيوية، فإن كلمة الله تُخْنَقُ في داخلي، وأعجز بالتالي عن الإثمار (مرقس 4: 19) ورغم إدراكي التام بأنه لا ينبغي لي أن أكون على هذه الحال (مرقس 4: 19)، إلا أنني أستمر في القلق بشأن طائفةٍ واسعةٍ. 19: 4: الذي لم يحلَّ—أي المستقبل—من الأمور حتى يومنا هذا. ولا يقتصر قلقي على هموم اليوم فحسب، بل يمتد ليشمل أحداث الغد يوجه الرب كلماته قائلاً: "فَلَا تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ، لِأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي—شخصٍ على هذه الشاكلة—بعد. وإلى شخصٍ مثلي. الْيَوْمَ شَرُّهُ" (متى 6: 34).

إنني أصبو إلى أن أترك الغد ليهتم بشؤونه الخاصة؛ وأرغب في أن أحيا حياتي مُودعاً كل همومي ومتاعبي بين يدي الرب، توكلأ عليه وثقةً به. إنني لا أستوعب سرَّ إصراري على القلق، في حين أن قلقي لا يُجدي نفعاً ولا يُسهم بشيء يُذكر في تحسين تلك الأمور ذاتها التي تقضُّ مضجعي. كما لا أفهم لماذا أقلق بشأن مسائل أخرى، في حين أنني أعجز عن تدبير حتى أبسط المهام وأصغرها الذي يغمرنني بمحبته—بنفسي. ولا بد أن مردِّ ذلك هو ضعف إيماني. لذا، فإنني أتوق إلى التمسك بقناعةٍ راسخةٍ مفادها أن الله الأب يعلم تماماً ما أحتاج إليه، بل ويعلم ذلك خيراً من أي شخصٍ آخر. لذا، لم أعد أرغب في أن أعيش حياة أولئك—ورعايته الغالية الذين لا يؤمنون بيسوع؛ حياةً يملؤها القلق بشأن ما سيأكلونه أو يشربونه، ويسودها التكالب المحموم والسعي المضني لامتلاك تلك الأشياء. وبدلاً من ذلك، وكما أمر الرب تماماً، أصبو إلى أن "أطلب أولاً ملكوت الله وبرّه". وإذا أتمسك بإيمانٍ راسخٍ بوعده الرب .القاتل: "وهذه كلها تُزاد لكم" (متى 6: 33)، فإنني أرغب في أن أضع أولويات قلبي وصلواتي في نصابها الصحيح وترتيبها السليم وتحقيقاً لهذه الغاية، لا أنوي أن أطلب من الله إيماناً ثابتاً فحسب، بل أن أكرس نفسي أيضاً للتأمل بعمقٍ متزايدٍ في كلمته، وللإصغاء إلى صوت الرب، لكي ينمو إيماني ويزداد رسوخاً (رومية 10: 17). وفي غمرة قيامي بذلك، أنوي أن أجعل من عاداتي الواعية والسبب في .(8مراقبة الطيور وهي تحلق في عنان السماء؛ كما أنوي أن أتأمل في الكيفية التي تنمو بها زهور الحقل (متى 6: 2 ذلك هو الآتي: إنني أرغب في أن أعيش كل يوم ساعياً وراء ملكوت الله ومشيتته، مرتكزاً على إيمانٍ واثقٍ مفاده أنه إذا كان الله الذي يفوق في قيمته وعزته—يعتني بالطيور ويكسو الزهور بتلك الصورة البديعة، فكم بالحري سيعتني بي الله الأب ويكسوني أنا !أي طيرٍ أو زهرةٍ

كيف يمكن للمرء أن يجد راحة البال في مثل هذا الموقف المثير للقلق الشديد؟

تَشَدُّدُوا وَتَشَجَّعُوا. لَا تَخَافُوا وَلَا تَرْتَعِبُوا مِنْ وَجْهِ مَلِكِ أَشُّورَ وَمِنْ كُلِّ الْجُمْهُورِ الَّذِي مَعَهُ، لِأَنَّ مَعَنَا أَعْظَمُ. مِمَّا مَعَهُ. مَعَهُ ذِرَاعُ بَشَرٍ، وَأَمَّا مَعَنَا فَالرَّبُّ إِلَهُنَا لِيُعِينَنَا وَيُحَارِبَ حُرُوبَنَا». فاستمد الشعب الثقة مما قاله حزقيا ملك يهوذا. (أخبار الأيام الثاني 32: 7-8)

إن مجرد التفكير في الأمر يملؤني بالقلق والرغبة (أيوب 21: 6). وحين أنشغل بفكري حصاراً بالموقف الذي أواجهه حالياً، يعجز النوم عن زيارة جفوني؛ فقد فقدت شهيتي للطعام، وأشعر بإحباط شديد. إنه لأمر خارج تماماً عن نطاق سيطرتي، ولا أدري ما عساي أن أفعل. وبينما أتقلب في همومي وأضطرب في قلقي، تضعف روحي وتخور قواها (مزمو 77: 3). بل إنني لأعجز حتى عن إيجاد الكلمات لأصلي بها؛ فلا أملك سوى أن أنوح وأئن في شدة ضيقي (مزمو 38: 8). ففي مثل هذا الموقف البالغ القلق كيف، إذن، يمكن للمرء أن يجد راحة البال وسكينة النفس؟—والاضطراب

أخبار الأيام الثاني 32: 7-8—كلمات الملك حزقيا، ملك يهوذا، حين جمع كل—يسجل لنا النص الكتابي المخصص لهذا اليوم الشعب داخل أسوار أورشليم، في ساحة باب المدينة، ليقدم لهم كلمات العزاء والمواساة. وما إن سمع جموع سكان يهوذا كلمات التعزية تلك، حتى استجمعوا قواهم واستشعروا الطمأنينة والسكينة فيما قاله الملك حزقيا. وقد يتساءل المرء هنا: كيف كان ذلك ممكناً؟ والسبب في ذلك هو أنه لو نظر المرء إلى الموقف الذي واجهه الملك حزقيا وشعب يهوذا من خلال منظور الفهم البشري والمنطق الإنساني فحسب، لوجد أنه لم يكن بأي حال من الأحوال موقفاً يمكن للمرء أن يشعر فيه بالأمان بشكل معقول أو منطقي. ففي حقيقة الأمر، كانت الظروف التي وجدوا أنفسهم فيها تشكل أزمة خطيرة للغاية. ولم تكن تلك الأزمة الخطيرة سوى غزو سنحاريب، ملك آشور، لأرض يهوذا؛ إذ كان قد عسكر بجيوشه أمام مدنها المحصنة عازماً على مهاجمتها واحتلالها (الآية 1) —أو بعائلتي—وحين يواجه المرء أزمة كبرى كهذه، فمن الطبيعي تماماً أن تدفعه غرائزه الفطرية إلى التساؤل: «لماذا حلت بي هذه الأزمة الهائلة؟» وحينئذٍ، وبحسب ما يمنحنا الله من نعمة، نقترّب إليه بالصلاة سائلين: "ما هي، حقاً، مشيئة الله في هذا الأمر؟ هذه الأزمة الكبرى عليّ؟" ومع ذلك، يبدو أنه رغم طرحنا لهذه الأسئلة مرات لا تُحصى—أو سمح بوقوع—أو: "لماذا أرسل الله

فإننا في معظم الأحيان نظل عاجزين عن إدراك مشيئة الله. وقد نتأمل قائلين: "ففي نهاية المطاف، لقد كنت أخدم الله بأمانة؛ فلماذا أن إرشاد الله—معتمدين فقط على فهمنا البشري المحدود—إن ضربتني هذه الأزمة الهائلة؟" وبالفعل، ثمة أوقات كثيرة نجد فيها يبدو لنا غير مفهوم على الإطلاق.

كان سيكون من المنطقي تماماً أن يفكر قائلًا: "يا—الشخصية المحورية في نصنا الكتابي لهذا اليوم—ومن منظور الملك حزقيا وتحديدًا *بعد* أن قمْتُ بـ 'كل هذه الأعمال الأمانة' (الآية—إلهي، لقد تصدرتُ حركة إصلاح ديني (الأصحاح 31)؛ فلماذا إذن سمحت لي بمواجهة أزمة بهذا الحجم الهائل؟" وربما كان قد استدلل قائلًا: "لقد تصرفْتُ 'بما هو مستقيم في عيني الرب، تماماً—(1) كما فعل سلفي داود' (29:3)؛ ولقد جُبْتُ مدن يهوذا محطماً ومقطعاً ومدمراً تماماً للأعمدة المقدسة، وسواري عشيرة، والمرتفعات، والمذابح (31:1)؛ وأعدتُ الكهنة واللاويين إلى مهامهم الصحيحة (الآية 2)؛ وأحييتُ ممارسة العثور (الآيتان 5-6)—وباختصار لقد تصرفْتُ 'بالصلاح والاستقامة والأمانة' في عيني الله (الآية 20). وعلاوة على ذلك، 'في كل عمل شرع فيه لخدمة بيت الله، وفي بعد* القيام بـ 'كل هذه الأعمال الأمانة'—أمكن*—الشريعة والوصايا، ليلتمس إلهي، عمل بكل قلبي' (الآية 21). فكيف إذن لسنحاريب، ملك أشور (32:1)، أن يأتي لمهاجمة أورشليم؟" (الآية 2). وبينما كنت أتأمل في هذا النص، خطرت ببالي نقطة مثيرة بعد أن استهل فترة من الإصلاحات (19:1 - 20:1)—واجه—للاهتمام. إن الحقيقة هي أن الملك يهوشافاط، ملك يهوذا أيضاً —بعد أن اضطلع بإصلاحاته الخاصة (31:1 - 32:1)—غزواً شتَه جيشٌ عدُو ضخم (20:1-2)؛ وبالمثل، فإن الملك حزقيا: شهد هو الآخر اجتياحاً من قِبَل قوات معادية (الآيتان 1-2). وقد قادني تأمل هذا النمط في الكتاب المقدس إلى طرح السؤال التالي: لماذا يسمح الله بوقوع مثل هذه الأزمات العميقة في حياة ملوكٍ فعلوا ما هو مستقيم في عينيهِ؟" فقلْتُ في نفسي: "في نهاية المطاف" ومع ذلك فقد واجه أزمة ذات هولٍ لا يمكن—ذلك الرجل الذي كان يتقي الله، وكان بلا لوم ومستقيماً—تأملوا في شخصية أيوب تخيله. لا بد، يقيناً، أن تكون هناك مشيئةٌ لله صالحةٌ ومقبولةٌ وكاملةٌ تكمن وراء هذا الأمر (رومية 12:2). وبالطبع، ففي حالة أيوب، أعتقد أن تلك المشيئة الإلهية الصالحة والمقبولة والكاملة قد تجسدت في إعلانه ذاك: "بسمع الأذن قد سمعتُ عنك، أما الآن ليس مجرد سماعاً، بل اختباراً ملموساً في—فقد رائتُك عيناي" (أيوب 42:5). ولو أمكننا حقاً أن نختبر حضور الله في حياتنا فهل نكون أنا وأنت مستعدين لاحتمال مثل تلك الأزمات والمعاناة؟ وإذا كانت تلك هي مشيئة—خضم الأزمات العظيمة والمعاناة الله حقاً، فهل سنكون قادرين على الثبات في الإيمان، والاحتمال بصبرٍ راسخ، ووضع ثقتنا في الله حتى في خضم تلك الأزمات بعد كل أعمال الأمانة تلك—"كانت تعليمه أن"—والمعاناة العميقة؟ لعل غاية الله من السماح بوقوع أزمةٍ عظيمةٍ على الملك حزقيا، يتوكل على الله وحده بكل قلبي (أمثال 3:5). ويكمن السبب وراء تفكيري بهذه الطريقة تحديداً في الكلمات التي أرسل سنحاريب ملك أشور، موظفيه لينطقوا بها أمام الملك حزقيا ملك يهوذا وشعب يهوذا في أورشليم (أخبار الأيام الثاني 32:9): "...على ماذا

،أنتم متكلون؟" [أي: "ما الذي تثقون به حتى أصبحتم بهذه الجراءة؟" (ملوك الثاني 18: 19)]. بالفعل، وكما ألمحت كلمات سنحاريب فعلى "أي شيء" —أو بالأحرى، على "من" —اتكل الملك حزقيا وشعب يهوذا؟ لم يكن ذلك الاتكال إلا على الله، "الذي معنا" (الآيتان ،عمانوئيل" —بكل قلوبهم، فإنهم لم يخافوا، ولم يرتعبوا (أو ييأسوا) (الآية 7). وبشكل خاص "—و8). ولأنهم اتكلوا على الله 7 اتكل على الله (عمانوئيل) بكل قلبه، فقد تمكن من حشد شعب يهوذا في الساحة الواقعة بجوار —قائد شعب يهوذا—ولأن الملك حزقيا باب مدينة أورشليم، وقدم لهم كلمات تعزية (الآية 6). لقد كانت كلمات التعزية التي نطق بها (رسالته) كلمات مشبعةً بذلك اليقين أعظم من الملك—الذي معنا—النابع من الاتكال الكلي على الله. وكان جوهر ذلك اليقين الواثق هو بالتحديد ما يلي: أنه نظراً لأن الله سنحاريب ملك أشور ومن كل الحشود التي تتبعه (الآية 7)، فإنه حتماً سيساعدنا ويحارب نيابةً عنا (الآية 8). وفي الواقع، إذا نظرنا ،إلى سفر الملوك الثاني 18: 5-6، فإن الكتاب المقدس يتحدث عن الملك حزقيا بهذه الكلمات: "اتَّكَلْ حَزَقِيَّا عَلَى الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ وَبَعْدَهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي جَمِيعِ مُلُوكِ يَهُودَا. وَالتَّصَقَّ بِالرَّبِّ، وَلَمْ يَجِدْ عَنِ اتِّبَاعِهِ، بَلْ حَفِظَ وَصَايَاهُ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ مُوسَى وَلِذَلِكَ، كَانَ الرَّبُّ مَعَ حَزَقِيَّا، وَكَانَ يَنْجَحُ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ وَأَيْنَمَا ذَهَبَ (الآية 8). ولأن الملك حزقيا اتكل على الله "الذي معنا"، فقد شدد قلبه، وتشجع، ولم يخف ولم يرتعب (سفر أخبار الأيام الثاني 32: 7). ونتيجةً لذلك، تمكن من حشد جميع الناس داخل مدينة أورشليم في الساحة الواقعة بجوار باب المدينة، وقدم لهم كلمات تعزية (الآية 6). وبدورهم، تمكن كل أولئك الناس أيضاً من العثور على الطمأنينة والسكينة من خلال كلمات حزقيا، ملك يهوذا (الآية 8). وبعبارة أخرى، وعلى غرار الملك حزقيا تماماً، وضع جميع أبناء شعب يهوذا اتكالهم وثقتهم في الله؛ وهكذا، وبدلاً من أن يستسلموا للخوف أو يصيبهم اليأس، تمكنوا من تقوية قلوبهم والتخلي مؤمنين بأن الإله الذي هو معنا—بالشجاعة (الآية 7؛ قارن 2 ملوك 18: 22، 30). ولأنهم جميعاً كانوا يمتلكون يقين الخلاص سيساعدنا بالتأكيد ويحارب نيابةً عنا" (2 أخبار الأيام 32: 7-8) وبأن "الرب إلهنا سينقذنا من يد ملك أشور" (الآية 11؛ قارن 2 ملوك 18: 32)—فإنهم لم يخشوا سنحاريب، ملك أشور، ولا جيشه؛ بل على العكس من ذلك، قوّوا قلوبهم، واكتسبوا الشجاعة: ووجدوا الطمأنينة (2 أخبار الأيام 32: 7، 8). وهذا الأمر يستحضر إلى الذهن كلمات الكتاب المقدس الواردة في سفر يشوع 1: 9: "أَلَمْ أَمُرْكَ؟ تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ! لَا تَرْهَبْ وَلَا تَرْتَعِبْ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مَعَكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ". 9:

أما أنا شخصياً، فكلما واجهت مواقف مثبطة للهمم أو مثيرة للقلق، غالباً ما أختبر عمل الروح القدس وهو يستحضر إلى ذهني كلمات المزمور 43: 5، مما يمكنني من التمسك بتلك الآية ورفع تضرعاتي إلى الله قائلاً: "لِمَاذَا أَنْتِ مُنْحَنِيَّةٌ يَا نَفْسِي؟ وَلِمَاذَا تَضْطَرِّبِينَ فِيَّ؟ ارْجِي اللَّهَ، لِأَنِّي بَعْدُ أَحْمَدُهُ، خَلَّاصَ وَجْهِهِ وَإِلَهِي". وبينما أعلن هذه الكلمات لنفسي، أقترّب من الله في الصلاة قائلاً: "يا جيمس، لماذا أنت منحنٍ؟ ولماذا أنت قلق؟ ضع رجاءك في الله...". وبينما أرفع هذه الصلاة، يقوم الروح القدس بتحويل نظري بعيداً عن الظروف المثبطة والمثيرة للقلق، مثبتاً إياه حصراً على الرب، الذي هو رجاؤنا. وفي تلك اللحظة، يقوم الله بترميم نفسي يتحدث الرب الأمين إلينا، نحن—وإنعاشها؛ فهو يرفعني مجدداً، ويمكنني من المضي قدماً وعياني مثبتتان على الرب. واليوم أيضاً المنحنيين والقلقين، قائلاً: "تشجعوا! إنه أنا. لا تخافوا" (متى 14: 27)؛ و"تشجع يا بني؛ مغفورة لك خطاياك" (2: 9). و"تشجعي

يا ابنة؛ إيمانك قد شفاك" (الآية 22). فلنكن جميعاً من يسمعون صوت الرب، وبنالون عزاءه، ويجدون قلوبهم قد تقوّت وامتلاّت جراءة.

عندما لا تعرف ماذا تفعل

يا إلهنا، ألا تقضي عليهم؟ لأنه ليست فينا قوة لنواجه هذا الجيش العظيم الذي يهاجمنا. ونحن لا نعرف ماذا نفعل، ولكن عيوننا عليك». (أخبار الأيام الثاني 20: 12)

التي نقف فيها حائرين—هناك أوقات لا نعرف فيها ببساطة ما الذي ينبغي علينا فعله. وفي الواقع، يبدو أن مثل هذه اللحظات أصبحت تتكرر بشكل متزايد. أذكر عندما كنت في الثانية عشرة من عمري؛—عاجزين عن تحديد الخطوات التي يجب اتخاذها فبعد أن رافقت والديّ إلى الولايات المتحدة دون أن أكون على دراية بحرف واحد من الأبجدية الإنجليزية، التحقت بالمدرسة للمرة الأولى في حياتي. وحين أخبرت بأننا سنخضع لاختبار في عشرين كلمة من المفردات الإنجليزية في اليوم التالي مباشرة، شعرت بضياح وحيرة تامين. أذكر أنني قضيت تلك الليلة بأكملها أبكي وأنا أكافح لأحفظ الكلمات العشرين جميعها. وفي اليوم التالي، ذهبت لأصاب بالذهول التام حين أخبرتني معلمتي قائلة: «بما أنك قد بدأت الدراسة بالأمس—إلى المدرسة مستعداً تماماً لخوض الاختبار فقط، فلا داعي لأن تتقدم لهذا الاختبار». (هاها!) كما أستحضر في ذاكرتي حالة الارتباك التي انتابنتي خلال فترة مراهقتي، حين كنت أتجول بلا هدى، غير متيقن من كيفية التكيف مع الثقافة الأمريكية. وفي وقت لاحق، وخلال سنواتي الجامعية، أذكر شعوري، بالضياح والحيرة المطلقة؛ فمهما اجتهدت في الدراسة، لم تكن درجاتي تتحسن أبداً. وعندما التحقت بالإكليريكية (معهد اللاهوت) مما أدى بي إلى الإصابة بالتهاب الجنبه—وكانت طاقتي الجسدية قد استنزفت تماماً—كانت المتطلبات الأكاديمية شاقة للغاية السلي. وبعد خضوعي لعملية جراحية، وجدت نفسي مرة أخرى حائراً لا أدري ما الذي يجب عليّ فعله؛ لذا اكتفيت ببساطة بالحصول على إجازة دراسية لمدة ستة أشهر لكي أنال قسطاً من الراحة. ومن بين جميع اللحظات التي شعرت فيها بضياح وحيرة كاملين طوال حياتي، كانت اللحظة الأكثر عمقاً وتأثيراً هي تلك التي أدخل فيها طفلي الأول، «جويونغ»، إلى المستشفى وتحديداً إلى وحدة العناية المركزة للأطفال. حينها، طلب مني الطبيب المعالج أن أتخذ خياراً مؤلماً للغاية: هل أفضل أن يرحل طفلي عن الحياة بسرعة، أم أن أترك النهاية تأتي ببطء وتدرج؟ في تلك اللحظة، شعرت وكأنني تلقيت ضربة بمطرقة على مؤخرة رأسي؛ فقد كنت في حالة ذهول وحيرة تامة، ولم أدر كيف يمكنني الرد على الطبيب. حينما أسترجع شريط حياتي، يبدو لي أنني قد مررت بالعديد أوقات لم أكن أعرف فيها ببساطة ما الذي ينبغي عليّ فعله. وحتى في وقتنا الحاضر، لا يزال الوضع مشابهاً—من تلك اللحظات إلى حد كبير؛ فهناك أوقات كثيرة لا أدري فيها كيف أؤدي خدمتي الرعوية على أفضل وجه، وهناك أيضاً أوقات عديدة أكون فيها

هناك لحظات لا تُحصى لا أدري فيها—لا سيما حينما أضع نفسي تحت مجهر نور كلمة الله—غير متيقن من كيفية تربية أبنائي، و ببساطة ما الذي يجب عليّ فعله بذاتي. وبالتأكيد، لا يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ فكلما طال بي العمر، ازداد تكرار اللحظات التي أجد نفسي فيها حائراً وعاجزاً عن معرفة ما يجب فعله. وفي مثل تلك الأوقات، ما الذي ينبغي علينا فعله بالتحديد؟

،الواردة في سفر أخبار الأيام الثاني 20: 12—تُعزّفنا بالملك يهوشافاط، ملك يهوذا—إن الفقرة الكتابية المخصصة لقراءتنا اليوم وبشعب يهوذا الذين وجدوا أنفسهم في مأزق مماثل تماماً: إذ لم يكونوا يعرفون ما الذي يجب عليهم فعله. وكان الموقف الذي تركهم بمشاركة بعض "المعونيين" جيشاً ضخماً، وزحفوا به—في تلك الحيرة الشديدة يتمثل فيما يلي: لقد حشد الموابيون والعمونيون، لغزو مملكة يهوذا (أخبار الأيام الثاني 20: 1-2). وما إن تلقى الملك يهوشافاط أنباء هذا الوضع، حتى تملكه الخوف؛ ومع ذلك عزم على طلب الرب، موجهاً وجهه نحو الله بالصلاة، وأصدر مرسوماً يدعو فيه جميع سكان يهوذا إلى إعلان صوم عام (الآية 3) واستجابةً لذلك النداء، احتشد شعب يهوذا في اورشليم قادمين من كل أرجاء البلاد طلباً لعون الله (الآية 4). وبينما كانوا مجتمعين في الدار الجديدة" داخل هيكل الرب، وقف الملك يهوشافاط وسط الجموع ورفع صلاةً إلى الله (الآيات 4-12). وتشكل فقرةٌ محددةٌ من" تلك الصلاة نصنا الكتابي لهذا اليوم: أخبار الأيام الثاني 20: 12. وقد لخصتُ جوهر تلك الصلاة بإيجاز في ثلاث نقاط: (1) "يا إلهنا، إننا لا نملك أي قوة تمكّننا من الصمود أمام هذا الجيش الضخم الزاحف نحونا"؛ (2) "يا إلهنا، إننا لا نعرف ما الذي يجب علينا أوصل—فعله"؛ و(3) "يا إلهنا، إن عيوننا شاخصةٌ إليك وحدك". لقد سمع الله صلاة الملك يهوشافاط، وعبر ياحزيئيل—ابن زكريا جوابه إلى جميع شعب يهوذا، وسكان اورشليم، والملك يهوشافاط نفسه (الآيتان 14-15). وانطلاقاً من كلمة الله التي حملت هذا الجواب، أدعوكم معي للتأمل في ثلاث نقاط تتعلق بالكيفية التي ينبغي لنا أن نتصرف بها حين نجد أنفسنا حائرين وعاجزين عن من تجاوز تلك المواقف المحيرة والخروج منها—معرفة ما يجب فعله. وصلاتي هي أن نتمكن—أنا وأنتم على حد سواء منتصرين، وذلك من خلال استيعاب الدروس التي يقدمها الله لكل واحد منا، والاستجابة لها بطاعة.

أولاً: حين لا ندري ما الذي ينبغي علينا فعله، يجب أن ندرك الحقيقة القائلة بأن الموقف المخيف الذي يواجهنا لا يخلصنا نحن، بل يخص الله.

أرجو منكم النظر إلى ما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني 20: 15: «فَقَالَ يَاحْزِيئِيلُ: "اسْمَعُوا يَا جَمِيعَ يَهُودَا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ وَأَيُّهَا الْمَلِكُ يَهُوشَافَاطُ! هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ لَكُمْ: لَا تَخَافُوا وَلَا تَرْتَعِبُوا بِسَبَبِ هَذَا الْجُمْهُورِ الْكَثِيرِ، لِأَنَّ الْمَعْرَكَةَ لَيْسَتْ لَكُمْ بَلَّ لِلَّهِ». فبعد أن سمع الله صلوات الملك يهوشافاط ملك يهوذا وشعبه، وبعد أن أجابهم عبر النبي ياحزيئيل، أصدر توجيهاته إلى جميع أهل يهوذا الذي جاء لمهاجمة—وسكان اورشليم والملك يهوشافاط بالآي يخافوا أو يرتعبوا من ذلك «الجمهور الكثير» —أي ذلك الجيش الضخم

يهودا؛ إذ كان هذا الحشد يتألف من أحفاد موآب، وأحفاد عمون، وبعض المعونيين. وعلاوة على ذلك، أعلن الله أن المعركة الدائرة بين يهوذا وقوة الغزو الهائلة تلك «ليست لكم، بل لله» (الآية 15)

وبينما كنت أتأمل في هذا النص الكتابي، خطرت ببالي هذه الأفكار: «إن الحرب الروحية هي الله. ومسائل الحياة والموت، والسراء والضراء — هي أيضاً لله. وحتى عمل الخدمة هو لله. ولذلك، فليس لدينا أي سبب للخوف». إنني منخرط حالياً في حرب روحية؛ فأنا أصارع ذاتي، وأصارع الخطيئة، والعالم، والشیطان، والموت. وعلى وجه الخصوص، كثيراً ما أجد نفسي في حيرة تامة وعجز كامل عن معرفة السبيل الذي ينبغي أن أسلكه في صراعي الروحي ضد ذاتي. أدرك بعقلي أن عليّ أن أتوب، غير أن قلبي يظل عاجزاً عن فعل ذلك. ففي هذه اللحظة، لا أجد في أعماقي أي شعور بالندم العميق، ولا قلباً يميل نحو التوبة. وحين أتأمل في صورتي فإنني حقاً لا أدري ما الذي ينبغي عليّ فعله. ومع ذلك، فإن الرسالة — مدركاً عجزني عن التوبة حتى لو رغبت في ذلك — الذاتية التي أوصلها الله إليّ اليوم، من خلال سفر أخبار الأيام الثاني (20: 15)، هي هذه: حتى المعركة الروحية التي أخوضها ضد نفسي، لا تخصني أنا، بل هي ملك لله. وينطبق الأمر ذاته على شؤون الحياة والموت، والسراء والضراء. ورغم شعوري بالنقص والعجز إلا أنني حين أفكر في إخوتي وأخواتي الأحباء الذين يعانون وطأة المرض والألم، كثيراً ما أجد نفسي حائراً لا أدري أي خطوات أولئك الذين — أتخذها أو كيف أقدم العون؛ وفي مثل تلك اللحظات، ألجأ إلى الله بالصلاة. وحين أتأمل في شيوخ كنيسةنا الأحباء أبداً في استيعاب تلك الحقيقة، وإن — وقفوا يوماً ما عند مفترق طرق الحياة والموت، ثم غادروا هذا العالم ليرقدوا في أحضان الله كان إدراكاً خافتاً، ومفادها أن إلهاً هو وحده الذي يملك السلطان المطلق والتحكم الكامل في الحياة والموت، والسراء والضراء. وفي "خضم هذه التأملات، وحين قرأت اليوم الآية من سفر أخبار الأيام الثاني (20: 15) وتدبرْتُ كلماتها القائلة: "المعركة... هي لله استوقفتني إدراكٌ عميق بأن الحياة والموت، والسراء والضراء، كلها ملك لله أيضاً. وينطبق الأمر ذاته على الخدمة الرعوية؛ إذ يُعد عمل الخدمة هذا بالتحديد أحد أثقل الأعباء وأكبر الهموم التي أحملها على كاهلي. فكم من المرات التي وجدتُ فيها نفسي عاجزاً، تماماً عن معرفة الكيفية التي ينبغي عليّ بها أداء واجباتي الرعوية. ولعل هذا هو السبب الذي جعل تلك الفكرة تخطر ببالي اليوم لا — شأنها شأن كل شيء آخر في الوجود — بينما كنتُ أقرأ الآية من سفر أخبار الأيام الثاني (20: 15): وهي أن خدمتي أنا أيضاً تخصني أنا، بل هي ملك لله. وحين تمكنت تلك الفكرة من وجداني، سكن قلبي سلامٌ عميق. وهنا تذكرتُ الكلمات الواردة في رسالة بطرس الأولى (5: 7): "ألقوا كل همكم عليه، لأنه هو يعتني بكم". وسواءً كان الأمر يتعلق بالصراع الروحي، أو بتقلبات الحياة والموت، أو بعمل الخدمة الرعوية؛ فإنني أرغب في أن أودع كل ذلك بين يدي الرب، فهو الذي يسهر عليّ ويرعاني بعنايته. علاوةً ومهما كانت الأزمان التي قد — على ذلك، أعقد العزم على ألا أستسلم بعد اليوم لسيطرة القلق أو الهم أو الخوف. ففي الأيام المقبلة وهي الآية العاشرة — أعقد العزم على مواجهتها بلا وجل. و متمسكاً بالآية الكتابية المفضلة لدى والدتي — تعترض طريقي في الحياة من الإصحاح الحادي والأربعين من سفر إشعياء، والتي تقول: "لا تخف، فإني معك؛ ولا ترتعب، فإني إلهك. سأشدّدك وأعينك؛ وسأعضدك بيמיّني البارّة" — سأعيش كل يوم مؤمناً بأن كل الأمور هي بيد الله

ثانياً: حينما نجهل ما ينبغي علينا فعله، يتحتم علينا أن نؤمن بأن الله، مخلصنا، هو معنا.

تأمل في سفر أخبار الأيام الثاني 20: 17: «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تُحَارِبُوا فِي هَذِهِ الْوَقْفَةِ. قِفُوا، وَانْتَبِهُوا، وَانْظُرُوا خَلَّاصَ الرَّبِّ مَعَكُمْ يَا يَهُودَا وَأُورُشَلِيمَ. لَا تَخَافُوا وَلَا تَرْتَعِبُوا. غَدًا اخْرُجُوا لِلْقَائِمِ، وَالرَّبُّ مَعَكُمْ». فبعد أن سمع الله صلوات الملك يهوذاشافاط ملك أعلن لكل يهوذا وأورشليم والملك يهوذاشافاط أنهم لن يضطروا لخوض هذه—وأجابهم من خلال ياحزيئيل—يهوذا وشعب يهوذا خلاصهم (الآية 17). وهذا يذكرنا—الرب—المعركة. وقد أوعز إليهم الله بأن يتخذوا مواقعهم، ويثبتوا، ويراقبوا كيف سيحقق هو بسفر الخروج 14: 13-14: «فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «لَا تَخَافُوا! قِفُوا وَانْظُرُوا خَلَّاصَ الرَّبِّ الَّذِي يَصْنَعُهُ لَكُمْ الْيَوْمَ. فَإِنَّ الْمِصْرِيِّينَ الَّذِينَ رَأَيْتُمُوهُمْ الْيَوْمَ لَنْ تَعُودُوا تَرَوْنَهُمْ أَيْضًا إِلَى الْأَبَدِ. الرَّبُّ يَقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ»». وانسجماً مع إيمان موسى، دحر إله الخلاص المصريين في وسط البحر، ضامناً ألا ينجو منهم أحد، وبذلك أنقذ شعب إسرائيل من أيدي المصريين (سفر الخروج 14: 27-30). وهذا الإله عينه، إله الخلاص، خاطب الملك يهوذاشافاط ملك يهوذا وشعب يهوذا قائلاً: «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تُحَارِبُوا فِي هَذِهِ الْوَقْفَةِ. قِفُوا، وَانْتَبِهُوا، وَانْظُرُوا خَلَّاصَ الرَّبِّ مَعَكُمْ» (أخبار الأيام الثاني 20: 17). ثم قال لهم الله: «لَا تَخَافُوا وَلَا تَرْتَعِبُوا. غَدًا اخْرُجُوا لِلْقَائِمِ» (الآية 17). وكان الوعد الذي قطعه لهم هو هذا: «وَالرَّبُّ مَعَكُمْ» (الآية 17).

وبينما كنت أتأمل في هذه الكلمات، خطرت ببالي هذه الفكرة: «إن السبب الذي يجعلنا قادرين على الخروج لمواجهة خصومنا دون نصب قادرين—أي الاعتقاد بأن الله معنا—خوف أو وجل، هو إيماننا بأن إله الخلاص معنا». حين نمتلك "إيمان عمانوئيل" هذا على تثبيت أنظارنا نحو إله الخلاص، مهما كانت الأزمان أو الشدائد التي قد نواجهها. وحتى إن افتقرنا إلى القدرة على التغلب على تلك الأزمان والشدائد بمفردنا، وحتى إن لم ندر ما هو مسار العمل الذي ينبغي علينا اتخاذه، فإن إيمان "عمانوئيل" هذا يُمكننا من التطلع إلى الرب وحده. ويحضرني هنا لازمة ترنيمة إنجيلية بعنوان "تطلع إلى الرب وحده"، والتي تقول: "بعينين تفيضان حباً يرفعاك الله في كل حين؛ وبأذنين تملؤهما الرحمة، يُصغي إليك دائماً. إنه يُشعّ نوراً ساطعاً في دياجير الظلام، ويستجيب حتى لأضعف أناتك؛ لذا، أينما كنت، وجّه قلبك نحو الرب وتطلع إليه وحده". إن إلهاً هو إله يُصغي إلينا دائماً بأذنين تملؤهما الرحمة الواحد الذي هو—وعلاوة على ذلك، فإن إلهاً هو ذاك الذي يسمع حتى أدق أناتنا ويستجيب لصلواتنا. هذا الإله هو إله الخلاص معنا دائماً، والذي لن يتركنا أبداً، ولن يتخلّى عنا قط (يشوع 1: 5). وهذا الإله هو ذاك الذي يقف معنا ليُنقذنا ويُنجينا (إرميا 1: 8) يجب علينا أن نؤمن بأن إله الخلاص هذا هو حقاً معنا. ولا ينبغي لنا أن نعتد على فهمنا الخاص، بل أن نضع ثقفتنا في الله بدلاً من ذلك (أمثال 3: 5؛ 2 أخبار الأيام 20: 20). فإذا ما واجهنا المواقف المخيفة التي تعترض طريقنا واضعين ثقفتنا في الله، مستنديين إلى إيمان "عمانوئيل"—أي "الله معنا"—فإن الله سيُنقذنا ويُنجينا حتماً.

ثالثاً: حين لا ندر ما هو مسار العمل الذي ينبغي علينا اتخاذه، يجب علينا أن نرفع التسبيح والعبادة لله بقلوب ممتن.

تأملوا في ما ورد في سفر 2 أخبار الأيام 20: 18-19: "فخرّ يهوشافاط بوجهه إلى الأرض، وسجد كل شعب يهوذا وأورشليم أمام الرب ليعبدوه. ثم وقف اللاويون من بني قهات وبني قورح ليسبحوا الرب إله إسرائيل بصوتٍ عالٍ جداً". بعد تلقي رسالة الله عبر ياحزئيل (الآيات 15-17)، خرّ الملك يهوشافاط ملك يهوذا وشعب يهوذا ساجدين أمام الله ليعبدوه، بينما وقف اللاويون يسبحون الله بصوتٍ عالٍ جداً. وفي اليوم التالي مباشرةً، وبينما كان جيش يهوذا يستعد للانطلاق نحو بركة تقوع، قام الملك يهوشافاط —بعد بتنظيم جوقة ترتيل، وألبسهم ثياباً مقدسة، ووضعهم في مقدمة القوات الزاحفة لينشدوا هذه التسبيحة: "احمدوا —التشاور مع الشعب الرب، لأن محبته تدوم إلى الأبد!" (الآيات 20-21). وما إن بدأت الجوقة في إنشاد تسبيحاتها، حتى أوقع الله الاضطراب والارتباك في صفوف الجيوش الغازية، مما دفعهم إلى أن يضرب بعضهم بعضاً حتى هلكوا جميعاً (الآية 22). وعندما وصل شعب يهوذا إلى نقطة المراقبة المشرفة على البرية ونظروا نحو العدو، لم يروا سوى جثث هادمة ملقاة على الأرض؛ إذ لم ينجُ منهم شخصٌ واحد (الآية 24). فخرج الملك يهوشافاط وشعب يهوذا وتفحصوا الجثث بدقة، وجمعوا الذهب والملابس وغيرها من غنائم الحرب؛ وقد، لدرجة أن جمعها كلها استغرق منهم ثلاثة أيام (الآية 25) —كانت وفرة هذه الغنائم عظيمة جداً —أكثر مما يستطيعون حمله، ثم، في اليوم الرابع، اجتمعوا في "وادي بركة" وسبحوا الله هناك (الآية 26). (*Modern People's Bible*).

Modern People's Bible، يا له من عملٍ عجيبٍ من أعمال الخلاص المعجزي الذي أنجزه الله! (الآية 27). (*Modern People's Bible*). وفي الختام، عاد الملك يهوشافاط وشعب يهوذا إلى أورشليم بقلوبٍ مفعمةٍ بالفرح —وهم يعزفون على القيثارات. (*Modern People's Bible*). ودخلوا إلى هيكل الله (الآيتان 27-28). وعندما سمعت جميع الأمم المحيطة بأن الرب نفسه —والربابات والأبواق في انسجام تام قد حارب أعداء إسرائيل، استولى عليها خوفٌ عظيمٌ من الله؛ ونتيجةً لذلك، حكم يهوشافاط مملكته في سلام، وذلك لأن الله قد منحه بينما كنت أتأمل في هذه الآيات، خطرت ببالي. (*Modern People's Bible*، الآيتان 29-30) الأمان والأمن من كل جانب وحينما نبدأ، واثقين بأنه سيُنقذنا حتماً، في —الأفكار التالية: "حينما نُقرُّ بالحقيقة القائلة بأن هذه الأزمة العظيمة نفسها هي ملكٌ لله حينئذٍ سيتدخل الله ويهزم خصومنا". وعلاوة على ذلك: "إن المسيحي —تقديم التسبيح له بقلوبٍ تفيض بالامتنان لرحمته الأبدية حتى في خضم الظروف المخيفة، معتمداً عليه بإيمانٍ يجسد معنى 'عمانوئيل' —سيذوق حتماً فرح— الذي يدعو الله ويقدم له التسبيح الخلاص ونشوة النصر". ولكن كيف يتسنى لنا تقديم الشكر لله حتى ونحن في خضم مواقف مرعبة؟ وكيف يمكن للمرء أن يرفع تسبيحه لله وهو يواجه مثل هذه الظروف؟ إن مثل هذه العقلية وتلك التصرفات تتجاوز إدراكنا البشري. ففي الواقع، إذا ما سمحنا للخوف بأن يسيطر علينا في مواجهة الظروف العصيبة، فلن نتمكن أبداً من تقديم الشكر لله بصدقٍ وحقيقة. وإذا ما استقر الخوف في قلوبنا، فلن نستطيع تقديم تسبيحٍ لله من صميم قلوبنا. ولكي نتمكن من تقديم الشكر والتسبيح لله حتى في خضم الظروف المخيفة، يجب علينا أن نسمح لله بأن يقودنا ويسيطر علينا، بدلاً من أن تسيطر علينا الظروف ذاتها؛ فضلاً عن ذلك، وبدلاً من أن نُؤوي الخوف في قلوبنا، يجب أن نمتلك ثقةً عميقةً في الله، مخلصنا. وهنا يحضرني ما ورد في سفر أعمال الرسل (16: 17): "نحو منتصف الليل، كان بولس وسيلا يصليان ويرتلان ترانيم لله، وكان سائر السجناء يصغون إليهما". فكيف تمكن بولس وسيلا من الصلاة لله وترتيل تسبيحاته وهما محتجزان في أعماق زنازين السجن، وقد قُيدت أقدامهما بإحكام في المكبلات؟ بطبيعة الحال، عندما

فمن الطبيعي أن نتوجه إلى الله بالصلاة—مواقف لا ندري فيها ما الذي ينبغي علينا فعله—نواجه مواقف خارجة عن سيطرتنا ولكن كيف يمكننا أن نخطو خطوة أبعد من ذلك، فنقدم التسبيح لله حتى في ظل تلك الظروف؟ إن هذا الأمر يُعد مستحيلاً لولا الإيمان الراسخ بأن الله سينقذنا حقاً من ذلك الموقف المخيف. ومثل هذا الإيمان هو هبةٌ يمنحنا إياها الله؛ بل إنه في حد ذاته يُعد إجابةً لصلواتنا، وفي الختام، أعتقد أن الشيء الوحيد الذي بوسعنا فعله في مثل هذه المواقف هو أن نرفع أنظارنا إلى الله، مخلصنا، مفعمين بالإيمان حينئذٍ فقط نصبح—ذلك اليقين الجازم بأن الله يسمع صلواتنا وسيستجيب لها—ونقدم إليه تضرعاتنا؛ وحينما نمتلك يقين الخلاص قادرين حقاً على تقديم التسبيح له. ومع ذلك، وبناءً على تجربتي الشخصية، أعتقد أن هناك إجابة أكثر دقة: إن السبب الذي يجعلنا قادرين على تقديم التسبيح لله حتى في خضم الظروف المخيفة هو ببساطة أن الله هو الذي يُمكننا من فعل ذلك. فعندما سألني الطبيب المشرف على علاج طفلتنا الأولى، "جويونغ"، عما إذا كنت أرغب في أن تموت الطفلة ببطء أم بسرعة، طلبتُ منه أن يدعها تموت ببطء. وفي اليوم التالي مباشرة، وبينما كنت أقرأ الكتاب المقدس، وجدتُ عزاءً ونعمةً في كلمات المزمور 63: 3: "لأنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ، شَفَاتِي تُسَبِّحُكَ". وبينما كنت أتأمل في هذه الآية، خطرت ببالي فكرة: "بما أن محبة الرب الأبدية أفضل من حياة جويونغ التي لم تدم سوى 55 يوماً، فإن شفتي ستسبحان الرب". وهكذا، وبعد أن شاركتُ زوجتي هذه الآية، اقترحتُ عليها أن ندعها ترحل؛ أي أن نُسلم أمر جويونغ. وبناءً على ذلك، اتصلنا بطبيبيها المعالج لنأذن له بالتعجيل برحيل جويونغ. ثم، وانضم إلينا والداي وأخي وزوجته وأختي، أقمنا صلاة عبادة وتسبيح لله هناك في وحدة العناية المركزة حيث كانت جويونغ ترقد؛ وبعد وقت قصير من ذلك، غفت الطفلة بين ذراعي. وفيما بعد، قمنا بحرق جثمان طفلتنا؛ وحاملين صندوقاً صغيراً يحتوي على رمادها استقلنا قارباً إلى عرض البحر ونثرنا الرماذ فوق المياه. وفي وقت لاحق، وبينما كنت أفق عند مؤخرة القارب الصغير موجهاً دفتي فجأةً وقالت لي: "تايتانيك". وعند سماع تلك الكلمات—التي كانت تجلس عند مقدمة القارب—للعودة نحو الشاطئ، التفتت زوجتي (My "ورؤية زوجتي تبكي بغزارة، وجدتُ نفسي أترنم تلقائياً وبصوت عالٍ بترنيمة إنجيلية إنجليزية بعنوان: "محبة مخلصي (Savior's Love)، والآن، إذ أسترجم تلك اللحظة بذاكرتي، لا يسعني إلا أن أقرّ بأن الله هو حقاً من مكنتني من تقديم التسبيح له. (المزمور يمنحنا القوة، حتى في خضم أعظم—الذي هو حقاً مستحق لكل هذا التسبيح والعبادة—حتى في خضم ذلك الحزن العميق. إن إلها أزمات الحياة، لكي نقدم له التسبيح بقلوب تفيض بالامتنان لمحبة الله الأبدية والمخلصة. "كُلُّ نَسَمَةٍ فَلْتُسَبِّحِ الرَّبَّ. هَلِّلُوهَا!" (المزمور 150: 6).

الرب الذي يمنح السلام لقلب مضطرب

:ظلمَ وَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعَجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَارِيهَا، لَمْ يَفْتَحْ فَاهُ" (إشعياء 53: 7).

كان الأمر مؤلماً للغاية؛ إذ شعرتُ بقلبي ثقیلاً ومتقلاً بالأعباء. وكلما فكرتُ في الشخص الذي أحبه، اشتدَّ عليَّ الضغط النفسي. تمثَّل في شعورٍ بالحرقان في معدتي. كان من المؤلم جداً أن أشاهده وهو يكابد صراعاً عميقاً—لدرجة أنه سبَّب لي ألماً جسدياً أيضاً ويتحمل كل ذلك القدر من المعاناة. ولأنني لم أكن متأكداً من كيفية التصرف أو ما يجب عليَّ فعله لتقديم العون، واصلتُ الشفاعة لأجله أمام الله الأب؛ ومع ذلك، ورغم صلواتي، ظلَّ قلبي أناثيلاً ومكروباً. وفي بعض الأحيان، كان مشهد عذابه يصبح أمراً —لا يُطاق لدرجة أنني شعرتُ برغبةٍ عارمة في تجنبه والابتعاد عنه تماماً. وعلى الصعيد العقلي، كنتُ أدرك تماماً أنه هو كان يعاني أكثر بكثير من أي شخصٍ آخر؛ ومع ذلك، ونظراً لحالة الاضطراب الشديد—الشخص الذي يتحمل هذه التجربة فعلياً التي كان يمر بها قلبي، وجدتُ نفسي أستسلم لأفكارٍ أناثية. بل إنني وجدتُ نفسي أتأمل في احتمالية أن يلقى حتفه. قضيتُ أيامي في حالةٍ من عدم اليقين، دون أن أدري متى سيأتي الرب ليخلصه، أو متى سيمنحني أنا أخيراً السلام المنشود.

ثم، وفي أحد الأيام، وبينما كنتُ أقود سيارتي متوجهاً من كنيسةٍ نحو المكان الذي أمارس فيه تماريني الرياضية، صادف أن استمعتُ إلى عظةٍ لأحد القساوسة كانت تُبث عبر إحدى الإذاعات المسيحية. وبينما كنتُ أستمع، بدأتُ أطرح على نفسي سلسلةً من الأسئلة: هل أنا حقاً أضع ثقتي الكاملة في الله؟ "هل يُعقل أنني مقصِّر في إلقاء العبء الثقيل لقلبي بأكمله عليه؟" وهل أنا، ربما، أسعى لتحقيق مشيئتي الخاصة بدلاً من السعي وراء مشيئة الله؟ وبينما كنتُ أتأمل في هذه الأسئلة، وصلتُ إلى وجهتي وبدأتُ في أداء تماريني الرياضية. وفي تلك اللحظة، ذكرني الروح القدس الساكن فيَّ بكلماتٍ من رسالة بطرس الأولى (5: 7): "أَلْقُوا كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ هُوَ يَحْتَمِلُ بَكُمْ". وهكذا، وتمسكاً مني بهذه الآية المقدسة، صليتُ إلى الله في أعماق قلبي. طلبتُ معونة الله؛ وسألته أن وإن يمنحني القدرة على أن أودع لدى الرب، إيداعاً كاملاً وشاملاً، كل الأعباء الثقيلة التي تثقل كاهل قلبي. وبينما كنتُ—يسندني أفعَل ذلك، صليتُ إلى الله مخاطباً نفسي: "يا جيمس، ألقِ بكل أعبائك الثقيلة على الرب. لماذا تستمر في القلق والاضطراب بدلاً من أن تُسلم تلك الأعباء إليه في هذه اللحظة بالذات؟" وإذا اعترفتُ لله بضعف إيماني، تضرعتُ إليه أن يرحمني وأن يقوّي إيماني. ورغم أنني واصلتُ الصلاة إلى الله في قلبي على هذا المنوال، إلا أن ذهني ظلَّ يفتقر إلى السلام؛ إذ بقي مثقلاً، ومرهقاً، ومتوتراً. ثم، وفي

بينما كنت أَعِدُّ للوعظة الإنجيلية ليوم الأحد، وأقرأ وأتأمل في الآية 5: 7 من رسالة بطرس الأولى في نسختي—يوم السبت بدأتُ أقرأ وأتأمل أيضاً في السياق المحيط بتلك الآية. وفي تلك اللحظة، خاطب الجزء الأخير من—الإنجيلية من الكتاب المقدس الآية العاشرة قلبي بقوة: "...وبعد أن تتألموا قليلاً، هو نفسه سيُرْمَمكم ويجعلكم أقوىاء، وراسخين، وثابتين." لقد نلتُ نعمة عظيمة من خلال هذه الكلمة. فبواسطة هذا النص المقدس، منحني الروح القدس إيماناً، وترقباً، ورجاءً؛ مؤكداً لي أنه وإن كان الشخص الذي أحبه يتحمل المعاناة حالياً، فإن تلك المعاناة لن تدوم سوى "قليلاً"، وأنه بعد اجتياز هذه الفترة الوجيزة من المشقة، فإن الله نفسه سيقوم بـ"ترميمه". وعلاوة على ذلك، منحني الروح القدس إيماناً، وترقباً، ورجاءً؛ مؤكداً لي أنه بعد سماح الله للشخص الذي أحبه بتحمل المعاناة لفترة وجيزة، فإنه سيقوّيه، ويجعله راسخاً، ويثبت أساسه بقوة. وفي تلك اللحظة، استمددتُ القوة من تلك الكلمة. وتذكرتُ رسالة كنت قد وعظتُ بها في أحد أيام الأحاد السابقة، ومفادها: "...الآن نحيا" (1 تسالونيكي 3: 8ب). ومنذ تلك اللحظة فصاعداً: مُركّزاً رسالتي على الآيتين 5—شعرتُ وكأنني أستطيع أن أتنفس بحرية من جديد. وفي وقت لاحق، وبينما كنت أعلن كلمة الله امتلاً قلبي بترقب ورجاء أعظم. وتدريباً، تبدد الثقل—و 5: 10 من رسالة بطرس الأولى خلال الخدمة الإنجيلية ليوم الأحد 7. والضيق اللذان كانا يعتصران قلبي، وبدأ شعور بالسلام يستقر في أعماقي.

وهو إشعياء 53: 7—نجد أن النبي إشعياء قد تنبأ بأن المسيا لن يفتح فاه، حتى—وبالنظر إلى النص المقدس المخصص لهذا اليوم دون أن—كحمل يُساق إلى الذبح، أو كنعجة تقف صامتة أمام جازيها—وهو يتحمل الإهانة والمعاناة. لقد تنبأ بأنه سيظل صامتاً: المسيح (المسيا)—أي رد، حتى حين استجوبه هيرودس طويلاً (لوقا 23—ينبس بكلمة واحدة. وتحقيقاً لتلك النبوءة، لم يُقدّم يسوع لماذا اختار يسوع المسيح أن يظل صامتاً؟ وإذا كان يسوع قد لزم الصمت بينما كان يكابد الإذلال والمعاناة، أفلا ينبغي لنا نحن (9) أيضاً أن نلزم الصمت حين نكون في ضيق؟ وما هو السبب في ذلك؟ السبب هو أننا، بلزوم الصمت في أوقات الضيق، نتمكن من إرهاف أذاننا لسماع صوت الرب. وبعبارة أخرى، حين نكون متألّمين، نحتاج إلى تهدئة أنفسنا لكي يتسنى لنا سماع صوت الرب حين نكون في ضيق، إلا—ليس فقط أمام المقربين منا، بل حتى أمام الرب نفسه—ورغم أننا قد نشعر بدافع قوي لتفريغ إحباطاتنا أنه يجب علينا التغلب على ذلك الدافع والاستماع بانتباه إلى كلمة الله في صمت. يجب علينا أن نلزم الهدوء ونضع ثقّتنا في الله (إشعياء 30: 15). وحين نفعل ذلك، سننال الخلاص ونكتسب القوة (الآية 15). شخصياً، أعتقد أن يسوع المسيح لزم الصمت بينما كان يكابد شتى أنواع المعاناة لسببين: أولاً، تحقيقاً للنبوءة الواردة في سفر إشعياء 53: 7؛ وثانياً، لكي يسمع مرةً أخرى صوت الله الأب وهو يعلن: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرُرْتُ" (متى 3: 17). وأعتقد أنه، بينما كان يحدّق النظر في الله الأب وسط مطيعاً حتى الموت على الصليب، وكل ذلك من أجل تعديّاتنا وأثامنا—بصفته الابن الذي أحبه الله وسرّ به—صمته، ظل يسوع (إشعياء 53: 5؛ فيلبي 2: 8). ونتيجةً لذلك، صرنا ننعم بالسلام ولنا الشفاء (إشعياء 53: 5).

حين نكون في ضيقٍ وصراع، فإن فتح أفواهنا يجعل من السهل جداً أن نخطئ بالسنتنا (الآية 9). إذ نخاطر حينئذٍ بالوقوع في خطيئة، ليس فقط تجاه الآخرين، بل حتى تجاه الله نفسه (أيوب 1: 22). لذا، حين تضطرب قلوبنا وتثقل كاهلها الهموم—إضمار الاستياء ينبغي علينا أن نلزم الصمت؛ إذ لا بد لنا من استمداد القوة عبر إيداع ثقتنا في الله بكل هدوء وسكينة (إشعياء 30: 15). وعلينا أن نكتسب تلك الصلابة الداخلية التي تُمكننا من الصمود حتى في خضم المعاناة والشدائد. وعليه، يتحتم علينا أن نضطلع بكل ثبات وصمت بالمهمة التي أوكلت إلى كل واحدٍ منا، مهما بلغت ظروفنا من قسوةٍ وضيق. وبينما ننهض بأعباء هذه المهمة، يجب أن نُنبِّت وأن نظل طائعين لمشيئته، حتى وإن كان الثمن هو—ذاك الذي يسكب السلام في قلوبنا المضطربة—أنظارنا حصراً على الرب الموت. ولذلك، أصلي أن نكون أنا وأنتم من الذين يصغون إلى الصوت القائل: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرُرْتُ" (متى 3: 17).

عندما يعتصر قلبك الألم لدرجة أنك تتمنى الموت

سأل موسى الرب: "لماذا جلبت هذه المشقة على عبدك؟ ولماذا لم أحظ برضاك، حتى أنك وضعت عبء كل" هؤلاء الناس على كاهلي؟... إن المسؤولية أثقل من أن أطيع؛ فلا أستطيع أن أحمل كل هؤلاء الناس بمفردي وإذا كانت هذه هي الطريقة التي ستعاملني بها، فأرجوك أن تمنحني نعمة الموت فوراً، لكي لا أضطر إلى مشاهدة بوّسي بعيني" (سفر العدد 11: 11، 14-15)

أليس للصبر والتحمل حدٌ يقف عنده الإنسان؟ لقد بذلت قصارى جهدك لتصمد وتتشبث بالأمل حتى هذه اللحظة، ولكن ألم يبلغ بك الإرهاق الجسدي والذهني الآن حداً، واعتصر قلبك الضيق والألم لدرجة أنك تشعر بأنك ببساطة لم تعد قادراً على المضي قدماً؟

؛ وهي "beotigi" عندما ذهب للعيش في كوريا في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، كانت أول عبارة سمعتها هي تعني ببساطة فعل "الصمود" أو "التحمل". وفي ذلك الوقت، تكون لديّ انطباع راسخ بأن الشباب الذين التقيتُ بهم من خلال خدمتي كانوا يبذلون أقصى ما في وسعهم لمواجهة ظروفهم الصعبة؛ مثابرين، ومكتفين بـ "الصمود" وسط قسوة الحياة ومتاعبها. ووجدتُ نفسي أتساءل: كم كانت حياتهم شاقةً ومضنيةً لدرجة أنهم اضطروا إلى اللجوء لاستخدام كلمة مثل "التحمل" لوصف حالهم؟ وبينما أتأمل في الأمر الآن، أتخيل كم كانت قلوبهم مثقلة بالأعباء ومفعمة بالآسى، حتى وهم يبذلون قصارى جهدهم للصمود والثبات في المواقف العصيبة التي واجهوها. وبالطبع، كنتُ أدرك أنني لا أستطيع أن أستوعب تماماً عمق صراعاتهم ومعاناتهم؛ فكانت رغبتي الوحيدة هي أن أقدم لقلوبهم المُرهِقة أي قدرٍ يسيرٍ من العزاء والمواساة، ولذا سعيثُ لمشاركتهم "الشركة الروحية" في الرب. ومن خلال تلك الشركة، أقيتُ نظرةً خاطفةً على الأعباء الثقيلة التي كان الكثير من هؤلاء الشباب يحملونها في أعماق قلوبهم، بينما يمشون في دروب حياتهم. لا بد أن الأمر كان بالغ الصعوبة، بل يكاد يكون مستحيلاً، بالنسبة لهم أن يتحملوا كل تلك الأعباء الثقيلة—ويعيشوا حياتهم في عزلةٍ ووحدةٍ؛ ومع ذلك، فإن رؤيتهم وهم يصمدون، ويتحملون، ويبذلون قصارى جهدهم في صمتٍ وهدوء ملأتني شعوراً عميقاً بالإعجاب والتقدير. وفي الوقت ذاته، انتابني—مجاهدين بجدٍ وإخلاصٍ في إيمانهم وفي عملهم على حدٍ سواء قلُقٌ عابر: إلى متى يا تُرى سيتمكنون من مواصلة الصمود والتحمل؟

سفر العدد 11: 11، 14-15—نشهد موسى وهو يمر بحالة من الكرب والضيق—في فقرة الكتاب المقدس المخصصة لهذا اليوم الشديد. فإذ غمرته مسؤوليات هائلة عجز عن حملها بمفرده، تضرع إلى الله طالباً منه أن يقبض روحه على الفور، متوسلاً ألا يُضطر إلى تحمل المزيد من المعاناة. يا لها من محنة قاسية ومؤلمة تلك التي ألمّت بموسى، حتى دفعته إلى حدّ أن يصلي طالباً من الله أن ينهي حياته في تلك اللحظة بالذات! وبإله من عبءٍ ساحقٍ ذاك الذي شعر به تجاه المسؤوليات الموكلة إليه، حتى جعله التي ائتمنها—يتوسل إلى الله أن يهبه موتاً عاجلاً! تُرى، ما كان السبب وراء كل هذا؟ كان السبب يكمن في أن أمة إسرائيل بأسرها قد أصبحت تشكل عبئاً ثقیلاً لا يُطاق على كاهله (الآية 11). فلم يعد موسى قادراً على تحمل عبء حملهم—الله على رعاية موسى محتضناً إياهم بحنانٍ تاماً كما تحتضن—ورعايتهم (الآية 12). ولم يعد بمقدوره أن يحمل ذلك الحشد الهائل من بني إسرائيل ويقودهم نحو أرض كنعان التي أقسم الرب لأبائهم بأنه سيورثهم إياها (الآية 12). وكان السبب في ذلك—المُرّضة طفلها الرضيع قد عادوا إلى البكاء مجدداً، شاكين ومتذمرين: "مَنْ—متأثرين بجشع الغرباء المقيمين في وسطهم—هو أن بني إسرائيل أنفسهم يُطْعَمُونَ لَحْماً؟" (الآية 4). وبينما كانوا يفعلون ذلك، استرجعوا ذكريات الأطعمة التي اعتادوا تناولها في مصر، حيث عاشوا في ذلّ العبودية (الآية 5). وباختصار، لم يعد شعب إسرائيل يرغب في تناول "المنّ" الذي أنزله الله عليهم من السماء (الآيات 6-9؛ النسخة الكورية الحديثة*). وهكذا، انخرط كل واحدٍ منهم في البكاء عند مدخل خيمته (الآية 10). وحين سمع موسى صوت بكائهم ونحيبهم، استبدّ به الحزن والضيق الشديد (الآية 10؛ *كتاب المقدس للشعب المعاصر*). بينما كان موسى يصغي إلى صرخات الذين، متأثرين بجشع الغرباء القاطنين في وسطهم، رفضوا "المنّ" الذي زوّدهم به الله وتذمروا مطالبين بأكل—حشود بني إسرائيل غدا عبء الشعب الإسرائيلي ثقلاً ساحقاً لم يعد بمقدوره تحمله بمفرده. فمن أين، وكيف، عساه أن يحصل على ما—اللحم بدلاً منه يكفي من اللحم لإطعام مثل هذا العدد الهائل من بني إسرائيل؟ وفي غضون ذلك، استمروا في البكاء أمام موسى، ضاحكين بصوت لم يعد موسى قادراً على حمل مسؤولية شعب إسرائيل؛ فقد (*Modern People's Bible*، الآية 13) عالٍ مطالبين باللحم ولأنه لم يستطع تدبير شؤون أمة إسرائيل بأسرها بمفرده (الآية 14)—فإنه، إذ لم يعد يرغب—كان عبء هذه المسؤولية ثقیلاً للغاية—وإلى موسى (*Modern People's Bible*، الآية 15) في تحمل مثل هذا العناء، تضرع إلى الله طالباً منه أن يميته فحسب: تحدث الله بثلاثة أمور—الذي كان قلبه مثقلاً ومكروباً لدرجة أنه تمنى الموت

—رجالاً يعرف هو أنهم مؤهلون للقيام بدور الشيوخ والقادة للشعب—أولاً: أمر الله موسى بأن يجمع سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل وأن يحضرهم إلى الله، ويجعلهم يأتون إلى "خيمة الاجتماع" ليقفوا هناك بجواره.

مِمَّنْ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ شُبُوحٌ وَقَادَةٌ—انظر سفر العدد 11: 16: «قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "اجْمَعْ لِي سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ شُبُوحِ إِسْرَائِيلَ وَأَحْضِرْهُمْ إِلَيَّ إِلَى خَيْمَةِ الْاجْتِمَاعِ لِيَتَّقُوا هُنَاكَ مَعَكَ"». وكان السبب وراء حديث الله بهذه الكيفية هو ضمان ألا يظل—لِلشَّعْبِ موسى حاملاً لعبء شعب إسرائيل بمفرده، بل أن يتقاسم تلك المسؤولية بدلاً من ذلك مع الرجال السبعين (الآية 17). وهكذا، أقام الله سبعين قائداً ليتقاسموا معه الحمل، ضامناً بذلك ألا يضطر موسى بعد الآن إلى حمل المسؤولية الهائلة عن شعب إسرائيل بمفرده تماماً. وبينما كنت أتأمل في هذا المقطع، تذكرت النبي إيليا، الذي جلس تحت شجرة "الرتم" وصلى طالباً الموت (سفر الملوك الأول بعد انتصاره على أنبياء البعل في جبل الكرمل، وحينما هددت الملكة إيزابل بقتله (الآية 2)، فرَّ إيليا خوفاً على حياته (الآية). 4: 19 وتراجع إلى البرية. وهناك، تحدث إلى الله قائلاً: "...أنا وحدي بقيت، وهم يطلبون أخذ حياتي" (الآيتان 10 و14). وبينما كان (3) يفرُّ من إيزابل في البرية، اعتقد إيليا أن جميع الأنبياء الآخرين قد سقطوا بحد السيف، وأنه هو الوحيد الذي بقي حياً. وفي تلك اللحظة جميع الذين لم تجثُّ ركبهم للبعل، ولم تُقَبِّلْهُ أفواههم" (الآية—تحدث الله إلى إيليا قائلاً: "قد أبقيتُ لنفسي سبعة آلاف في إسرائيل ورغم أن إيليا كان يظن أن كل نبي آخر قد هلك بالسيف وأنه يقف وحيداً تماماً، إلا أن الله كان قد حفظ، في الواقع، بقيةً قوامها (18) سبعة آلاف شخص. وبينما كنت أتأمل في الرابط بين هذين المقطعين الكتابيين، فكرتُ في كيفية انطباقهما على قادة الكنيسة اليوم قد—ساهرين على خرافه ومطعمين إياها بكلمة الله—فعندما يخدم قادة الكنيسة الرب من خلال رعاية القطيع الذي انتمنهم عليه يجدون أحياناً أن عبء مسؤوليتهم ثقيلٌ للغاية، لدرجة أنهم يشعرون أنهم لم يعودوا قادرين على تحمله، مما يدفعهم إلى الوقوع في اليأس وسط ضيقهم. وعلاوة على ذلك، وفي خضم حالة القنوط هذه، فإن أكثر ما يثقل كاهل المرء هو الفكرة القائلة بأنه وحيدٌ أو بعبارة أخرى، شعورٌ عميقٌ بالوحدة. فمهما كثر عدد الأشخاص المحيطين بهم، وبمجرد أن يترسخ في أذهانهم القناعة—تماماً بأنه لا أحد يفهم قلوبهم حقاً، يزداد قنوطهم عمقاً؛ وحينها، إذ تغمرهم الوحدة والإنهاك، قد ينزلون حتى إلى هاوية اليأس. وفي فإن الله، في تدبيره الإلهي، يُحوِّل تلك الأزمة ذاتها إلى—ورغم أنها قد تبدو أزمة خطيرةً بالنسبة لقائد الكنيسة—لحظة كهذه فرصة. وهي فرصةٌ يُمكن الله فيها قائد الكنيسة من أن يعود فيتوق إليه من جديد، وأن يضع رجاء فيه، وأن يسمح لكلمة الله بأن تُنْعَش روحه القلقة والمنهكة. وخلال هذه العملية برمتها، وإدراكاً منه بأن القائد لم يعد بمقدوره تحمل المسؤوليات الجسيمة الموكلة إليه بمفرده، يقوم الله بإقامة أو إرسال مساعدين وشركاء في العمل لمُدِّ يد العون إليه. وهكذا، يمنح الله هؤلاء الأفراد القوة اللازمة، التي هي جسد الرب عينه. إن هذا لهو حقاً فعلٌ من أفعال نعمة الله—لمساندة قائد الكنيسة، مما يمكّنهم من مواصلة خدمة الكنيسة، ويُعد مصدراً لا يُنكر للعزاء بالنسبة لقائد الكنيسة.

أعلن الله أنه—مدفوعين بالتذمر وتأثراً بجشع الغرباء المقيمين في وسطهم—وثانياً، وفيما يتعلق باللحم الذي طالب به بنو إسرائيل. سيمنحهم إياه ليأكلوه بالفعل؛ بل وتعهد بأنهم سيُجبرون على تناوله شهراً كاملاً، حتى يصل بهم الأمر إلى حد كراهية رائحته ذاتها.

يرجى النظر في سفر العدد 11: 18-20: «وَقُلْ لِلشَّعْبِ: تَقَدَّسُوا لِلْعَدِ فَتَأْكُلُوا لَحْمًا. لَأَنْتُمْ قَدْ بَكَيْتُمْ فِي أَذْنِي الرَّبِّ قَائِلِينَ: مَنْ يُطْعِمُنَا لَحْمًا؟ إِنَّهُ كَانَ خَيْرًا لَنَا فِي مِصْرَ. فَيُعْطِيكُمُ الرَّبُّ لَحْمًا فَتَأْكُلُونَ. لَنْ تَأْكُلُوا يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا يَوْمَيْنِ، وَلَا خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَلَا عَشْرَةَ أَيَّامٍ، وَلَا عَشْرِينَ يَوْمًا، بَلْ شَهْرًا كَامِلًا، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ مَنَاخِرِكُمْ وَيَكُونَ لَكُمْ كَرَاهَةً، لِأَنْتُمْ رَدَلْتُمُ الرَّبَّ الَّذِي فِي وَسْطِكُمْ، وَبَكَيْتُمْ أَمَامَهُ قَائِلِينَ: لِمَاذَا خَرَجْنَا مِنْ مِصْرَ؟». إن فهم هذا الأمر يبدو عسيراً؛ فلماذا قال الله إنه سيوفر اللحم الذي اشتاق إليه شعب إسرائيل ورغم أنهم قد ردلوا الله، الذي كان حاضراً في وسطهم (الآية 20)، وذلك ببيكائهم أمامه—بدافع من الجشع؟ وعلى وجه الخصوص وقولهم: «إنه كان خيراً لنا في مصر» (الآية 18) و«لماذا خرجنا من مصر؟» (الآية 20)—لماذا قال الله إنه سيعطيهم لحماً ليأكلوا؟ (الآية 18). ألم يكن الأجدر بالله، بدلاً من ذلك، أن يصب غضبه على شعب إسرائيل المستهين به (الآية 10) ويعاقبهم، بدلاً من أن: لأصوات التذمر والدموع التي أراقها شعب إسرائيل في حضرته؟ (انظر—بل واستجاب أيضاً—يمنحهم اللحم؟ ولماذا أصغى الله خروج 16: 7-9، 12). هل يمكن أن يكون السبب، ربما، هو رغبته في التخفيف من كرب موسى، وذلك بضمان ألا يعود الشعب. «قادراً على التذمر أمامه؟ أعتقد أن الإجابة تكمن في الجزء الأخير من سفر الخروج 16: 12: «...فَعَلَّمُونِ أَيُّيَ أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمُ لِلشَّكَاوَى الممزوجة بالدموع التي رفعها شعب إسرائيل—والاستجابة—وبعبارة أخرى، فإن السبب الذي دفع الله إلى الإصغاء أمامه، كان رغبته في أن يدركوا ويعرفوا أنه هو الله حقاً. وبينما كنت أتأمل في هذا النص، أخذت أفكر في كيفية تطبيق هذا المبدأ —على أعضاء جماعة المصلين في الكنيسة. لنفترض أن أعضاء الكنيسة يعيشون مختلطين بغير المسيحيين في هذا العالم، وأنهم يفشلون في الشعور بالامتنان أو القناعة تجاه القوت اليومي الذي يوفره الله لهم؛ وبدلاً من ذلك—متأثرين بجشع هؤلاء الآخرين ينهلون مراراً وتكراراً بالشكاوى الممزوجة بالدموع على قادة كنيستهم بدافع من عدم الرضا. فكيف، إذن، سيكون رد فعل قادة الكنيسة هؤلاء؟ وعلاوة على ذلك، كيف سيستجيب قائد الكنيسة إذا صرخ أعضاء الرعية إلى الله في ضيق وألم، مُلمحين إلى أن وهو في ضيق تماماً كما كان—قبل أن يؤمنوا بيسوع؟ وإذا ما ذهب ذلك القائد—وأن طعامهم كان أفضل—حياتهم كانت أفضل ووقف أمام الله صارخاً: "يا إلهي، هل أعضاء الكنيسة هؤلاء هم أبنائي؟ وهل أنا أبوهم؟ لماذا تأمرني بأن أحمل هذا—موسى الشعب إلى السماء، تماماً كما تحمل المُرْضِعة طفلاً رضيعاً؟"—فكيف سيستجيب الله عند سماع مثل هذا التضرع؟ وهل سيستجيب الله، في الواقع، لطلبات أعضاء الكنيسة الذين يصرخون وسط الدموع والشكاوى؟ وهل سيفعل ذلك حتى مع أن تضرعاتهم نابعة من عدم الرضا والتذمر؟ وهل سيجيبهم حتى عندما يصرخون إليه بنفس الجشع الذي يتسم به أهل العالم؟ في ضوء فقرة الكتاب حتى لمثل هذه الصلوات. ونتيجة لذلك، أعتقد أنه سيتدخل ليمنع—وسيستجيب—المقدس لهذا اليوم، أعتقد أن الله سيستمع بالفعل. أعضاء الرعية من مواصلة الشكوى لقائدهم، وبذلك يخفف من ضيق القائد ويرفع عنه عبء المسؤولية الثقيل الملقى على كاهله وهكذا، أعتقد أن الله يُمكن قائد الكنيسة من مواصلة خدمة القطيع بأمانة، ذلك القطيع الذي انتمى الرب على رعايته. إن هذا حقاً عملٌ من أعمال نعمة الله، ولا يسعُه إلا أن يكون مصدرًا للعزاء لقادة الكنيسة

قائلاً: "هل قَصُرَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ الآن سترى ما إذا كانت—الذي كان عاجزاً عن الثقة في قوة الله—ثالثاً، تحدث الله إلى موسى كلمتي ستتحقق لك أم لا." يرجى النظر إلى سفر العدد 11: 23: «فأجاب الرب موسى قائلاً: "هل قصرت ذراع الرب؟ الآن سترى الذين كانوا يبكون ويقولون: «من يطعمنا لحماً؟—ما إذا كانت كلمتي ستتحقق لك أم لا»". لقد سمع الله أصوات تذمر بني إسرائيل فأعلن أنه سيطعمهم اللحم حقاً (الآية 18)؛ بل وصرح أيضاً بأنه سيجعلهم يأكلونه شهراً—«لقد كان حالنا أفضل حين كنا في مصر كاملاً، حتى يبلغ بهم الأمر أن يمقتوا مجرد رائحته (الآية 20). وعند تلقيه كلمة الوعد هذه، قال موسى لله: «إن الشعب الذي أنا في وسطه يبلغ عدده ستمائة ألف رجل ماشٍ على قدميه، ومع ذلك تقول أنت: "سأطعمهم لحماً شهراً كاملاً". لو ذبحنا لهم كل قطعان الغنم والبقر، هل كان ذلك سيكفيهم؟ أم لو جمعنا لهم كل أسماك البحر، هل كان ذلك سيكفيهم؟». ماذا كان يقصد بذلك؟ كان موسى من المستحيل ببساطة توفير اللحم—استناداً إلى الحسابات البشرية والمنطق السليم—في جوهر قوله يخبر الله أنه من منظور بشري، لستمائة ألف شخص ماشٍ في البرية لمدة شهر كامل؛ وقد جادل بأنه حتى لو ذبحوا كل قطعان من الغنم والبقر، لما كان ذلك كافياً وحتى لو جمعوا كل سمكة في البحر، لظل الأمر قاصراً عن الوفاء بالحاجة (الآية 22؛ *الكتاب المقدس المعاصر*). وفي مواجهة: مثل هذا الموقف المستحيل، عجز موسى عن أن يضع ثقته الكاملة في الله؛ إذ لم يستطع أن يؤمن بقوة الله. ولذلك قال الله لموسى هل قصرت ذراع الرب؟ الآن سترى ما إذا كانت كلمتي ستتحقق لك أم لا» (الآية 23). وحينئذٍ، وكما كان قد وعد تماماً، أرسل الله» ريحاً ساقطت طيور السلوى (السماني) من جهة البحر، مما جعلها تهبط فوق المحلة والمنطقة المحيطة بها. وقد طارت طيور السلوى على ارتفاع متر واحد تقريباً فوق سطح الأرض، وامتدت مسافة تعادل مسيرة يوم كامل في كل اتجاه حول المحلة، مما أتاح لبني إسرائيل صيدها طوال تلك الليلة والنهار، وحتى مساء اليوم التالي (الآيتان 31-32). في نهاية المطاف، أثبت الله قدرته المطلقة ليس لموسى فحسب، بل لشعب إسرائيل أيضاً. وبينما كنت أتأمل في هذا المقطع من الكتاب—وكذلك أمانته في الوفاء بوعوده: التي هي جسده عينه (متى 16—المقدس، رحت أفكر في كيفية انطباقه على الكنيسة. لقد منحنا الرب وعداً بأنه سيبنى كنيسة؛ ومع ذلك، وبصفتي الراعي الأول للكنيسة، كثيراً ما أجد نفسي مقصراً في وضع ثقتي في الرب القدير والأمين الذي قطع ذلك (18) الوعد، وبدلاً من ذلك، أجدني أَدَقُّ باستمرار في الظروف الراهنة التي تمر بها الكنيسة. وفي تلك اللحظات تحديداً، يُدَكِّرُنِي الروح القدس الساكن فيّ بالوعد الذي قطعه الرب لي: "...سأبنى كنيسة...". (متى 16: 18)، ويمنحني القدرة على التمسك بتلك الكلمة وعلاوة على ذلك، فمن خلال حَنِّي على الصلاة بينما أتشبث بذلك الوعد، يقودني الروح القدس مرة أخرى لأضع ثقتي وأتكل على من—حتى ونحن في خضم الصلاة—الرب الأمين الذي منحني تلك الكلمة في المقام الأول. وبفعله ذلك، يُمَكِّنُنِي الروح القدس بطريقته الخاصة وفي وقته الخاص. وسيتيح الرب—جسده عينه—الانتظار بترقب وشوق شديدين. إن الرب سيبنى كنيسة حقاً لي ولأعضاء عائلتنا الكنسية فرصة أن نشهد تحقق الوعد الذي قطعه لكنيستنا في إنجيل متى 16: 18. وهذا الأمر كله يتم بفضل نعمة الله وحدها، وهو يمثل مصدراً لا يقبل الجدل للتعزية، لي ولجماعة المؤمنين لدينا على حد سواء.

وحين أكون قد—وهنا يحضرني إلى الذهن كلمات ترنيمة إنجيلية تقول: "أنت ابني": "حين أكون مُرهقاً، ومستنزف القوى، ويائساً، يقترب هو مني في هدوء، ويمسك بيدي، ويخاطبني. وحين أشعر بخيبة أمل في نفسي—سقطت ولا أملك أدنى قوة للنهوض مجدداً، تأتي تلك الأيدي، التي تحمل آثار المسامير، لتمسح دموعي—وأدرك مدى ضعفي وهشاشتي، وأذرف الدموع من شدة كربى الذي غالباً ما—ابني الحبيب". وبينما نمضي قدماً في رحلتنا عبر هذا العالم—وتخاطبني قائلة: "أنت ابني؛ اليوم ولدتك. أنت ابني أصلي أن الرب، حين نكون مُرهقين أو مستنزفين أو يائسين، أو حين نكون قد سقطنا ولم تبقَ لدينا أي—يبدو لنا وكأنه قفرٌ موحش قوة للنهوض، أن ينطق بكلمته إلينا ويتم عوده لنا. أضرعُ إلى الرب ألا يتركَ أيّاً منا يتحملُ بمفرده أعباءَ تثقلُ كاهلَ الفرد الواحد؛ بل ليمكّننا، عوضاً عن ذلك، من حملها معاً، ويقوّينا لإنجاز العمل الذي ائتمنا عليه كجسدٍ واحد. وعلاوةً على ذلك، أصلي أن يُصغي الربُّ برأفةٍ ويستجيبَ حتى لصلواتنا التي تكتنفها الشكوى؛ ومع ذلك، فمن خلال تلك الاستجابات ذاتها، ليفضحَ خطيئةً مُعلماً إيانا سرَّ القناعة الحقيقية: ألا وهي أن نجدَ رضانا التامَّ فيه وحده، سواءً عشنا في بحبوحةٍ أم في—جشعنا، وليؤدّبنا بمحبته الذي يحملُ المسؤوليةَ الجسيمةَ—عوز. وأخيراً، أصلي بقلبي مخلصٍ أن يَتِمَّ الربُّ وعدهُ الواردَ في إنجيل متى (16: 18) لي أنا ولكلِّ عضوٍ في عائلتنا الكنسية؛ وليُظهرَ بوضوحٍ أن يدهُ ليستَ قصيرةً قطُّ عن الخلاص، ولِيَمْنَحُنَا النعمةَ لنسلكَ—لقيادة الكنيسة دائماً بالإيمان وحده، حتى حينَ لا تستطيعُ عيوننا إدراكَ أيِّ دليلٍ منظور

عندما ينقطع كل رجاء أرضي

فَصَلَّى يُونَانُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِ مِنْ جَوْفِ الْخُوتِ، قَائِلاً: «فِي ضِيقِي دَعَوْتُ الرَّبَّ فَاسْتَجَابَنِي. مِنْ جَوْفِ الْهَاوِيَةِ»
صَرَخْتُ، فَسَمِعْتَ صَوْتِي» (يونان 2: 1-2)

نحن البشر نعيش على الأمل؛ فبدون الأمل، لا يمكننا البقاء على قيد الحياة. وإنما نأكل ونشرب ونعمل ونمارس حياتنا اليومية لأننا نمتلك الأمل. فالأمل الذي يحمله البعض منا يدفعنا للسعي جاهدين للتغلب على الشدائد الحالية والظروف المؤلمة، مدفوعين بتوقع أن «الأمر سيتحسن في المستقبل». وآخرون، إذ يضمرون توقعاً بأنهم «يوماً ما، سيحققون النجاح هم أيضاً»، يرفضون الاستسلام في حياتهم؛ وبدلاً من ذلك، يتحملون ويصبرون ويكافحون ضد الحقائق المباشرة التي تواجههم. وإنما نستطيع التحمل والمضي قدماً رغم أننا لا نزال ننتفس—يوماً تلو الآخر لأننا نحمل في داخلنا شكلاً من أشكال الأمل. ولو مات هذا الأمل في داخلنا، لما كُنَّا نختلف شيئاً عن الأموات. وأظن أن هذا هو السبب الذي يجعلنا نكافح بكل يأس لإبقاء الأمل حياً في نفوسنا. ولكن ماذا—وأحياء انقطاعاً تاماً؟—ذلك الأمل الذي كافحنا بشدة لإبقائه حياً—عساي أنا وأنت أن نفعل لو انقطع ذلك الأمل ذاته

يونان 2: 1-2—نشهد يونان وهو يصلّي إلى الله من جوف حوت عظيم (الآية 17). فبعد أن عصى—في المقطع الكتابي لهذا اليوم ليُلقَى به في نهاية المطاف إلى البحر على يد بحارة—في الاتجاه المعاكس لنينوى—أمر الله، استقل سفينة ليلوذ بالفرار نحو ترشيش من الأمم (يونان 1: 15). وبعبارة أخرى، لقد رفع صلاته إلى الله في تلك اللحظة تحديداً التي انقطع فيها كل رجاء أرضي انقطاعاً ثَبَّت يونان نظره نحو الله—وهو مازق مستحيل حقاً—تاماً. ففي موقف لم يكن يقدم، من منظور بشري، أي أمل آخر في النجاة في موقف لم يكن بوسع فيه أن ينفذ نفسه ولا أن يتلقى—ورفع إليه صلاة. وإذا كان يقف عند مفترق الطرق بين الحياة والموت نظر إلى الله وتضرع إليه بالحاح. إن الأمر المثير للإعجاب حقاً هو حقيقة أن يونان، حتى في خضم—العون من أي شخص آخر تلك الظروف، قد رفع صلاة شكرٍ لله. وكيف يمكننا أن نتيقن من ذلك؟ إذا نظرنا إلى سفر يونان 2: 1، نجد أن الكتاب المقدس ينص قائلاً: «صَلَّى يُونَانُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِ مِنْ جَوْفِ الْخُوتِ». وهنا، استُخدمت كلمة «صَلَّى» (المشتقة من الكلمة العبرية الأصلية

خصيصاً لتفيد معنى "صلاة الشكر" (انظر 1 صموئيل 2: 1؛ 2 صموئيل 7: 27). فكيف تمكّن يونان من رفع (*hitparallel*) صلاة شكرٍ لله حتى عندما انقطعت كل آماله الدنيوية انقطاعاً تاماً؟ ثمة سببان لذلك:

هو أنه كان قد تاب عن—حتى في موقفٍ تلاشت فيه كل الآمال الدنيوية—أولاً: إن السبب الذي مكّن يونان من رفع صلاة شكرٍ لله .خطاياها من خلال المعاناة التي أرسلها الله عليه.

بعد أن جلب الضرر ليس على نفسه فحسب، بل أيضاً على القبطان البحار والبحارة الأميين—فعندما وجد نفسه في خضم المعاناة الذين كانوا على متن السفينة، وذلك بسبب العاصفة العنيفة التي أطلقها الله في البحر (1: 4)—قاد الله يونان ليعترف بخطاياها، حتى في حضور أولئك الأميين. وعلاوة على ذلك، حثّه الله على إثبات توبته بالفعل، مما قاد البحارة الأميين إلى إلقائه في أعماق البحر تمكّن مع ذلك من رفع—في موقفٍ انقطعت فيه كل الآمال الدنيوية—والآن، إذ أصبح محتجزاً داخل جوف حوتٍ عظيم. (2: 3) صلاة شكرٍ لله؛ لأنه تأمل في النعمة التي بسطها الله عليه، إذ مكّنه من الاعتراف بخطاياها والتوبة عنها. ورغم أن كل آماله الدنيوية تمكّن من رفع صلاة شكرٍ لله—لأنه تاب عن خطيئة عصيانه، وبذلك نال الحرية من ربة الخطيئة—كانت قد انقطعت تماماً، إلا أنه .لله.

ونحن أيضاً يمكننا أن نرفع صلوات شكرٍ لله، حتى عندما تكون كل آمالنا الدنيوية قد انقطعت. فحتى لو بدا الموقف الذي نواجهه أن نرفع صلوات شكرٍ لله. وحتى لو—شأننا شأن يونان—ميوّساً منه تماماً، شريطة أن نعترف بخطايانا ونتوب عنها، يمكننا تلاشت كل الآمال الدنيوية، فما دامت مشكلة خطيئتنا قابلة للحل من خلال يسوع المسيح، يمكننا أن نرفع صلوات شكرٍ لله. إذا كان كل ما علّقنا عليه إيماننا يوماً قد سُلِب منا بسبب تعديتنا، فيجب علينا أن نضع ثقتنا في يسوع، فهو رجاؤنا الحقيقي. وعلاوة على ذلك، واعتماداً على استحقاقات صليب يسوع، يجب علينا أن نعترف بخطايانا أمام الله. كما يجب علينا أن نبرهن على توبتنا من حتى وإن—خلال أفعال ملموسة؛ إذ لا بد لنا من اتخاذ عزمٍ راسخ. وما دام أن مشكلة خطيئتنا قابلة للحل من خلال يسوع المسيح فإنه يتحتم علينا أن نرفع الشكر لله. إنني أمل—انقطعت تماماً كل الآمال الدنيوية التي وثقنا بها يوماً، وكل الرجاء الذي تمسكنا به وهو رجاؤنا—بصدق أنه، حين تنقطع الآمال الدنيوية، يمكننا أن نتكئ على قوة الدم الثمين الذي سفكه يسوع على الصليب لكي نعترف بخطايانا ونتوب عنها، وبذلك نرفع صلوات الشكر لله—الحقيقي.

، يكمن في أنه—حتى في خضم موقفٍ تلاشت فيه كل الآمال الدنيوية—ثانياً، إن السبب الذي مكّن يونان من رفع صلاة شكر لله، "وسط معاناته، عاد ليثبت نظره مجدداً نحو الله، "إله الخلاص

عندما عصى يونان أمر الله، لم يوجه نظره نحو الله؛ بل على العكس من ذلك، فرّ هارباً إلى "ترشيش" في محاولة منه للهروب من عاصفةٍ كانت من شدتها وعنفها كفيلاً—محضر الرب (1: 3). وفضلاً عن ذلك، وحتى عندما أرسل الله عاصفة هوجاء على البحر، إلا أنه ظلّ لا يطلب الله. وحتى بينما كان يختبر عاصفة تأديب الله له، لم يلتفت بنظره نحو الله—بأن تحطم السفينة التي كان يستقلها ومع ذلك، لم يتخلّ الله عن يونان؛ بل قاده في نهاية المطاف لينظر نحو الله من داخل جوف حوتٍ عظيم. وبالفعل، تُرى أي نوعٍ من الذي بيده القدرة على تخليصه من خطاياه هو—الآلهة قد أبصره يونان؟ لقد كان "إله الخلاص" (2: 9). لقد نظر نحو إله الخلاص ذاته. وأخيراً، ومن أعماق البحر، ومن داخل جوف الحوت، أبصر يونان إله الخلاص. ولم يسعَ يونان لطلب إله الخلاص إلا في ذلك الموقف الذي انقطعت فيه تماماً كل الآمال الدنيوية. وحينها، رفع صلاةً إلى إله الخلاص؛ صلاة شكرٍ لله. وعلاوة على ذلك، وبينما كان لا يزال داخل بطن الحوت، في مكانٍ—اعترف قاتلاً: "الخلاص للرب" (الآية 9). حتى قبل أن ينال الخلاص فعلياً رفع صلاة اعترافٍ إلى الله، مُقرّاً بأن الخلاص يأتي من الله وحده. وحين فعل ذلك، لم يكتفِ الله—تلاشت فيه كل آمال الدنيا حيث انعدمت كل ذرة—أي بطن الحوت—بخلاص يونان من خطاياه فحسب، بل أنقذه أيضاً من ذلك المكان القابع في أعماق البحر من الأمل الدنيوي. وعلى النقيض من يونان العاصي، أطاع الحوت أمر الله وقذف بيونان إلى اليابسة (الآية 10)

"وحتى لو انقطعت تماماً كل الأمور الدنيوية التي كنا نضع ثقتنا فيها يوماً ما، فإنه يتحتم علينا أن نثبت أنظارنا على "إله الخلاص أن نتطلع نحو الرب؛ فهو وحده—بشكلٍ أشد إلحاحاً—وحيث يبدو وكأنه لا أمل في الخلاص في أي مكانٍ من هذا العالم، ينبغي علينا الأمل الحقيقي للخلاص". إذ لا خلاص يُرجى وجوده في هذا العالم؛ وحين يعجز أي إنسانٍ في هذه الدنيا عن إنقاذنا، وجب علينا أن نتطلع نحو الرب، مخلصنا الحقيقي. كما يجب علينا أن نلتصق بخلاص الله بجدٍ وإخلاصٍ من خلال الإيمان. وحين نفعل ذلك، لن يكتفِ الله بخلاصنا من خطايانا فحسب، بل سينتشلنا أيضاً من أي ظروفٍ قد نواجهها، حيث تكون كل الآمال الدنيوية قد انطفأت تماماً. إنه النصر

إيليا النبي: هل كان يعاني من اضطراب ثنائي القطب؟

وَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، قَامَ وَهَرَبَ لِأَجْلِ حَيَاتِهِ، وَجَاءَ إِلَى بَنِي سَبْعِ النَّبِيِّ لِيَهُودَا، وَتَرَكَ عَلَامَهُ هُنَاكَ. ثُمَّ سَارَ هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ مَسِيرَةً يَوْمٍ، حَتَّى جَاءَ وَجَلَسَ تَحْتَ شَجَرَةٍ رَتَمَ، وَطَلَبَ لِنَفْسِهِ الْمَوْتَ قَائِلًا: «قَدْ كَفَى الْآنَ يَا رَبُّ! خُذْ نَفْسِي، لِأَنِّي لَسْتُ خَيْرًا مِنْ آبَائِي» (سفر الملوك الأول 19: 3-4)

—منذ فترة ليست بالقصيرة، كان هناك عضو في كنيستنا يعاني من اضطراب ثنائي القطب. وحينما كان في حالة مزاجية جيدة كان يعامل جيرانه في الشقة معاملة حسنة للغاية استمرت لأكثر من عام، مما أدى في النهاية إلى—خلال نوبات الهوس التي تنتابه اصطحاب ثلاثة منهم إلى الكنيسة. غير أنه عندما كان يدخل في حالة من الاكتئاب، كان مزاجه ينقلب رأساً على عقب، لدرجة أنه كان يبدأ في كره أولئك الجيران أنفسهم؛ فكان يدخل معهم في مشاحنات حادة، وفي نهاية المطاف، انتهى المطاف بالأشخاص الثلاثة وقبل عدة سنوات، عقب انتهاء أول خدمة عبادة—الذين كان قد جلبهم إلى الكنيسة بأن تركوها وانصرفوا. وفي خضم هذا الصراع، سارع شيوخ الكنيسة وزوجتي إلى شقته، خشية أن يكون قد أقدم على محاولة الانتحار. وكما اتضح لاحقاً—يوم أحد في شهر يناير، كان قد تعرض لإصابة شديدة في الرأس، نُقل على إثرها مسرعاً إلى المستشفى؛ وبعد خضوعه لعملية جراحية، لم يعد أمامه خيار سوى الإقامة في دار للرعاية التمريضية. وخلال هذه الفترة، تسلمت الدفاتر التي عُثر عليها في شقته، وحاولت الاتصال بالأرقام الهاتفية الكورية المُدَوَّنة بداخلها، إلا أنني عجزت عن الوصول إلى أي فرد من أفراد عائلته أو أقرابه (إذ كانت جميع الأرقام قديمة وتم قطع خدمتها منذ زمن بعيد). وحتى يومنا هذا، لا تزال تلك اللحظة عالقة في ذهني؛ تلك اللحظة التي رفع فيها صلاته إلى الله قبيل لحظات من دفعه على سرير نقالة إلى داخل غرفة العمليات.

كالإكتئاب على سبيل المثال. فمنذ—وفي الأونة الأخيرة، وجدت نفسي أولي اهتماماً أعمق بكثير من ذي قبل بالأمراض النفسية العام الماضي، دأبتُ شخصياً على شراء وقراءة الكتب التي تتناول موضوع الاكتئاب، فضلاً عن قراءة المقالات المنشورة عبر من استيعاب مدى—وإن لم يكن بشكل كامل أو مثالي—الإنترنت حول الأمراض النفسية؛ ومن خلال هذا المسعى، تمكنتُ تدريجياً خطورة هذه الحالات وإدراك ثقلها بشكل وجداني وعميق. بل إنني قد لمحتُ أيضاً لمحات من المخاطر الجسيمة التي قد تشكلها مثل

هذه الأمراض النفسية. كما سمعتُ ممن حولي أن اضطراب ثنائي القطب يُعد أكثر إثارة للربح والخوف بكثير من الاكتئاب. بعد أن عاينتُ بنفسي أفراداً يعانون من كلٍّ من الاكتئاب والاضطراب ثنائي القطب، أجدني أتفق مع هذا الرأي. وأثناء تصفحي للإنترنت، صادفتُ تعريفاً لـ "الاضطراب ثنائي القطب" جاء نصه كالتالي: "الاضطراب ثنائي القطب هو حالة تتسم بتقلبات حادة في المزاج ومستويات الطاقة، والأفكار، والسلوك. وعادةً ما تظهر حالتان مزاجيتان متميزتان: حالة الهوس وحالة الاكتئاب. فخلال حالة الهوس، يفيض الفرد بالطاقة ويصبح شديد النشاط؛ وعلى النقيض من ذلك، يشعر الفرد خلال حالة الاكتئاب بحزن عميق ويأس. ويجد أن أبسط المهام تبدو له عبئاً ثقيلاً" (المصدر: الإنترنت). وبصفتي شخصاً شهد هذه "التقلبات الحادة في المزاج والطاقة —والأفكار والسلوك" بشكل مباشر من خلال أحد الأعضاء السابقين في كنيسةنا، فإنني أستحضر بوضوح صراعاتي الخاصة آنذاك. حيث كنت أشعر بالضيق وعدم اليقين بشأن كيفية التصرف أو الرد كلما طرأت تلك التغيرات الجذرية.

وخلال صلاة الصباح الباكر لهذا اليوم، وبينما كنت أقرأ الفصلين الثامن عشر والتاسع عشر من "سفر الملوك الأول"، تأملتُ في إذ لم أعد أدري كيف أستوعب—شخصية النبي إيليا كما تظهر في هذين الفصلين؛ وفي غمرة هذا التأمل، انتابني شعور بالحيرة تصرفاته أو كيف ينبغي عليّ أن أتعامل معها. ويكمن السبب في التباين الصارخ بين الصورة التي يُقدّم بها النبي إيليا في الفصل طاعةً—الثامن عشر من سفر الملوك الأول، والصورة التي يظهر بها في الفصل التاسع عشر. ففي الفصل الثامن عشر، قام إيليا لأمر الله القائل: "اذهب وقَدِّم نفسك لأخاب، وسأرسل مطراً على الأرض" (18: 1) —بمواجهة أخاب بلا خوف، معلناً بكل جرأة أنالـم أجنب المتاعب على إسرائيل، بل أنت وعائلة أبيك هم من فعلوا ذلك؛ إذ قد تخليتم عن وصايا الرب واتبعتم البعل" (18: 18). رسولاً إلى إيليا حاملةً معها تهديداً مفاده: "لتفعل—زوجة الملك أخاب—أما في الفصل التاسع عشر، فعندما أرسلت الملكة إيزابل بي الآلهة ما تشاء، ولتكن عقوبتها أشد ما تكون، إن لم أجعل حياتك بحلول هذا الوقت من الغد كحياة واحد منهم" (19: 2)، نجد أن إيليا "نظر إلى الموقف، وقام، وهرب لينجو بحياته" (19: 3). كيف يُعقل أن تتقلب حالة النبي إيليا النفسية وتتأرجح بشكلٍ حادٍ كهذا —بين نقیضين متطرفين؟ ألا يبدو وكأنه شخصٌ يعاني، إلى حدٍ كبير، من اضطراب ثنائي القطب؟ وكيف يتسنى للنبي إيليا ذاته، الذي صلى إلى الله بإيمانٍ راسخٍ (36-37) أثناء مواجهته مع أنبياء "بعل" الأربعمئة والخمسين على جبل الكرمل (18: 20، 22) وشهد بعينه كيف "سقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب، ولحست المياه التي في القناة" (38) —والذي قام عقب ذلك بجرّ كلٍّ واحدٍ من أنبياء "بعل" إلى وادي قيشون ليتم ذبحهم هناك (40)؛ كيف لهذا النبي ذاته أن يلوذ فجأةً بالفرار مذعوراً خوفاً على حياته (3)، لمجرد أن الملكة إيزابل قد هددته قائلة: "هكذا تفعل الآلهة بي وتزيد، إن لم أجعل حياتك غداً في مثل هذا الوقت كحياة واحدٍ منهم" (19: 2)؟ وهل يُعقل أن يكون سبب فراره هو أن الملكة إيزابل كانت شخصاً قد سبق له قتل أنبياء الله من قبل؟ وبعبارة أكثر صراحةً ووضوحاً: هل كان السبب وراء فرار النبي إيليا خوفاً هو ببساطة أن الملكة إيزابل كانت "قاتلةً" (13، 4: 18) للأنبياء؟ كم عدداً من أنبياء الله لا بد أنها قد قتلت، لدرجةٍ دفعت "عوبديا"—وهو رجلٌ كان يخشى الرب ويوقره تقديرًا عميقاً (الآية 3) (الآيتان 4، إلى أن "ياخذ مائة نبي ويخبئهم خمسين رجلاً في مغارة، ويعولهم بالخبز والماء" لإنقاذهم من بطشها وذبحها؟—(3)

مما لا شك فيه أنها لا بد قد قتلت أكثر من نبي واحد أو اثنين فقط من أنبياء الله. وحين نضع في اعتبارنا أن "عوبديا" قد أخفى ما يصل إلى مائة نبي في المغارات وزودهم بالطعام والماء، وحين نسمع النبي إيليا يعلن قائلاً: "إن بني إسرائيل قد تركوا عهدك، وهدموا مذبحك، وقتلوا أنبياءك بالسيف؛ وبقيت أنا وحدي" (19: 10، 14؛ قارن 18: 22)، فإننا نجد أنفسنا مضطرين للوصول إلى وعند سماع إيزابل من—استنتاج حتمي مفاده أن الملكة إيزابل قد قتلت بالفعل عدداً كبيراً من أنبياء الله. بالنظر إلى هذا التاريخ زوجها، الملك آخاب، أن أنبياءها الأربعمئة والخمسين لعبادة "بعل" قد ذبحوا على جبل الكرمل (الآية 1)، ثم نذرنا بأن تقتل نبي اعتقد أنه من المفهوم تماماً أن يصاب النبي إيليا بالرعب لدرجة تدفعه إلى الفرار—الله، إيليا، تماماً كما قُتل أنبياء "بعل" هؤلاء لينجو بحياته (الآية 3). ومع ذلك، لم يكتفِ النبي إيليا بمجرد الفرار؛ بل توغل وحيداً في البرية مسيرة يوم كامل، وجلس تحت شجرة كيف استطاع—الرتم"، وتمنى الموت لنفسه قائلاً: "كفى الآن يا رب، خذ نفسي، لأنني لستُ خيراً من آبائي" (الآية 4). كيف إيليا، ذلك النبي عينه الذي تحدى الحشود الغفيرة المتجمعة على جبل الكرمل بسؤاله: "إلى متى تعرجون بين الفرقتين؟ إن كان الرب هو الله فاتبعوه، وإن كان بعل فاتبعوه" (18: 21)—أن يجلس تحت شجرة "الرتم" تلك، ويعزم على الموت، ويقول لله: "خذ نفسي الآن" (19: 4)؟ وكيف انقلب حال إيليا وتصرفه بشكل جذري كهذا، متأرجحاً من نقيض إلى آخر؟ لم يكتفِ إيليا بطلب الموت من الله فحسب، بل أعلن أيضاً أنه ليس بأي حال من الأحوال أفضل أو أسوأ من آبائه (الآية 4/ب). لماذا عقد هذه المقارنة مع آبائه؟ وهو يفر—ولماذا، وهو يقارن نفسه بهم، ادعى أنه ليس خيراً منهم؟ هل كان ذلك لأنه استغرق تماماً في فكرة أن حالته الراهنة ذلك—كانت حالة بائسة للغاية، وتتسم بالعجز والضعف الشديد؟ ولماذا أصبح إيليا—مزعوراً من الملكة إيزابل التي هددت بقتله "النبي عينه الذي بدا، وهو يطيع كلمة الله بجرأة ويسعى لتقديم نفسه لأخاب بإيمان، غير عابئ (؟) حتى باحتمالية أن يُقتل "عوبديا في غمار تلك الأحداث (18: 12)—مشغول البال فجأة بذكر آبائه (19: 4)؟ هل يُعقل أنه قد أصبح بالفعل ضعيفاً للغاية من جوانب عديدة؟ ثمة أمر واحد مؤكد: لقد أصبح النبي إيليا ضعيفاً جداً من الناحية الجسدية. والسبيل الذي يمكننا من خلاله معرفة ذلك هو أنه استلقى تحت شجرة الرتم وغفا (الآية 5). عندما لمس الملاك وقال له: "قُم وكُل" (الآية 5)، نهض النبي إيليا، وأكل الخبز المخبوز على الجمر، وشرب من جرة الماء التي وجدها عند رأسه، ثم عاد فاضطجع مرة أخرى (الآية 6). وعلاوة على ذلك، عندما عاد قائلاً: "قُم وكُل، لأن المسافة شاقة عليك" (الآية 7)—يمكننا أن نستنتج أنه كان في حالة من الإرهاق—ملاك الله ليلمسه مجدداً الجسدي والجوع الشديدين؛ بل وربما كان على وشك الانهيار الجسدي التام. والسبب الذي يجعلنا نفترض ذلك هو أنه، بعد أن أعلن للملك آخاب قائلاً: "حيّ هو الرب إله إسرائيل الذي أنا واقف أمامه، إنه لن يكون ندى ولا مطر في هذه السنين إلا عند قلبي" (17: 1) فرّ إيليا من وجه الملك. وطاعةً لكلمة الله، ذهب أولاً ليختبئ عند "نهر كريبث" (الآيتان 2-3)؛ وفي وقت لاحق، عندما جف، (1: النهر (الآية 7)، أطاع أمر الله مجدداً وسافر إلى "صرفة". وهناك التقى بأرملة، وبفضل التدخل الإلهي المعجزي، تم إعالة إيليا—وأهل بيته بالطعام لأيام عديدة (الآية 15). وباختصار، فإن السبب الذي جعل إيليا يقع حتماً في مثل هذه الحالة من الوهن الجسدي، هو أنه قضى ما لا يقل عن ثلاث سنوات (18: 1) وهو يفر ويختبئ من الملك الشرير آخاب—التي كادت تبلغ حد الانهيار التام

مما دفعه إلى الفرار—الذي كان يطارده بلا هوادة. وبالنظر إلى هذه الخلفية التاريخية، عندما هددت الملكة إيزابل بقتله مرة أخرى يبدو من المنطقي تماماً أن يكون إيليا قد استنزف جسدياً لدرجة كادت تؤدي به إلى الانهيار التام. ومع ذلك، وبينما كنت أقرأ—خوفاً. الإصحاح 19 من سفر الملوك الأول (الآيات 1-7)، لفت انتباهي أن النبي إيليا كان يشبه إلى حد بعيد شخصاً يعاني من الاكتئاب وبالفعل، وكما يوحى عنوان كتاب الدكتور "لويد-جونز"، أعتقد أن النبي إيليا كان يمر بحالة من "الاكتئاب الروحي". صادفتُ فقرةً: نتناول موضوع "الاكتئاب الروحي" ضمن إحدى العظات المنشورة عبر الإنترنت، وأودُّ أن أشاركها معكم هنا:

في رحلة حياتنا الإيمانية، قد يداھمنا الاكتئاب الروحي في أي وقت. وبمجرد أن يتمكّن منا، لا يكون علاجه بالأمر الهين. إن «أسباب الاكتئاب الروحي متنوعة؛ ففي بعض الأحيان، قد يكون المرض الجسدي المزمن هو السبب الجذري له. وفي حالات أخرى قد يكون المزاج السوداوي (الميلانكولي) هو الجاني. ومع ذلك، ثمة حقيقة واحدة مؤكدة: إن العقبات والخطايا التي تقف حائلاً بيننا وبين علاقتنا بالله هي العوامل المباشرة التي تُشعل فتيل الاكتئاب الروحي. ولا يبدأ الاكتئاب الروحي دائماً بخطية جسيمة؛ بل قد تكون الخطايا البسيطة جداً هي التي تباعد بيننا وبين الله شيئاً فشيئاً. وحين يقع المرء فريسةً للاكتئاب الروحي، فإنه يفقد شغفه بالعبادة ويتضاءل الوقت الذي يقضيه في الصلاة، أو قد يتلاشى تماماً. وعلاوةً على ذلك، ومع تعمق الاكتئاب الروحي، يصبح المرء غير مبالي بنفوس الآخرين، وينكفي على ذاته، مُركّزاً اهتمامه حصرياً على مشكلاته الخاصة. فتضطرب النفس وتغرق في بحرٍ من الكرب والضيق. ويفقد المرء بهجة الحياة الإيمانية، وتغدو حالته الروحية قاحلةً ومجذبة» (المصدر: الإنترنت)

حيث أصبح غير مبالي بنفوس الآخرين، وركّز—وفي الواقع، ألم يتصرف النبي إيليا تماماً كشخصٍ يعاني من الاكتئاب الروحي، اهتمامه، بدلاً من ذلك، تركيزاً كلياً على متاعبه الخاصة؟ تأملوا معي ما جاء في سفر الملوك الأول (10:19): «يارب يا إله القوات لقد خدمتك بغير عزيمة. ومع ذلك، فقد نقض شعب إسرائيل العهد الذي قطعوه معك، وهدموا مذابحك، وقتلوا جميع أنبيائك. ولم والآن يحاولون قتلي أنا أيضاً!» (بحسب الترجمة الإنجيلية الحديثة؛ انظر أيضاً الآية 14). ألم يجد—يتبقّ حياً سوى أنا وحدي نفسه وقد امتلأت بالقلق والكرب؟ ألم يفقد البهجة في حياته—شأنه شأن من غرق في حالةٍ من الركود الروحي—النبي إيليا حقاً وهو يتأرجح بين—الإيمانية وفي إنجاز عمل الرب، مما جعل حالته الروحية قاحلةً ومجذبة؟ وبينما كنتُ أتأمل سيرة النبي إيليا النقيضين اللذين صوّرتهما الأصحاحان الثامن عشر والتاسع عشر من سفر الملوك الأول، تماماً كشخصٍ يعاني من اضطراب ثنائي. ازداد فضولي لمعرفة الكيفية التي بها نهضه الله مجدداً، حتى بعد أن بلغ به الحال حد تمنّي الموت تحت شجرة الرمث—القطب أحد الأسباب الكامنة وراء هذا الفضول المتزايد يعود إلى نحو عشر سنوات مضت؛ حين ألقى القس الراحل "كيم"—وهو شخصية عظيمة في كنيستنا—محبوبة عانت من مرض نفسي قبل أن توافيها المنية في نهاية المطاف جراء انتشار مرض السرطان في جسده *تحت عنوان: "إيليا ينهض من جديد". إنه عنوان عظة لا يسعني نسيانه؛ بل لربما كان من الأدق القول إنه عنوان *لن أنساه أبداً

وحتى خلال صلاة الفجر لهذا الصباح، وبينما كنت أصلي وأستحضر ذكرى ذلك القس في ذهني، اعتصر الألم قلبي وغلبتني الدموع وأنا أتأمل مدى المشقة والعناء اللذين لا بد وأنه قد تكبدهما إبان معاناته من المرض النفسي. ومع ذلك، فقد وجدت عزاءً وسكينةً في استذكار حلم رأيتُه بعيد جنازته بقليل؛ حلمٌ احتضنتني فيه بابتسامةٍ وضاعة، مما دفعني إلى البكاء بلا انقطاع. وفي خضم شعوري بذلك العزاء، وجهت أفكارِي وصلواتي نحو الله، متضرعاً إليه نيابةً عن أولئك الذين يصارعون حالياً نوبات الاكتئاب، والاضطراب أكثر من أي شخص—ثنائي القطب، واضطرابات الهلع. وكنت أحدث نفسي قائلاً: "لا شك أنهم يواجهون الآن أشد الصعاب والمحن ولا شك أيضاً أنه لا أحد سواهم يستطيع أن يدرك إدراكاً كاملاً عمق المعاناة التي يتجرعون مرارتها..." وهكذا، استودعتُ—آخر أمرهم الله. وبكل جوارحي، صليتُ من أجلهم إلى الرب؛ ذاك الذي يعلم معاناتهم حق العلم، ويحبهم حباً لا يضاهي عمقاً. وبينما مانحاً إياهم الأمل، ومخلصاً إياهم من كربهم، ومسبغاً—أتضرع إلى الله بقلبٍ مخلصٍ أن يمد يده بالرعاية والعزاء لكل واحدٍ منهم توقفْتُ متأملاً في ثلاث طرقٍ نهض الله بها بالنبى "إيليا"، الذي بدا وكأنه يعاني من يأسٍ روحي وأعراضٍ—عليهم نعمة الشفاء تشبه أعراض اضطراب ثنائي القطب:

أولاً: لقد أرسل الله ملاكاً ليمد يده ويلمس إيليا.

لقد لمس ملاك الله إيليا، الذي كان مستلقياً نائماً تحت شجرة "الرتم" بعد أن كان قد صلى طالباً الموت. وعلاوةً على ذلك، لم يحدث، هذا الأمر لمرةٍ واحدة فحسب، بل تكرر مرتين (سفر الملوك الأول 19: 5 و7). وبينما كنت أتأمل في هذا المقطع من الكتاب المقدس أدركتُ أن أبناء الله الذين يعانون من يأسٍ روحي أو مرضٍ نفسي هم في أمسِّ الحاجة إلى لمسة "الله الأب" الحانية. ويكمن السبب وأن نمد أيدينا لنلمسهم ونحن—الذين أنهكهم التعب جسداً وروحاً—في ذلك في أنه يتحتم علينا احتضان إخوتنا وأخواتنا المتألمين نصلي من أجل كل فرد منهم، جاعلين من قلب الله الأب ومحبتة ذاتها منبعاً لهذا الفعل. فمن خلال هذه اللمسة، هم في أمسِّ الحاجة إلى أن يختبروا محبة الله الدافئة والحانية.

ثانياً، لقد دبر الله أمر إيليا، ومكّنه من الأكل والشرب من خلال خدمة أحد الملائكة.

بل أيقظه أيضاً وأصدر إليه توجيهاً مرتين، قائلاً: "قُمْ وكُل" (الآيتان—الذي كان مضطجعاً ونائماً—لم يكتفِ ملاك الله بلمس إيليا و7). وعلاوةً على ذلك، زوّد ملاك الله إيليا برغيف من الخبز المخبوز على الجمر وجرة من الماء (الآية 6). واستناداً إلى هذا 5 التدبير الإلهي، أكل النبي إيليا الخبز وشرب الماء مرتين، مستعيداً بذلك قوته (الآية 8). ومستمدّاً طاقته من هذه القوة المتجددة، سار جبل الله (الآية 8). وبينما كنت أتأمل في هذا المقطع الكتابي، تذكرتُ—إيليا ليلاً ونهاراً لمدة أربعين يوماً حتى وصل إلى جبل سيناء مرة أخرى الأهمية الحيوية للتعافي الجسدي بالنسبة لأبناء الله الذين يعانون من الإرهاق الروحي أو الأمراض النفسية. وأستحضر

هنا ذكرى محادثة أجريتها مع إحدى الأخوات التي كانت قد عانت سابقاً من الاكتئاب؛ وحين سألتها عن تجربتها، أخبرتني أن ممارسة التمارين الجسدية تُعد أمراً بالغ الأهمية عندما يكون المرء في خضم صراعه مع الاكتئاب. وبالطبع، لكي يتمكن المرء من ممارسة التمارين الرياضية، لا بد له أولاً من تناول طعام صحي ومغذٍ. ولهذا السبب، أعتقد أنه من الأمور ذات الدلالة العميقة أن ملاك الله قد لمس إيليا النائم وأيقظه، ثم حرص على أن يأكل ويشرب. لذا، ينبغي على أولئك الذين يعانون من الإرهاق الروحي أو الأمراض النفسية أن يمنحوا الأولوية لسلامتهم الجسدية، وذلك من خلال تناول الطعام والشراب بشكل سليم، فضلاً عن الالتزام بممارسة التمارين الرياضية بانتظام.

ثالثاً، لقد كلم الله إيليا

مما مكنه من السير ليلاً ونهاراً لمدة أربعين يوماً حتى بلغ جبل سيناء، جبل الله—فبعد أن نهض إيليا، وأكل، وشرب، واستعاد قوته (الآية 8)—دخل إلى كهفٍ يقع في ذلك المكان وقضى ليلته فيه (الآية 9). وبينما كان داخل الكهف، جاءته كلمة الرب تسأله: "يا إيليا، لماذا أنت هنا؟" (الآيتان 9 و13). وعند سماعه لهذه الكلمات، أجاب إيليا الله قائلاً: "لقد غرث غيرةً شديدةً للرب إله الجنود" فقد نبذ بنو إسرائيل عهدك، وهدموا مذابحك، وقتلوا أنبياءك بالسيف. ولم يتبقَّ سواي، وها هم الآن يسعون لانتزاع حياتي أيضاً (الآيتان 10 و14). ثم قال الله لإيليا: "أخرج وقف على الجبل أمام الرب" (الآية 11)، وأعقب ذلك بأن أسمع إيليا "صوتاً صغيراً—الذي كان حينها في البرية—هادئاً" (الآية 12). وأعتقد أن هذا يمثل "بركة البرية". وبعبارة أخرى، فإن حقيقة أن الله سمح لإيليا بأن يسمع "صوتاً يهمس برفق" (الآية 12) هي في الواقع جوهر بركة البرية. وكيف لنا أن ندرك ذلك؟ إذا نظرنا إلى سفر هوشع (Syncretism) "وهم الذين كانوا قد انزلقوا إلى" التوفيق الديني—نرى أنه عندما قام الله بتأديب شعب إسرائيل بمحبة، 2: 14 فإنه قادهم إلى البرية و"تكلم تعزيةً لقلوبهم" [(بحسب الترجمة الإنجليزية المعاصرة: "تكلم إليهم برقة")].—بعبادتهم لله وللبلع معاً: وهكذا، فإن الله هو الإله الذي يقود الشعوب التي يحبها إلى البرية، ويعزيهم بكلمات رقيقة حانية. وإلى إيليا، الذي كان ينوح قائلاً: بقيتُ أنا وحدي" (1 ملوك 19: 10، 14)، تكلم الله برفق (الآية 12)، كما أعلن له قائلاً: "لقد أبقى نفسي سبعة آلاف شخص في" إسرائيل لم ينحنوا للبلع ولم يقبلوا ذلك الصنم" (الآية 18، بحسب الترجمة الإنجليزية المعاصرة). يا له من مصدر تعزية عظمى لا بد أن تلك الكلمات قد شكلته لإيليا! فقد كان يعتقد أن جميع أنبياء الله قد قُتلوا وأنه هو وحده من بقي؛ ولكن عندما كشف الله له أنه قد حفظ لنفسه ما يصل إلى سبعة آلاف شخص في إسرائيل لم ينحنوا للبلع ولم يقبلوا صنمه، يا له من مصدر قوة هائل لا بد أن ذلك قد منحه إياه! وبينما كنت أتأمل في هذا المقطع، تذكرت أنه كلما مررنا بفترات من الركود الروحي أو الضيق النفسي، فإننا نحتاج فإننا—أو عندما نشعر بفقدان تام للأمل—إلى أن نعزل عن قصد ونتوجه إلى "البرية". وحتى عندما تكون أجسادنا وعقولنا منهكة نحتاج إلى دخول تلك البرية لنقف (أو نركع) منفردين في محضر الله. وهناك، وسط الصمت، يجب علينا أن نصغي بآذاننا إلى الصوت الصغير الهادي الصادر عن الله. وحينئذٍ، سيقوم الروح القدس الساكن فينا بتذكيرنا بكلمة الله المدونة في الكتب المقدسة"

ويمنحنا الفهم، ويمكننا من التمسك بها بقناعة راسخة لا تتزعزع. نحن مدعوون لا لمجرد استيعاب كلمة الله بالإيمان فحسب، بل بأن نُمسك بقوة وثبات. وحين نفعل ذلك، سنختبر خلاص—لقطع خطوة أبعد من ذلك... إذ يجب علينا أن نسمح لأنفسنا بأن نُستوعب أي إنقاذه وشفائه لنا. فمن خلال كلمته، سيُعِيد الله ترميم نفوسنا الراكدة، ويُحدث في داخلنا نهضةً روحية—الله

حيث تتأرجح مشاعره بعنف من نقيض—بينما كنت أراقب التقلبات العاطفية الحادة لدى شخص يعاني من اضطراب ثنائي القطب وجدت نفسي أتأمل في مدى الصعوبة والألم الذي لا بد أن يعانيه ذلك الفرد وهو يكابد مثل هذه التقلبات العاطفية، التي—إلى آخر لا يملك عليها أي سيطرة على الإطلاق. ومع ذلك، فإنني أعتقد أن المسيحيين الذين لا يختبرون تقلبات عاطفية صعوداً وهبوطاً فحسب، بل تقلبات روحية أيضاً، لا بد أن يجدوا في ذلك قدراً مماثلاً من الضيق والمشقة. فعندما ينتقل المرء من حياة إيمانية متقدمة فإنه حتماً سيعاني—ومفعم بالشغف، إلى حالة تبرد فيها تلك الغيرة—تاركاً إياه بقلب بارد ووجود ديني لا يعدو كونه مجرد روتين معاناة عميقة جراء هذه التقلبات الروحية التي لا يملك زمامها. تأمل في حالة النبي إيليا: ففي الإصحاح الثامن عشر من سفر الملوك وبّخه بجرأة—غير عابئ حتى بحياته هو—الأول، وتصرفاً منه في طاعة أمينة لكلمة الله، وقف بلا خوف أمام الملك آخاب وشجاعة. ومع ذلك، ففي الإصحاح التاسع عشر من السفر ذاته، وحين سمع تهديد الملكة إيزابل بقتله، لاذ بالفرار مذعوراً إلى البرية. إن إيليا ذاته الذي وقف في الإصحاح الثامن عشر منتصباً بعد أن واجه 450 نبياً لبعل على جبل الكرمل، نجده في الإصحاح التاسع عشر جالساً تحت شجرة رتم، متوسلاً إلى الله أن يأخذ روحه. كيف يمكن أن يوجد مثل هذا التباين الصارخ؟ يكاد المرء يشعر، وكأنه كان يعاني من شكلٍ ما من أشكال "الاضطراب الروحي ثنائي القطب". ومع ذلك، جاء ملاك الله إلى إيليا وهو في تلك الحالة وقام بخدمته برفق وحنان، وزوده بالطعام. وعلاوة على ذلك، تحدث الله بكلمات رقيقة وحانية إلى إيليا الذي كان قد انزوى في البرية. لقد قامت تلك الكلمة الإلهية بترميم نفس إيليا، وأحدثت فيه نهضةً روحية. وإنني لأصلي لكي يتم عمل الترميم والنهضة ذاته في حياتنا نحن أيضاً.

عندما تشعر بأن الله قد تخطى عنك

وظهر ملاك الرب لجدعون وقال له: "أيها الجبار الباسل، الرب معك". فأجاب جدعون: "يا سيدي، إن كان الرب معنا، فلماذا حدث لنا كل هذا؟ وأين كل عجائبه التي حدثنا عنها آباؤنا قائلين: 'ألم يُصعدنا الرب من مصر؟ ولكن الآن قد تخطى عنا الرب وأسلمنا إلى يد مديان'" (القضاة 6: 12-13) 'مصر؟

عندما نشعر بأن شخصاً عزيزاً علينا قد تخطى عنا، غالباً ما يكون وقع الصدمة والألم أشد مما يمكننا تخيله تماماً. ويصدق هذا الأمر بشكل خاص خلال سنواتنا التكوينية، حين قد نشعر بأن الوالدين المحبين قد تخلوا عنا؛ أو في مرحلة لاحقة من العمر، حين نشعر بأن الحبيب أو الحبيبة قد تخلوا عنا أثناء علاقة عاطفية؛ أو بعد الزواج، حين نشعر بأن الزوج أو الزوجة الحبيين قد تخلوا عنا. في مثل تلك اللحظات، يكون عمق تلك الصدمة والألم أمراً لا يُسبر غوره حقاً. ومع ذلك، وفي خضم تلك الصدمة والألم، هل يظل بإمكاننا التمسك بالإيمان بأن الله معنا؟

في المقطع الكتابي المخصص لهذا اليوم — سفر القضاة 6: 12-13 — نلتقي بشخصية تُدعى "جدعون"، الذي يعتقد أن الله قد تخطى عن شعب إسرائيل. ويكمن السبب وراء اعتقاده هذا في الفقر المدقع الذي اجتاحت بني إسرائيل (الآية 6)؛ إذ كان هذا الفقر نتيجة مباشرة لقيام الله بتسليمهم إلى أيدي المديانيين لفترة امتدت سبع سنوات (الآية 1، والآية 13). وكان هذا الفقر الشديد أمراً حتمياً؛ لأن المديانيين والعمالة وأهل المشرق قد اجتاحت إسرائيل، فدمروا كافة محاصيل بني إسرائيل، ونهبوا كل ما يملكونه من أغنام وأبقار وحمير، دون أن يتركوا منها شيئاً (الآيتان 3-4). ونتيجة لذلك، ونظراً للقسوة البالغة التي اتسم بها المديانيون، اضطر بنو إسرائيل (*Modern People's Bible* الآية 2، بحسب ترجمة) إلى الفرار واللجوء إلى كهوف الجبال وغيرها من الملاذات الآمنة وعليه، وفي خضم ضيقهم الشديد، صرخ شعب إسرائيل إلى الله (الآيتان 6-7)؛ ورداً على ذلك، أرسل الله إليهم نبياً حاملاً هذه الرسالة: "أنا الرب، إله إسرائيل. لقد أخرجتكم من مصر وفُدتكم خارج بيت العبودية. أنقذتكم من يد المصريين ومن يد كل من اضطهدهم؛ طردتهم من أمامكم وأعطيتمكم أرضهم. وقلت لكم أيضاً: 'أنا الرب إلهكم؛ لا تخافوا إلهة الأموريين الذين تسكنون في الذي كان—ابن يوش—أرضهم'. ولكنكم لم تصغوا إلى صوتي" (الآيات 8-10). ثم، وفي أحد الأيام، ظهر ملاك الرب لجدعون يدرس القمح في معصرة خمر ليخفيه عن المديانيين، وقال له: "أيها الجبار الباسل، الرب معك!" (الآية 12). وفي تلك اللحظة، وبعد أن طرح جدعون سؤالين على ملاك الرب، عبّر عن اعتقاده بأن الله قد تخطى عن شعب إسرائيل وأسلمهم إلى أيدي المديانيين (الآية 13): "وأنا أعتقد أن هذين السؤالين يكشفان عن الأسباب الجوهرية التي جعلت جدعون يشعر بأن الله قد تخطى عن شعب إسرائيل (13)

كان السؤال الأول كالتالي: "يا سيدي، إن كان الرب حقاً معنا، فلماذا حدث لنا كل هذا؟" (الآية 13أ، *ترجمة كتاب الشعب المقدس الحديث*). فعندما قال ملاك الله لجدعون: "أيها الجبار الباسل، الرب معك" (الآية 12)، رد جدعون متسائلاً: "إن كان الله حقاً مع على مدار سبع—شعب إسرائيل، فلماذا حدث لنا كل هذا؟". وهنا، تشير عبارة "كل هذا" إلى حقيقة أن بني إسرائيل قد انحدروا سنوات (الآية 1)—إلى حالة من العوز الشديد والفقر المدقع، وذلك بسبب القسوة المفرطة التي مارسها المديانيون ضدهم (الآية 2؛ ترجمة كتاب الشعب المقدس الحديث*). وبصياغة هذا السؤال بطريقة أخرى، كان جدعون يعتقد أن الله *ليس* مع شعب إسرائيل؛* إذ استنتج أن هذا الغياب هو السبب عينه الذي جعل بني إسرائيل يعانون تحت وطأة الهيمنة المديانية لمدة سبع سنوات (الآية 1) ويقعون في مثل هذا الفقر المدقع (الآية 6). علاوة على ذلك، خلص جدعون إلى أن السبب في عدم وجود الله مع بني إسرائيل يكمن في أن الله قد تخطى عنهم (الآية 13).

تماماً كما فعل—وأعتقد أن هناك وجهة معيئة في منطق جدعون هذا. فعندما تُخضع عقلنا البشري المحدود للتفكير المنطقي يصبح من الوارد تماماً أن نخلص إلى استنتاج مفاده أن الله قد تخطى بالفعل، ليس عنا نحن فحسب، بل عن شعب إسرائيل—جدعون السؤال التالي: إذا كان الله معنا حقاً، فلماذا يتوجب علينا أن—شأننا شأن جدعون—أيضاً. وفي الواقع، قد يطرح بعضنا نحن أيضاً نتحمل المعاناة والمشقة وسط هذا العوز الشديد؟ إن السبب الجوهرى الكامن وراء هذا التساؤل هو افتراضنا الراسخ بأنه لو كان الله وإذا كان يحبنا حباً عميقاً لدرجة أنه مضى إلى أبعد حدٍ—معنا، لما كان علينا أن نختبر الألم أو المشقات القاسية. فإذا كان الله حياً فكيف له إذن أن يسمح لنا بأن نتألم بهذا القدر من الشدة وأن نتخبط في غياهب—فبذل ابنه الوحيد، يسوع، على الصليب لكي يخلصنا. الفقر؟ ونظراً لهذا التناقض الظاهري، فمن المفهوم تماماً أن يساورنا الشك وأن نطرح تساؤلاتٍ بخصوص حقيقة حضور الله معنا، وبالطبع، فإن هذه الشكوك والتساؤلات تفترض مسبقاً وجود قصورٍ في إدراك حقيقة أن المعاناة والمشقات القاسية التي نكابدها هي في واقع الأمر، "تأديبٌ محبٌ" من الله، جاء نتيجةً لخطايانا نحن أنفسنا. ولأننا نظل غافلين عن تجاوز اتنا، بينما نكون في الوقت ذاته مدركين تمام الإدراك لعواقب تلك الخطايا فحسب، فإننا نتساءل أمام الله قائلين: "إِنْ كَانَ الرَّبُّ مَعَنَا، فَلِمَذَا أَصَابَنَا كُلُّ هَذَا؟" (الآية نقلاً عن *كتاب المقدس للناس المعاصرين*). ومع ذلك، ثمة حقيقة أخرى بالغة الأهمية هنا، على الأقل، قد يغفل عقلنا عن 13، استيعابها؛ وتلك الحقيقة ليست سوى الآتي: إن الله *معنا*—نحن الذين ارتكبنا الخطايا ذاتها التي نتلقى الآن جزاءها في صورة في أن يختار إلهٌ قدوسٌ أن—في حد ذاتها—تأديبٌ محبٌ منه. وبعبارة أخرى، نحن نعجز عن إدراك مدى عظم النعمة التي تتمثل الذي وصف نفسه قائلاً: "عَشِيرَتِي هِيَ الْأَضْعَفُ—يكون حاضراً مع خطاةٍ غير مقدسين. وفضلاً عن ذلك، فقد خاطب الله جدعون في مَنَسَى، وَأَنَا الْأَصْغَرُ فِي بَيْتِ أَبِي" (الآية 15)—ووصفاً إياه بـ "الْجَبَّارِ الْبَاسِ" (الآية 12). ثم أمره قائلاً: «اذهب بهذه القوة التي لك، وخلص إسرائيل من يد مديان. ألم أرسلك أنا؟» (الآية 14). وباختصار، فمن خلال كونه *مع* جدعون (الآية 12)، أسبغ

الله عليه نعمة عظيمة إذ أقامه قاضياً ليخلص إسرائيل من سطوة مديان (الآية 14). يا لروعة نعمة الله! لماذا لم يكتفِ الربّ بفداء مُمكنًا إياي، وحاسباً—هذه النفس غير المستحقة فحسب (الترنيمة الجديدة 310، «بنعمة الله»، المقطع 1)، بل عيّنني أيضاً عاملاً له إياي أميناً، ومُودعاً في خدمة؟ (1 تيموثاوس 1: 12). فما عسى أن يكون هذا الأمر، إن لم يكن نعمة الله الفائقة العظمة؟ وإذ أولئك الذين يعاملهم كأبناء—نواصل عيش كل يوم مستندين إلى هذه النعمة، لا ينبغي لنا أن ننسى حقيقة أن الربّ يؤدّب من يحبهم وأنه يفعل ذلك من أجل نفعنا نحن (عبرانيين 12: 6، 7، 10). إن الله يؤدّبنا بدافع المحبة لكي نصير شركاء في قداسته—وبناتٍ له (الآية 10). ونتيجةً لهذا بالتحديد، حلّت بنا كل هذه الأمور (قضاة 6: 13).

كان السؤال الثاني والأخير هو هذا: "لقد أخبرنا آباؤنا أن يهوه أخرجهم من مصر بمعجزات مذهلة؛ ولكن أين هي تلك المعجزات الآن؟" (منتصف الآية 13، *الكتاب المقدس المعاصر*).

والتي جاء فيها: "أنا إله إسرائيل؛ أنا الذي أخرجتكم من مصر، وقُدّتكم—التي نُقلت عبر نبيّ كان قد أرسله—وبعد سماع رسالة الله خارج بيت العبودية، وأنقذتكم من يد المصريين ومن يد كل من اضطهركم، وطردهم من أمامكم، وأعطيتكم أرضهم" (الآيتان 8-9). سأل جدعون ملاك الله: "أين هي كل تلك المعجزات التي حدثنا عنها آباؤنا ذات يوم، قائلين: 'ألم يخرجنا يهوه من مصر؟'" (الآية 9). وهنا، تشير عبارة "كل تلك المعجزات" إلى كل آية معجزية أظهرها الله عندما أرسل موسى إلى مصر ليخلص بني إسرائيل (13). من عبوديتهم ويمنحهم أرض كنعان الموعودة. ومن منظور جدعون، إذا كان الله لا يزال حقاً مع أحفاد إسرائيل، فقد كان يسأل في التي أظهرها الله في الماضي بينما كان يُخلص آباءنا من مصر ويقودهم إلى أرض—جوهره: لماذا تغيب الآن كل تلك المعجزات في وقتٍ يعاني فيه بنو إسرائيل تحت وطأة سيطرة المديانيين؟ ولتلخيص الأمر في عبارة واحدة، كان جدعون يسأل: لماذا—كنعان لا يُجري الله معجزات ليخلص شعب إسرائيل من أيدي المديانيين؟ لقد اعتقد أنه نظراً لأن الله لم يعد مع شعب إسرائيل، فقد خضعوا للحكم المدياني لمدة سبع سنوات (الآية 1، *الكتاب المقدس المعاصر*)، ونتيجة لذلك، انحدروا إلى حالة من الفقر المدقع والعوز الشديد (الآية 6). وعلاوة على ذلك، اعتقد أن السبب في كون الله لم يعد مع شعب إسرائيل هو أن الله قد تخلّى عنهم (الآية 13).

وأعتقد أن هناك وجهةً في خط هذا الاستدلال من جانب جدعون. فعندما نُخضع عقلاً البشري المحدود لهذا الموقف ونفكر يصبح من المفهوم تماماً لماذا قد يتساءل المرء عن الله ويستنتج أنه قد تخلّى عن شعبه. ففي—تماماً كما فعل جدعون—بمنطقية إذ أنقذ بني إسرائيل من مصر وقادهم طوال الطريق—نهاية المطاف، إذا كان الله قد أجرى مثل تلك المعجزات المذهلة في الماضي فلماذا إذن لا يجري المعجزات الآن؟ ولماذا، نتيجة لذلك، يُترك شعبه ليعاني ويكابد وسط مثل هذا العوز—وصولاً إلى أرض كنعان

شأننا شأن جدعون تماماً—قد نقع بسهولة في فخ التفكير القائل بأنه لو كان الله معنا حقاً، لكان حتماً—الشديد؟ في الواقع، نحن أيضاً، سيجري معجزة لينفذنا من معاناتنا وفقرنا المدقع؛ وإذا لم يفعل ذلك، فإن التفسير الوحيد الممكن هو أنه قد تخطى عنا. وبعبارة أخرى—يفترض هذا المنطق أنه إذا كان الله معنا حقاً، فينبغي عليه أن يكرر نفس المعجزات المذهلة التي أجراها في الأزمنة الكتابية لينتشلنا من آلامنا ومصاعبنا الجمة، وليهدي خطواتنا. وهذا هو بالتحديد ما نتضرع—وأن يجريها هنا والآن في حياتنا المعاصرة به إلى الله وما نتوقه منه؛ وعليه، فحينما لا يحقق الله خلاصاً معجزياً بالطريقة ذاتها التي صلينا من أجلها وتوقعناها، فإننا نميل إلى بل إنه قد تخطى عنا بالفعل. ومع ذلك، ثمة حقيقة بالغة الأهمية كثيراً ما نغفل عنها. وتلك الحقيقة هي: أن—استنتاج أنه لم يعد معنا من خلال سماح الله بأن يُسمّر ابنه الوحيد، يسوع، على الصليب (تلك الشجرة—أعظم المعجزات على الإطلاق تكمن في حقيقة أننا—تلك المعجزة التي تفوق كل المعجزات—الملعونة)—قد نلنا الخلاص (الحياة الأبدية). ومع ذلك، ورغم أننا قد نلنا نعمة الخلاص فإننا غالباً ما نعجز عن استيعاب مدى روعة هذه النعمة وإدراك كم هي مذهلة حقاً. وبدلاً من ذلك، نواصل الصلاة من أجل معجزات تلك المعجزة العظمى التي—للخلاص من الظروف المؤلمة التي نواجهها حالياً، ونترقب حدوثها. ورغم أننا قد نلنا بالفعل الخلاص فإننا نصرّ على التضرع من أجل معجزات أدنى شأنًا وعرضية بطبيعتها، ونترقب—منحنا إياها الله من خلال يسوع المسيح التي حُلّت من خلالها مشكلة—وقوفها. فعلى سبيل المثال، ورغم أننا قد اختبرنا بالفعل معجزة الخلاص المذهلة في يسوع المسيح فإننا نواصل السعي وراء معجزة أخرى، ونترقب حدوثها، لحل مشكلة معاناتنا. غير أنه عندما لا يتحقق ذلك الخلاص—خطيتنا المعجزي من المعاناة الذي نصلي من أجله ونتوقه، فإننا نصاب بالإحباط وخيبة الأمل؛ قد نذهب إلى حدّ أن نستاء من الله، معتقدين أنه قد تخطى عنا؛ وهي عقلية تقودنا إلى ارتكاب خطيئة التخلي عن الله في المقابل. وفي نهاية المطاف، نفشل في إدراك أنه قبل أن نصلي ونترقب خلاص الله المعجزي من المعاناة الناجمة عن خطايانا التي لم نتب عنها، يجب علينا أولاً أن نتوب بتواضع عن تلك الخطايا، بينما نثبت عيون إيماننا على يسوع، الذي سفك دمه ومات على الصليب. كيف يتسنى لنا أن نتوقع خلاص الله المعجزي ونحن لا نزال نرزع تحت عواقب خطيئة لم نتب عنها؟ يجب علينا أولاً أن نعترف بخطايانا ونتوب عنها. وبعبارة أخرى، يجب على—ومع يقيننا من نيل الغفران—علينا أولاً أن نعترف بخطايانا ونتوب عنها بتواضع أمام الله القدوس، متكلين بالإيمان، الذي يتم وفقاً لمشيئته، وفي توقيته الخاص—استحقاقات صليب يسوع. وحين نفعل ذلك، سنختبر عمل الله المعجزي في الخلاص، وعبر طريقه هو.

كيف يمكننا التغلب على كرب قلوبنا حين نشعر بأن شخصاً عزيزاً علينا قد تخطى عنا؟ وبشكل خاص، كيف يمكننا أن نحتمل ونتجاوز "قد تخطى عنا؟ إن إلها هو، بلا أدنى شك، إله "عمانوئيل"؛ أي "الله معنا—الذي نحبه—الألم المبرح في قلوبنا حين نشعر بأن الله

ومع ذلك، حين نجد أنفسنا نتساءل: لماذا يتوجب علينا أن نتحمل مثل هذه المعاناة القاسية والحرمان إذا كان الله حقاً معنا؟ ولماذا لا يصنع معجزة ليخلصنا؟ وحين يراودنا الفكر بأن الله ربما لم يعد يحبنا أو أنه قد تخلّى عنا؛ فماذا عسانا أن نفعل حينئذ؟ قد نصرخ إلى الله تماماً كما فعل صاحب المزمور: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟ لماذا لا تعينني، ولماذا لا تصغي إلى صوت أنيني؟ يا إلهي، مع أنني أصرخ نهاراً وليلاً، فإنك لا تجيب" (مزمور 22: 1-2). في مثل تلك الأوقات، يجب علينا أن نستحضر في أذهاننا الكلمات التي صرخ بها يسوع إلى أبيه السماوي وهو على الصليب: "إيلي، إيلي، لما شبقنتي؟" (أي: يا إلهي، يا إلهي، لماذا تركتني؟) (متى 27: 46؛ مرقس 15: 34). يجب علينا أن نتطلع بتواضع وإيمان نحو يسوع؛ ذاك الذي حمل عبء خطايانا نيابةً عنا، وسَمّر على خشبة اللعنة ليموت، واحتمل كامل وطأة غضب الله، وتخلّى عنه الله الأب في تلك اللحظة. وبصفتنا ممن نالوا الغفران بيسوع فإنه عندما نرزع تحت وطأة تأديب الله لنا بسبب خطايانا التي لم نتب عنها، لا ينبغي لنا أن نقع —الذي تخلّى عنه الله الأب هو نفسه في وهم أن *الله الأب*، إلهاً "عمانوئيل"، قد تخلّى *عنا*. بل بالأحرى، واعتماداً على الدم الثمين الذي سفكه يسوع على الصليب — ذاك الذي تخلّى عنه الأب *حقاً* — يجب علينا أن نعترف بخطايانا ونتوب عنها. وحين نفعل ذلك، سيعالج الله مسألة خطيئتنا — وبذلك، سيعالج أيضاً مسألة معاناتنا ذاتها؛ وكل ذلك يتم في المسيح يسوع. إن الله سينقذنا بالتأكيد؛ —التي تكمن في جذور معاناتنا والسبب في ذلك هو أن "الخلاص للرب" (يونان 2: 9).

"لماذا حدث لنا كل هذا؟"

وظهر ملاك الرب لجدعون وقال له: 'يا الجبار الباسل، الرب معك. فأجاب جدعون: 'يا سيدي، إن كان الرب معنا، فلماذا حدث لنا كل هذا؟ لقد أخبرنا آباؤنا أن الرب أخرجهم من مصر بمعجزات مذهلة؛ ولكن أين تلك المعجزات الآن؟ لقد تخلى الرب عنا وأسلمنا إلى أيدي المديانيين'" (سفر القضاة 6: 12-13، *النسخة (*الإنجليزية الحديثة).

حتى عندما نكون بالفعل في خضم صراع ومعاناة، هناك شيء قد يجعل عيّننا أثقل مما هو عليه؛ إنه مجرد تعليق عابر يصدر عن شخص عزيز علينا. على سبيل المثال، تخيل امرأة تمر حالياً بظرف عصيب للغاية؛ فيقترب منها زوجها -وهو غير مدرك لعمق "ضيقها- بنية تقديم العزاء، ليقول لها في النهاية: "لماذا تثيرين كل هذه الجلبة حول أمر تافه كهذا؟ كل شيء سيكون على ما يرام ترى، كيف سيكون شعورها حينئذ؟ لا شك أنها ستشعر بضيق أشد وعمق أكبر في المعاناة. فإذا ما نظر الزوج إلى الموقف من منظوره الخاص فحسب -مفكراً في نفسه فقط- بدلاً من أن يسعى جاهداً لمشاركة زوجته مشاعر قلبها المثقل بالهموم، ثم فتح فمه بلا مبالاة ليلقي بتعليق مستخفٍ، فإن قلبها المثقل أصلاً لن يزداد إلا ثقلًا. ومع ذلك، بالنسبة لامرأة لا تتلقى من زوجها الحبيب في مثل هذه الحال لا عزاء ولا قوة، فإن ما قد يجعل معاناتها أشد قسوةً واستحالةً على التحمل هو عجزها عن استيعاب *السبب* الذي جعل الله -الذي تحبه وتعبد- يسمح لمثل هذه المصاعب بأن تحلّ بها. ومهما تعمقت في التفكير والتأمل، وحين تعجز تماماً عن إدراك الحكمة من سماح الله بوقوع مثل هذه التجارب المؤلمة والشاقة في حياتها، فإن معاناتها قد تغدو حينئذ طاغيةً حقاً؛ لتصبح عبئاً يُضاف إلى عبءٍ آخر. لماذا تحدث لنا مثل هذه الأمور الصعبة والمؤلمة؟ ولماذا تحلّ بنا كل هذه المشاق؟ في فقرة الكتاب المقدس المخصصة لهذا اليوم -سفر القضاة 6: 13- نرى جدعون يجيب ملاك الرب (الآية 12) -الذي كان قد خاطبه قائلاً: "يا الجبار الباسل، الرب معك!"- متسائلاً: "أه يا سيدي، إن كان الرب معنا، فلماذا حدث لنا كل هذا؟". لو وضعنا أنفسنا مكان جدعون، لأمكننا أن نبدأ في فهم السبب الذي جعله يجيب ملاك الله بتلك الطريقة. فمن منظور جدعون، لو كان الله حقاً معه ومع شعب إسرائيل لما كان ثمة أي منطق في اضطرار الإسرائيليين إلى الفرار والعيش في كهوف الجبال والحصون المنيعه هرباً من قسوة المديانيين كلما حان وقت زراعة—(الآية 2). ولو كان الله بالفعل معه ومع رفاقه الإسرائيليين، لما استطاع أن يستوعب السبب في أنهم كانوا يتعرضون لنهب شامل لكل غلاتهم وأغنامهم وأبقارهم وحميرهم على أيدي القوات الغازية القادمة من مديان—محاصليهم وعماليق وشعوب المشرق (الآية 4). ومن وجهة نظر جدعون، لو كان الله حقاً معه ومع شعب إسرائيل، لما أدرك السبب في

اضطرار إسرائيل إلى تكبد مثل هذا العوز الشديد بسبب المديانيين (الآية 6). وفي خضم هذه المعاناة، صرخ شعب إسرائيل إلى الله (الآية 6). لقد صرخوا إلى الله بسبب الاضطهاد الذي تسبب فيه المديانيون (الآية 7). حينئذ أرسل الله نبياً إلى الإسرائيليين، وتحدث من خلاله إلى شعب إسرائيل قائلاً: "هكذا قال الرب إله إسرائيل: أنا أصعدتكم من مصر وأخرجتكم من بيت العبودية. وخلصتكم من يد المصريين ومن يد جميع الذين اضطهدوكم؛ وطردتهم من أمامكم وأعطيتكم أرضهم. وقلت لكم أيضاً: 'أنا الرب إلهكم؛ لا تخافوا آلهة الأموريين الذين أنتم ساكنون في أرضهم'. ولكنكم لم تسمعوا لصوتي" (الآيات 8-10). لماذا تحدث الله بهذه الطريقة، عبر ذلك النبي، إلى الإسرائيليين الذين كانوا يصرخون إليه في ضيقهم الشديد التي تسبب فيها المديانيون؟ هل يُعقل أن الله كان يكشف الذين نالوا هداية الله—للإسرائيليين عن السبب الحقيقي وراء حلول كل هذه الأمور بهم (الآية 13)؟ تماماً كما فشل بنو إسرائيل في الإصغاء إلى صوت الله الأمر: "لا تعبدوا آلهة—وخلصه من مصر، وتلقوا أرض كنعان، "الأرض الموعودة"، هبةً منه، الأموريين في الأرض التي تسكنون فيها" (الآية 10)؛ ألم يكن الله يخبر بني إسرائيل في عصر القضاة بأنهم هم أيضاً قد عصوه وبأن "هذا هو السبب في حدوث كل هذه الأمور لكم"؟ (الآية 13). لم يكن جدعون يدرك أن السبب وراء تسليم الرب لبني إسرائيل إلى أيدي المديانيين لمدة سبع سنوات يكمن في أن بني إسرائيل قد عادوا وفعلوا الشر في عيني الرب مرة أخرى (الآية 1). ولهذا. هذا السؤال: "يا سيدي، إن كان الرب معنا، فلماذا حدث لنا كل هذا؟" (الآية 13)—أي ملاك الرب—السبب طرح على رسول الله ثم سأل ملاك الله: "أين كل تلك المعجزات التي حدثنا عنها أبائنا حين قالوا: 'ألم يُصعدنا الرب من مصر؟'" (الآية 13). ويكشف هذا السؤال أن جدعون كان لا يزال غافلاً عن حقيقة أن الرب قد سلم بني إسرائيل إلى أيدي المديانيين لسبع سنوات لأنهم عادوا وفعلوا والتوبة عنها بمجرد—الشر في عينيه مرة أخرى (الآية 1). فبدلاً من أن يسعى لفهم الخطايا التي ارتكبتها إسرائيل في حق الله راح يسأل ملاك الله عن السبب في أن الله لا يُخلصهم من العوز الشديد الذي تسبب فيه المديانيون (الآية 6)؛ وهو العوز—إدراكها الذي كان، في حقيقة الأمر، النتيجة المباشرة لخطيتهم. لقد سأل قائلاً: "أين كل تلك المعجزات؟"—أو كما تصوغها ترجمة *الكتاب المقدس للإنسان المعاصر*: "أين هي تلك المعجزات الآن؟"—تلك المعجزات التي صنعها الله تماماً حين أصدع إسرائيل من مصر (الآية 13). وعلاوة على ذلك، قال جدعون لملاك الله: "الآن قد تخلى عنا الرب وسلمنا إلى أيدي المديانيين" (الآية 13). لقد كان يعتقد أن الله قد تخلى عن إسرائيل ونبذه. وكان السبب وراء هذا الاعتقاد شعوره بأن الله لم يعد مع إسرائيل، وأنه لم يعد يصنع أية معجزات على الإطلاق. وبناءً على ذلك، عزا جدعون كل ما كانت إسرائيل تعانيه من معاناةٍ وشدائدٍ وفقرٍ مدقعٍ إلى المديانيين (الآيات 2-6). فهل كانت وجهة نظر جدعون هذه، في الواقع، هي ذاتها وجهة نظر الله؟

على الرغم من أننا، شأننا—بينما كنت أتأمل في هذا المقطع من الكتاب المقدس، استوقفتني إدراكٌ عميق مفاده أن مجرد بقاء الله معنا يُعد في حد ذاته عملاً من أعمال نعمته. إنني أعجز عن استيعاب الكيفية التي يختار—شأن بني إسرائيل، نخطئ إليه مراراً وتكراراً بها إلهٌ قدوس أن يسكن مع أناسٍ مثلنا، يخطئون إليه المرة تلو الأخرى. ولا يمكن عزو ذلك إلا إلى العمل الفدائي المستحق الذي تممه

بدلاً من أن—صليب يسوع المسيح، ابن الله الوحيد. إنه حقاً عملٌ مذهل من أعمال النعمة الإلهية أن يظل الله معنا، رغم حقيقة أننا كثيراً ما نتحالف مع هذا العالم الخاطئ، ونعصي كلمته مراراً، ونرتكب أعمالاً تتسم بعدم البر—نعيش كشعبٍ مقدسٍ لآلهٍ قدوسٍ وثمة فكرة أخرى خطرت ببالي أثناء تأملي في هذا المقطع، وهي أنه عندما نخطئ إلى الله مراراً، فإن سماحه لنا بالوقوع في قبضة يُعد في الواقع تعبيراً عن محبته لنا. وبعبارة أخرى: لأن الله—مما يتيح لنا اختبار مشقاتٍ شديدةٍ وحرمانٍ قاسٍ—العالم غير النقي يحبنا، فإنه يسمح لنا بأن نختبر العوز والحاجة. فلو أننا بقينا في حالة من الوفرة والرخاء حتى ونحن نخطئ إلى الله مراراً، لما شعرنا قط بالحاجة الملحة إلى السعي إليه بجدٍ وإخلاص. وإذا لم نسع إلى الله بجديّة، فإننا سنفشل في إدراك أن الخطايا التي نرتكبها هي في حقيقتها تعديّاتٌ حقيقية، وسنستمر في تكرارها ضده. وعليه، فإن الحرمان الناجم عن خطيئتنا يغدو بمثابة فرصة؛ فرصة لنصرخ إلى الله طلباً للنجاة، وفرصة ثمينة لنذكر طبيعة خطيئتنا من خلال نور كلمته. وباختصار، عندما يسمح لنا إلهٌ عادلٌ باختبار المشقات يهدف إلى إيقاظنا على حقيقة خطيئتنا وقيادتنا نحو التوبة. وأخيراً، وبينما—نتيجةً لخطايانا، فإن ذلك يُعد عملاً نابغاً من محبته كنت أتأمل في هذا المقطع، خطرت ببالي فكرةٌ أخيرة: فعلى الرغم من أننا قد نتوهم خطأ أن الله قد تخلّى عنا، إلا أن الحقيقة الراسخة بل إنه من المستحيل أصلاً أن يفعل ذلك. إننا نكابّد مشقاتٍ شديدةٍ ونعاني من قسوة الظروف بسبب—هي أن الله لم يتخلّ عنا قط خطايانا نحن؛ ومع ذلك، وغفلةً منا عن هذه الحقيقة، نشكي قائلين إن الله ليس معنا وإن معجزاته غائبة؛ بل ونذهب في النهاية إلى يجدر بنا—واثقين بأنه حقاً معنا—حد الادعاء بأن الله قد تخلّى عنا. وبدلاً من أن نلتمس تدخل الله المعجزي ونحن في خضم معاناتنا، بدلاً من ذلك أن ندرك خطيئتنا نحن، وأن نطلب غفران الله. وعلاوة على ذلك، حينما نُسلم إلى أيدي العالم ونخضع لمعاناة شديدة ذاك الذي صُلب وتخلّى عنه الله الأب. يجب علينا—فبدلاً من أن نظن أن الله قد تخلّى عنا، ينبغي علينا أن نثبت أفكارنا على يسوع أن نتمسك بقوة باليقين القائل إنه من خلال معاناته وموته، قد غُفرت جميع خطايانا؛ وإنه من خلال قيامته، قد تبررنا أمام الله (رومية 4: 25) بحيث لا شيء الآن يقدر أن يفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا (رومية 8: 39). إن الله لا يمكن أبداً، وتحت ،(5: 13) أي ظرف من الظروف، أن يتخلّى عنا (تثنية 31: 6؛ يشوع 5: 1؛ مزمور 94: 14؛ عبرانيين 5: 13).

التي تقع كلياً خارج—كثيراً ما نتساءل عن السبب وراء حلول كل هذه المصاعب بنا، رغم أن الله معنا. وفي مواجهة هذه التجارب نصرخ إلى الله، متوسلين إليه أن ينجينا منها جميعاً. واستجابةً لذلك، يستخدم الله الكتب المقدسة ليكشف لنا—نطاق إدراكنا البشري مُمكنًا إيانا من—ذاك الذي صُلب ومات—عن خطايانا، ويوجه أنظارنا نحو يسوع. إن الله يقودنا لتتكل على استحقاقات يسوع الإقرار بخطايانا والاعتراف بها. وفي نهاية المطاف، يقودنا الله إلى إدراك أن كل هذه المصاعب قد حلت بنا نتيجةً لخطايانا التي لم نتب عنها. وعلاوة على ذلك، ورغم أننا نكابّد حالياً كل هذه المصاعب، فإن الله يمنحنا سلاماً، مستخدماً هذه التجارب ذاتها لكي ينقينا

ويقويننا. وفضلاً عن ذلك، وفي وقته الخاص وبطريقته الخاصة، ينجينا الله من وسط كل هذه الصعوبات. وعلينا أن نسبح إله الخلاص
هذا بإيمان وامتنان.

«لا يوجد مُعزٍّ»

[سفر الجامعة 4: 3-1]

منذ فترة مضت، وبينما كنا نستقبل عاماً جديداً، وقع حدثان بعد وقت قصير من تروسي لاجتماع صلاة أخير مع قادة كنيستنا في يوم عن طريق تناول —الأحد الأول من ذلك العام. تعلّق أحد هذين الحدثين بشمّاس في كنيستنا حاول الانتحار —أو هكذا بدا الأمر، كمية كبيرة من الأقراص الدوائية، يُرجّح أنها كانت عقاقير منومة. وفي ظهيرة ذلك الأحد، توجّهت زوجتي، وأحد شيوخ الكنيسة حين —وقسيس مساعد، وإحدى المصلّيات إلى منزل الشمّاس لتقديم العون والمساعدة. وفي اليوم التالي —أو ربما اليوم الذي يليه ذهبت زوجتي لزيارة الشمّاس في شقته، اكتشفت أنه قد نُقل بواسطة سيارة إسعاف إلى مستشفى قريب. وفي نهاية المطاف، وبعد خضوعه لعملية جراحية في الدماغ، سُرح الشمّاس من المستشفى وأودع في دار للرعاية؛ ورغم صغر سنه نسبياً، فإنه يقيم هناك الآن. أما الحدث الآخر، فقد تمثّل في نبأ تلقّيته من الكنيسة التي كنت أخدم فيها إبان إقامتي في كوريا؛ إذ غرق طالب جامعي من رعية تلك الكنيسة أثناء قيامه بمهام خدمية في حقل تبشيري. وتذكّرت أنني كنت أرى ذلك الأخ الشاب خلال اجتماعات العبادة باللغة الإنجليزية، وذلك حين كان لا يزال في المرحلة الإعدادية، إذ كنت أخدم جنباً إلى جنب مع والدته في خدمة اللغة الإنجليزية، وها هو الآن يلقي حتفه غرقاً في حادث مأساوي أثناء مشاركته في رحلة تبشيرية. وإذ صُدمت بهذا النبأ، وأخذت أتأمل في الكيفية التي يمكنني بها تقديم العزاء لوالديه، كتبت رسالة إلى والدته بقلبٍ يفيض بالصلاة الصادقة والرجاء. كما رفعتُ صلاتي إلى الله؛ أن يتولّى هو بنفسه مهمة تعزية والدي الشاب، وأخته الكبرى، وأصدقائه، وعائلته —وتضرعتُ إليه بإلحاح —إلى أبينا السماوي الكنسية.

حقاً، إن هذا العالم هو بلا أدنى شك مكانٌ تتراكم فيه الأحزان، والمصاعب، والشرور، والموت، بعضها فوق بعض. وبينما كنا نستقبل هذا العام الجديد، شهدنا إخوةً وأخواتٍ أحبّاء من بيننا وهم يكابدون شتى أشكال الألم والمعاناة. وبالفعل، كيف لنا —وبأي أن نقدّم العزاء لهؤلاء الإخوة والأخوات الأحبة الذين يرزحون تحت وطأة هذا الألم وهذه الشدائد؟ أما أنا شخصياً، فكلما —طريقة — «تأملتُ في كلمة «تعزية»، انصرفت أفكاري إلى أصدقاء «أيوب» —كما ورد وصفهم في سفر أيوب 2: 16 — وإلى «برنابا كما ورد ذكره في سفر أعمال الرسل 4: 16. في سفر أيوب (2: 16)، يشير أيوب إلى الأصدقاء الذين جاءوا للمواساة واصفاً إياهم بـ "المعزّين البؤساء". وفي المقابل، وفيما يخص برنابا —المذكور في سفر أعمال الرسل (4: 16) — يصفه كاتب السفر، لوقا، بـ

ابن التشجيع". فبينما كان أصدقاء أيوب "معزّين بؤساء" لم يقدموا له العزاء في معاناته، بل زادوا من ضيقه فحسب، كان برنابا" في الكنيسة الأولى معزّياً حقيقياً. وعليه، فكلما صليتُ من أجل نفسي، غالباً ما أرفع هذه الطلبة المحددة: "امنحني يا رب أن أكون معزّياً ومبشّراً يتقد قلبه حباً". ومع ذلك، كثيراً ما أجد نفسي حائراً وعاجزاً عن معرفة الكيفية الفعلية لتقديم العزاء للإخوة والأخوات الأحباء من حولي، ممن يمرون بظروف صعبة ويعانون من الألم. ولأنني أحب كلاً منهم بحبة الرب، فإنني أتوق إلى تقديم العزاء لهم؛ غير أنه تمر عليّ أوقات لا حصر لها لا أدري فيها ببساطة كيف أقدم على ذلك.

للقس روبرت ستراند، يجد القارئ 101 قصة مكرسة لتقديم (The Spirituality of Comfort) *في كتاب *روحانية العزاء العزاء للنفوس الجريحة. وقد كتب مقدمة هذا الكتاب الأب هنري نووين، الذي يشير فيها إلى أن كلمة "عزاء" تعني ببساطة الحضور " بجوار شخص يشعر بالوحدة. وعلاوة على ذلك، يوضح نووين أن تقديم العزاء لا يعني إزالة معاناة الآخر، بل يعني " ببساطة "أن تكون معه". ويشير نووين إلى فعل الحضور هذا بجوار الآخر بـ "الرعاية" (وبالتحديد: "رعاية الروح"). فهي تعني البكاء إلى جانبهم، وتحمل الصعاب معهم، ومشاركتهم مشاعرهم؛ وفي نهاية المطاف، تُعد الرعاية الحقيقية فعلاً نابعاً من عميق الرحمة. وفي هذا السياق، قال الأب هنري نووين ذات مرة: "غالباً ما يدفعنا حزننا إلى الرقص؛ وبدوره، يُهيئ رقصنا مساحةً لحزننا. فوسط الدموع التي نذرفها حزناً على فقدان صديق عزيز، قد نكتشف فرحاً لم نكن نعلم بوجوده قط. وحتى في خضم حفلةٍ قد يبدو حزناً—الذي يُيكينا ويُضحكنا في آنٍ واحد—صاخبة احتفالاً بالنجاح، قد ينتابنا شعورٌ بحزنٍ عميق. وكما أن وجه المهرج ومبتهجاً في آنٍ معاً؛ كذلك الحزن والرقص، والأسى والضحك، والنحيب والفرح؛ فجميعها تنتمي إلى المكان ذاته. إن جمال الحياة يكمن بالتحديد في تلك النقطة التي يلتقي فيها الحداد بالرقص". كيف يتردد صدى هذا القول في أعماقك؟ وهل نعيش أنا وأنت حياتنا بطريقةٍ تتيح لنا استشعار جمال الحياة عند ذلك التقاطع الدقيق الذي يلتقي فيه الحداد بالرقص؟

ما شهده في سفر الجامعة (4: 1) قائلاً: "ثُمَّ غُذْتُ—في المقطع الكتابي المخصص لهذا اليوم، يصف "الجامع"—الملك سليمان وَلَيْسَ—وَلَيْسَ لَهُمْ مُعَزٌّ! وَالْقُوَّةُ فِي يَدِ ظَالِمِيهِمْ—وَنَظَرْتُ فِي كُلِّ الْمَظَالِمِ الَّتِي تُجْرَى تَحْتَ الشَّمْسِ: فَرَأَيْتُ دُمُوعَ الْمَظْلُومِينَ لَهُمْ مُعَزٌّ!". إن ما شهده الملك سليمان في هذا العالم كان مشهداً لأولئك الذين يملكون السلطة وهم يظلمون الآخرين؛ وبعبارةٍ أخرى، لقد رأى المظلومين. كما رأى الملك سليمان أيضاً الدموع التي ذرفها هؤلاء المظلومون. ولكن أين كانت المشكلة؟ لقد كانت تكمن بالتحديد في هذا الأمر: لم يكن هناك أحدٌ ليقدم العزاء لهؤلاء الأفراد المظلومين. أي أن الملك سليمان لاحظ أن المظلومين قد: سفر الجامعة (4)—خلت حياتهم من أي مُعَزٍّ. وإزاء مشاهدته لهذا الواقع، تحدث الملك سليمان قائلاً في المقطع الكتابي لهذا اليوم فَمَدَحْتُ الْمَوْتَى الَّذِينَ قَدْ مَاتُوا مِنْ قَبْلُ، أَكْثَرَ مِنَ الْأَحْيَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَحْيَاءٌ بَعْدُ. وَخَيْرٌ مِنْ كُلِّيهِمَا الَّذِي لَمْ يُوَلَدْ بَعْدُ، الَّذِي: (3-2) لَمْ يَرَ الشَّرَّ الَّذِي يُجْرَى تَحْتَ الشَّمْسِ". ماذا يعني هذا الكلام؟ إن هذا المقطع لا يوحي بأي حالٍ من الأحوال بأن الموت خيرٌ من عيش حياةٍ قوامها الإساءة والظلم. فمن المؤكد أن الملك سليمان لا يدعو إلى الانتحار، ولا يلمح إلى أن إنهاء المرء لحياته بيده يُعد خياراً مفضلاً على تحمل الإساءة والصبر عليها. يبدو أن العالم الذي نعيش فيه اليوم هو عالم يشجع، بمعنى ما، على الانتحار.

ويمكننا أن نلمس دليلاً على ذلك في انتشار المواقع الإلكترونية المخصصة للانتحار التي تظهر على شبكة الإنترنت في هذه الأيام. هو أن الغرباء يتواصلون أحياناً عبر هذه المواقع ذاتها—كما شهدنا في تقارير إخبارية سابقة في كوريا—وما يثير الصدمة حقاً ليلتقوا ويقدموا على الانتحار معاً. وحتى بين الأشخاص الذين أعرفهم شخصياً، سمعت عن عدة أفراد أقدموا على إنهاء حياتهم —مع اشتداد الصعوبات الاقتصادية في هذا العالم، وغمر المعاناة المتأصلة في الحياة لمشاعرهم—بأيديهم. ولعل الكثير من الناس يختبرون دوافع انتحارية ويحاولون إنهاء حياتهم الثمينة قبل أوانها. ونتيجة لذلك، يبدو أن عدد حالات الانتحار الناجحة في تزايد سفر الجامعة 4: 2—من منظور الانتحار؛—مطرد. وبالنسبة لهؤلاء الأفراد، قد يُساء تفسير النص الكتابي المخصص لهذا اليوم. "إذ قد يخلصون خطأً إلى القول: "آه، حتى الملك الحكيم سليمان يشير إلى أن الموت خير من عيش حياة قوامها الإساءة والظلم ولذلك، لا ينبغي للمرء أن يقول: "أفضل الموت على أن أعيش هكذا"، ثم يمضي قدماً لينزع روحه بيده. ففي نص اليوم، لا يدعو إذ يتأمل دموع أولئك الذين يتعرضون للإساءة على أيدي ذوي السلطة—الملك سليمان بأي حال من الأحوال إلى الانتحار؛ بل إنه يسلط الضوء على الحقيقة الأساسية القائلة بأن حياة كهذه، قوامها الإساءة والظلم، تبدو لهؤلاء الضحايا—والنفوذ في هذا العالم أدنى—وهي هبة من الله—أسوأ حتى من الموت نفسه. وبعبارة أخرى، لا يزعم الملك سليمان في نص اليوم أن الحياة بحد ذاتها مرتبة من الموت؛ بل هو يقرر ببساطة أن حياة المعاناة تحت وطأة القمع الظالم هي أسوأ من الموت (بارك يون-سون). وبالفعل، أي نوع من الحياة ذاك الذي يمكن وصفه حقاً بأنه أسوأ من الموت؟ وبينما كنت أتأمل في هذا السؤال، انصرفت أفكاري نحو المنشقين استناداً—عن كوريا الشمالية. وقد عثرت على مقال إلكتروني في صحيفة "ول ستريت جورنال" (نُشر في 1 مايو 2006) صوّر إلى شهادات نساء كوريات شماليات وصلن مؤخراً إلى الولايات المتحدة بموجب "قانون حقوق الإنسان في كوريا الشمالية"—الحياة البائسة التي يعيشها المنشقون المقيمون في الصين. وقد تناول المقال قصة امرأة (تبلغ من العمر 36 عاماً) أُشير إليها بالاسم المستعار هانا". كانت تعمل معلمة في بيونغ يانغ، غير أنها، سعيًا منها للمساعدة في إعالة أسرته التي كانت تعاني من ضائقة، قررت أن تخوض تجربة بيع الأقمشة. وبينما كانت تزور إحدى البلدات الحدودية بغية شراء البضائع، فقدت وعيها أثناء تناول العشاء؛ وحين أفاقت، اكتشفت أنها قد نُقلت بالفعل عبر الحدود، وأنها باتت الآن على الأراضي الصينية. وهناك، بيعت لرجل صيني، حيث تجرعت كما عانت من الإساءة اللفظية على يد زوجها، الذي كان يعين —مرارة الضرب المبرح—الذي كان من شدته كفيلاً بكسر عظامها في إذلالها قائلاً: "إن قتل شخص من كوريا الشمالية مثلك لأسهل من قتل دجاجة". وقد أدلت بشهادتها قائلة إنها فكرت في الانتحار خلال تلك الفترة، واصفةً تجربتها بقولها: "لقد كان الأمر وكأنني أعيش في الجحيم". ثرى، هل تُعد مثل هذه الشهادات التي يدلي بها المنشقون الكوريون الشماليون مجرد حوادث فردية معزولة؟ لا يسعني الجزم بذلك، غير أنني لم أنس قط ملاحظة أباها لي أحد "القساوسة ذات مرة، إذ قال: "كلما التقيتُ بمنشقين كوريين شماليين، كان سفر الخروج يدبُّ فيه الروح فجأةً أمامي

سفر الجامعة 4: 3—في—بالنسبة لهؤلاء الأشخاص، إلى أي مدى أعمق وأكثر وجدانية لا بد أن تتردد أصداء كلمات نص اليوم نفوسهم؟ إذ يُعلن هذا النص أنه، مقارنةً بكلٍ من الأحياء والأموات، "أفضلُ منهما الذي لم يُولد بعد، الذي لم يرَ الشر الذي يُصنع لو أنهم لم يشهدوا الشر الذي يُرتكب—تحت الشمس". كم كان سيكون رائعاً بالنسبة للمُنشقين الكوريين الشماليين لو أنهم لم يُولدوا قط في هذا العالم، ولو أنهم نُجّوا من معاناةٍ بلغت من الشدة حدّاً جعلهم يتوقون إلى الموت؟ وماذا عنكم أنتم يا أصدقائي؟ بينما تسترجعون شريط حياتكم حتى هذه اللحظة، هل مرّت عليكم أوقات شعرتُم فيها أنكم تعيشون فقط لأنكم لم تستطيعوا أن تحملوا أنفسكم على الموت؟ هل كانت هناك لحظاتٌ من شدة العذاب جعلت مجرد فعل التنفس والوجود يبدو أسوأ من الموت نفسه؟ وهل وجدتم أنفسكم يوماً تغرقون في بحرٍ لا ينتهي من الدموع جراء ألم كهذا؟ ومع ذلك، حينما نعانى بشدةٍ في هذا العالم لدرجة أننا نتوق إلى كما يلاحظ الملك سليمان في الآية الأولى من نص—الموت، فإنني أعتقد أن ما هو أشد وطأةً وأصعب احتمالاً من المعاناة ذاتها—حين نكون في ذروة عذابنا وتعتصر قلوبنا أشد الآلام—هو حقيقة أنه "لا يوجد من يعزينا". حين نكون في أحلك لحظائنا—اليوم فإن ما يفاقم كربنا هو إدراكنا بأنه لا يوجد أحدٌ حولنا يفهم حقاً صراعاتنا وعذابنا وآلامنا، أو يتعاطف معنا، أو يقدم لنا العزاء. وما هو حقاً أشد إيلاماً هو إدراكنا أنه حتى عندما يحيط بنا أشخاصٌ يحبوننا ويسعون لتقديم العزاء، لا يبدو أن أيّاً منهم قادرٌ على منحنا—وحيث لا تلوح في الأفق أي بوادر لتوقف أعمال الإساءة والاضطهاد—السلوى الحقيقية. وحين يبدو أن شر الأشرار لا نهاية له فإننا نفقد القدرة على الحلم. ونكف عن التمسك بالأمل. ونفلت من أيدينا حبل النجاة الأخير المعروف باسم "الأمل". وهذا هو ما يغرِقنا في اليأس. فالحياة الخالية من الأمل هي حتماً حياةٌ من اليأس. إذن، ماذا ينبغي علينا أن نفعل حين نجد أنفسنا غارقين في أعماق يأسٍ كهذا؟ يمكننا أن نستلهم ثلاثة دروسٍ جوهريةٍ من الكتب المقدسة:

أولاً: حين نكون في خضم اليأس، يجب علينا أن نخاطب أرواحنا. من الكتب التي لا يزال يستحيل عليّ نسيانها كتاب "الاكتئاب للدكتور مارتين لويـد-جونز. وكان التحدي الذي تلقّيته أثناء قراءة ذلك الكتاب يتمثل في (Spiritual Depression) "الروحي الآتي: كلما شعرنا بالإحباط أو اليأس، يجب علينا أن نخاطب نفوسنا، تماماً كما فعل كاتب المزامير. وكيف ينبغي لنا أن نخاطبها: إذن؟ كنموذج على ذلك، يستشهد الدكتور لويـد-جونز بالآيتين 5 و 11 من المزمور 42، إلى جانب الآية 5 من المزمور 43، قائلاً: لماذا أنت منحنية يا نفسي؟ ولماذا تضطربين في داخلي؟ ترجّي الله؛ فإني سأعود وأحمده، يا خلاصي وإلهي". وعليه، فكما شعرتُ" بالإحباط، غالباً ما أستحضر هذه الآيات من المزامير، وأعلنها لنفسي، ثم أمضي قدماً قائلاً: "يا جيمس، لماذا أنت منحنٍ؟ ولماذا ولأصلي. وفي خضم هذه—معيني—تضطرب؟ يا جيمس، ترجّ الله". وبينما أفعل ذلك، أبذل جهداً واعياً لأثبت نظري على الرب العملية، كثيراً ما أختبر معونة الله. وأنا أشجعكم على تجربة هذا الأمر أيضاً؛ فكما شعر قلبكم بالإحباط أو طغى عليه اليأس، حاولوا على سبيل المثال، حينما تواجهون—المضي قدماً من خلال إعلان كلمة الله لأنفسكم. وحتى إن لم تكن الآية مأخوذة من المزامير

"حاولوا المضي قدماً بإعلان وعد الرب الوارد في إنجيل متى 16: 18: "...سأبني كنيسة—صعوبات أثناء خدمتكم في الكنيسة فسيأتي الله بالتأكيد لنجدتكم

.ثانياً: في أوقات اليأس، يجب علينا أن نتوق إلى يسوع

حينما نجد أنفسنا غارقين في أعماق اليأس، يجب علينا أن نتوق إلى يسوع. إذ ينبغي لنا أن نتوق إليه بجدية وعمق شديدين. وعلى وجه الخصوص، حينما نغرق في اليأس جراء المعاناة، يجب علينا أن نثبت أنظارنا على المعاناة التي تكبدها يسوع على الصليب أن ننظر إلى معاناة يسوع على الصليب وسط يأسنا الخاص؟ السبب في ذلك هو أن التعزية—ونحن نتألم—ولكن لماذا ينبغي لنا تتشابك معاناتنا نحن مع معاناته—بينما نتأمل بهدوء في معاناته ونمنع النظر فيها—الحقيقية والشفاء لا يمكن أن يتحققا إلا حينما هو. شخصياً، كلما شعرت بالإحباط، غالباً ما تذكرت ما جاء في سفر يونا (2: 4): "قُلْتُ: قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامَ عَيْنَيْكَ؛ وَلَكِنِّي سَأَعُودُ تماماً—وَأَنْظُرُ نَحْوَ هَيْكَلِكَ الْمُقَدَّسِ". والسبب الذي يدفعني للتأمل في سفر يونا هو أنني، حتى لو وجدت نفسي في أعماق اليأس أرغب في أن أعقد—مثل يونا، عبد الرب، الذي واجه عاصفة من التأديب وألقي به في أعماق البحر بسبب عصيانه لكلمة الله العزم على "النظر مجدداً نحو هيكل الرب المقدس" وأن أتوق إليه بكل قلبي. وأمل أن تفعلوا أنتم أيضاً الشيء ذاته؛ فكلما شعرت بوهن في العزيمة أو طغى عليكم اليأس، أن تتكئوا على رسالة سفر يونا وتوجهوا أنظاركم مجدداً نحو الرب. بل إنني أصلي لكي تتمكنوا من تحويل لحظات الإحباط واليأس تلك إلى فرص للتوق إلى الرب بعمق أكبر

.ثالثاً: في خضم اليأس، يجب علينا أن نضع رجاءنا في يسوع

وفي نهاية المطاف، أؤمن بأن لليأس غاية تتمثل في قيادتنا نحو الرجاء في يسوع. فبينما نمضي في رحلتنا عبر هذا العالم ونواجه بل إلى فرصة وهبها الله لنا—ليس فقط إلى فرصة سانحة للتوق إلى الرب—ظروفاً شتى تغرقنا في اليأس، يتحول هذا اليأس ذاته لكي يتلاشى العالم وتتلاشى ذواتنا، تاركاً إيانا لنثبت أنظارنا حصراً على الرب ونضع رجاءنا فيه وحده. وعليه، فمن الضروري أن إلى حد الوصول إلى اليأس المطلق منه. وعلاوة على ذلك، يجب علينا أيضاً أن نصاب—نصاب بخيبة أمل تامة تجاه هذا العالم بل وأن نياس منها تماماً. والسبب في ذلك هو أنه، لولا شعورنا بهذا اليأس، لندرنا ما وجدنا أنفسنا—بخيبة أمل تامة تجاه ذواتنا نتوق حقاً إلى الله أو نضع رجاءنا فيه. ولهذا السبب، فإنني شخصياً أعتر بكلمات المقطع الثالث من الترنيمة رقم 539، بعنوان "ما هو رجاء هذا الجسد؟": "حتى في ذلك اليوم الذي تنقطع فيه كل الأمور التي وضعت ثقتي فيها في هذا العالم، سأظل واثقاً في عهد المخلص، وسينمو رجائي ليصبح أعظم وأكبر". إن السبب الذي يجعلني أعتر بهذه الكلمات الغنائية هو أنه حينما ينهار كل ما كنا

ففي تلك اللحظة بالتحديد نختبر تحولاً عميقاً: إذ كلما تعمقنا أكثر في—وحيثما تنقطع كل الروابط—نؤمن به يوماً في هذا العالم وضع إيماننا واعتمادنا على الرب، تلاشى اليأس من قلوبنا، وامتأنا بدلاً من ذلك فيضاً من الرجاء الذي نجده فيه. وحيثما يحدث هذا، نغدو قادرين على تقديم تسبيحنا لله على هذا النحو: "(المقطع الأول) يا رب، يا بهجتي ورجائي وحياتي ذاتها؛ ورغم أنني حتى—أصيح بتسبيحك ليلاً ونهاراً، إلا أن قلبي لا يزال يتوق إلى المزيد. (المقطع الخامس) يا يسوع، يا من تعشقه روحي حقاً مجرد سماع صوتك يغمرنى بالبهجة؛ إن حياتي ورجائي الحقيقي يستقران فيك وحدك يا رب يسوع" [ترنيمة 82، "بهجتي حتى". [المقطعان 1 و5]

عليكم بالتعزية. وحيثما تعجز أي نفس بشرية عن تقديم السلوان لكم، أصلي أن يكون—الذي هو رجاؤنا—أصلي أن يفيض الرب ربنا ذاته هو المعزي لكم. وحتى حينما يبلغ ألمكم حداً من الطغيان يجعلكم تُعرضون عن كل محاولة للتعزية، أصلي أن يملأ الرب في ذلك—ذلك الجمال الفريد للوجود المسيحي—قلوبكم بتوقٍ عميقٍ إليه، وبرجاءٍ راسخٍ فيه. لعلكم تكتشفون الجمال الحقيقي للحياة الموضع بالتحديد حيث يلتقي الحزن والبهجة ويتشابكان معاً. وفي ختام تأملي في هذا المقطع، أود أن أشارككم نصاً كتبته تخليداً وهي امرأة أتاح لي الله من خلالها أن أشهد الجمال الحقيقي للإنسان المسيحي—(*Kwon-sa*) "الذكرى إحدى" الخادמות

أيتها الخادمة، إنكِ جميلة

حتى وسط دموع قلبك، ترسم ابتسامة على وجهك؛

أيتها الخادمة، إنكِ جميلة

وحتى بينما يرقد ابنك الحبيب في سباته الأبدي، ترفعين الشكر لله؛

أيتها الخادمة، إنكِ جميلة

إنكِ تفكرين في عائلة كنيسة الحبيبة أكثر مما تفكرين في أهل بيتك؛

أيتها الخادمة، إنكِ جميلة

إنكِ تبذلين العزاء للآخرين بدلاً من أن تلتصيه لنفسك؛ أيتها الخادمة، إنكِ جميلة

إنكِ تجدين فرحاً أعظم في العطاء منه في الأخذ؛ أيتها الخادمة، إنكِ جميلة

إذ تحتضنين قلب الله الأب، تسعين بلا كلل من أجل خلاص النفوس؛

أيتها الخادمة، إنكِ جميلة

إنكِ تجلبين المجد لله؛ أيتها الخادمة، إنكِ جميلة

"...إني أرى المسيح فيك"

"يا رب، متى ستعزيني؟"

[المزمور ١١٩: ٨١-٨٨]

ألم يسبق لك قط أن شعرت بحدود صبرك؟ وبالتالي، ألم ترفع صلاتك إلى الله يوماً سائلاً: "يا إلهي، إلى متى يتوجب عليّ أن أتحمل ، هذا الألم؟" بينما تطول فترات الألم والشدائد التي تحل بنا، تمر بنا أوقات نشعر فيها بأن صبرنا قد بلغ منتهاه. وفي مثل تلك الأوقات قد نصرخ أحياناً إلى الله سائلين: "إلى متى؟" وهذا بالتحديد ما فعله كاتب المزمور في نص اليوم، المزمور ١١٩. لقد تاق بشوقٍ إلى خلاص الله بينما كانت عيناه شاخصتين نحو كلمته؛ ولكن نظراً لأن استجابة الله لصلاته لم تأتِ حتى بعد طول انتظار، فقد صلى إلى الله قائلاً: "كَلَّتْ عَيْنَايَ مِنْ أَنْتَظَارِ كَلِمَتِكَ، مَتَسَائِلاً: مَتَى سَتَعَزِينِي؟" (الآية ٨٢) [(وفقاً للنسخة الإنجليزية الحديثة): "لقد كَلَّتْ عَيْنَايَ مِنْ أَنْتَظَارِ تَحْقِيقِ وَعْدِكَ، سَائِلاً: مَتَى سَتَعَزِينِي؟"]. واليوم، وفي ضوء هذه الرسالة، أود أن أستقي الدروس الموجهة إلينا "تحت العنوان: "يا رب، متى ستعزيني؟"، وذلك من خلال التأمل في مفهومي "حدود الاحتمال" و"تحدي الاحتمال

. أولاً: دعونا نتأمل في حدود الاحتمال

أرجو منكم النظر إلى نص اليوم، المزمور ١١٩: ٨١-٨٢: "تَأَقَّتْ نَفْسِي إِلَى خَلَاصِكَ حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا، وَلَكِنْ رَجَائِي مَعْقُودٌ عَلَى كَلِمَتِكَ. كَلَّتْ عَيْنَايَ مِنْ أَنْتَظَارِ وَعْدِكَ؛ وَأَنَا أَسْأَلُ: مَتَى سَتَعَزِينِي؟" [(وفقاً للنسخة الإنجليزية المعاصرة): "لقد نال مني الإرهاق من شدة توقي إلى خلاصك، ومع ذلك لا يزال إيماني راسخاً بكلمتك. لقد كَلَّتْ عَيْنَايَ مِنْ أَنْتَظَارِ تَحْقِيقِ وَعْدِكَ، وَأَنَا أَسْأَلُ: مَتَى سَتَعَزِينِي؟"]. لقد كان كاتب المزمور متعباً؛ كان منهك القوى ومجهداً. فما كان السبب وراء ذلك؟ كان السبب هو أن كاتب المزمور كان يعاني من الاضطهاد على أيدي أعدائه (الآية ٨٤). فمن هم هؤلاء الأعداء الذين اضطهدوا كاتب المزمور؟ إنهم "المتكبرون أولئك الذين لا يسلكون وفقاً لشريعتك" (الآية ٨٥). علاوة على ذلك، لقد اضطهدوا كاتب المزمور بلا سبب (الآية 86)، وحفروا — له خُفراً (فخاخاً) لإلحاق الأذى به (الآية 85). وبعبارة أخرى، لقد تآمروا لإلحاق الضرر به. بل إنهم كادوا أن يهلكوه تماماً (الآية 87)، أي أنهم دفعوه إلى حافة الموت تماماً (الآية 87؛ بحسب "النسخة الإنجليزية المعاصرة"). وفي خضم هذا الموقف العصيب (87) تاق كاتب المزمور إلى خلاص الرب (الآية 81) ووضع رجاءه في كلمة الرب (الآية 82)؛ ومع ذلك، يبدو أنه لم يكن قد اختبر بعد واقع خلاص الله أو تحقق كلمته الموعودة. ونتيجة لذلك، شعر بالكلل (الإرهاق الشديد) (الآية 81) وباللعب (الآية 82)

وعلى غرار كاتب المزمور، تمر بنا نحن أيضاً أوقات نشعر فيها بالإرهاق والكلل. فمهما كانت صرخاتنا إلى الله ملتهبة وملينة —وحيثما يبدو وكأن الله لا يُقدم أي إجابة لصلواتنا، وأن وضعنا يزداد سوءاً فحسب—بالحرارة لكي يُنجينا من ظروفنا المؤلمة تأتي علينا أوقات نُصاب فيها بالكلل والإرهاق، جسداً وروحاً على حد سواء. وفي مثل تلك اللحظات، يكمن المطب الخطير حقاً في وحيثما نصرخ إلى الله مراراً وتكراراً دون أن نلمس أي استجابة، ويبدو —اليأس—. فحيثما تكون ظروفنا شاقة ومضنية للغاية قد نصبر ونصبر حتى نصل إلى مرحلة لا نطبق فيها الاحتمال أكثر من ذلك؛ وفي تلك الحالة—الوضع وكأنه يزداد تدهوراً فحسب من الإرهاق التام، قد نستسلم لليأس أو حتى ننزل إلى حالة من انعدام الرجاء المطلق. ونحن نكون أكثر عرضةً لمثل هذا القنوط حينما ينهال علينا أعداؤنا المتكبرون بالسخرية والتعيير بلا انقطاع، متسائلين: "أين إلهكم؟" (مزمور 42: 10). وعلاوة على ذلك: قد نفقد عزيمتنا بسهولة حينما يبدو قضاء الله متأخراً جداً، لدرجة أننا نجد أنفسنا نتساءل—وعلى غرار كاتب المزمور تماماً—ذلك متى سيعاقب الله أعداءنا المتكبرين؟" (الآية 84). فماذا ينبغي علينا أن نفعل إذن في مثل هذه الأوقات؟ وحيثما نصلي إلى الله كيف ينبغي علينا أن نتصرف؟ عندما ننتظر—مما يترك أرواحنا قلقاً ومحبطة—وننتظر بترقب شديد خلاصه، فلا نتلقى أي إجابة مما يدفعنا، على غرار كاتب المزامير، إلى الصراخ قائلين: "يا رب، متى—وننتظر، ومع ذلك لا نلمس أي عزاء من الله ستعزيني؟"—فأي مسار عمل ينبغي علينا اتخاذه؟ هذا، بالتحديد، هو التحدي الذي تفرضه فضيلة الصبر.

ثانياً، دعونا نتأمل في هذا التحدي المتعلق بالصبر.

—عندما يدركننا التعب من شدة الشوق إلى خلاص الرب (الآية 81)، فماذا عسانا أن نفعل؟ عندما يبدو عزاء الرب بطيئاً في مجيئه وعندما تكلّ أبصارنا من شدة الإعياء ونحن ننتظر تحقق وعوده (الآية 82)—وعندما نبدأ في الشعور وكأننا قد أصبحنا عديمي الفائدة تماماً (الآية 83)، فماذا، إذن، ينبغي علينا أن نفعل؟ وماذا يجب علينا أن نفعل عندما يبدو أن قضاء الله على المتكبرين قد تأخر (الآيات 84-86)؟ وماذا—أولئك الذين يستهينون بشريعة الرب، ويضطهدوننا بلا سبب، وينصبون لنا الفخاخ للإيقاع بنا نفعل حتى عندما يدفعوننا إلى حافة الموت تماماً (الآية 87)؟ وكيف لنا أن نواجه تحدي الاحتمال هذا؟ حتى وإن أدركنا التعب ونحن نتوق إلى خلاص الرب، فلا بد لنا مع ذلك أن نواصل الثقة في كلمته (الآية 81). والسبب في ذلك هو أن وصايا الرب جديرة بالثقة تماماً (الآية 86). علاوة على ذلك، وحتى لو نال منا الإرهاق ونحن ننتظر تحقق كلمة الرب الموعودة (الآية 82)، فلا يزال يتعين علينا ألا ننسى شريعته أبداً (الآية 83). وحتى لو اضطهدنا أعداؤنا المتكبرون بلا سبب ودفعونا إلى شفا الموت، فلا يجوز لنا أن وفقاً لمحبة الرب التي لا تفتى—وثرَدَ إلينا الحياة—نتخلى عن وصايا الرب (الآية 87). وعندما نفعل ذلك، فإننا سنحيا من جديد (الآية 88). وفي ذلك الحين، سنواصل حفظ شرائع الرب (الآية 88).

ليس بأي حال من الأحوال تصرفاً طائشاً أو غير محسوب—واحتماله الطويل حتى عندما يبدو وكأنه لا ينظر إلينا—إن صبر الله فكل لحظة من لحظات انتظار الله تُستغل بأقصى درجات النفاسة؛ ولا تضع منها لحظة واحدة سدى (بارك يون-سون). على الرغم مما لا يترك لنا خياراً سوى أن نصرخ قائلين—من أن خلاص الله وعزاه وعونه قد تبدو، من منظورنا المحدود، وكأنها قد تأخرت يارب، متى ستعزيني؟"، أو "يارب، متى ستأتي لنجدي؟"، أو "يارب، متى ستنقذني (تخلصني)؟"—إلا أنه يجب علينا، حتى في خضم هذه الظروف، ألا ننسى أبداً وصايا الرب الأمانة، بل أن نضع ثقتنا في كلمته. ويجب علينا ألا نتخلى عن كلمته أبداً، وتحت أي ظرف من الظروف. فحين يحين الوقت الذي حدده الرب، فإنه سيخلصنا بالتأكيد. إن الرب، الذي لا يخلف وعده أبداً، سيتم بلا شك الوعود التي قطعها لنا. وإذا نتمسك بهذا اليقين بالخلاص، يجب علينا أن نصبر على التجارب والاضطهادات بإيمان ورجاء رجائنا—وحتى عندما نشعر بأننا قد بلغنا أقصى حدود احتمالنا، لا ينبغي لنا أن نفقد عزيمتنا؛ بل علينا أن نثبت أنظارنا على الرب وأن نتمسك بكلمته بمزيد من الشوق والحرارة. إن الروح القدس، المعزي الذي لنا، سيعزينا بالتأكيد من خلال كلمة الله—الحقيقي الحية والفعالة.

حزنُ يابى التعزية

فَمَزَّقَ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ، وَلَبَسَ مِسْحاً عَلَى حَفْوَيْهِ، وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّاماً كَثِيرَةً. وَقَامَ جَمِيعُ بَنِيهِ وَجَمِيعُ بَنَاتِهِ» لِيَعَزُّوهُ، فَأَبَى أَنْ يَتَعَزَّى. وَقَالَ: "إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَاحِياً إِلَى الْهَاوِيَةِ". وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ. (تكوين 37: 34-35)

اضطَّرت لأن تودّع ثلاثة من أبنائها الستة ليرحلوا عنها إلى العالم الآخر—تناهز الآن الثمانين من عمرها—في كنيستنا، توجد جدّة وكان كل واحدٍ منهم—قبل رحيلها هي. فبعد أن فقدت زوجها في مقتبل حياتها، عادت هذه الجدّة لتفقد لاحقاً ثلاثة من أبنائها الستة، إذ خطفهم الموت من هذا العالم. وكان آخرُ أبنائها الذين فقدتهم ابناً توفي في نومه قبل بضع سنوات—قد بلغ بالفعل عمراً متقدماً عن عمرِ ناهز السادسة والخمسين. وحتى يومنا هذا، لا أستطيع أن أنسى تلك اللحظة؛ إذ لا تزال صورة تلك الجدّة ماثلةً أمامي بوضوح، وهي تبكي بمرارةٍ وتُنادي عليّ والدموع تملأ عينيها: «ياراعي! آو ياراعي!» كما لا يسعني أن أنسى مشهدها وهي تنتحب قائلةً لي: «ياراعي، إنني أشعر بمرارةٍ استياءٍ شديدةٍ تجاه الله.» وبينما كنتُ أشاهد دموع أم تبكي بلا عزاءٍ بعد فقدانها لولدها، حاولتُ أن أتخيل عمق لوعة قلبها، غير أنني وجدتُ نفسي عاجزاً تماماً عن استيعاب ذلك العمق أو إدراكه. فما من أحدٍ يستطيع حقاً أن يقيس حجم الحزن الكامن في قلب الوالد الذي فقد ولداً عزيزاً عليه. وإنني لأعتقد أن الألم والمعاناة، بالنسبة للأم، هما تجربةٌ فريدةٌ وخاصةٌ بها وحدها؛ وكذلك الأمر بالنسبة للأب، فهما تجربةٌ فريدةٌ وخاصةٌ به؛ فكلُّ منهما يحمل عبئاً متميزاً من أعباء الحزن. والحقيقة هي أنه في مثل هذه المواقف، غالباً ما يشعر المرء وكأنه لا يوجد أحدٌ بمقدوره حقاً أن يقدم العزاء لقلب الوالد الذي فقد ولده. وبالطبع سيسعى أفراد العائلة المحبّون، والأقارب، والأصدقاء، ورفاق الكنيسة، وغيرهم، بلا شكٍّ، لتقديم التعزية؛ غير أن لوعة القلب لدى الوالد التكلّي قد تكون طاغيةً إلى الحدّ الذي يجعله يجد نفسه عاجزاً ببساطةٍ عن تقبّل العزاء من أيّ أحدٍ كان. وهذا بالضبط ما كان سفر التكوين 37: 34-35. إذ اعتقد يعقوب أن ابنه الحبيب—عليه حال يعقوب، كما تصوّره لنا فقرة الكتاب المقدس لهذا اليوم

الذي أنجبه في شيخوخته (تكوين 37: 3) —قد مات، غرق في حزن عميق عليه. ورغم محاولات أبنائه الآخرين لتقديم—يوسف العزاء، رفض يعقوب قبول تعزيتهم. وبعبارة أخرى، فبينما كان يعقوب ينوح حزناً على نأب وفاة ابنه الحبيب يوسف، رفض التعزية ياله من عمق في الكرب الذي ألمّ بـيعقوب، حتى جعله يصدّ تعزية [(NASB)] "إذ" أبى أن يتعزّى [التي قدمها له أبنأوه الآخرون، أبنائه وفلذات كبده! إن مثل هذا الألم الشديد هو من طبيعة لا يستطيع أن يعزي فيها حقاً سوى الله، الروح القدس. وبصيغة أخرى

أشكال لا يقدر على شفاؤها إلا الله وحده. ويأتي في مقدمة هذه الأشكال—ثمة أشكال من الحزن يعجز البشر عن تخفيف وطأتها ذلك الألم الناجم عن إدراك المرء أنه لن يرى حبيباً له مرة أخرى في هذا—الحزن على وفاة طفل حبيب. إن لوعة الفراق الدنيوي هي عبء لا يستطيع أن يعزي فيه حقاً إلا الله. ولذلك، ليس أمامنا خيار سوى التوجه إلى الله بالصلاة. إذ يجب علينا أن—العالم نتضرع إلى الله بصدق لكي يعزي هو شخصياً أولئك الإخوة والأخوات الأحباء بيننا، الغارقين حالياً في بحور الحزن والحداد، والذين اضطروا لوداع طفل لهم سبقهم إلى الدار الآخرة. وحين نفعل ذلك، سيسمع الله صلواتنا ويستجيب لها برحمته؛ ومن خلال تلك على أولئك الإخوة والأخوات الذين—وهي تعزية أعظم بكثير من تعزيتنا نحن البشر—الاستجابة الإلهية، سيفيض الله بتعزيته يحبهم محبة عميقة. وعلاوة على ذلك، سيمنحهم الله القوة ويسندهم، ممكناً إياهم من الصبر على حزنهم وألمهم الهائل، وتجاوز تلك من خلال—المحنة. وفضلاً عن ذلك، فمن خلال هذه المسيرة برمتها، سيعمل الله على إظهار مجده الخاص. ونتيجة لذلك، سنشهد الجمال الحقيقي للإيمان المسيحي—حياة هؤلاء الإخوة والأخوات أنفسهم.

يبدو حقاً أن هناك الكثير من الناس من حولنا ممن هم في أمس الحاجة إلى التعزية. ويبدو أننا محاطون من كل جانب بالعديد من الإخوة والأخوات الأحباء الذين يكابدون الألم والحزن والضيق. إن الله يرغب في استخدامنا كأدوات لتقديم التعزية. ولذلك، وبدلاً من أن نسعى نحن لأن نكون المتلقين للتعزية، ينبغي علينا أن نصلي لكي يستخدمنا الله كأدوات في يده، لكي نكون سبباً في جلب التعزية والسلوان للآخرين. وعلى وجه الخصوص، لا بد لنا أن نُقر بوجود إخوة وأخوات يرزحون تحت وطأة حزن عميق للغاية. في صمتٍ، ولكن بكل حرارة وصدق—نعجز نحن عن التخفيف من وطأته؛ ولهذا، يتحتم علينا أن نرفع الدعاء إلى الله من أجلهم من—حتى في خضم تلك الظروف المؤلمة—وحيثما نفعل ذلك، سيتولى الروح القدس بنفسه مهمة تعزيته شخصياً، ممكناً إياهم أن ينقلبوا هم أنفسهم ليقدموا التعزية لمن جاءوا لمواساتهم.

الإله الذي يسمع حتى الصلوات المرفوعة بالدموع والمرارة

أَنَا حَبَلْتُ بِجَمِيعِ هَؤُلَاءِ الشَّعْبِ؟ أَوْ أَنَا وَلَدْتُهُمْ؟ حَتَّى تَقُولَ لِي: احْمِلْهُمْ فِي حِضْنِكَ كَمَا يَحْمِلُ الْمَرْبِيُّ الرِّضِيعَ، إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَلَفْتَ لِأَبَائِهِمْ؟... فَتَأْكُلُونَ شَهْرًا كَامِلًا، حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ مَنَاحِرِكُمْ وَتَصِيرَ لَكُمْ كِرَاهَةً، لِأَنَّكُمْ رَدَلْتُمُ الرَّبَّ الَّذِي فِي وَسْطِكُمْ، وَبَكَيْتُمْ أَمَامَهُ قَائِلِينَ: لِمَذَا خَرَجْنَا مِنْ مِصْرَ؟» (سفر العدد 11: 20).

لماذا يبكي الرضيع؟ بينما كنت أقوم بتربية ثلاثة أطفال إلى جانب زوجتي، تعلمت أنه لا يوجد في الواقع سوى سبب واحد أو سببين، لبكائهم خلال فترة رضاعتهم. وهذان السببان هما: أولاً، يبكي الرضيع لكي يتم تغيير حفاظه عندما يلوثه بالبول أو البراز؛ وثانياً، يبكي الرضيع لكي يُطعم عندما يشعر بالجوع. وبالطبع، وإلى جانب هذين السببين المحددين، قد يبكي الرضيع أيضاً لكي يُوضع في سريريه لينام عندما يشعر بالتعب؛ وباختصار، يبدو أن الرضيع يبكي كلما شعر بعدم الرضا تجاه أمر ما. ومع ذلك، لا يبدو أن هذا السلوك يقتصر على الرضع وحدهم؛ إذ أعتقد أننا نحن الكبار أيضاً نميل إلى التذمر والشكوى عندما نشعر بعدم الرضا. وعندما —ليصل إلى حد أن نبدأ في حمل مشاعر المرارة تجاه الآخرين أو إلقاء اللوم عليهم— يتفاقم عدم الرضا ذلك ليتجاوز مجرد الشكوى، ألا ينتهي بنا المطاف نحن أيضاً إلى البكاء؟ على سبيل المثال، إذا شعرنا بجوع شديد، قد نذرف الدموع من شدة البؤس؛ وبالمثل، إذا كنا نعيش في ضائقة مالية قاسية ووجدنا أن أعباء الحياة أثقل من أن نطيقها، فقد نبكي من شدة الحزن العميق.

«سفر العدد 11: 12 و 20—نرى موسى يتحدث إلى الله، مشبهاً شعب إسرائيل بـ «الرضيع» في المقطع الكتابي المخصص لليوم (أو الطفل الصغير) (الآية 12)، ومشيراً إلى أنهم سيكون في حضرة الله ذاته (الآية 20). ولم يكتفِ شعب إسرائيل بالبكاء لمرة واحدة، فحسب؛ فكيف لنا أن نعرف ذلك؟ إذا نظرنا إلى الآية 4، نجد الكتاب المقدس ينص قائلاً: «وَبَكَى بَنُو إِسْرَائِيلَ أَيْضاً بُكَاءً». لقد بكوا كلٌّ عند مدخل خيمته (الآية 10). وعلاوة على ذلك، بكوا أمام موسى (الآية 13). فما كان السبب في ذلك؟ ولماذا بكى شعب إسرائيل؟ كان السبب هو أنهم اشتبهوا اللحم (الآيات 4، 13، 18). وبعبارة أخرى، لم يكتفِ بنو إسرائيل بالمن الذي كان الله يُنزل من السماء كل ليلة؛ بل تذمروا (الآية 6) وبكوا أمام موسى، رافعين أصواتهم بالشكوى قائلين: "أعطينا لحماً لنأكل!" (الآية 13). لماذا عجز شعب إسرائيل عن إيجاد القناعة في المن الذي كان الله يُنزل من السماء، مما دفعهم إلى التعبير عن مثل هذه الشكاوى؟ كان السبب

هو هذا بالتحديد: أنهم أضمرُوا الجشع في قلوبهم. انظر إلى الآية 4: "واللّيف الذي في وسطهم انتهى شهوة، فعاد بنو إسرائيل وبكوا وقالوا: 'من يُطعمنا لحمًا؟'". لقد تأثر بنو إسرائيل سلباً بالجمع المختلط الذي كان يعيش في وسطهم، ونتيجة لذلك، بدأوا هم حتى وصل بهم الأمر إلى—أيضاً يضمرون الجشع مثلهم تماماً. ونتيجة لذلك، لم يستطيعوا الاكتفاء بالמן؛ بل تذمروا وتبرموا مطالبين موسى بأن يوفر لهم لحمًا ليأكلوا. وفي فعلهم هذا، استرجعوا ذكريات حياتهم الماضية في العبودية في مصر (الآية—البكاء معلنين: "كان خيراً لنا حين كنا في مصر" (الآية 18)). وقد عُدَّ هذا التصرف بمثابة احتقار لله (الآية 20). ونتيجة لذلك، اشتد (5) غضب الله واضطرم بشدة على شعب إسرائيل (الآية 10). وبطبيعة الحال، لم يكن موسى مسروراً هو الآخر (الآية 10). تخيل، أبوين يقومان بتربية طفل رضيع: يبكي الطفل بلا انقطاع لأنه جائع، ويستمر في النحيب حتى تضع أمه ثديها في فمه. ومع ذلك بكوا ونحبوا أمام موسى، مطالبين—شأنهم شأن الطفل الرضيع تماماً—تخبرنا فقرة الكتاب المقدس لهذا اليوم أن شعب إسرائيل التي كانت تضم ستمائة ألف رجل قادر على حمل—باللحم. ولم يكن هذا فعل فرد واحد فحسب؛ لقد كانت أمة إسرائيل بأسرها السلاح وحدهم (الآية 21)—هي التي كانت تصرخ إلى موسى قائلة: "أعطنا لحمًا لنأكل!" ومن منظور موسى، يالها من محنة شاقة ومؤلمة تلك التي كان عليه أن يواجهها (الآية 11). ونتيجة لذلك، صرخ موسى إلى الله قائلاً: "لماذا جلبت مثل هذه المشقة على عبدك؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك، حتى أنك وضعت عبء كل هؤلاء الناس عليّ؟" (الآية 11). وأخبر موسى الله بأن المسؤولية كانت أثقل من أن يحتملها؛ إذ لم يكن بمقدوره، بمفرده، أن يقود شعب إسرائيل المتذمر والباكي طوال الطريق وصولاً إلى أرض كنعان الموعودة (الآية 14). وفي خضم هذا الضيق الشديد، توسل إلى الله حتى أن يأذن له بالموت (الآية 15). ورداً على ذلك "أصدر الله تعليماته لموسى قائلاً: "اجمع سبعين رجلاً من شيوخ الشعب الموقرين عند خيمة الاجتماع، واجعلهم يقفون هناك معك (الآية 16). ثم منحهم القدرة على مشاركة موسى عبء الشعب، ضامناً بذلك ألا يضطر موسى بعد الآن إلى تحمل هذا الثقل بمفرده (الآية 17). وعلاوة على ذلك، سمع الله صرخات الإسرائيليين المتذمرة المطالبة باللحم، ووعد بأن يلبي طلبهم ويمنحهم لحمًا ليأكلوه (الآية 18). ولم يكتفِ بتوفيره ليوم أو يومين فحسب، أو حتى لخمسة أو عشرة أو عشرين يوماً (الآية 19)، بل وقره لهم لمدة شهر لدموع الإسرائيليين، بل وحتى—واستجاب—حتى ضاقوا به ذرعاً تماماً (الآيتان 19-20). ثرى، لماذا استمع الله—كامل لهمهمات الشكوى التي أفرغوها أمامه؟ (انظر سفر الخروج 16: 7-9، 12). إن السبب المذكور في النصف الثاني من الآية 12 من الإصحاح السادس عشر من سفر الخروج: "...فتعلمون أنني أنا الرب إلهكم". وبعبارة أخرى، كان السبب وراء استماع الله لشكاوى الإسرائيليين الممزوجة بالدموع وإجابته عليها، هو رغبته في أن يدركوا ويعلموا أنه هو الله حقاً. وبالفعل، ثرى أي نوع من الآلهة أراد الله أن يكشف عن نفسه لهم؟ لقد وجدت الإجابة في سفر العدد 11: 23: «هَلْ يَدُ الرَّبِّ قَصُرَتْ؟ الْآنَ سَتَرَى هَلْ يُؤْفِيكَ كَلَامِي. ليس لموسى فحسب، بل لشعب إسرائيل أيضاً—وعلى أمانته في الوفاء بوعوده—أم لا». لقد أراد الله أن يُبرهن على قدرته المطلقة ووفقاً للمعايير البشرية للحساب والمنطق السليم، كان الموقف مستحيلاً تماماً (الآية 21): فكيف يمكن لأي أحد أن يُوفر اللحم لستمائة ألف مسافر في البرية لمدة شهر كامل؟ وحتى لو دُبحت لهم كل قطعان الغنم وجموع البقر، أو جُمعت لهم كل الأسماك في البحر، لظلت تلك الكمية غير كافية (الآية 22). ومع ذلك، وفي مواجهة هذا الاستحالة، قال الله لموسى: «هَلْ يَدُ الرَّبِّ قَصُرَتْ؟ الْآنَ سَتَرَى

هَلْ يُؤَافِيكَ كَلَامِي أَمْ لَا» (الآية 23). وفي نهاية المطاف، أرسل الله ريحاً ساقَت طيور السلوى (السماني) من البحر، مما جعلها تهبط فوق المُخَيِّم والمنطقة المحيطة به. وجعل الله طيور السلوى تحلّق على ارتفاع متر واحد تقريباً فوق سطح الأرض، ممتدةً لمسافة تعادل مسيرة يوم كامل في كل اتجاه من المُخَيِّم؛ وبذلك تمكّن شعب إسرائيل من جمعها طوال تلك الليلة والنهار، وحتى مساء اليوم اشتد غضب الرب على—وقبل أن يكونوا قد مضغوه حتى—التالي (الآيتان 31-32). غير أنه بينما كان اللحم لا يزال بين أسنانهم. الشعب، وضربهم بوباءٍ شديد (الآية 33). ونتيجة لذلك، دُفن في ذلك المكان أولئك الذين استسلموا لشهوةٍ جشعةٍ للحم (الآية 34). وهكذا، سُمّي ذلك المكان «قُبُورَ الشَّهْوَةِ» (كَيَبْرُوثَ هَنَّاوَةَ)—أي «قُبُورِ الشوق/الشهوة» (الآية 34).

يتحتم علينا أن ندرك الطبيعة الحقيقية لله؛ فإلهنا هو الإله القدير، وهو القادر على كل شيء، والمقتدر تماماً على توفير اللحم لستمائة ألف رجل من بني إسرائيل—بالإضافة إلى عائلاتهم—ليجمعوه ويأكلوه طوال شهر كامل. وعلاوة على ذلك، فإن الله هو الذي يُظهر لنا قدرته. غير أن المشكلة تكمن في عجزنا عن وضع ثقتنا الكاملة في هذا الإله القدير؛ فبدلاً من ذلك، نُضمر الشك وعدم الإيمان. كما أننا نقع في فخ إضمار الطمع والجشع، تماماً كأهل العالم. ولذلك، فإن الصلاة أمام الله بالدموع والشكاوى المُرّة النابعة من عدم الرضا—تُعد معاملةً له بازراء؛ بل إنها في حقيقتها خطيئة تُرتكب ضد الله. ومع ذلك، فإن إلهنا النعوم يسمع حتى أصوات صلواتنا الممزوجة بالدموع والاستياء، ويستجيب لها. وفي الوقت ذاته، فإن إلهنا العادل يؤدبنا أيضاً بسبب جشعنا. ومن خلال تأديب الله لنا—عند الضرورة—يجب أن ندرك أن الطمع على غرار أهل العالم لن يجلب لنا الرضا الحقيقي أبداً؛ بل إن هذا الجشع لا يفعل شيئاً سوى أن يحفر لنا قبورنا بأيدينا. وفضلاً عن ذلك، وعبر تأديب الله المحب، يجب أن نتعلم أن نجد رضانا الوحيد في الرب ذاته، وأن ننمّي في أنفسنا روح القناعة، سواء عشنا في وفرة أم في عوز (فيلبي 4: 11-12). فلا ينبغي لنا أن نُضمر الجشع تجاه البركات التي يهبها الرب؛ بل بالأحرى، ومن خلال إدراكنا وتقديرنا لكل البركات الروحية التي نلناها بالفعل في المسيح (أفسس 3: 1)، ينبغي لنا أن نعيش حياتنا بتواضع، مستمتعين بتلك البركات بقلبٍ يفيض بالامتنان.

الرب الذي يعرف مخاوفي ويمنحني الشجاعة

وإن كنت خائفاً من النزول، فانزل أنت وفتاك "فورة" إلى المحلة، واسمع ما يقولون. وبعد ذلك ستتقوى يدك»
لتنزل على المحلة...» [(الكتاب المقدس بالإنجليزية الحديثة) «ومع ذلك، إن كنت خائفاً من الهجوم، فخذ فتاك
فورة" معك، وانزل إلى محلّتهم، واسمع ما يقولون. وحينئذٍ ستجد الشجاعة للهجوم...»] (قضاة 7: 10-
11).

الذي يشبه بحراً مظلماً—إن هذا العالم مليء بأمور كثيرة تدعو للخوف؛ إنه عالم حافل بالعواصف والاضطرابات. وفي هذا العالم
نحن المسيحيين هم من يجدفون نحو المدينة السماوية، مبحرين بجوار الرب الذي يقوم—هائجاً تتلاطم أمواجه العاتية ضد سفينة
بدور ربان سفينتنا (كتاب الترانيم الجديد 432، ترنيمة "البحر المظلم حيث تتلاطم الأمواج العاتية"). ومع ذلك، كثيراً ما نصادف
عواصف هائلة لم نتوقعها قط. ويحدث هذا رغم حقيقة أن ما صلينا لأجله وتوقعناه كان ميهاً هادئة وادعة. وفي مثل تلك الأوقات
يستولي علينا الخوف في مواجهة هذه العواصف العنيفة غير المتوقعة؛ فننظر إلى العاصفة الهائجة ويستبد بنا الرعب. وفي خضم
خوفنا، كثيراً ما نشد كل عضلة في أجسادنا لنجدف بقوة أكبر، محاولين مجاهدة العاصفة والتغلب عليها بمعزل عن أي عون (يونان
ولكن كلما ازداد صراعنا بهذه الطريقة، ازداد البحر عنفاً وعداءً تجاهنا (الآية 13)). وحينها فقط نصل إلى إدراك عميق. (13: 1
لعبزنا التام وقلة حيلتنا؛ وفي خضم خوفنا، نصرخ إلى الرب (الآية 14)). وبينما نصرخ إليه، لم نعد نسعى لفرض مشيئتنا الخاصة
بل نتضرع بإلحاح إلى الرب ليتصرف وفقاً لمشيئته * هو* (الآية 14)). وفي تلك اللحظة، يسمع الرب تضرعاتنا ويهدئ العواصف
العظيمة التي نصادفها في حياتنا (الآية 15)؛ وفي نهاية المطاف، يقودنا الرب لكي لا نعود نخاف من العواصف ذاتها، بل لكي
نرى أن—سفر القضاة 7: 10-11—أنهال ونوقر الرب الذي هدأ تلك العواصف وأنقذنا منها (الآية 16)). بالنظر إلى نص اليوم
الله، بعد أن عيّن جدعون قاضياً، يأمره بالنزول إلى معسكر المديانيين، الذين كانوا مخيمين في الوادي الكائن أسفل الموقع الذي
تمركز فيه الجيش الإسرائيلي المكون من 300 رجل (الآية 8)). وبعد أن أعلن قائلاً: "قد دفعتمهم إلى يدك" (الآية 9)، أضاف الله
وإن كنت خائفاً من النزول، فانزل أنت وغلّامك إلى المعسكر، واسمع ما يقولون". ومن هذه الكلمات، يتضح أن الله كان
بل وحتمياً—مدرّكاً تماماً لخوف جدعون. وبالفعل، كان جدعون يواجه أزمة من الضخامة بمكان، جعلت خوفه أمراً مفهوماً تماماً
—وقد اتسم هذا الموقف العصيب بحقيقة أن جدعون وجيشه لم يتجاوز عددهم 300 رجل فحسب، في حين كانت قوات العدو

غفيرة كأسراب الجراد، وكانت جمالهم لا تُحصى كحبات الرمل على شاطئ البحر—المديانيون، والعمالقة، وجميع بني المشرق (الآية 12). ويبدو أن القوة الإجمالية لهذا التحالف العدائي كانت تبلغ قرابة 135,000 جندي (8: 10). هل يمكنك حتى تخيل معركة تدور رحاها بين قوة إسرائيلية قوامها 300 رجل وقوة معادية يبلغ عددها نحو 135,000 جندي؟ لقد كانت معركة يستحيل الفوز بها، حتى لو خيشت بالفعل؛ فكيف يمكن لـ 300 رجل أن يطمحوا إلى قتال 135,000 جندي وهزيمتهم؟ ولا يسع المرء إلا أن بل كانت معركة خُتم عليهم فيها حتماً أن يتجرعوا مرارة—يستنتج أن هذه المعركة لم يكن للجيش الإسرائيلي فيها أي فرصة للنصر الهزيمة. وعلى وجه الخصوص، إذا نظرنا إلى هذه الأزمة الراهنة من منظور أولئك الجنود الإسرائيليين الثلاثمائة، فإننا نتذكر أن الجيش الذي احتشد في البداية لقتال العدو كان يبلغ عدده 32,000 رجل. غير أن الله أمر قائلاً: "من كان خائفاً ومرتعداً، فليُنصر وقد غادر—ويرجع من جبل جلعاد"؛ ونتيجة لذلك، انسحب 22,000 رجل ممن كانوا خائفين ومرتعدين (7: 3). في تلك اللحظة تُرى، ما هي الأفكار التي لا بد أنها قد خطرت—رجل من أصل 32,000، تاركين وراءهم بقية قوامها 10,000 رجل 22,000 ببال جنود جدعون الثلاثمائة؟ وفي ظل جيش للعدو يناهز عدده 135,000 جندي، هل رأوا أن ثمة أي منطقٍ على الإطلاق في تسريح ما يصل إلى 22,000 رجل من قوة قوامها 32,000؟ ومع ذلك، خاطب الله جدعون مرةً أخرى قائلاً: "لا يزال العدد كبيراً جداً. انزل بهم إلى الماء، وهناك سأفرزهم لك؛ وسأريك مَنْ سيذهب معك إلى المعركة وَمَنْ لن يذهب" (الآية 4، *كتاب الشعوب الحديث المقدس*). وكيف، حقاً، يمكن لله أن يقول إن 10,000 جندي إسرائيلي يُعدون "عدداً كبيراً جداً" عند مقارنتهم بقوة معادية يبلغ قوامها نحو 135,000 جندي؟ ففي نهاية المطاف، كان ذلك العدد من الجنود قاصراً بشكلٍ مؤسف، بل وغير كافٍ على الإطلاق وفي نهاية المطاف، ميّز الله بين الرجال الثلاثمائة الذين سيذهبون مع جدعون لقتال العدو، وبين الـ 9,700 الذين لن يذهبوا؛ وكشف الله لجدعون عن هذا التمييز. ثم قال الله لجدعون: "بهؤلاء الرجال الثلاثمائة الذين لغوا الماء بلسانهم، سأخلصك وأسلم المديانيين إلى كيف يمكنه أن يأمرهم بتسريح—يديك. أما بقية الرجال، فأرسلهم إلى بيوتهم" (الآية 7، *كتاب الشعوب الحديث المقدس*). كيف الناس مرةً أخرى؟ فبعد تسريح 22,000 رجل من أصل 32,000 في البداية، كيف يمكنه بعد ذلك أن يوجههم لتسريح 9,700 قوة معادية قوامها—ويهزموا—رجل آخرين من أصل الـ 10,000 المتبقين؟ وكيف يمكن لثلاثمائة رجلٍ فحسب أن يقاتلوا جندي؟ إن هذا لا يمكن أن يكون شيئاً سوى فعلٍ إلهي يتحدى كل منطقٍ بشري وكل قدرةٍ على الاستيعاب. بينما كنت 135,000 أي—أتأمل في هذا المقطع وأفكر في مدى انطباقه على الكنيسة، خطرت ببالي تساؤل: "أليس صحيحاً أنه كلما كبر حجم الجماعة يقول لنا في—رأس الكنيسة—أصبح عمل الرب أعظم وأكثر اتساعاً؟" ومع ذلك، ربما كان الرب—كلما ازداد عدد أعضائنا الواقع: "إن عدد أعضائكم كبير جداً" (الآية 2)؛ "اصرفوهم" (الآية 3)؛ "اصرفوهم" (الآية 7). والسبب في ذلك هو أننا إذا حاولنا إنجاز عمل الرب بالاعتماد على القوة المجردة للأعداد الكبيرة، فإننا سنصاب بالعطرسية، معتقدين أننا حققنا ذلك بقوتنا الذاتية (الآية ولهذا السبب، أمر الله جدعون قائلاً: "إن الشعب الذي معك كثير جداً (32,000). Modern People's Bible ترجمة* 2، *Modern People's Bible الآية 2، *ترجمة) "رجل) لكي أسلم المديانيين إلى أيديكم ؛ "لذلك، ناد في الشعب: 'من كان (Modern People's Bible الآية 2، *ترجمة) "رجل) لكي أسلم المديانيين إلى أيديكم

؛(Modern People's Bible الآية 3، *ترجمة) "خائفاً ومرتعداً (22,000 رجل)، فلينصرف من جبل جلعاد ويغد إلى بيته وأخيراً: "اصرف جميع الرجال الباقين (9,700 رجل) ليعودوا إلى بيوتهم" (الآية 7). ونتيجة لذلك، تقلص الجيش الإسرائيلي ليصبح مجرد 300 رجل (الآية 7). ومع هذه المجموعة الصغيرة المكونة من 300 رجل بالتحديد، وعد الله بأن يخلص إسرائيل، تحدث إلى جدعون في تلك الليلة ذاتها قائلاً: "قم—الذي كان قد قطع وعده هذا—ويُسَلِّم المديانيين إلى أيديهم (الآية 7). غير أن الله وانزل إلى معسكر [المديانيين]، لأنني قد أسلمته إلى يدك" (الآية 9). لماذا تحدث الله بهذه الطريقة؟ ولماذا طلب الله من جدعون أن ينزل إلى معسكر العدو؟ بالتأكيد، لم يكن الله ينوي إرسال جدعون ليهاجم الجيش المدياني بمفرده تماماً. في نظري، إن السبب الذي الذي كان يرتعد خوفاً (الآية—دفع الله لإصدار أمره لجدعون بالنزول إلى معسكر المديانيين كان غرس الشجاعة في قلب جدعون حتى يكتسب الجرأة اللازمة لمهاجمة القوات المديانية (الآية 11؛ *كتاب المقدس للناس المعاصرين*). لقد كان الله يعلم أن—(10 جدعون خائف؛ وبالطبع، ومن وجهة نظر جدعون، كان الموقف يستوجب الخوف حتماً ولا مفر منه. ففي ظل وجود قوة معادية يبلغ قوامها 135,000 مقاتل في مواجهة جيش إسرائيلي لا يتجاوز عدده 300 جندي، لم يكن بوسع جدعون إلا أن يشعر بالرعب الشديد. ولذلك، قال الله لجدعون: "إن كنت خائفاً من النزول [إلى معسكر العدو]، فانزل إلى المعسكر ومعك عبدك فورة" (الآية 10) وعلاوة على ذلك، قال الله لجدعون: "أنصت إلى ما يقولونه [أي جنود العدو]؛ وحينئذٍ ستكتسب الشجاعة اللازمة للهجوم" (الآية 11؛ *كتاب المقدس للناس المعاصرين*). وبناءً على ذلك، اصطحب جدعون فورة معه ونزل بالقرب من معسكر العدو (الآية 11)، وهناك، التقط سمعه جندياً يقص حتماً على رفيق له، مشفوعاً بتفسيره (الآيات 13-15). وبعد ذلك، وبعد أن سجد لله عبادة (11)، عاد جدعون إلى المعسكر الإسرائيلي وهتف قائلاً: "قوموا! فقد أسلم الرب مديان ومعسكرهم بأكملهم إلى أيديكم" (الآية 15). وهكذا، أصبح يمتلك الآن الشجاعة اللازمة لمهاجمة العدو المدياني (الآية 11).

بينما كنت أتأمل في هذا المقطع من الكتاب المقدس، كانت أول فكرة خطرت ببالي هي أن الرب يعلم مخاوفي. ونظراً لأن الموقف فأني، بصفتي المراقب لهذا المشهد، لا أملك إلا أن أشعر بأن—بل إنه يتطور بالفعل بطريقة تجعله أكثر رعباً—مخيف بطبيعته الخوف قد غمرني تماماً؛ ومع ذلك، فإن الرب يدرك تمام الإدراك كل ذرة من ذلك الخوف الذي أضمره في داخلي. إن إدراك هذه من خلال الإيمان الذي وهبني إياه الله، قد أضفى سكوناً عميقاً على قلبي. أما الفكرة الثانية التي—ولو بشكل جزئي—الحقيقة تبادرت إلى ذهني، فهي أن الرب هو الذي يدير هذا الموقف المخيف، ويصوغه خصيصاً من أجلي، سامحاً له بأن يتفاقم ويستفحل حتى يبلغ نقطة أعجز عندها تماماً عن مواجهته بالاعتماد على قوتي أو قدرتي الذاتية. لقد بدا لي الموقف الصعب والمرعب الذي واجهته في البداية وكأنه مواجهة لجيش معادٍ قوامه 135,000 جندي، بينما لا يقود جيشي سوى 32,000 جندي فحسب؛ وفي المرحلة التالية، تناقصت قواتي لتصل إلى 10,000 جندي في مواجهة ذلك الجيش المعادي الذي لا يزال قوامه 135,000؛ أما الآن، فالحقيقة الراهنة هي أن جيش العدو لم يتناقص عدده قيد أنملة، إذ لا يزال عند حاجز الـ 135,000، بينما انحسر عدد جنودي أنا ليصبح مجرد 300 جندي. فكيف لي إذن أن أتجنب الشعور بالرعب، أو أن أقلت من ذلك الإحساس الطاعني بالعجز وقلة الحيلة

في تقليص أعداد الأشخاص المحيطين بي والذين أعتمد عليهم وأستند—مرة تلو الأخرى—الذي يغمرني؟ ولماذا يستمر الرب إليهم؟ ولماذا يجعلني الرب أستشعر قصوري وعجزِي الذاتي بشكلٍ أكثر حدة وعمقاً؟ إنني أعتقد أن السبب في ذلك يكمن في رغبة الرب في أن يمنعني من تحقيق أي إنجاز بالاعتماد على قدراتي وقوتي الذاتية، لكي لا أنقلب بعد ذلك وأتفاخر بهذا الإنجاز لنفسي؛ فهو يريد بذلك أن يحميني من الوقوع في فخ الكبرياء والغطرسة. وهذا بالتحديد ما شكل الفكرة الثالثة التي خطرت ببالي أثناء تأملي، في هذا المقطع: وهي أن الرب لا يرغب في أن أصبح شخصاً متكبراً، بل يسعى جاهداً ليقيني شر هذا الداء؛ وعلى النقيض من ذلك فهو يرغب في أن يثبتني كإنسان متواضع، يضع كل اعتماده واتكاله على الله وحده. ورابعاً، خطرت ببالي فكرة أخرى مفادها: كيف منح الله "جدعون" الخائف تلك الشجاعة التي مكنته من شن الهجوم؟ لقد أمعنْتُ التفكير في الكيفية التي يحوّل بها الرب الخوف الكامن في أعماقي إلى شجاعة وإقدام. وكانت الكلمة التي تبادرت إلى ذهني أثناء هذا التأمل هي كلمة "اليقين". لقد غرس الله في قلب — جدعون" الخائف يقيناً راسخاً بالنصر. وعلى وجه التحديد، منح الله جدعون هذا اليقين بأن أمره بالنزول إلى معسكر العدو" بصحبة تابعه "فورة"— ليتسمع إلى الحديث الدائر هناك، والذي كان يدور حول سرد حلم وتفسيره. لقد بث يقين النصر الذي منحه الله لجدعون فيه جرأةً عظيمة؛ حتى أنه هو وجنوده الثلاثمائة—الذين لم يكونوا مسلحين بأي سلاح على الإطلاق، بل كانوا يحملون فقط بوقاً في إحدى أيديهم وجرّة فارغة (تُخفي بداخلها مشعلًا) في اليد الأخرى (الآية 16)— شنوا هجوماً كاسحاً على مديان ومعسكرها بأكملها. ومن منظور بشري، ياله من عملٍ متهور! إنه تصرفٌ يتحدى العقل البشري والمنطق؛ فكيف يتسنى لثلاثمائة رجلٍ أن يهاجموا قوةً قوامها 135,000 مقاتلٍ دون أن يحملوا أي أسلحة؟! ومسلحاً بهذا اليقين بالنصر، قسّم جدعون جنوده الثلاثمائة إلى ثلاث فرق. وقد وصل هو وفرقته المكونة من مائة رجلٍ إلى مشارف معسكر المديانيين (وكان ذلك قرابة منتصف الليل، عقب انتهاء العدو مباشرةً من تبديل الحراسة)، وفجأةً نفخوا في أبواقهم وهم يحطمون الجرار التي كانوا يحملونها (الآية 19). وفي تلك اللحظة، حذت الفرقان الأخريان حذوهم؛ ففي آنٍ واحدٍ، حطموا الجرار التي كانت في أيديهم اليسرى، ورفعوا مشاعلهم عالياً، ونفخوا في الأبواق التي كانت في أيديهم اليمنى، وهتفوا بصوتٍ واحد: "سيفٌ للرب ولجدعون!" (الآية 20). وبينما كان كل رجلٍ يتخذ موقعه ويحاصر المعسكر، دبّ الذعر في صفوف العدو؛ فبدأوا يصرخون في حالةٍ من الارتباك، وولوا الأدبار هاربين في فوضى عارمة (الآية 21، من *الكتاب المقدس المعاصر*). وبينما كان محاربو جدعون الثلاثمائة ينفخون في أبواقهم، ألقى الله في صفوف العدو فوضى عارمةً لدرجة أنهم سلّوا سيوفهم ليضربوا بها بعضهم بعضاً (الآية 22، من *الكتاب المقدس المعاصر*) من دحر جيش العدو الذي كان يناهز عدده —وفي نهاية المطاف، تمكنت قوة جدعون الصغيرة —المكونة من 300 رجلٍ فقط مقاتل، محققةً بذلك نصراً مدوياً. وهكذا، وعبر بثّ البلبلة والاضطراب في صفوف العدو —مما دفعهم إلى ضرب 135,000 مكّن الله جدعون ومحاربيه الثلاثمائة من إحراز النصر والظفر —بعضهم بعضاً بسيوفهم.

وفي خضم عيشنا في هذا العالم المضطرب، قد نجد أنفسنا في كثيرٍ من الأحيان فريسةً للخوف، وقد طغت علينا مشاعر الرهبة في مواجهة الصعاب الهائلة والشدائد القاسية. وسط هذا الخوف، قد نغدو أيضاً مدركين إدراكاً حاداً لقصورنا وعجزنا أمام هذه التحديات الهائلة. وفي مثل هذه الأوقات، يمدّ الرب إلينا نعمته، دافعاً إيانا لأن نصرخ إلى الله، وأن نتوق توقاً عميقاً إلى كلمته. وعبر تلك

.الكلمة، يمنحنا الرب وعوداً، غارساً بذلك فينا الإيمان بالله الذي يفى بوعوده، فضلاً عن يقينٍ راسخ بأن تلك الوعود ستتحقق بالفعل إن الله سيمنحنا النصر بكل تأكيد. وبينما يضيف الله علينا هذا اليقين بالنصر، فإنه لا يملأ قلوبنا بالسلام فحسب، بل يحول أيضاً الخوف الكامن فينا إلى شجاعة. ومسلحين بهذه الشجاعة، لم نعد نحاول التهرب من الشدائد والصعوبات الجسيمة التي تواجهنا؛ بل إننا نتصدى لها وجهاً لوجه. وحين نفعل ذلك، يمنحنا الرب القوة لنصمد أمام هذه التحديات العاتية ونتغلب عليها. وفي الختام، يُنجينا الرب ويضمن لنا النصر النهائي.

"ألقِ عبئَكَ على الربِّ"

[المزمور 55]

يضع العالم تدريجياً أعباءً ثقيلةً على قلوبنا. إن الأشياء الوحيدة التي يقدمها لنا العالم هي القلق، والهم، والحزن، والمعاناة. ومع ذلك مرةً تلو—فنحن -كمؤمنين- هم أولئك الذين يشقّون طريقهم في هذا العالم من خلال وضع أعبائهم الثقيلة باستمرار أمام الرب، والعيش في السلام الذي يمنحه هو. ومع ذلك، ولسبب ما، يبدو أننا لسنا بارعين جداً في "الترك" أو "التخلي". في رأيكم—الأخرى، للقس "لي يونغ-غيو"، حيث يقول: "إن الشيطان (Letting Go) *ما هو سبب ذلك؟ لقد وجدتُ الإجابة في كتاب بعنوان *التخلي بأن نتشبث بالأشياء بإحكام". وأنا أتفق مع هذا القول من كل قلبي؛ فعمل—الذي يتصرف كسيد لهذا العالم، يغرينا باستمرار بالتمسك، الشيطان هو أن "يغرينا بالتمسك بإحكام" بلا انقطاع. ومن بين الأشياء التي يحثنا على التشبث بها: "أعباء الماضي"—تلك الجروح، والآلام، والضيق، والقلق، والهموم التي تثقل كاهل قلوبنا بشدة.

غير أن الكتاب المقدس، في رسالة بطرس الأولى 5: 7، يقول لنا: "ألقوا كل همكم عليه، لأنه هو يعتني بكم". يا أصدقاء، إن إلهاً هو، إلهٌ يعتني بنا. ووفقاً للمزمور 139: 17-18، ولأن إلهاً يحبنا، فإن عدد أفكاره الثمينة نحونا يفوق عدد حبات الرمل. ولذلك يجب علينا أن نودع كل همومنا لدى الإله الذي يحبنا ويعتني بنا. وعلاوةً على ذلك، يجب ألا نقلق بشأن الغد؛ والسبب في ذلك هو أن: المزمور 55—الغد سيهتم بنفسه، ولكل يومٍ كفايةً من مشقاته الخاصة (متى 7: 34). وفي النص الكتابي المخصص لهذا اليوم يُعلن صاحب المزمور، داود، قائلاً: "ألقِ على الرب عبئَكَ، وهو يعولك؛ ولن يدع الصديق يتزعزع إلى الأبد". وبالتركيز—22 على هذه الآية اليوم، وتحت العنوان "ألقِ عبئَكَ على الرب"، أرغبُ في أن ننال جميعاً تلك النعمة التي يود الله أن يفيض بها علينا: أولاً: ما هو عبء داود بالتحديد؟ يمكننا النظر إلى هذا الأمر من منظورين

"كان عبء داود هو "القلق (1)

يرجى النظر إلى الجزء الأخير من الآية الثانية في نص اليوم، من المزمور 55: "...أنا مضطرب في شكواي، وأئنّ". هنا، تحمل الكلمة العبرية التي تُرجمت إلى "قلق" معنىً آخر أيضاً وهو "الأجمة" (بحسب بارك يون-سون). وقد اقترح الدكتور بارك يون-

سون أن هذه الكلمة بالتحديد رُجِحَ اختيارها لأن القلق ينبع من حالة ذهنية تتسم بالتشابك والفوضى، تماماً كالأجمة أو الشجيرة الشائكة إذن، ما كان سبب قلق داود؟ انظروا إلى الآية الثالثة: "بسبب صوت العدو، وبسبب ظلم الأشرار؛ لأنهم يجلبون عليّ المتاعب، وفي غضب يضطهدونني". لقد كان داود يعاني ضعفاً في قلبه جراء الظلم والاضطهاد الذي ألحقه به أعداؤه.

ومن المرجح ألا يخلو إنسان من تجربة القلق. فقد قال الأديب الإنجليزي العظيم شكسبير ذات مرة: "القلق هو عدو الحياة". وما دام القلق مستمراً، فلا يسع المرء أن يكون سعيداً ولا أن يجد البهجة. فالقلق يضر بصحة الإنسان، ويقصر من عمره، ويحول بينه وبين تكريس نفسه لمساعٍ جديدة ومبدعة. إن المقياس الحقيقي للسعادة لا يكمن في الثروة، بل في القوة التي يمتلكها المرء للتغلب على المشهور على—القلق. فحياة الفقر التي تُعاش بلا قلق هي أثنى بكثير من حياة الثري الذي يزرح تحت وطأة القلق. وحتى إيسوب قد لاحظ قائلاً: "لقمة خبز تُؤكل في سلام خير من وليمة تُلتهم في قلق" (نقلاً عن الإنترنت)—نطاق واسع بحكاياته الرمزية.

"كان عبء داود هو "كرب القلب الشديد (2).

يرجى النظر إلى النص الكتابي لهذا اليوم، المزمور 55: 4: "قلبي في كربٍ في داخلي؛ وقد هجمت عليّ أهوال الموت". لم يكن داود يعاني ألماً عميقاً في قلبه فحسب جراء ظلم أعدائه واضطهادهم له، بل شعر أيضاً بأن حياته ذاتها باتت في خطر. ولذا، اعترف في الآية الخامسة قائلاً: "قد حلّ بي الخوف والرعدة، واجتاحني الرعب". تمنى داود لو كانت له أجنحة كالحمامة، ليتمكن من التحليق بعيداً في البرية ويجد الراحة (الآية 6). وباختصار، كان العبء الذي يحمله داود ثقيلاً للغاية، لدرجة أنه تاق ببساطة إلى الهروب من ظروفه الراهنة. لقد شهد داود العنف والخصام داخل المدينة؛ وعلاوة على ذلك، عانى من كربٍ عميق في قلبه وهو يرى الشر والدمار والحقد والظلم والمكر (الآيات 10-11). وإلى جانب هذه المتاعب، كان هناك سببٌ آخر لحزن داود العميق، ألا وهو خيانة حينئذٍ كنت أحتمل؛ ولا مبغضاً تعاضم—صديق. يرجى النظر إلى نص اليوم، من المزمور 55: 12-13: "لأنه ليس عدواً يُعيرني

نظيري، ورفيقي، وصديقي الحميم". إن الجرح العميق في قلب داود نبع من الخيانة التي—حينئذٍ كنت أختبئ منه. بل أنت—عليّ شخصٌ كان يسير معي في محضر الله، ويشاركه المشورة الطيبة والرفقة الصادقة (الآية 14)—تعرض لها على يد صديقٍ حميم. هذا الصديق الحميم، الذي كان في سلامٍ مع داود، انقلب عليه ونقض العهد الذي كانا قد أبرمناه (الآية 20). ورغم أن كلماته كانت ألين من الزبد، إلا أن قلبه كان عازماً على الحرب؛ ورغم أن حديثه كان أنعم من الزيت، إلا أنه كان في حقيقته سيفاً مسلواً (الآية 21).

ثانياً: كيف يمكننا أن نلقي بأعبائنا على الله؟

لقد ألقى داود بأعبائه على الله من خلال الصلاة. انظر إلى نص اليوم، من المزمور 55: 1-2: "أصغ يا الله إلى صلاتي؛ ولا تختبئ، عن تضرعي طلباً للرحمة. أمل أذنك إليّ وأجبنني...". لقد أودع داود كل أعبائه الثقيلة لدى الله من خلال الصلاة. وعبر الصلاة، سلّم للرب كل قلقه وما يعترى قلبه من كرب عميق تسببت فيه الظروف الشريرة والآثمة التي وجد نفسه فيها. وبشكل خاص ذلك الألم الذي اعتصر قلبه نتيجة خيانة صديقه الحميم له. لماذا ألقى داود بكل أعبائه الثقيلة—من خلال الصلاة—ألقى على الرب على الرب من خلال الصلاة؟ كان السبب في ذلك هو إيمانه بأن الله وحده هو القادر على خلاصه. تأمل في نص اليوم، من المزمور 55: 16-17: «لقد خصص داود»: 55: 16-17: «لقد خصص داود» ليحبر عن لوعته ويصرخ إلى الله ثلاث مرات في اليوم؛ إذ سكب أمام—في المساء، وفي الصباح، وفي الظهر—أوقاتاً محددة الرب، من خلال الصلاة، كل ما يعتل في قلبه من قلق وضيق شديد وألم. وكان الدافع وراء ذلك هو قناعته الراسخة بأن الرب وحده هو مخلصه.

الصلاة هي تعبير عن الاتكال على الله. وبعبارة أخرى، فإن الذين يتكلون على الله هم الذين يصلّون. لقد عهد المرنم داود — متكلأ على الله — بكل أعبائه الثقيلة، ومخاوفه، وضيقته النفسية الشديدة إليه من خلال الصلاة (في النصف الثاني من الآية 23). وبما أننا نتكل على الله، فيجب علينا نحن أيضاً أن نلقي بكل أعبائنا الثقيلة عليه من خلال الصلاة.

(الآية 1) (إن كان في قلبك همٌّ، فأخبر به الرب يسوع؛)
وحتى حين يكون قلبك حزينا، أخبر به الرب يسوع
(اللازمة) أخبر به الرب يسوع؛
«وبما أنه صديقنا، فلا تفلق بشأن أي شيء، بل أخبر به الرب يسوع

(«كتاب الترانيم الجديد 365، ترنيمه: «إن كان في قلبك همٌّ»)

ثالثاً وأخيراً: ماذا يحدث عندما نلقي بأعبائنا على الله؟

عندما نلقي بكل أعبائنا على الله من خلال الصلاة، فإنه يمنحنا بركتين:

الله يعولنا (يعتني بنا ويسندنا) (1)

تأمل في النصف الأول من الآية 22 في نص اليوم، من المزمور 55: «أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ عِثْكَ وَهُوَ يَعْوَلُكَ...». وفي المزمور 54 اعترف المرنم داود أيضاً قائلاً: «هُوَذَا اللَّهُ مُعِينٌ لِي. السَّيِّدُ هُوَ يَبْنِي عَاضِدِي نَفْسِي». ومن هذين المقطعين، يمكننا أن نرى أنه، 4، وسط التهديدات والأزمات التي كان يواجهها آنذاك، وجد داود طمأنينة في معونة الله من خلال استذكار تجارب سابقة كان الله قد أنقذه فيها من الضيق. وإذ تذكر داود نعمة الله الخلاصية في الماضي، كان واثقاً من أنه إذا ألقى بكل أعبائه الثقيلة على الله، فإن الله سيعوله حقاً (55: 22). فماذا كانت النتيجة؟ يرجى النظر إلى المقطع الكتابي المخصص لليوم، المزمور 55: 18: «هُوَ قَدْ قَذَى نَفْسِي بِسَلَامٍ مِنَ الْقِتَالِ الَّذِي كَانَ عَلَيَّ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا كَثِيرِينَ الَّذِينَ نَازَعُونِي». ونتيجة لذلك، تمتع داود بالسلام الذي يمنحه الله. وكما فعل داود، دعونا نحن أيضاً نعهد بكل أعبائنا الثقيلة إلى الله من خلال الصلاة. وحين نفعل ذلك، فإن الله سيعضدنا، ويمكّننا من اختبار السلام في قلوبنا.

الله لا يسمح لنا بأن نتزعزع. أرجو منكم النظر إلى الجزء الأخير من نص الكتاب المقدس المخصص لهذا اليوم، وتحديدًا (2) مزمور 55: 22: «...لَنْ يَدَعَ الصِّدِّيقَ يَتَزَعَّزَعُ أَبَدًا». عندما نلقي بكل أعبائنا على الله من خلال الصلاة، فإنه يسمع صلواتنا فإن الله—أولئك الذين لا يهابون الله ولا يرتدون عن طرقهم الشريرة—ويعضدنا، ولا يسمح لنا بأن نتزعزع. أما بالنسبة للأشرار سيجازيهم (الآية 19) ويُسقطهم في بئر الهلاك (الآية 23). إن الذين يتوكلون على الله لن يتزعزعا أبدًا. أرجو منكم النظر إلى «مزمور 7: 21: «لَأَنَّ الْمَلِكَ يَتَّكِلُ عَلَى الرَّبِّ، وَبِصَدَقَةِ الْعَلِيِّ لَا يَتَزَعَّزَعُ».

أعتقد أن إحدى الترانيم الأحب إلى قلوبنا هي بلا شك الترنيمة رقم 363، وعنوانها: «ألقي بأعبائي». «عندما أضع كل تجاربي وأعبائي الثقيلة أمام الرب يسوع / ينظر إليّ، وأنا غارق في القلق، ويحمل هو عني كل همومي...». لقد كتب هذه الترنيمة القس إليشا هوفمان. وفي أحد الأيام، جاء مؤمن يواجه تجربة قاسية لزيارة القس هوفمان، وهتف قائلاً: «ماذا عساي أن أفعل؟ وما العمل وأنا غارق إلى هذا الحد في القلق والاضطراب؟». وبعد أن استمع القس هوفمان بصبر إلى شكاوى ذلك المؤمن الصادقة والنابعة من القلب لفترة طويلة، صلى بحرارة طالباً من «رب التعزية» أن يتدخل. وعندما انتهت الصلاة، أشرق وجه المؤمن وهو يردد هذا الاعتراف: «نعم، حقاً! لا ينبغي لي أن أحاول حمل هذا العبء الثقيل بمفردي؛ بل يجب عليّ أن أودعه بين يدي يسوع». وبعد أن غادر المؤمن المكان، انتاب القس هوفمان فجأة إلهامٌ عظيم؛ فأمسك بقلمه وبدأ في نظم ترنيمة يقول فيها: «...عندما أحمل عبناً ثقيلاً ليس سوى يسوع». وهكذا وُلدت الترنيمة—رب النعمة—وحيداً، وأعجز عن الاحتمال فأتعثّر وأسقط / فإن ذاك الذي يرحم ويخلص رقم 363 (المصدر: شبكة الإنترنت).

لقد سمعتُ والدي ذات مرة وهو يترنم بهذه الترنيمة تحديداً بحماسٍ شديد، وذلك حين كان يخدم في حقل التبشير. في ذلك اليوم ترنّم والدي بهذا الترنيم بترديدٍ يفيضُ قناعةً راسخة، وذلك خلال صلاة الفجر—وهو يومٌ أحاطت فيه الصعابُ بالمهمة—تحديداً المبكرة. وفي ذلك اليوم، هيأ الله لوالدي مخرجاً للنجاة؛ كما تيسّر لي أنا أيضاً أن أشقّ طريقي بسلامٍ إلى كوريا، وأن أعود في نهاية

،المطاف سالماً معافى إلى الولايات المتحدة. حقاً، إن إلهنا هو ذاك الذي يحمل عنا كل أعبائنا الثقيلة. فكلما عانينا تحت وطأة القلق أو الهموم، أو الضيق النفسي العميق، وجب علينا أن نضع ثقتنا في الله، وأن نلقي بكل أعبائنا عليه من خلال الصلاة. وحين نفعل ذلك، فإن إلهنا سينقذنا ويخلصنا. وعلاوة على ذلك، فإن الله سيسندنا، ويمنحنا سلامه، ويقوّينا لكي نظلّ ثابتين لا نتزعزع أقدامنا. لذا، دعونا نودع كل أعبائنا الثقيلة بين يدي هذا الإله

!لا تفقدوا العزيمة

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، لَا تَكِلُوا مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ " (٢ تسالونيكي ٣: ١٣)"

وهو هبة من نعمة الله (أفسس ٢: ٨) —وبعد أن صرنا روائع صنع الله، خُلِقنا في المسيح يسوع—بعد أن نلنا الخلاص بالإيمان وحده، لأعمال صالحة (الآية ١٠). ولذلك، يتحتم علينا أن نفعل الخير (مزمور ٣٤: ١٤؛ رومية ١٣: ٣؛ ١ بطرس ٣: ١١). ومع ذلك وبينما نحن نفعل الخير، يجب علينا أن نبتعد عن الشر ونتكل على الله ليهدي خطواتنا وأعمالنا (مزمور ٣٧: ٣، ٢٧). إن الذين يفعلون الخير هم من خاصّة الله (٣ يوحنا ١: ١١). غير أنه تمر بنا أوقات نشعر فيها بالإحباط أو فقدان العزيمة ونحن نمارس أعمال الخير. تُرى، لماذا نفقد العزيمة؟ لقد حددت أربعة أسباب لذلك:

أولاً: إن السبب الذي يجعلنا نشعر بالإحباط ونحن نفعل الخير هو أن المتلقي لإحساننا يفشل في إظهار الامتنان لنا.

فإننا غالباً ما نشعر بالألم أو التجاهل إذا لم—مدّعين أننا نحب شخصاً ما بمحبة المسيح—حتى عندما نخدم، ونعطي، ونفعل الخير يُبذّر ذلك الشخص أي امتنان أو تقدير تجاهنا. ويكمن السبب الجذري لهذا الألم في حقيقة أننا نضمّر توقعات معينة من المتلقي بينما نقوم بأعمالنا الصالحة؛ إذ ينبع هذا الشعور من كون أعمال إحساننا *مشروطة*. ونتيجة لذلك، نصيح مفرطي الحساسية تجاه رد فعل الشخص الآخر؛ فإذا لم يستجب بالطريقة التي توقعناها، شعرنا بالألم، وبدورنا، فقدنا العزيمة.

يقوم—بدلاً من أن يُبدي الامتنان—ثانياً: إن السبب الثاني الذي يجعلنا نشعر بالإحباط ونحن نفعل الخير هو أن المتلقي لإحساننا بانتقادنا وإدانتنا.

وبطبيعة الحال، قد لا يُعرب المتلقي عن انتقاده أو إدانته لنا بشكل مباشر ووجهاً لوجه. ولكن، إذا أطلق تلك الأصوات الناقدة أو فمن السهل جداً أن—ووصلت تلك الكلمات في نهاية المطاف إلى مسامعنا عبر طرف ثالث—الملاحظات المُدنية أمام شخص آخر نشعر بإحباط عميق. وعلاوة على ذلك، فمن الطبيعي تماماً أن يتبادر إلى أذهاننا هذا التساؤل: "لماذا أستمّر في فعل الخير وأنا أتحمل كل هذا الانتقاد؟". وأنا أعتقد أنه، بالاعتماد على القوة البشرية وحدها، يستحيل الاستمرار في إظهار الإحسان لشخص يقابل

إحساننا بالشر. ثالثاً، إن السبب الذي يجعلنا نصاب بالإحباط أثناء فعل الخير هو فشلنا في رؤية أي تغيير يطرأ على الشخص الذي يتلقى إحساننا.

إلا أننا قد نصاب بسهولة بخيبة أمل عندما لا نرى أي—والتي يحفزها حب المسيح—فعلى الرغم من جهودنا المخلصة لفعل الخير تحول ظاهر في حياة الشخص الذي يتلقى إحساننا. وقد ينتابنا شعور باليأس يشبه إلى حد كبير شعور المزارع الذي، بعد أن يزرع البذور ويجتهد في تزويدها بالسماد والماء، ينتظر الحصاد ليجد في النهاية أنه لم يظهر أي ثمر. وعلاوة على ذلك، وبصفتنا مزارعين روحيين، حتى بعد زرع البذور الصالحة والسعي لسقايتها بدموع الصلاة وتغذيتها بسماد كلمة الله، قد نصاب بإحباط. يثمر ثمر الخطية—بدلاً من أن يثمر ثمراً صالحاً—عميق عندما نرى أن المتلقي

"رابعاً، إن السبب الذي يجعلنا نصاب بالإحباط أثناء فعل الخير يعود إلى "أنفسنا

في رأيي الشخصي، فإن "أنا نفسي" هي السبب الرئيسي للإحباط الذي يصيبنا أثناء القيام بأعمال الخير. وبغض النظر عما إذا كان فإن—وسواء انتقدنا أو أداننا، وسواء بدت حياته خالية من الثمر أو بدت تثمر ثمر الخطية—الشخص الآخر يعبر عن امتنانه أم لا، واجبنا الوحيد هو طاعة أمر الله بفعل الخير دون شروط، بعد أن نكون قد تنوقنا بأنفسنا صلاح الرب (مزمور 34: 8). ومع ذلك، وبشكل كافٍ. ونتيجة لذلك—فإن السبب الذي يجعلنا غالباً ما نفشل في القيام بذلك هو أننا نحن أنفسنا لا نتنوق صلاح الله باستمرار ذلك العمل الذي به يجعل كل—نصاب بالإحباط لسبب أو لآخر. وعلى وجه الخصوص، عندما نفشل في اختبار عمل الله شخصياً فإننا لن نفشل فحسب في فعل الخير للآخرين، بل سنجد أنفسنا—الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبونه والذين دُعوا حسب قصده عاجزين تماماً عن القيام بذلك. وعندما يحدث ذلك، قد ننظر إلى أنفسنا، فلا نصاب بالإحباط فحسب، بل قد نقع حتى في فخ اليأس.

يجب علينا أن نفعل الخير. وبينما نفعل الخير، يجب ألا يخور عزمنا أو تضعف قلوبنا. والسبب في ذلك هو أن تعبنا في الرب ليس باطلاً (1 كورنثوس 15: 58). أصلي أن نسعى أنا وأنتم، اليوم وغداً، لفعل الخير معتمدين في ذلك كلياً على الله

دعونا لا نقلق بشأن الغد

[متى 6: 25-34]

هل تعلم ما الذي سيحدث غداً؟ يمكننا العثور على الإجابة عن هذا السؤال في رسالة يعقوب 4: 13-15: «هَلُمَّ الآن أيها القائلون إننا اليوم أو غداً سنذهب إلى المدينة الفلانية، ونقضي هناك سنة، ونتاجر ونربح»؛ وأنتم لا تعلمون ما سيحدث غداً. ما هي حياتكم؟ فإنكم ضباب يظهر لبرهة يسيرة ثم يضمحل. بل الأجدر بكم أن تقولوا: "إن شاء الرب، سنحيا ونفعل هذا أو ذاك". من الواضح أن الكتاب المقدس يخبرنا بأننا لا نعلم ما يخبئه لنا الغد. ولذلك، تنص الأمثال 27: 1 على ما يلي: «لا تفتخر بالغد، لأنك لا تعلم ما قد ليس غداً فحسب، بل حتى خلال مجريات هذا اليوم ذاته. ولهذا السبب—يحمله لك اليوم». يا أصدقاء، نحن لا نعلم ما سيحدث

متى 6: 34—نجد أن يسوع يقول لنا: «لا—يرشدنا الكتاب المقدس ألا نفتخر بالغد. وعلاوة على ذلك، إذا نظرنا إلى فقرة اليوم متى 6: 25—تقلقوا بشأن الغد». ومع ذلك، ورغم هذا القول، ألا نجد أنفسنا في كثير من الأحيان قلقين بشأن الغد؟ في نص اليوم ينصحنا يسوع مراراً وتكراراً قائلاً: «لا تقلقوا». وتحديدًا، في الآية 34، يقول يسوع: «لذلك لا تقلقوا بشأن الغد، لأن الغد—34 سيقلق بشأن نفسه؛ فكل يوم تكفيه متاعبه الخاصة». وإذ نركز أفكارنا على هذه الفقرة اليوم، وتحت عنوان «دعونا لا نقلق بشأن الغد»، دعونا نتأمل في ثلاث نقاط رئيسية لكي نستوعب الدروس التي يقدمها لنا الله. أولاً: ما هو الشيء الذي ينبغي ألا نقلق بشأنه؟

متى 6: 34—يخبرنا الكتاب المقدس بأنه لا ينبغي لنا أن نقلق بشأن الغد. ولكن ما الذي يعنيه يسوع بالتحديد—بالنظر إلى نص اليوم هنا عندما يقول لنا: «لا تقلقوا بشأن الغد»؟ أرجو منكم النظر إلى الآيتين 25 و 31 من نص اليوم: "إِذْكَ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَهْتَمُّوا بِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلَا لِأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟... فَلَا تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ: مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ: مَاذَا نَلْبَسُ؟". عندما يقول يسوع: "لَا تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ"، فإنه يطلب منا ألا نكون قلقين أو مضطربين بشأن ما سنأكله أو نشربه أو نرتديه في الأيام القادمة (لوقا 12: 29). وبعبارة أخرى، يخبرنا يسوع ألا نقلق بشأن ضروريات حياتنا—اليومية. ويذكر يسوع أن مثل هذه المخاوف هي "الأمور التي تطلبها أُمَمُ الْعَالَمِ" (الآية 32). أي أن يسوع يشير إلى أن أهل العالم يقلقون بشأن الطعام والشراب والملبس اللازمة لوجودهم اليومي، ولذلك يقضون حياتهم ساعين—أولئك الذين يفتقرون إلى الإيمان

حياتنا تماماً مثل أهل العالم هؤلاء الذين—الذين ندعي امتلاك الإيمان—وراء هذه الأشياء. وهنا أتساءل: هل يا ترى نعيش أنا وأنتم يفتقرون إلى الإيمان، فنقلق بشأن هذه الأشياء ذاتها ونسعى وراءها؟

إن العالم الذي نعيش فيه هو، في الواقع، عالمٌ يزخر بالكثير من الأمور التي تسبب لنا القلق والاضطراب. وكما صرّح الرسول بولس —في رسالته الأولى إلى كورنثوس (7: 32-33)، فلا يسع المرء إلا أن يتفق مع ملاحظته القائلة: إن الأعزب يهتم بأمور الرب حتى ونحن ندعي—كيف يرضي زوجته. ويبدو أنه في كثير من الأحيان—بينما يهتم المتزوج بأمور العالم—كيف يرضي الرب نجد أنفسنا قلقين ومضطربين بسبب أمور كثيرة، تماماً مثل مرثا في إنجيل لوقا (10: 41). وهذا—أننا منخرطون في عمل الرب الأمر يستحضر إلى الأذهان كلمات المقطع الأول من الترنيمة رقم 486 في "كتاب الترانيم الجديد": "كثيرة هي المتاعب في هذا العالم، ولم أكن لأعرف سلاماً حقيقياً؛ ولكن بما أن ربي يسوع يدعوني لأقبل إليه، فسأجد الراحة والسلام قريباً". إذن، ماذا ينبغي أن نفعل ونحن نعيش في عالمٍ يكتنفه مثل هذه المتاعب؟ تحثنا الآية في إنجيل لوقا 21: 34 على أن نكون حذرين—أنا وأنت—علينا ويقظين. وعمّ تحذّرنا تحديداً؟ إنها تدعونا إلى أن ننتبه لأنفسنا، لنلا نتقل قلوبنا بالخلاعة والسكر وهموم الحياة اليومية. فحين نرزح وعجزاً منا عن—تحت وطأة هموم الحياة اليومية، تغدو قلوبنا بليدة؛ وحين تتبدّل قلوبنا، نفقد حتماً حساسيتنا الروحية. ونتيجةً لذلك لا يبقى أمامنا خيارٌ سوى أن نعيش وفقاً لأفكار الجسد، بدلاً من اتباع قيادة الروح. وفي مثّل—تميّز إرشاد الله الروح القدس والوارد في إنجيل متى 13: 22—يشرح الرب أن كلمة الله تتعرض للاختناق بفعل "هموم هذا العالم—الزراع الذي ضربه يسوع لا سيما عند—وغرور الغنى"، مما يحول دون إثمارها. أليست هذه هي الحقيقة والواقع فعلاً؟ فحين تحاصرنا هموم الحياة اليومية نصبح أكثر عرضةً بكثيرٍ لفتنة الغنى وجاذبيته. وإذا ما سمحنا لأنفسنا بأن نقع في فخ هموم الحياة—مواجهة الضغوط المالية و غرور الغنى، فمهما اجتهدنا في قراءة الكتاب المقدس ودراسته، ومهما أكثرنا من الاستماع إلى كلمة الله، فإنها ستقع ببساطة على أذان صماء. ونتيجةً لذلك، سيحتم علينا الأمر أن نحيا حياة إيمانية لا تثمر شيئاً. وعليه، وكما أوصانا يسوع، يجب ألا نقلق بشأن الغد.

ثانياً: لماذا ينبغي ألا نقلق بشأن الغد؟

متى 6: 24-34—يقدم لنا يسوع ثلاثة أسباب—في فقرة اليوم من الإنجيل

السبب الأول هو أن الحياة ذاتها أهم من الطعام أو الكساء (1)

تأملوا في فقرة اليوم، وتحديدًا في إنجيل متى 6: 25: "اذلك أقول لكم: لا تهتموا لحياتكم ماذا تأكلون أو ماذا تشربون، ولا لأجسادكم ماذا تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام، والجسد أفضل من الكساء؟". فمن منظورٍ تقليديٍّ وعاديٍّ، يبدو القلق بشأن ما سنأكله أمراً طبيعياً تماماً. ويكمن السبب في ذلك في أن البشر يمتلكون رغبة عميقة—حرصاً على حياتنا وسلامتها—أو نشربه أو نرتديه. وصادقة في البقاء على قيد الحياة. ومع ذلك، وبصفتنا أهل إيمان، يتحتم علينا أن نفكر بمنظورٍ كتابيٍّ، لا بمجرد تفكيرٍ تقليديٍّ فحسب. إن التفكير بمنظورٍ كتابيٍّ يعني إدراكنا أننا لسنا بحاجةٍ إلى القلق بشأن طعامنا أو شرابنا أو كسائنا اللازم لحياتنا؛ لأن أبانا السماوي —لا يكتفي بمعرفة حاجتنا إلى كل هذه الأمور فحسب، بل إنه —وقد منحنا بالفعل حياةً جديدةً (الحياة الأبدية) في المسيح يسوع سيقوم بالتأكيد، بصفته أبانا الذي في السماوات، بتدبير احتياجاتنا اليومية والمعيشية أيضاً. وأعتقد أن هذا هو المعنى الجوهرى بلغ حب الله حداً جعله يقدم —الكامن وراء قول يسوع بأن الحياة أهم من الطعام أو الكساء. فمن أجل خلاصك —وخلاصي أنا أيضاً— ابنه الوحيد، يسوع، ذبيحةً على الصليب. ألا يقوم الله —الذي أحبنا حباً عميقاً لدرجة أنه لم يشفق حتى على ابنه الوحيد، بل بذله من بأن "يهبنا أيضاً معه كل شيء بنعمته" (رومية 8: 32)؟ ألا يقوم الله الأب بتدبير خبزنا اليومي الذي نحتاج إليه؟ ألا يقوم —أجلنا بتدبير كسائنا أيضاً؟ إن الله الأب، الذي منحنا الحياة الأبدية، يعلم تماماً —الله الأب— الذي أحبنا حباً كافياً لدرجة أنه بذل ابنه الوحيد ما نحتاج إليه؛ بل إن تدبير احتياجاتنا لا يشكل أي عناء له على الإطلاق.

السبب الثاني هو أن أبانا السماوي يعلم أننا في حاجة إلى كل هذه الأمور (2).

تأمل في نص اليوم، من إنجيل متى 6: 32: "لأنَّ الأُمَمَ يَطْلُبُونَ هَذِهِ كُلَّهَا، وَأَبْوَكُمُ السَّمَاوِيُّ يَعْلمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا". وإذا بصفته الخالق الذي أوجدنا (الآية 14)—هو إله يعرفنا حق—نظرنا إلى المزمور 139 في الكتاب المقدس، فإنه يخبرنا بأن إلهنا المعرفة (الآية 1). وهو يعرفنا معرفةً حميمة؛ فالإله الذي خلقنا يعلم متى نجلس ومتى نقوم، وهو يدرك أفكارنا من بعيد (الآية 2). وعلاوة على ذلك، يذكر الكتاب المقدس أن الله خبيرٌ تماماً بكل طرفنا، وأنه ما من كلمةٍ على ألسنتنا إلا وهو عالمٌ بها (الآيتان 3-4). لديه أفكارٌ نحونا تفوق عدداً حبات الرمل (الآيتان)—الذي يعرفنا أفضل من أي أحدٍ آخر—والحقيقة المذهلة هي أن هذا الإله عينه لماذا لدى الله كل هذا الكم من الأفكار المتعلقة بنا؟ السبب هو أن الإله الذي يعرفنا أفضل المعرفة هو أيضاً الإله الذي يحبنا. (17-18) غافلاً عن الأمور التي—الذي يعرفنا جيداً إلى هذا الحد ويحبنا حباً عميقاً كهذا—أشد الحب. فهل يعقل أن يكون أبونا السماوي نحتاج إليها في حياتنا اليومية؟ بل، هل يُعقل أن يكون أبونا السماوي غير مدركٍ للطعام أو الشراب أو الكساء الذي أحتاج إليه أنا وأنت؟

تأمل في نص اليوم، من إنجيل متى 6: 34: "فَلَا تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ، لِأَنَّ الْغَدَ يَهْتَئِمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي الْيَوْمُ شَرْهُ". وبينما كنت أتأمل في هذا المقطع، تذكرت ترنيمة الإنجيل التي تقول: "لا أدري ما يخبئه الغد". تقول كلمات المقطع الأول من تلك الأغنية: "لا أدري ما يخبئه الغد؛ إنني أعيش حياتي يوماً بيوم. فليس سوء الطالع ولا حسن الطالع تحت سيطرتي. ورغم أنني أسير في هذا الدرب الوعر إلا أنه يبدو بلا نهاية، وقد نال مني التعب. يا رب يسوع، مُدِّ ذراعك وأمسك بيدي. لا أدري ما يخبئه الغد؛ ولا أعلم ما يحمله المستقبل من تأليف الراحلة السيدة "آن-بي-سوك"، وهي التي صاغت كلمات هذا الترنيمة الإنجيلي. ومع ذلك، وبينما كنت أتأمل (Jud-eumyeon Jud-eorira) *يا أبي، ساندني وامنحني درباً ميسراً". شخصياً، أذكر أنني قرأت كتاباً بعنوان *إن هلكْتُ، فهلكت من تأليف الراحلة السيدة "آن-بي-سوك"، وهي التي صاغت كلمات هذا الترنيمة الإنجيلي. ومع ذلك، وبينما كنت أتأمل (eorira)، في هذا النص مؤخراً، علمت قصة عنها لم أكن أعرفها من قبل قط. تكشف القصة أنها كانت مُقررّاً لها أن تُعدم في صباح يوم 18 أغسطس 1945. وقد بدأت الأحداث التي أفضت إلى هذا المصير عندما ذهب الشيخ "بارك كوان-جون" وابنه إلى مبنى البرلمان الياباني؛ وهناك، وبينما كانا يهتفان: "هذه وصية عظيمة من يهوه الإله!"، ألقيا بإنذار مكتوب يُعلن أن اليابان "ستقنى في نار الكبريت وعندما سارع ثلاثة حراس للقبض على الشيخ وابنه في الحال واقتادوهما بعيداً، التفت ضابط أمن نحو السيدة "آن" —التي كانت وسألها: "هل أنت واحدة منهم؟". ودون أدنى تردد، أجابت: "نعم". ونتيجة لذلك، ألقي القبض عليها وخضعت —تقف بالقرب منهم للاستجواب؛ مما أدى إلى نقلها إلى سجن "بيونغ يانغ"، حيث قضت ست سنوات في الأسر قبل أن يُحدد موعد إعدامها أخيراً في 18 أغسطس 1945. ثم —صباح يوم 18 أغسطس 1945. غير أنه في يوم 15 أغسطس 1945 —عقب القصف الذري الأمريكي، أُفرج عن السيدة "آن" من السجن، بينما كانت الأمة تحتفل —وفي يوم 17 أغسطس —قبل يوم واحد فقط من موعد إعدامها المقرر بتحريرها (المصدر: الإنترنت). أليس هذا أمراً مذهلاً؟ أليس من العجيب حقاً أن الله —الذي كان يرعى السيدة "آن"، تلك التي عقدت العزم في قلبها قائلة: "إن هلكْتُ، فهلكت"— قد أنقذها بشكلٍ درامي من الموت قبل يوم واحد فقط من موعد إعدامها المقرر؟ بعد أن اختبرت هذا الخلاص العجيب على يد الله، ترنمت الفقيدة السيدة "آن" قائلة: "لا أدري ما يخبئه الغد؛ لذا أعيش يومي ببومه. فليس بيدي أن أتحكم في الشقاء أو السعادة. ورغم أنني أسير في هذا الدرب الوعر بلا نهاية، إلا أنني أشعر بالإعياء. يا رب يسوع، مُدِّ ذراعك وأمسك بيدي". ونحن أيضاً نسير في هذا الدرب الوعر الذي سار فيه الرب نفسه ذات يوم. فهناك أوقات يبدو فيها هذا الدرب بلا نهاية، وأوقات نشعر فيها بالتعب والإنهاك. ومع ذلك، وكما علّمنا يسوع، فإن همّ اليوم يكفيه؛ ولذلك، لا ينبغي لنا أن نقلق بشأن الغد. بل في الواقع، حتى لو واجهنا حكم الإعدام غداً، فينبغي لنا —على غرار الفقيدة السيدة "آن-بي-سوك"— أن نعقد العزم قائلين: "إن هلكْتُ، فليكن الهلاك"، وأن نُسلم كل أمور الغد للرب، ونمتنع عن القلق بشأن ما ينتظرنا في المستقبل. إن همّ اليوم يكفيه"

181

وفي سياق حثنا على عدم القلق، قدّم يسوع مثالين: الأول هو "طيور السماء" (الآيتان 26-27)، والثاني هو "زنايق الحقل" (الآيات دعونا نتأمل في المثال الأول. انظروا إلى نصنا لهذا اليوم — من إنجيل متى 6: 26-27 — حيث يقول: "انظروا إلى (28-30) طيور السماء: إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يوفئها. ألسنتم أنتم بالحري أفضل منها؟ ومن يتبادر إلى أذهاننا — منكم إذا اهتمم يقدّر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة؟". وبينما نتأمل في هذا المثال الأول — أي طيور السماء هذا السؤال: هل تستطيع الطيور القيام بالمهام التي نؤديها نحن البشر؛ من زراعة وحصاد وتخزين للمحاصيل في المخازن؟ وهل بمقدور الطيور أن تمارس الزراعة كما نفعل نحن البشر؟ بطبيعة الحال، أليست الإجابة هي "لا" مدوية؟ فإذا كان أبونا السماوي أفلا يقوم هو بالتأكيد بإطعامنا ورعايتنا نحن، الذين نحن — يعتني حتى بالطيور — وهي مخلوقات عاجزة عن ممارسة الزراعة أعلى وأثمن منها بكثير، وقد خلقنا على صورة الله ذاتها؟ علاوة على ذلك، ثمة نقطة أخرى يجب علينا وضعها في الحسبان، وهي ما سألّه يسوع في الآية 27: "ومن منكم، بقلقه، يستطيع أن يضيف إلى قامته ذراعاً واحدة؟". وفي حين أننا عادةً ما نفسر كلمة "القامة" هنا على أنها تشير إلى البنية الجسدية، إلا أن فحص النص اليوناني الأصلي يكشف عن إمكانية تفسيرها أيضاً بمعنى "طول العمر" (بحسب سوانسون). ورغم أنني كنت أفهم كلمة "القامة" سابقاً في سياق البنية الجسدية بالدرجة الأولى، إلا أنني أعتقد الآن أن تفسيرها بمعنى "طول العمر" هو تفسير وجيه بالقدر ذاته. ويكمن السبب في ذلك في النصف الثاني من الآية 15 ضمن نص اليوم، حيث يقول يسوع: "أليست الحياة أهم من الطعام...؟". وبناءً على هذا، أعتقد أن يسوع يريد أن يوصل إلينا فكرة مفادها أننا، ولو لساعة واحدة أو ليوم واحد. وعليه — من خلال القلق، نعجز ليس فقط عن زيادة بنيتنا الجسدية، بل وعن إطالة أمد حياتنا أيضاً". الإنجيلية لهذا المقطع على النحو التالي: "ومن منكم، بقلقه، يستطيع أن يضيف ساعة واحدة إلى حياته؟ NIV فقد جاءت ترجمة فهل بمقدورنا حقاً إطالة أعمارنا ولو لساعة واحدة من خلال القلق؟ بل على العكس من ذلك، ألا يُعد القلق في الواقع أمراً ضاراً بصحتنا؟ والآن، تأملوا في المثال الثاني الذي ساقه يسوع: زنايق الحقل وكيفية نموها. فكما يلاحظ يسوع في الآية 28 من نص اليوم كي تنمو؟ ومع ذلك، يعلن يسوع أن — أي هل تتخبط في عناء سحب الخيوط وحياسة الأقمشة — هل تكذب زنايق الحقل أو تغزل التي توجد اليوم — زنايق الحقل تكتسي بجمال وروعة تفوق بكثير حتى روعة سليمان في كل مجده. وإذا كان الله يكسو هذه الزنايق بمثل هذا الجمال، فكم بالحري سيكسو ويعتني بي وبكم، نحن الذين نلنا حياة جديدة من خلال موت يسوع — وقد تلقى في التنور غداً الثمين على الصليب؟ وإلى أولئك الذين يقلقون بشأن ما سيأكلونه أو ما سيرتدونه، يوجه يسوع هذه الكلمات في الجزء الأخير من الآية 30 من نص اليوم: "يا قليلي الإيمان". وكما أرشدنا يسوع، يجب علينا أن ننظر إلى طيور السماء (الآية 26)، ويجب علينا أن ألا وهو دم يسوع — نتأمل في كيفية نمو زنايق الحقل (الآية 28). نحن أعظم قيمةً منهم بكثير؛ فنحن أولئك الذين اشتروا بثمنٍ غالٍ نفسه. ولذلك، تُعلن الكتب المقدسة أن الله ينظر إلينا باعتبارنا أعرافاً ومكرمين (إشعياء 43: 4). وإذا كان الله يُطعم طيور السماء ويُلبيس زنايق الحقل، فمن المؤكد أنه سيُطعمنا ويُلبّسنا نحن أيضاً. وهكذا، وكما علّم يسوع، كلما وجدنا أنفسنا قلقين بشأن الغد، ينبغي علينا أن نتأمل في طيور السماء وزنايق الحقل ونتفكر فيها؛ فبذلك سنتمكن من طرح همومنا وقلقنا جانباً بخصوص الأيام القادمة.

علاوة على ذلك، لكي نتجنب القلق بشأن الغد، يجب علينا أولاً أن نطلب ملكوت الله وبرّه. وبعبارة أخرى، بدلاً من القلق — شأننا شأن أولئك الذين يفتقدون إلى الإيمان — حول ما سنأكله أو نشربه أو نرتديه، والسعي الحثيث وراء هذه الأمور، يجب علينا أن نمُنح الأولوية لطلب ملكوت الله وبرّه. فإذا كانت أولويتنا الأساسية — لي ولك — تنحصر مجرد في تلبية احتياجاتنا المعيشية الضرورية من طعام وشراب وملبس، فإننا سنقضي حياتنا بأسرها نعيش في دوامة من القلق حتى يحين يوم وفاتنا. أما إذا كانت أولويتنا هي ملكوت الله وبرّه، فسوف نختبر بأنفسنا كيف يتولى الله العناية بجميع احتياجاتنا اليومية وتوفيرها لنا. وبالفعل، ففي المقطع الكتابي المخصص لهذا اليوم — إنجيل متى 6: 33 — يصرح يسوع بوضوح قائلاً: "بَلِ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تُزَادُ لَكُمْ". وإنني لأصلي لكي نأخذ أنا وأنت كلمات يسوع هذه مأخذ الجد، ونجعل من طلب ملكوت الله وبرّه أولويتنا القصوى. وبينما نصلي بإيمان — مقتدين بتلك الصلاة التي علمنا إياها يسوع بنفسه — قائلين: "أَعْطِنَا الْيَوْمَ خُبْرَنَا كَفَافًا" (الآية دعونا جميعاً نجعل من طلب ملكوت الله والعيش وفقاً لمشيئته أولى أولوياتنا (بارك يون-سون). وحينما نفعل ذلك، سيتكفل الله، (11) حتماً بتوفير احتياجاتنا اليومية الضرورية — بما في ذلك طعامنا وشرابنا وملبسنا. وأصلي لكي ننال أنا وأنت بركة اختبار هذه النعمة الإلهية.

وفي رسالة بطرس الأولى 5: 7، يخاطبنا الله اليوم قائلاً: "أَلْقُوا كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ هُوَ يَعْثَبِي بِكُمْ". وعلاوة على ذلك، ففي رسالة فيلبي 4: 6-7، يرشدنا الله قائلاً: "لَا تَقْلُقُوا مِنْ جِهَةِ أَيِّ شَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلَاةِ وَالِدُعَاءِ، مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْزَفَ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللَّهِ. وَسَلَامُ اللَّهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلِ، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ". فما هو إذن مغزى هذه الكلمات؟ إن الله يوصينا ألا نقلق. وعليه، يجب علينا ألا نقلق بشأن الغد. ولا ينبغي لنا أن نضطرب أو نقلق بشأن ما سنأكله، أو ما سنشربه، أو ما سنرتديه في الغد. فأبونا السماوي يعلم حق المعرفة أننا في حاجة ماسة إلى كل هذه الأمور. إن الله — الذي لم يشفق حتى على ابنه الوحيد، يسوع، سيزودنا بالتأكيد بكل هذه الأمور أيضاً. ولذلك — بل بذله على الصليب ليمنحنا الخلاص والحياة الأبدية، وهما أعظم احتياجاتنا، أصلي لكي نكون جميعاً أناساً يطلبون أولاً ملكوت الله، ويعيشون كل يوم وفقاً لمشيئته.

سُيِّعِنَا اللَّهُ حَتْمًا

مَعَهُ ذِرَاعُ بَشَرٍ، وَأَمَّا مَعَنَا فَالرَّبُّ إِلَهُنَا لِيُعِينَنَا وَيَحَارِبَ حُرُوبَنَا». وَاسْتَدَّ الشَّعْبُ عَلَى كَلَامِ حَزَقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا»
(أخبار الأيام الثاني 32: 8).

هل نؤمن حقاً وإيماناً راسخاً بمعونة الله؟ إن كان الأمر كذلك، فيجب علينا أن نقطع كل الروابط بأي شيء آخر غير الله نعتمد عليه. وإذا عجزنا عن قطع تلك الروابط، فهذا يعني أننا لا نضع ثقتنا الكاملة في مساعدة الله. ويجب ألا نخدع أنفسنا

لقد فعل حزقيا ملك يهوذا ما هو مستقيم في عيني الرب، تماماً كما فعل سلفه داود في جميع أعماله (أخبار الأيام الثاني 29: 2). فقد أصدر تعليماته للكهنة واللاويين بأن يقدسوا أنفسهم ويظهروا هيكل الله، مزيلين بذلك كل النجاسات من الحرم (الآيات 5، 15-17)، وبعد أن طهر الأرض من جميع الأصنام والخطايا المدنسة والمكروهة (31: 1)، عيّن الكهنة واللاويين للخدمة في ديار الرب ولتقديم الشكر وترتيل التسابيح (الآية 2)، كما أوصاهم بأن يلتزموا بحدّ بشريعة الله (الآية 4). وباختصار، أجرى الملك حزقيا سواء كان في خدمة هيكل—إصلاحاً دينياً؛ فقد فعل ما هو صالح ومستقيم وأمين في عيني الرب (الآية 20). وفي كل عمل شرع فيه طلب إليه بكل قلبه، فأفّح (الآية 21). ومع ذلك، وبعد كل أعمال الأمانة هذه—الله، أو في طاعة الشريعة، أو في حفظ الوصايا حلت بحزقيا أزمة. وكانت تلك الأزمة تتمثل في غزو سنحاريب، ملك آشور، لأرض يهوذا، إذ جاء عازماً على احتلال، (1: 32) —مرتكباً خطيئة عبادة الأصنام—الأرض والاستيلاء عليها (الآية 1). ألا يبدو هذا غريباً بعض الشيء؟ فلو كان حزقيا غير أمين لله لربما استطعنا أن نفهم سبب حلول أزمة كهذه به؛ إذ كنا سنفسرها على أنها أزمة ناتجة عن تأديب الله المحب، وعاقبة لخطاياهم وتجاوزاته ضد الرب. ومع ذلك، يذكر الكتاب المقدس بوضوح أن حزقيا واجه هذه الأزمة *على الرغم* من أنه سلك باستقامة في عيني الله، ونقّذ بإخلاص إصلاحات دينية. فلماذا إذن واجه أزمة كهذه؟ ألا يشير هذا تساؤلات في أذهانكم؟ أحد الأسباب هو أن الله من أن يضع ثقته الكاملة واعتماده—الذي كان يسلك بالفعل باستقامة وإخلاص في عينيهِ—أراد استخدام هذه الأزمة لتمكين حزقيا، المطلق على معونة الله، مما أتاح له أن يشهد مجد الله. وبالفعل، وضع الملك حزقيا ثقته المطلقة في مساعدة الله. ونتيجة لذلك استجمع شجاعته وأصلح جميع الأجزاء المتهدمة من المدينة، وبنى سوراً خارجياً، وحصّن "المَلُو" في مدينة داود، وصنع وفرة من الأسلحة والدروع (الآية 5). علاوة على ذلك، عيّن قادة عسكريين لقيادة الشعب؛ ثم جمعهم كلهم معاً، وقدم لهم كلمات تشجيع قائلاً: "تشددوا وتشجعوا. لا تخافوا ولا ترتاعوا بسبب ملك آشور والجيش العظيم الذي معه، لأن معنا قوة أعظم مما معه. معه ذراع

بشرية فقط، أما معنا فالرب إلهنا ليعيننا ويحارب حروبنا". فاستمد الشعب العزيمة من كلمات حزقيا، ملك يهوذا (الآيتان 7-8). ومع ذلك، لم يعتبر حزقيا عن إيمانه بمعونة الله بالكلمات وحدها. ومن الحقائق اللافتة للنظر أنه عندما جاء الملك سنحاريب الآشوري لمهاجمة أورشليم، تشاور حزقيا مع مسؤوليه ومحاربيه، وشرع في سد (قطع) جميع مصادر المياه خارج المدينة (الآية 3). ومن منظور المنطق السليم، قد يبدو هذا بمثابة عمل انتحاري. والسبب هو أنه بقطع جميع مصادر المياه الخارجية، لن يُحرم ملوك آشور وجنودهم المجتمعون لمهاجمة شعب يهوذا من الماء فحسب (الآية 4)، بل سيترك حزقيا وشعب يهوذا داخل المدينة أيضاً بلا ماء للشرب. فلماذا اتخذ الملك حزقيا مثل هذا الإجراء؟ وما الذي دفعه إلى الزج بنفسه في وضع أزمة يصبح فيه الموت عطشاً احتمالاً حقيقياً للغاية (الآية 11)؟ يكمن الجواب في حقيقة أن الملك حزقيا قد وضع ثقته المطلقة في عون الله. فقد آمن إيماناً راسخاً بأن الله بأن الله سيأتي—سيأتي حتماً لنجدته ويخلص شعب يهوذا (الآية 8). فهل نمتلك أنا وأنت، في حقيقة الأمر، ذلك اليقين الراسخ ذاته بالتأكيد لنجدتنا؟

خلال صلاة الفجر لهذا الصباح، وبعد إعلان هذه الرسالة، قضيت وقتاً في الصلاة، متخذاً من كلمة الله مرأةً أفحص بها قلبي. وبينما كنت أفعل ذلك، تبادر إلى ذهني وعدان محدودان كان الله قد قطعهما لي سابقاً (يوحنا 6: 1-15 ومتى 16: 18). وحينئذٍ، وبينما كنت أثبت نظري على الصليب، تاق قلبي بصدقٍ وشوقٍ إلى العون الإلهي من الله. فتضرعتُ إلى الله أن يتدخل ويقوم هو بنفسه ببناء تلك التي هي جسد الرب عينه، وكنيسته الخاصة، والكنيسة—(Victory Presbyterian Church) "كنيسة النصر المشيخية" التي وعد هو بنفسه بتأسيسها (متى 16: 18). وبينما كنت أصلي، خطرت ببالي فكرة: فكما تشاور حزقيا، ومعه مسؤولو يهوذا "ومحاربوها، ليتخذوا القرار الجريء بحجب (أو قطع) مصادر المياه الواقعة خارج المدينة، ألا ينبغي لقادة "كنيسة النصر المشيخية"، أن يتشاوروا معي لاتخاذ خطوة شجاعة وحاسمة مماثلة؟ لقد أدركتُ أنه إن كانت هناك أمور نعتمد عليها أكثر من اعتمادنا على الله فإنه يرغب بالتأكيد أن نُبدى نحن أيضاً ذلك العزم الراسخ الذي أظهره حزقيا ومسؤولو يهوذا ومحاربوها الأشداء. إذ يتحتم علينا أن نقطع كل صلة بأي شيء نعتمد عليه سواه. فإن عجزنا عن قطع تلك الروابط، كان ذلك دليلاً على أننا لا نضع ثقتنا الكاملة في عون فحينئذٍ يجب علينا أن نقطع (أو—بأن الله سيأتي بلا شك لنجدتنا—الله. أما إن كنا نمتلك الإيمان واليقين ذاتهما اللذين امتلكهما حزقيا نحجب) مصادر المياه تلك، حتى وإن كان في ذلك احتمال لأن نصاب نحن أنفسنا بالعطش. فلن يتسنى لنا الحصول على العون إلا حين نقطع تلك الروابط—خالق السماء والأرض—الحقيقي من الله.

مَنْ أَيْنَ يَأْتِي عَوْنِي؟—أَرْفَعُ عَيْنَيَّ إِلَى الْجِبَالِ"

عَوْنِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، صَانِعِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. " (المزمور 121: 1)

الله، الذي يعزينا حين يكتنفنا الإحباط

لَكِنَّ اللَّهَ، الَّذِي يُعَزِّي الْمُتَضَعِينَ، عَزَّانَا بِمَجِيءِ تَيْطُسَ» (٢ كورنثوس ٧: ٦)«

نحن نعيش في عالم يكتنظ بالكثير من الأمور التي تبعث على الإحباط. فبينما قد يقدم لنا النظر إلى حال الأمة التي نعيش فيها أسباباً قد يجلب بدوره أسباباً جمّة للشعور بالإحباط. وعلى وجه—التي نُحِبُّها ونُقَدِّرُها—وإفرةً لليأس، فإنَّ التأمل في كنيسة الربِّ. الخصوص، قد نشعرُ بوهن في الروح بسببِ الرعاةِ أنفسهم الذين نُحِبُّهم، وقد يُصِيبُنَا الإحباطُ بالسهولة ذاتها بسببِ شيوخ الكنيسة وإذا ما شهدنا الكنيسة وهي تنقسم وتتصدَّعُ بسببِ هؤلاء القادة، فإنَّ شعورنا بالإحباط قد يزدادُ عمقاً وتجذُّراً. إنَّ مثلَ هذا الإحباط لحياتنا الإيمانية. والسببُ في ذلك هو أنَّ الإحباط العميق، والراسخ، والمستمرَّ قد يغرقُ بنا في—بل وربما قاتلاً—قد يكونُ ضاراً حالةً من الركود الروحي. وإذا ما وقعنا في فخِّ هذا الركود الروحي، فلن يكفي أيُّ قدرٍ من التعزية يأتيها من أيِّ شخصٍ آخر لكي يُعزِّينا تعزيةً حقيقية. بل في الواقع، قد ترفضُ أرواحنا حتى كلماتِ التعزية التي يُقدِّمها لنا أقربُ إخواننا وأخواتنا في الإيمان، أو حتى، أفرادُ عائلتنا الأحباء. ولذلك، يجبُ علينا أن نكونَ في غاية اليقظة والحذر لنلا ننزلقَ إلى حالة الركود الروحي. وللوقاية من ذلك، كلما شعرنا بالإحباط، يجبُ علينا أن نثبتَ أنظارنا بتركيزٍ أشدَّ وعمقٍ أكبر على الربِّ وحده. يجبُ علينا أن نقترُبَ أكثرَ من الله هو القادرُ حقاً على—الذي هو رجاؤنا الحقيقي—الآب، وأن نجثو على رُكُننا، وأن نصرخَ إليه قائلين: «أبَا، أيُّها الأب». فالله وحده. بإيمانٍ لا يتزعزع—الذي يُعزِّينا—تعزيةً قلوبنا المُحِبَّة. ولذلك، كلما شعرنا بالإحباط، دعونا ننظرُ بتواضعٍ إلى الله.

٢ كورنثوس ٧: ٦—يصفُ الرسولُ بولسُ اللهَ للمؤمنينَ في كنيسة كورنثوس بأنَّه «الإلهُ الَّذِي—في فقرة الكتاب المقدس لهذا اليوم يُعزِّي الْمُتَضَعِينَ». فَمَنْ هم إذن هؤلاء «المتضعون» (أو المُحِبُّون) الذين يُشِيرُ إليهم بولسُ هنا؟ يبدو لي أنَّه يُشيرُ إلى مجموعتين مُختلفتين من الناس: (١) تتألَّفُ المجموعةُ الأولى من ضمير الجمع «نحن» المذكور في النصف الثاني من الآية السادسة من نصِّ وهي إشارة يبدو أنَّها تعني بولسَ نفسه وزملاءه في الخدمة. ولكن، لماذا كانوا مُحِبِّين؟ ربما أصابهم الإحباط لأنهم كانوا—اليوم يكابدون شتى أنواع المحن والشدائد (الآية 4). وعلى وجه الخصوص، ربما خارت عزائمهم لأنه عند وصولهم إلى مقدونيا، لم يقتصر ما عانوه على العلل الجسدية فحسب، بل واجهوا أيضاً صعوبات في كل منعطف؛ إذ واجهوا صراعاتٍ من الخارج ومخاوف ومع ذلك، وفي رأيي، فإن ما أحبط بولس ورفقائه في الخدمة أكثر من (*Modern People's Bible* الآية 5؛) من الداخل

كانوا يرتكبون خطايا ضد الله. وسبب—الذين أحببهم حباً جماً—تلك المصاعب الخارجية هو حقيقة أن مؤمني كنيسة كورنثوس اعتقادي هذا هو أن الرسول بولس قد خاطب مؤمني كورنثوس في الآية 1 بهذه الكلمات: "إِذَا أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، إِذْ لَنَا هَذِهِ الْمَوَاعِيدُ، لِنُنَقِّ وَهُمْ خدام الرب—أَنْفُسَنَا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللَّهِ". تخيل معي: ألم يكن لبولس ورفقائه في الخدمة كل الحق في أن يصيبهم الإحباط حين اكتشفوا أن هؤلاء—الذين كانوا يصلّون من أجل مؤمني كورنثوس وهم على بُعْدٍ منهم المؤمنين الأحباء كانوا مقصّرين في عيش حياة من القداسة الكاملة، بل كانوا في الواقع يخطئون ضد الله من خلال أمور شتى دَنَسَتْ أجسادهم وأرواحهم على حد سواء؟ (2) أما المجموعة الثانية فتتألف من مؤمني كنيسة كورنثوس أنفسهم. وسبب اعتباري إياهم، من بين "المحبطين" (الآية 6) هو أنهم لم يكتفوا بارتكاب الخطايا ضد الله فحسب—شأنهم شأن بولس ورفقائه في الخدمة—أيضاً بل كانوا أيضاً في ضيقٍ شديد بسبب الرسالة التي تلقوها من بولس (الآية 8). ومن الطبيعي أنهم شعروا بالإحباط حين رأوا أنفسهم في مثل تلك الحالة؛ أي وهم يرتكبون الخطايا ضد الله. وعلاوة على ذلك، ونظراً لأن بولس قد وبّخهم على خطاياهم بمحبةٍ من خلال رسالته الأولى إلى كورنثوس، ألم يكن من الوارد أن يشعر مؤمنو كنيسة كورنثوس بإحباطٍ شديدٍ للغاية وسط ضيقهم ذاك؟ وبالطبع رسالة كورنثوس الثانية 7: 6—تشير في المقام الأول إلى بولس ورفقائه—ورغم أن عبارة "المحبطين" المذكورة في نص اليوم في الخدمة، إلا أن سياق النص يوحي بأن مجموعة الأفراد المحبطين الذين عزّاهم الله لا تقتصر عليهم فحسب، بل تشمل أيضاً مؤمني كنيسة كورنثوس.

فكيف إذن عزّى الله هؤلاء الأفراد المحبطين؟ (1) أولاً، كيف عزّى الله بولس ورفقائه في الخدمة؟ لقد عزّاهم الله من خلال تيطس (الآية 6). وبشكلٍ أدق، قدّم الله العزاء من خلال تمكين بولس ورفقائه من تلقّي ثلاثة أنباء عبر تيطس: (أ) فمن خلال تيطس، تلقّى بولس ورفقاؤه — ووجدوا عزاءً فيها — نبأ أن المؤمنين في كورنثوس قد اختبروا "حزناً بحسب مشيئة الله" استجابةً لرسالة بولس (رسالة كورنثوس الأولى)، وأن هذا الحزن (الآية 10) قد قادهم إلى التوبة (الآية 9). فمن الذي أحدث توبتهم؟ ألم يكن الله نفسه؟ وبما أن الله قد استخدم بولس (ورسالته) لقيادة المؤمنين الكورنثيين إلى التوبة — ومُكناً إياهم بذلك من إثبات براءتهم (الآية 11) فقد نال بولس ورفقاؤه عزاءً عظيماً لدى تلقّيهم هذا النبأ عبر تيطس. (ب) وعبر تيطس أيضاً، تلقّى بولس ورفقاؤه — ووجدوا — عزاءً فيها — نبأ أن المؤمنين الكورنثيين كانوا يُكُونُ لهم شوقاً عميقاً [وبالتحديد: "كم كانت غيرتهم لأجلهم" (الآية 12)] (الآية Contemporary (ج) كما ابتهج بولس ورفقاؤه لأن تيطس قد وجد راحةً — أو "قوةً جديدة" (الآية 13، بحسب *ترجمة. 13) من خلال المؤمنين في كنيسة كورنثوس؛ وهكذا، ولدى مشاهدتهم لهذا الأمر، لم يكتفوا بالشعور بالعزاء — (*English Version) فحسب، بل امتلأوا أيضاً بفرحٍ عظيم (الآية 13). وعلى وجه الخصوص، ابتهج بولس لأنه أدرك أن المؤمنين في كورنثوس قد رحّبوا بتيطس بخوفٍ ورعدةٍ وأطاعوه (الآية 15)، مما عمّق محبة تيطس تجاههم؛ ونتيجةً لذلك، أصبح بولس يضع ثقته الكاملة في المؤمنين الكورنثيين من كافة النواحي (الآية 16). (2) إذن، كيف عزّى الله المؤمنين في كنيسة كورنثوس؟ (أ) أعتقد أن الله قد عزّاهم باستخدام رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس لكي يُحدث فيهم ضيقاً، قادهم في نهاية المطاف إلى التوبة (الآية 9). بعبارة

:الأوهي—أخرى، عزّاهم الله بأن مكنهم من اختبار توبة تقود إلى الخلاص (الآية 10)، وبأن أتاح لهم إظهار الثمار الجديرة بالتوبة خادماً—الطهارة والنقاء (الآية 11). (ب) وعلاوة على ذلك، أعتقد أن الله عزّاهم المؤمنين في كورنثوس بأن قادهم إلى استقبال تيطس بإجلال واحترام، وإلى طاعته؛ وهذا بدوره عمّق عاطفة تيطس (ومحبته) تجاههم (الآية 15، *بحسب الترجمة الإنجيلية—الرب "من كل وجه" (الآية 16) أو "تماماً"—المعاصرة*). (ج) وأخيراً، أعتقد أن الله عزّاهم بأن مكن بولس من أن يضع ثقته الكاملة (*بحسب الترجمة الإنجيلية المعاصرة*)—في المؤمنين في كنيسة كورنثوس.

إلا—ورغم أننا قد نصادف الكثير من الأشخاص والظروف التي تسبب لنا الإحباط—بينما نمضي في حياتنا اليومية في هذا العالم أنني، في حالتي الخاصة، أجد أن أكثر من يُحبطني ليس سوى نفسي. فكثيراً ما أجد نفسي، أكثر من أي شخص آخر، خائباً ومحبطاً بسبب ذاتي. والسبب في ذلك هو أنني أعصي كلمة الله، وبفعلي هذا، أرتكب خطيئة في حقه. وعندما يشهد أعضاء عائلتنا الكنسية هذا الجانب مني، قد يشعرون هم أيضاً بالإحباط. وعلاوة على ذلك، قد يجد الرفاق المؤمنون الذين يحبونني أنفسهم محبطين بسببي بعزائه لنا جميعاً. وأصلي لكي يجلب الله، مصدر—الذي يعزّي المحبطين—هم أيضاً. وفي هذه اللحظة بالذات، أصلي لكي يمدّنا الله كل تعزية (3:1)، السلوى لكم بينما تتحملون شتى أنواع المشقات (الآية 4). وبينما يعزّيكم هو، أصلي لكي يتم ذلك بأن يتيح لكم سماع أخبار سارة. وتحديداً، أصلي لكي يعزّيكم الله بأن يُسمعكم خبراً مفاده أن الأخ أو الأخت الذين تحبونهم وتصلّون من أجلهم قد أثمروا ثمار التوبة؛ وأنهم يكتّون لكم محبةً صادقةً وحارة؛ وأنه بفضل تأثيركم عليهم، قد استعادوا قوتهم وتعمّقت أواصر الثقة في علاقتكم بهم.

المُعْزِي الْمُتَعَاظِف

«لَأَنَّ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كُهَّانٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَرَأَّفَ مَعَ ضَعْفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلَا خَطِيئَةٍ»
(عبرانيين 4: 15).

يوجد بيننا من يتألمون، ومع ذلك يعجزون عن التعبير عن الآلامهم. وحولنا أيضاً الكثيرون ممن يكابدون المشقات، لكنهم لا يجدون في أنفسهم القدرة على البوح بذلك. يعيش الكثير من الناس حياتهم اليوم وهم يضمرون الخوف والألم والمعاناة في أعماق قلوبهم، غير أن المشكلة تكمن في أن العديد من هؤلاء الأفراد لا يستطيعون مشاركة ما يضطرب في قلوبهم مع أي أحد؛ وبدلاً من ذلك يعيشون في قلق وضيق مستمرين. ولعل السبب في ذلك هو افتقارهم إلى صديق؛ شخص يمكنهم أن يشاركوه قلوبهم وأرواحهم بصدق وحقيقة. لماذا يعجزون عن مشاركة مشاعرهم؟ ربما لأننا نفترض أنه حتى لو فتحنا قلوبنا وبُحنا بمعاناتنا، فإن الشخص الآخر لن يفهمنا ولن يتعاطف معنا. ونتيجة لذلك، يبدو أننا نميل إلى دفن تلك المعاناة عميقاً في خبايا قلوبنا. وهكذا، نواصل عيش حياتنا على هذا المنوال، يوماً تلو الآخر.

الذي وُصف بأنه «رَجُلٌ أَوْجَاعٍ» (إشعياء 53: 3) —تذكرتُ مجدداً— خلال «أسبوع الآلام»، وبينما كنت أتأمل في شخص يسوع تلك الحقيقة القائلة بأن يسوع هو رئيس الكهنة الذي يتعاطف حقاً مع ضعفاتي. وتأملتُ في هذا الأمر، فصليتُ إلى الله طالباً منه أن أتعاطف مع ضعفات جيراني الذين أحبهم. وبعد الصلاة، رحْتُ أتفكر في كيفية—على غرار يسوع—تُقيمني مُعْزِياً أستطيع ترجمة تلك الصلاة إلى عمل ملموس؛ وكيف يمكنني أن أصبح حقاً ذلك النوع من «المُعْزِي الْمُتَعَاظِف» الذي يرغب الرب في إقامته.

أولاً: لكي أقام مُعْزِياً مُتَعَاظِفاً، لا بد لي أن أدرك وأعترف إدراكاً شاملاً بضعفاتي أنا أمام الرب؛ ذاك الذي يتعاطف مع تلك الضعفات ذاتها.

غريزيًا، نحن نُفضِّل العيش في المدينة على العيش في البرية. والسبب في ذلك هو أن البرية مكانٌ موحشٌ ينطوي على الوحدة. ونتخذ منها سكناً لنا—«ذلك المكان الذي يبدو حافلاً بـ»الأشياء—ولأن البرية تبدو خاوية تماماً، فإننا نُفضِّل النزوح إلى المدينة يتحتم علينا—حيث لا نمتلك شيئاً—مع ذلك، فإننا بحاجة إلى أن ندخل طواعيةً إلى تلك البرية الموحشة. وفي تلك البرية المقفرة

أن نقترّب من الرب، رئيس كهنتنا الأعظم، الذي يتعاطف تعاطفاً كاملاً مع ضعفنا. وبوجه خاص، يجب علينا أن ندنو من الرب بتواضع، معترفين بالهشاشة والضعف اللذين ينكشفان بوضوح في أعماقنا خلال فترة مكوثنا في البرية. وعلينا أن نعترف للرب بتواضع بتلك الضعفات ذاتها التي تجعلنا عرضةً للغاية لتجارب الشيطان. والسبب في ذلك هو أننا ما لم نقرّ بهشاشتنا وضعفنا، فلن يتسنى لنا أبداً أن نختبر اختباراً حقيقياً الرب الذي يتعاطف مع ضعفنا. لماذا إذن نختر الدخول إلى هذه البرية الموحشة بمحض ذلك الرب الذي يفهم ضعفنا تمام الفهم ويشاركنا فيه؟ يجب علينا—ونختبر حضوره—إرادتنا؟ أليس ذلك تحديداً لكي نلتقي بالرب أن ندخل البرية طواعيةً، عاقدين العزم على تحويل تلك القفار الموحشة إلى "روضةٍ من العزلة المقدسة". وهناك، يتحتم علينا أن نعترف بتواضع أمام الرب بكل ضعفٍ ينكشف في داخلنا.

ثانياً: لكي نترسخ كمعزّين متعاطفين مع الآخرين، لا بد لنا أولاً أن نختبر شخصياً التعزية التي يفيض بها الروح القدس الساكن فينا.

نميل إلى تفضيل تلقي التعزية والدعم ممن حولنا، بدلاً من تقديم التعزية—نعيش وسط صخب المدينة وضجيجها—بطبيعتنا كبشر، للآخرين. والسبب في ذلك هو أننا، إذ نعيش جنباً إلى جنب مع الآخرين في بيئة حضرية، كثيراً ما نستسلم لتجارب الشيطان ونغدو شيئاً فشيئاً أكثر تمركزاً حول ذاتنا. وعلاوة على ذلك، فإن الجذر العميق لهذا الأنانية المتنامية يكمن في أننا نعيش حياتنا في المقام الأول لكي نكون محط أنظار الناس، لا لكي نكون محط أنظار الله. وهذا، بلا أدنى شك، هو صنيع الشيطان. فحين نستسلم، فإننا نحول تركيزنا حتماً بعيداً عن الله—التي تدفعنا للعيش طلباً لاستحسان البشر بدلاً من العيش لله—لهذه التجربة الشيطانية الذي كان يوماً ما يثبت نظره على الله وهو في البرية، ثم حوّل نظره لاحقاً—ونوجهه نحو الناس المحيطين بنا. وكما حدث مع داود كذلك نحن أيضاً نرتكب الخطيئة في حق الله حين نكفّ، وسط وفرة—نحو "بنشبع" وهو في القصر الملكي، فأخطأ بذلك في حق الله الحياة المدنية، عن التركيز عليه، ونثبت انتباهنا بدلاً من ذلك على الناس من حولنا. فما هي إذن تلك الخطيئة المحددة التي نرتكبها في حق الله؟ إننا، إذ نعيش حياةً أنانيةً في حضرة الآخرين، نرتكب خطايا تُلحق الأذى والألم والمعاناة بكثير من الناس. وحين نفعل ذلك، فإننا نحن أيضاً نُصاب بالأذى والألم والضيق. والسبب في ذلك هو أننا نعجز عن أن نحب بعضنا بعضاً بمحبة الله. وإن السبب الذي يجعلنا غير قادرين على محبة بعضنا بمحبة الله هو بالتحديد أننا نحن أنفسنا لم نختبر محبة الله بعد. ولذلك، يتحتم علينا أن ندخل. وجب علينا أن نخطو إلى البرية برضاً واختيار—محبين جيراننا بمحبته هو—البرية طواعيةً. فإذا ما أردنا أن نحيا في حضرة الله. وهناك، في تلك البرية، نعترف للرب بالرغبات الأنانية التي يكشفها في أعماقنا، ونتوب عنها. وحين نفعل ذلك، يغفر الرب خطايانا سيجلب العزاء والسكينة لقلوبنا. وبينما نختبر حضور الروح—وهو الله ذاته—وعلاوة على ذلك، فإن الروح القدس الساكن فينا. القدس المعزّي، سننال القوة لنحيا حياةً تتسم بنكران الذات؛ حياةً قوامها المحبة المتبادلة.

ثالثاً: لكي نترسخ كمُعزّين يشاركون الآخرين مشاعرهم بعمق، يتحتم علينا أن نضطلع بخدمة التعزية مستمدين روحها من قلب الله الأب ذاته.

إن غرائزنا الطبيعية تدفعنا لأن نحيا وفقاً لأهوائنا الخاصة، لا وفقاً لمشيئة الله الأب أبداً. وبعبارة أخرى، فإن غرائزنا تُلزمنا بأن نحيا استناداً حصراً إلى ما نراه ونسمعه ونشعر به نحن؛ فهي لا تقودنا لأن نرى ما يراه الله الأب، أو نسمع ما يسمعه هو، أو نشعر بما ويعتصر قلبه الألم—يشعر به. ومع ذلك، فإن كل من ينظر إلى تلك النفوس المستضعفة التي تعاني من جوع روحي في قلب المدينة— سيدخل البرية طواعيةً. وأولئك الذين يدخلون البرية برضاها—والضيق الشديد لحالها، فيصارع بكل ما أوتي من قوة ليحبها سيختبرون حضور الله ذاته؛ ومن خلال هذه التجربة، سيتعلمون شيئاً فشيئاً كيف يرون—محوّلين ذلك المكان الموحش إلى ملاذ آمن بعيني الله، ويسمعون بأذني الله، ويشعرون بقلب الله. وهذا هو بالتحديد السبب الذي يحتم علينا أن ندخل البرية طواعيةً؛ ففي البرية وحدها نتعلم كيف نحتضن قلب الله الأب. وعلاوة على ذلك، يجب علينا أن ننظر إلى النفوس التي يراها الله، ناظرين إليها بقلب الله إلى صرخات المتألمين التي يسمعها الله. إذ يتحتم علينا أن نذهب إلى تلك النفوس—بكل جوارحنا—الأب؛ كما يجب علينا أن نصغي المتألّمة التي يرسلنا الله الأب إليها. إذ تقترب منهم بقلب الأب المُفعم بالمتعاطف، لا بد أن نكون قادرين على سماع حتى أضعف أناتهم من خلال أذني الرب. ويجب أن نمتلك القدرة على استشعار الكرب الكامن في أعماق قلوبهم. إن الروح القدس الساكن فينا هو الذي يرغب في استخدامنا كأدوات لتقديم العزاء لهم—المُعزّي—يُمكننا من الرؤية والسماع؛ وعلاوة على ذلك، فإن الروح القدس وعليه، يجب أن نكون راسخين ومُستخدّمين كأدوات للعزاء في يد الله الروح القدس. وعلينا أن نضطلع بأمانة بمسؤولية خدمة العزاء هذه، مستمدين روحها من قلب الله الأب ذاته.

إنني أرغب في أن أترسخ في دور المُعزّي المُتعاطف؛ وأتوق بشوق لأن أُستخدَم كأداة في يد الروح القدس، المُعزّي. ولذا، وحتى في هذا اليوم، أنسحب طواعيةً إلى "البرية" لأفحص ذاتي في ضوء كلمته؛ وإذ أقرّ بضعفاتي التي انكشفت أمامه، أدنو منه بالصلاة بتعزيتي مستخدماً في ذلك قلب الله الأب ذاته. وحينما أستشعر—الذي يتعاطف مع ضعفي البشري—وبينما أفعل ذلك، يقوم الرب قلب الأب ذاك، أتبع إرشاد الله الروح القدس بكل طاعة، وبذلك أتمم خدمة العزاء. ورغم أن ميلي الفطري قد ينزع بي إلى خذلان لا يزال يرغب في استخدامي كأداة للعزاء في هذا اليوم—الساكن في أعماقي—الآخرين بدلاً من تعزيتهم، إلا أن الله الروح القدس "بالذات. ولذلك، أرفع صلاتي إلى الله الأب قائلاً: "يا رب، ثبّنتني واجعلني مُعزّياً مُتعاطفاً في خدمتك

!قَدِّمِ العزاء من خلال الكلمات

فَجَمَعَ الشَّعْبَ فِي السَّاحَةِ الْمَفْتُوحَةِ عِنْدَ بَوَابَةِ الْمَدِينَةِ، وَخَاطَبَهُمْ بِكَلِمَاتٍ تَشْجِيعٍ قَائِلًا: «كُونُوا أَقْوِيَاءَ...» وَشَجَّعَانَا. لَا تَخَافُوا وَلَا تَرْتَعِبُوا مِنْ مَلِكِ أَشُورَ وَالْجَيْشِ الْجَرَّارِ الَّذِي مَعَهُ، لِأَنَّ مَعَنَا قُوَّةَ أَعْظَمَ مِنَ الَّتِي فَاسْتَمَدَّ الشَّعْبُ النَّقَّةَ مِمَّا قَالَهُ حَزَقِيَّا. «مَعَهُ. مَعَهُ ذِرَاعُ بَشَرٍ فَقَطْ، أَمَّا مَعَنَا فَالرَّبُّ إِلَهُنَا لِيُعِينَنَا وَيَحَارِبَ مَعَارِكَنَا مَلِكُ يَهُوذَا» (أخبار الأيام الثاني 32: 6-8)

منذ فترة، وبينما كنت أقرأ الفصلين الأول والثاني من «سفر أيوب»، نلتُ قدراً عظيماً من العزاء. كانت الفقرة الأولى التي استوقفتني وأثارت فيَّ التأمل هي ما ورد في سفر أيوب 1: 5؛ إذ لم يسعني إلا أن أبدي دهشة حقيقية إزاء ذلك المشهد الذي يصف أيوب وهو تحسباً لاحتimal أن يكونوا قد «أخطأوا وجدفوا—ذبيحةً عن كل واحدٍ من أبنائه—ينهض مبكراً في الصباح ليقدم ذبائح مُحْرِقَةً لله على الله في قلوبهم». فكيف يمكن لأي والدٍ أن يطلع على خفايا قلوب أبنائه وما يدور في أعماقها؟ وبوجه خاص، كيف للمرء أن الذي تصرف بدافع القلق من—يدرك ما إذا كان الابن يرتكب خطيئةً ضد الله في سريرة قلبه؟ ومع ذلك، وعلى النقيض من أيوب فإنني، بصفتي أباً، لم يسبق لي قط أن قدّمتُ صلوات توبة نيابةً عن أبنائي خلال—أن يكون أبنائه قد أخطأوا إلى الله في قلوبهم خلواتي الصباحية للصلاة. أما النقطة الثانية التي استوقفتني، فكانت تلك العبارة الواردة في سفر أيوب 1: 20: فبعد أن تلقى أنباءً—جميع المصائب التي حلت به، «حَرَ عَلَى الْأَرْضِ سَاجِداً». كيف يتسنى لأيوب أن يخزَّ على الأرض ساجداً لله بعد أن فقد كل شيء حتى جميع أبنائه؟ وعلاوةً على ذلك، وبينما كنت أقرأ ما ورد في سفر أيوب 1: 22 و2: 10، لم يسعني إلا أن أقف مذهولاً أمام تلك الحقيقة التي ينصُّ عليها النصُّ صراحةً بقوله: «فِي كُلِّ هَذَا لَمْ يُخْطِئِ أَيُّوبُ بِشَفَتَيْهِ». فمن منظورٍ بشريٍّ بحت، قد يبدو الأمر أن يُضمِر المرء في نفسه شعوراً بالاستياء أو التذمر تجاه الله؛ ومع ذلك، فإن أيوب لم يُخْطِئِ بشفتيه—بل ومبرراً—مفهوماً تماماً. وبينما كنت أتأمل في الكيفية التي يمكننا بها تقديم العزاء لشخص يرزح تحت وطأة معاناة شديدة كهذه، رنّنت في أعماقي كلمات سفر أيوب (2: 13) بأبلغ صدى: "فَجَلَسُوا مَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبَّحَ لَيْلًا، وَلَمْ يَكْلِمْهُ أَحَدٌ كَلِمَةً، لِأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ كَرْبَهُ كَانَ عَظِيماً جِداً". وتوقفتُ متأملاً في حقيقة أنهم، ورغم بقائهم بجانبه لأسبوع كامل، لم ينبسوا بكلمة واحدة. وتساءلتُ: هل كان اختيار أصدقاء أيوب البقاء في صمتٍ تضامني، بدلاً من تقديم أي عزاءٍ لفظي، نابعاً بالتحديد من شهادتهم للمدى الهائل لآلام أيوب وعذابه؟

واستحضرتُ موقفاً سابقاً، حين كنتُ أعظ بكلمة الله، واستخدمتُ عبارة: "رفضُ التعزية". فهناك لحظاتٌ تكون فيها قلوبنا منكسرةً للغاية، ونكون غارقين في آلامٍ مبرحة، لدرجة أننا نرفض ببساطة تقبُّل أي عزاء. إننا نمرُّ بأوقاتٍ نشعر فيها قلوبنا بأنها عصبيةٌ تماماً على التعزية؛ لحظاتٌ لا تبدو فيها أي كلماتٍ، من أي شخصٍ كان، قادرةٌ على بثِّ أي سكينَةٍ في نفوسنا. ومع ذلك، وفي فقرة الكتاب المقدس المخصصة لهذا اليوم —سفر أخبار الأيام الثاني (32: 6-8)— لفقت انتباهي العبارة الأخيرة من الآية السادسة —"إحيى قام الملك حزقيا بـ: "جَمَعَ الشَّعْبَ وَشَجَّعَهُمْ بِكَلَامِهِ". وانطلاقاً من هذا المحور —الذي عنوانته بـ: "قَدَمَ العزاء بالكلمات —تأملتُ في نقطتين محددين:

أولاً: متى، بالتحديد، ندعى لتقديم العزاء من خلال كلماتنا؟

إن اللحظة التي اختار فيها الملك حزقيا تشجيع شعبه بالكلمات قد حانت بالتحديد "بَعْدَ كُلِّ أَعْمَالِ الأَمَانَةِ هَذِهِ" (أخبار الأيام الثاني وبعبارةٍ أخرى، قَدَمَ الملك حزقيا تشجيعاً لفظياً لشعبه في خضمِّ أزمةٍ ما؛ وهي تجربةٌ عصبيةٌ حلَّت بهم *بعد* أن كانت. (1: 32: قد ترسخت وتوطدت أركانها. وتحديداً —الإصلاحات الدينية —المفصلة في الإصحاحين 30 و 31 من سفر أخبار الأيام الثاني حدث ذلك حين غزا سنحاريب، ملك آشور، مملكة يهوذا. ثرى، لماذا اختار *تلك* اللحظة بعينها، دوناً عن سائر الأوقات؟ لقد كان قد أرسى دعائم إصلاح ديني راسخٍ إجلالاً لمجد الله؛ فلماذا إذن حلَّت تلك التجارب القاسية —الملك حزقيا —خادم الرب الأمين بالتحديد *بعد* أن اكتملت مسيرة هذا الإصلاح؟ من أحد الجوانب، قد يكون الله قد أقام أمةً أجنبيةً ليختبر ما إذا كان الإصلاح الديني قد ترسخ حقاً على أساسٍ متين. ومن الحقائق التي لا تقبل الجدل أنه في حياتنا نحن أيضاً، تمر بنا أوقات نكون فيها في أمسِّ الحاجة إلى كلمات العزاء والمواساة. ورغم أن الظروف المحددة قد تتفاوت، إلا أن التأمل في النص الكتابي لهذا اليوم يوحى بأننا نكون في أشد الحاجة إلى العزاء خلال تلك الأزمات أو المحن التي تباغتنا في اللحظة التي يكون فيها أمرٌ ما بصدد الترسخ والاستقرار. بل ويخطر ببالي أن الأزمات والمحن ذاتها التي نواجهها قد تكون في الواقع دليلاً على أن امرأ ذا شأنٍ عظيمٍ هو بصدد الترسخ والقيام فعلاً.

كيف ينبغي لنا إذن أن نقدم العزاء من خلال كلماتنا؟—وأخيراً—ثانياً

لقد جمع الملك حزقيا الشعب وقدم لهم عزاءً شفهيّاً، قائلاً: "تشددوا وتشجعوا... لا تخافوا ولا ترتاعوا" (الآية 7). وكيف تمكن الملك حزقيا من تعزية شعب إسرائيل بمثل هذه الكلمات في خضمِّ أزمةٍ هائلةٍ كهذه؟ أعتقد أن السبب يكمن في أن الملك حزقيا نفسه كان قد نال عزاءً عظيماً من الله العظيم الذي كان معه، حتى في خضمِّ أزمة الكبري هو شخصياً. وعلاوة على ذلك، وبدلاً من أن يُظهر، أظهر الملك حزقيا—متمثلاً في الشعور باليأس أو القلق أو الخوف في مواجهة أزمةٍ كبرى أو مشكلةٍ عويصة—موقف عدم الإيمان بصفته مؤمناً حقيقياً، لشعبه الصورة الحقيقية للإيمان؛ وهي: تثبيت البصر على الله العظيم حتى في خضمِّ أعظم الأزمات. وبوصفه

رجلاً ذا إيمانٍ حقيقي، امتلك الملك حزقيا قناعةً لا تتزعزع. ولم تكن تلك القناعة سوى هذه الحقيقة: "إن الرب الإله الذي معنا سيساعدنا حتماً ويحارب نيابةً عنا". وبينما أتأمل في الكيفية التي نال بها الملك حزقيا مثل هذا الإيمان وتلك القناعة، تتجه أفكاري نحو كلمة "الأمانة" (أو "الصدق") الواردة في سفر أخبار الأيام الثاني 32: 1. وبعبارةٍ أخرى، امتلك الملك حزقيا إيماناً حقيقياً وقناعةً راسخةً لأنه كان رجلاً أميناً لله؛ أي رجلاً كان صادقاً ومستقيماً أمامه. ومع ذلك، لا يمكن لمثل هذه الأمانة البشرية (أو الصدق البشري) أن تكون هي الغاية القصوى لتركيزنا واهتمامنا؛ والسبب في ذلك هو أن صدقنا البشري لا يمكن مقارنته بصدق ربنا وأمانته. لذا، يتحتم علينا أن نلتمس الإجابة في أمانة الرب ذاتها؛ ففي نهاية المطاف، يكمن الأساس الذي تركز عليه إيمان الملك حزقيا الحقيقي وقناعاته في أمانة الرب. إنها وعوده —بأنه سيكون معنا بينما يُتم كلمته بأمانة، وبأنه سيأتي حتماً لنجدتنا، وبأنه هي التي تُقوي قلوبنا وتملأنا بالجرأة— سيخوض معاركنا الروحية نيابةً عنا.

!الأزمة فرصة

لأنَّهُ وَقَفَ بِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مَلَائِكُ الْإِلَهِ الَّذِي أَنَا لَهُ وَالَّذِي أَعْبُدُهُ، قَائِلًا: لَا تَخَفْ يَا بُولُسُ. يَنْبَغِي أَنَّكَ تَقِفُ»
أَمَامَ قَيْصَرَ. وَهُوَذَا قَدْ وَهَبَكَ الْإِلَهُ جَمِيعَ الَّذِينَ يُسَافِرُونَ مَعَكَ. لِذَلِكَ ثَقُّوا أَيُّهَا الرِّجَالُ، لِأَنِّي أَوْمِنُ بِالْإِلَهِ أَنَّهُ
سَيَكُونُ هَكَذَا كَمَا قِيلَ لِي» (أعمال الرسل 27: 23-25)

كيف ينبغي لنا أن ننظر إلى الأزمات التي تعترض طريقنا خلال رحلة حياتنا؟

عندما نواجه أزمة ما، كثيراً ما نجد أنفسنا نتساءل: «لماذا حلت هذه الأزمة *بي أنا* تحديداً؟». وفي خضم هذا التساؤل، قد نعزو الأزمة أحياناً إلى تصرفات الآخرين، لينتهي بنا المطاف ونحن نضمّر لهم مشاعر الاستياء والمرارة. ووسط هذه الأفكار والشكاوى قد تستحوذ علينا الأزمة التي نواجهها سيطرةً تامة. ونتيجة لذلك، غالباً ما نغرق في الانشغال بذواتنا ومحتنتنا لدرجة أننا نعجز عن رؤية أي شخص آخر من حولنا. بل وقد نغوص أعماق فأعمق في مستنقع الأزمة، فاقدين كل أمل في النجاة، ومستسلمين لليأس، مما مني—الذي بيده تدبير كل الأزمات—يتركنا نتخبط في بحر من القنوط. تُرى، هل هذه حقاً هي الاستجابة للأزمة التي يرغبها الله ومنك؟

أعمال الرسل 27: 23-25—نرى الرسول بولس يواجه أزمة—عندما نتأمل في سياق النص الكتابي الذي بين أيدينا اليوم، «عاصفةٌ بصحبة الـ 275 شخصاً الذين كانوا يبحرون معه على متن السفينة. وكان السبب المباشر لهذه الأزمة يكمن في «يوليوس قائد المئة الذي كُلِّفَ بمرافقة بولس إلى إيطاليا (الآية 1)؛ إذ اختار أن يضع ثقته في رأي قبطان السفينة ومالكها، بدلاً من الإصغاء يُدعى إلى مشورة بولس (الآية 11). وكانت مشورة بولس قد جاءت على النحو التالي: فبعد أن تمكنوا من الوصول إلى مكان بصعوبة بالغة» (الآيتان 7-8)، وإدراكاً منه أن مواصلة الإبحار ستكون محفوفة بالمخاطر» (Fair Havens) «الموانئ الحسنة» (الآية 9)، حذر قائلاً: «أَرَى أَنَّ السَّفَرَ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ بِضَرَرٍ وَخَسَارَةٍ كَثِيرَةٍ، لَيْسَ لِلْبُضَاعَةِ وَالسَّوْفِيَّةِ فَقْطً، بَلْ لَأَنْفُسِنَا أَيْضاً» (الآية 10). غير أن قائد المئة يوليوس لم يُعرِ كلام بولس أي اهتمام؛ وبدلاً من ذلك، أصغى إلى مالك السفينة وقبطانها، ومضى في البداية أنهم قد أحسنوا—ومعه المالك والقبطان—قديماً في الرحلة (الآية 12). وبينما كانوا يفعلون ذلك، اعتقد يوليوس

الاختيار؛ إذ هبّت ريح جنوبية لطيفة (الآية 13). وبعبارة أخرى، كان يوليوس والمالك والقبطان على قناعة بأن قرارهم كان صائباً "غير أنه لم يمض وقت طويل حتى انقضت عليهم من جهة الجزيرة عاصفة هوجاء تُعرف باسم "الريح الشمالية الشرقية"، (أوروكليدون) (الآية 14). حوصرت السفينة في قلب العاصفة، وعجزت عن مجابهة الريح؛ وهكذا وجدوا أنفسهم في مأزق حرج، حيث باتوا مساقين بلا حول ولا قوة إلى حيثما تقذفهم الرياح (الآية 15). وقد بنّت هذه الأزمة الرعب في قلوب الركاب (الآية 17) وفي نهاية المطاف، تلاشت كل آمال النجاة تماماً (الآية 20). وفي خضم هذه الاضطرابات، شجّع بولس رفاقه على متن السفينة قائلاً: "تشجعوا! لن يهلك أحد منكم؛ بل ستضيع السفينة وحدها" (الآية 22). تُرى، كيف استطاع بولس أن يقدّم مثل هذا التشجيع؟ لقد كان ذلك تحديداً لأنه تلقى رسالة عبر ملاك من عند الله، مفادها: "لا تخف يا بولس! فلا بد لك أن تمثل للمحاكمة أمام قيصر؛ وها إن الله قد وهبك، بفيض من نعمته، حياة جميع الذين يبحرون معك" (الآية 24). وباختصار، لقد سمع بولس صوت الله في قلب الأزمة وهذه هي بالتحديد أولى الدروس التي يقدمها لنا نص الكتاب المقدس لهذا اليوم: فالأزمة تُعد فرصة سانحة للغاية لسماع صوت الله

ما رأيك أنت؟ هل تؤمن حقاً بأن الأزمة تشكل فرصة ثمينة لسماع صوت الله؟ أو بعبارة أخرى: هل سبق لك أن سمعت صوت الله —فعلاً بينما كنت تمر بأزمة ما؟ أما أنا، فخلال الأزمات التي عصفت بحياتي، كثيراً ما وجدت نفسي أصغي إلى صوتي الداخلي بدلاً من أن أصغي إلى صوت الله. فعندما كان طفلنا الأول يرقد في وحدة—أو إلى الأصوات التي تملئها عليّ ظروف الرهنة العناية المركزة، متأوهاً من شدة المرض، لم أبحث حينها عن صوت الله؛ بدلاً من ذلك، أطلتُ النظر إلى طفلي المتألم، وسمحتُ، للظروف المحيطة به أن تُخاطب قلبي. ثم، وبعد أن سألتنا الطبيب المعالج عما إذا كنا نرغب في أن يموت طفلنا ميتةً بطيئة أم سريعة خاطبني الله من خلال كلمات المزمور 63: 3: "لأنَّ رَحْمَتَكَ—الذي صادف يوم اثنين—عدنا إلى المنزل. وفي صباح اليوم التالي أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ، شَفَقَتِي تُسَبِّحُكَ". ومن خلال هذه الآية، علّمنا الله أن محبته الأبدية تفوق بكثير تلك الأيام الخمسة والخمسين اليسيرة من الحياة التي مُنحت لابننا البكر، "جويونغ"؛ ولذلك، كان لزاماً عليّ وعلى زوجتي أن نستخدم شفاهنا لتقديم التسبيح والحمد للرب. ولهذا السبب تحديداً، عدتُ أنا وزوجتي في ذلك الصباح عينا إلى المستشفى، وأبلغنا الطاقم الطبي بأننا قد اخترنا أن نترك قمنا—وبعد أن انضمنا إلى والدي، وأخي الأكبر وزوجته، وأختي الصغرى في تقديم العبادة لله—طفلنا يرحل سريعاً. وبعد ذلك بفصل جميع أجهزة دعم الحياة المتصلة بطفلنا، فغفا بسلام بين ذراعي. وفي وقتٍ لاحق، وبعد أن قمنا بحرق جثمان طفلنا ونثر رماده فوق إحدى البحيرات، عدنا إلى الشاطئ ونحن نصدق بالغناء ترنيمة "حب مخلصي" بكل ما أوتينا من قوة. لقد كان كل هذا نعمةً اخترناها حصراً بفضل الكلمة التي نطق بها الله إلينا في خضم أزممتنا تلك.

أما الدرس الثاني الذي يقدمه لنا نص الكتاب المقدس لهذا اليوم فهو كالتالي: تُعد الأزمات فرصةً ثمينةً لإظهار المحبة لجيراننا فعندما نواجه أزمةً ما، نميل بطبعنا إلى الانغلاق حول ذاتنا والتركيز على أنفسنا فحسب. وعندما تعترضنا الشدائد، غالباً ما نغرق تماماً في همومنا الخاصة وننشغل بأنفسنا كلياً. ولم تكن أنا وزوجتي استثناءً من هذه القاعدة؛ فخلال الأيام الخمسة والخمسين التي

ومركزين انشغالنا عليه—قضاها ابنا البكر، "جويونغ"، في المستشفى داخل وحدة العناية المركزة، كنا مستغرقين تماماً في حالتنا وحده دون سواه. ولم أدرك حقيقة هذا الأمر إلا في أحد الأيام، حين نبهتني زوجتي إلى أننا قد أصبحنا، فيما يبدو، "منغلقيين على وعلى الرغم من علمي بأن مصنع الخياطة الذي يديره عمّاي (الرابع والأصغر سناً) كان—أنفسنا" أكثر مما ينبغي. ففي ذلك الوقت ظللتُ منشغلاً كلياً بطفلي البكر. وكان عذرنا في ذلك أن حياة الإنسان أهم بكثير من شركة—يواجه وضعاً بالغ السوء والخطورة تجارية تقف على شفا الإفلاس. ومع ذلك، كان هذا في الحقيقة إخفاقاً من جانبي؛ إذ كان علامة على عدم نضجي لعدم تمكني من اغتنام الأزمة كفرصة. أما المسيحي الناضج حقاً، فيعرف كيف يحول الأزمات التي تواجهه إلى فرص لمحبة قريبه. وهذا بالتحديد ما فعله الرسول بولس.

مما—فعندما واجه الرسول بولس أزمة ماء، أحبّ قريبه تمشياً مع وصية يسوع. وحتى عندما تحطمت السفينة التي كان على متنها بادر هو، بدلاً من ذلك، إلى تقديم العزاء والتشجيع—عرّض حياة الـ 275 شخصاً الذين كانوا يسافرون معه (الآية 37) لخطر جسيم لأولئك الأشخاص أنفسهم. وقد حثّهم بولس قائلاً: "ثقوا الآن" (الآية 22) و"ثقوا أيها الرجال" (الآية 25). وقد تمكّن من فعل ذلك، لأنه كان قد سمع صوت الله عبر رسوله، ولأنه كان يثق بأن كلمة الله ستتم وتتحقق تماماً كما نُطق بها (الآية 25). وبعبارة أخرى لا تخف يا بولس؛ إذ لا بد أن تقف أمام قيصر. وها إن الله—"ولأن بولس وضع إيمانه المطلق في الرسالة التي تلقاها من رسول الله قد وهبك جميع الذين يبحرون معك" (الآية 24)—فقد تمكّن من بثّ الطمأنينة في نفوس أولئك الذين كانوا يسافرون معه على متن السفينة. وهكذا، فإن أولئك الذين يمتلكون يقين الخلاص قادرون على منح راحة البال لمن يرتجفون خوفاً وسط حالة عدم اليقين بشأن خلاصهم هم.

إن المسيحيين، بعد أن نالوا محبة الله المُخْلِصة، يمدّون أيديهم إلى أولئك الذين يفتقرون إلى رجاء الخلاص، ويشاركونهم محبة المسيح. فالمسيحيون الذين ينالون نصيباً من محبة الله المُخْلِصة يطيعون وصية يسوع القاضية بمحبة القريب، وذلك من خلال تقديم بعد أن اختبروا—العزاء والتشجيع والرفع من معنويات أولئك الذين لم يختبروا تلك المحبة بعد. وبعبارة أخرى، فإن المسيحيين يحولون أوقات الأزمات إلى فرص لإظهار محبتهم لقريبهم—محبة الله المُخْلِصة وامتلكوا يقين الخلاص.

وثالثاً وأخيراً، إن الدرس الذي يقدمه لنا نص الكتاب المقدس لهذا اليوم هو أن الأزمة تُعد فرصة مثالية لاختبار مجد خلاص الله.

ولأن الرسول بولس كان يمتلك يقين الخلاص، فقد تمكّن من تقديم العزاء والتشجيع لأولئك الذين كانوا يفتقرون إلى مثل هذا الرجاء: علاوة على ذلك، واستناداً إلى ذلك اليقين ورجاء الخلاص، حثّ بولس مَنْ كانوا معه على متن السفينة على تناول الطعام، معلناً:

لَنْ تَسْقُطَ شَعْرَةٌ مِنْ رَأْسِ أَحَدٍ مِنْكُمْ"؛ وكل ذلك كان من أجل خلاصهم (الآية 34). وهو إذ أخذ خبزاً، وشكر الله أمام الجميع، وكسره "ليبدأ في الأكل (الآية 35)، حفّز الآخرين على أن يشدّوا من أزهرهم ويشاركوه في تناول الطعام أيضاً (الآية 36). يا له من مشهد مذهل حقاً! وكيف يتسنى للمرء أن يرفع الشكر لله حتى في خضم أزمة يقف فيها عند مفترق طرق حاسم بين الحياة والموت؟

نحن المسيحيين، الذين نضع إيماننا في يسوع، بمقدورنا أن نرفع الشكر حتى في المواقف التي يبدو فيها الامتتان أمراً مستحيلاً والسبب في ذلك هو أننا قد اختبرنا شخصياً محبة الله المخلصه؛ وفضلاً عن ذلك، وإلى جانب يقيننا بخلاصنا، فإننا نمتلك رجاء حياً ولأننا تُنْتَبِت أنظارنا على مجد خلاص الله، المصحوب بحضوره الإلهي ذاته الذي—في نيل ذلك الخلاص. وعلاوة على ذلك فإننا نكتسب القوة لتقديم الشكر لله حتى في ظروف تبدو خالية تماماً من أي أسباب تدعو—يُحوّل ذلك الرجاء إلى واقع ملموس للامتتان. وحينما نخبر شخصياً مجد خلاص الله، لا يسعنا إلا أن نرفع إليه شكرنا وتسبيحنا وعبادتنا. وفي نهاية المطاف، فإن الأزمات التي تعترض حياتنا تُعد فرصاً ممتازة لترسيخنا كعبادٍ مرضيين في عيني الله. وبعبارة أخرى، فمن خلال بوتقة الأزمات "أولئك الذين يُقدّمون له "ذبيحة الشكر—يُشكّلنا الله لنصبح عبّاداً حقيقيين

يجب علينا أن نغتنم كل أزمة باعتبارها فرصة سائحة. وعلينا أن ننظر إلى الأزمات، التي لا بد أن تنشأ حتماً على امتداد رحلة حياتنا، كفرصٍ لتمييز صوت الله وسماعه. فمن خلال هذه الأزمات، ينبغي علينا أن نسارع إلى الإصغاء لصوت الله. وفضلاً عن ذلك، يجب علينا أن نستثمر هذه الأزمات كفرصٍ لإظهار محبتنا لقريننا. فحتى في خضم الاضطراب، واستناداً إلى إيمانٍ راسخ بأن مقدمين لهم العزاء—الله سيُتمّ بدقه كل ما نطق به إلينا، يجب علينا أن نمّد أيدينا لمساعدة جيراننا الذين وقعوا في براثن الأزمة والتشجيع، والشجاعة المتجددة. وعلى وجه الخصوص، وحتى ونحن نواجه أزمةً بأنفسنا، يتحتم علينا—مسلحين بيقيننا الخاص، أن نزرع ذلك اليقين والرجاء ذاته في قلوب جيراننا الأحباء الذين يتخبطون في أعماق اليأس. وأخيراً—ورجائنا في الخلاص يجب علينا أن نحتضن الأزمات التي تتخلل رحلة حياتنا، معتبرين إياها فرصاً سائحة لنختبر اختباراً شخصياً مجد خلاص الله. إن إلهاً صالحاً؛ فهو يأخذ حتى أزماتنا... ويستخدم كل الأمور، عاملاً بها معاً من أجل الخير. وإلهاً أميناً يُتمّ الوعود التي قطعها لنا. وعلاوة على ذلك، فإن هذا الإله الأمين هو إله خلاص يُنجينا بلا كللٍ من أوقات الأزمات. وبينما نصلي جميعاً من أجل تلك النعمة المخلصه، ونترقبها وننتظرها، دعونا نخبر مجد خلاص الله

الحكمة التي تتألق أشد اللمعان في أوقات الأزمات

أذهبوا واستخبروا أكثر، واعلموا يقيناً أين يختبئ، ومن رآه هناك» (1 صموئيل 23: 22)«

كان أحد مسلسلات الرسوم المتحركة التلفزيونية المفضلة لدي عندما كنت طفلاً هو مسلسل «توم وجيري». والآن، يحب أطفالني الرسوم المتحركة ذاتها. وكان السبب في استمتاعي الشديد بها هو—ولا سيما أصغرهم الذي يدرس في المرحلة الابتدائية—الثلاثة وهو يتفوق بذكائه على «توم» ويهزمه، رغم أن توم قطٌ أكبر—ذلك الفأر الصغير—«أنني وجدت متعة هائلة في مشاهدة «جيري —كلما استخدم توم كل حيلة ممكنة للإيقاع به—منه حجماً بكثير. وعلى وجه الخصوص، كنت أحب مشاهدة كيف أن الفأر الذكي لم يكن ينجح في تفادي الخطر فحسب، بل كان غالباً ما ينجح في قلب الطاولة، ليتسبب في وقوع توم نفسه في مأزق بدلاً منه. وكلما فكرت في هذه الرسوم المتحركة، تذكرت الرواية الكتابية لمعركة داود وجليات. ولعل السبب في ذلك هو أنني أميل إلى النظر إلى العملاق—داود وكأنه يشبه «جيري»، وإلى جليات وكأنه يشبه «توم». وكما نعلم جميعاً، فقد حارب داود—الراعي المتواضع الفلسطيني جليات، وخرج من المعركة منتصراً. وعلاوة على ذلك، ولأن داود كان يتصرف بحكمة وروية في كل مكان أرسله هذا التعيين ملائماً—بل وحتى مسؤولو شاول أنفسهم—إليه الملك شاول، فإنه عندما عينه شاول قائداً في الجيش، اعتبر جميع الناس وصائباً (1 صموئيل 18: 5). غير أن مشكلة نشأت عندما عاد داود بعد قتله لجليات؛ إذ خرجت النساء من كل بلدة في إسرائيل وهن يغنين ويرقصن ويقرعن الدفوف والصنوج للترحيب بالملك شاول. وبينما كن يحتفلن، أخذن يرددن: «شاول قتل ألوفه، وداود ربواته!» ومنذ ذلك اليوم فصاعداً، بدأ الملك شاول يضمّر غيرة قاتلة تجاه داود (الآيات 6-9). وفضلاً عن ذلك، خشي الملك شاول بل بحكمة استثنائية حقاً (الآيات 14-15). وكان السبب في ذلك هو أنه—داود لأنه لاحظ أن داود كان يدير جميع شؤونه بحكمة «نظراً لتصرف داود بحكمة في كل ما يفعله، لم يكتفِ جميع عبيد شاول بمحبته فحسب، بل أحبته أيضاً ابنة شاول نفسها، «ميكال (الآيات 22، 28)؛ وعلاوة على ذلك، أصبح اسمه يحظى بتقدير كبير واحترام عظيم (الآية 30). كيف تمكّن داود من تدبير كافة شؤونه بمثل هذه الحكمة؟ كان ذلك لأن الله كان معه (الآية 14). ولأن شاول رأى وأدرك أن الله مع داود، ازداد خوفه منه، ليصبح في نهاية المطاف خصماً له طوال بقية حياته (الآيتان 28-29). ونتيجة لذلك، سعى شاول لقتل داود (19: 1، 10). وهكذا، ومنذ تلك اللحظة فصاعداً، أصبح داود طريداً هارباً، بينما تحوّل الملك شاول إلى مطارِدٍ له

من سفر صموئيل الأول 23: 22—عقب الفترة التي قضاها داود في "قبلة" (الآيات 1-12)، والتي فرّ بعدها إلى—تأتي فترة اليوم مكان تمكّن فيه من التواري عن أنظار شاول (الآية 13)؛ وفي نهاية المطاف، وحين نصل إلى نص اليوم، نجده مستقراً في الأحرار البرية بمنطقة "زيف" (الآية 15). وفي تلك المرحلة، توجه أهل "زيف" إلى شاول في "جبعة" وأبلغوه بأن داود يختبئ بينهم في البرية، وتحديداً داخل الأحرار الحصينة على جبل "حخيلة"، جنوبي البرية (الآية 19). وقد أقدموا على ذلك لا اعتقادهم بأن من—واجبهم تسليم داود إلى يدي الملك شاول (الآية 20). وما إن سمع الملك شاول هذا النبأ حتى بارك أهل "زيف" (الآية 21)؛ ثم أصدر توجيهاته لأهل "زيف" بالعودة وإجراء تحرّ أكثر دقة واشمولاً، وذلك بعد أن استذكر تقريراً—وكما يروي لنا نص اليوم كان قد تلقاه يفيد بأن داود يتصرف بقدر كبير من الدهاء؛ فطلب منهم تحديد المكان الذي يختبئ فيه داود بدقة، ومعرفة من رآه هناك (الآية 22). وفي أعقاب ذلك، أمر الملك شاول رجال "زيف" باستطلاع كل مكان يُحتمل أن يكون داود مختبئاً فيه، وإبلاغه بالتفاصيل الدقيقة لتلك المواقع (الآية 23). وهنا، توقفت متأملاً في ثلاثة جوانب محددة تجلّت فيها حكمة داود العميقة في تصرفاته. وقد بينما نتأمل في هذه—وصفت حكمة داود هذه بأنها "الحكمة التي تشرق بأبهى صورها في أوقات الأزمات". ويحدوني الأمل أن نجتهد نحن أيضاً في تنمية—الجوانب الثلاثة من حكمة داود التي تضيء دروب الأزمات، ونسعى لتطبيقها في حياتنا الخاصة. حكمة تضيء ببريق ساطع وسط الأزمات التي نواجهها.

أولاً: إن الحكمة التي تشرق بأبهى صورها في أوقات الأزمات تتمثل في "سؤال الله" وطلب مشورته. يرجى النظر إلى سفر صموئيل الأول، الإصحاح 23، الآيتين 2 و4: "فسأل داود الرب قائلاً: «أذهب وأضرب هؤلاء الفلسطينيين؟» فقال الرب لداود: «أذهب واضرب الفلسطينيين وخلّص قعيلة». ... ثم عاد داود فسأل الرب ثانية. فأجابه الرب قائلاً: «قم، انزل إلى قعيلة، فإني سأدفع بينما كان مقيماً في بلدة تُدعى "قعيلة" في—الفلسطينيين إلى يدك». تسجل هذه الآيات الصلاة التي رفعها داود إلى الله بعد تلقيه نبأ مفاده أن "الفلسطينيين يحاربون قعيلة وينهبون البيادر" (الآية 1). وكما ترون، فقد سأل داود—أرض يهوذا هرباً من الملك شاول: الله ليس مرة واحدة فحسب، بل مرتين. ففي المرة الأولى، سأل داود الله: "أذهب وأضرب هؤلاء الفلسطينيين؟"، فأمره الله قائلاً: اذهب واضرب الفلسطينيين وخلّص قعيلة" (الآية 2). غير أن السبب الذي دفع داود لسؤال الله مرة ثانية (الآية 4) هو أن رجاله "قالوا له: "انظر، نحن خائفون حتى ونحن هنا في يهوذا؛ فكم بالحري إذا ذهبنا إلى قعيلة وحاربنا جيوش الفلسطينيين؟" (الآية 3) وبعبارة أخرى، فإن السبب الذي جعل داود يسأل الله مجدداً عما إذا كان ينبغي عليه الذهاب إلى قعيلة لضرب الفلسطينيين، هو أنه قد فإن الذهاب—اعتماداً على العقل البشري—أصغى إلى كلام الرجال الذين كانوا برفقته. وعلاوة على ذلك، فإذا نُظر للأمر منطقياً إلى قعيلة لمحاربة الجيش الفلسطيني كان، تماماً كما وصفه رجال داود، أمراً يبعث على الرعب بلا أدنى شك. وكان السبب في ذلك هو أنه لو حاربوا الفلسطينيين في قعيلة، لبلغ النبأ مسامع الملك شاول حتماً؛ وبمجرد سماعه للخبر، كان سينزل بلا ريب إلى قعيلة، ليس مرة واحدة فحسب، بل مرتين. ومع ذلك—محاولاً قتل داود وجميع رجاله. وفي خضم هذا الموقف المخيف، سأل داود الله

وطاعةً لكلمة الله، نهض داود وذهب إلى قعيلة، وحارب الفلسطينيين، وأوقع بهم هزيمة ساحقة، وأنقذ سكان قعيلة (الآية 5). غير أنه عندما أبلغ أحدهم شاول بأن داود قد وصل إلى قعيلة، لم يكتفِ شاول بالاعتقاد بأن الله قد أسلم داود إلى يديه فحسب، بل افترض أيضاً أن داود أصبح الآن محاصراً داخل مدينة محصنة بالأبواب والمزليج (الآية 7). ونتيجة لذلك، حشد شاول قواته وزحف نحو قعيلة عازماً على تطويق داود ورجاله (الآية 8). وبينما كنت أتأمل في هذا المقطع، تذكرت فرعون، ملك مصر، كما ورد ذكره في سفر الخروج". والسبب في ذلك هو أن فرعون أيضاً كان قد اعتقد أن بني إسرائيل قد "حصرهم البرية" (خروج 14: 3). وبناءً على ذلك، سارع الملك فوراً إلى حشد جميع مركبات مصر الحربية، واصطحب شعبه معه، وانطلق لملاحقة بني إسرائيل (الآيات 6-9). وهذا بالتحديد هو ما يُعرف بـ "الحكمة البشرية". إن حكمة الملك شاول لثُعد دليلاً ساطعاً على القيود المتأصلة في الطبيعة البشرية. فمن منظور الحكمة البشرية، كان من المنطقي تماماً الافتراض أنه ما دام داود محصوراً داخل قعيلة، فبإمكان شاول القبض عليه بمجرد تطويق المدينة. وبالفعل، لو سارت الأحداث تماماً كما تخيلها شاول، لكان من الوارد جداً أن يقع داود في قبضته. غير أنه كان هناك عامل حاسم واحد فشل شاول في توقعه: وهو حقيقة أن الله كان يتدخل تدخلاً مباشراً ليحول دون وقوع داود في قبضة شاول (1 صموئيل 23: 14). وعلاوة على ذلك، ولأن الإله ذاته الذي استخدم داود لإنقاذ سكان قعيلة (الآية 5) كان يعمل الآن على وبالتالي قتله. وهكذا، وباعتماده كلياً على حكمته—إنقاذ داود من براثن شاول، فقد أصبح شاول عاجزاً تماماً عن القبض عليه البشرية الخاصة، لم يكن بوسع شاول أن يأمل أبداً في الانتصار على داود. وكان السبب في ذلك يكمن في أن داود كان ينجز كل وتحديدًا: بحكمة الله. وتلك الحكمة الإلهية كانت تتمثل، بكل بساطة، في التماس الهداية والإرشاد من الله—عمل يضطلع به بحكمة نفسه.

نحن أيضاً، يجب علينا أن نسأل الله. ولكن لماذا يجب علينا أن نسأل الله؟ السبب هو أننا، بصفتنا شعب الله الذي يتكل عليه، ملزمون بطاعة مشيئته. ولذلك، ورغم أنه ينبغي علينا حقاً أن نسأل الله، إلا أنه يجب علينا أن نفعل ذلك بعقلية مستعدة لطاعة جوابه. وهذا هو الذي ينبغي علينا أن نسعى إليها. علاوة على ذلك، فإن—تلك التي تتألق بأشد سطوعها وسط الأزمات—بالتحديد نوع الحكمة الحكمة التي يجب أن نلتزمها تنطوي على الاستماع إلى كلمة الله وطاعتها، بدلاً من الاستماع إلى أقوال البشر (قارن: أعمال الرسل 5: 29)، وحتى لو بدت المشورة البشرية منطقية وسليمة في نظر عقولنا، وحتى لو بدا أن كلمة الله تنطوي على مخاطر جسيمة. (29: 5) فإنه يجب علينا أن نقرب من الله بروح الاستعداد لطاعة كلمته فوق كل مشورة بشرية، ويجب علينا أن نتصرف بإيمان. وهذا هو المعنى الحقيقي للتصرف بحكمة في خضم الأزمات.

ثانياً: إن الحكمة التي تتألق بأشد سطوعها أثناء الأزمات هي رفض فعل ما حرّمه الله.

تأمل في ما ورد في سفر صموئيل الأول 24: 6-7: «فقال لرجاله: "حاشالي من قِبَل الرب أن أفعل هذا الأمر بسيدي، مسيح الرب فأمد يدي إليه، لأنه مسيح الرب". فمنع داود رجاله بهذه الكلمات ولم يسمح لهم بمهاجمة شاول...». يروي هذا المقطع حدثاً وقع بينما

كان داود موجوداً في بركة "عين جدي" (الآية 1). وكان شاول، بعد أن جمع ثلاثة آلاف رجل مختار من جميع أسباط إسرائيل، قد خرج بحثاً عن داود ورجاله بالقرب من "صخور الوعول" (الآية 2)؛ وفي أثناء سيره، دخل كهفاً يقع بالقرب من حظيرة للأغنام ليقضي حاجته (الآية 3). غير أن شاول لم يكن يعلم أن داود ورجاله كانوا يختبئون في عمق ذلك الكهف نفسه (الآية 3). وفي تلك اللحظة، قال رجال داود له: «هوذا هذا هو اليوم الذي قال لك عنه الرب: "إني سأسلم عدوك إلى يدك، فتفعل به ما يحلو لك"» (الآية 4) لأن قلبه قد أنبّه على قطعه طرف رداء—وعند سماع هذه الكلمات، نهض داود وقصّ بهدوء طرف رداء شاول. وبعد ذلك (4) تحدث داود إلى رجاله قائلاً: «حاشا لي من قبل الرب أن أفعل هذا الأمر بسيدي، مسيح الرب، فأمد يدي إليه، إذ هو مسيح—شاول الرب» (الآية 6). وبهذه الكلمات، كبّح داود جماح رجاله ولم يسمح لهم بالحق الأذى بشاول (الآية 7). ولكن قد يتساءل المرء: كيف أن يغتتم—للهرب من الأزمة المباشرة التي تواجهه—يُعد هذا حكمة تتجلى في أبهى صورها وسط الأزمات؟ ألم يكن حرياً بـداود الفرصة لقتل الملك شاول؛ ذلك الرجل عينه الذي كان يطارده بنية قتله؟ لم يدرك رجال داود فحسب، بل الملك شاول نفسه أيضاً، أن الله قد أسلمه إلى يدي داود (الآيتان 4 و18). ومع ذلك، ورغم توفر الفرصة لديه لقتل الملك شاول، فقد أحجم داود عن فعل ذلك؛ إذ اكتفى بقطع طرف رداء شاول. وحتى بعد إقدامه على ذلك الفعل، ظل قلب داود يؤنبه على قطعه طرف ثوب شاول (الآيتان 4 و5) ألا وهو: مد—وكان السبب في ذلك أن داود كان رجلاً يتقي الله. ولأنه كان يتقي الله، رفض داود ارتكاب الفعل الذي نهى الله عنه، به لضرب الملك شاول، مسيح الرب. ورغم مواجهته لما بدا وكأنه فرصة سانحة (?) لتخليص نفسه بسهولة من الأزمة الراهنة اختار داود طاعة كلمة الله. وكان الدافع وراء ذلك أنه كان رجلاً حكيماً يُكَنُّ كل وقار وتبجيل. ونتيجة لذلك، رفض عصيان كلمة الله لمجرد إيجاد مخرج مؤقت من أزمة أثارها البشر.

وحتى لو أصر المحيطون بنا قائلين: «هذه—ونحن أيضاً، يجب علينا أن نمتنع عن فعل ما نهى الله عنه. فحتى في خضم الأزمات عبر—يتحتم علينا أن نصغي إلى صوت الله بدلاً من الانصياع لكلماتهم. فإذا ما خاطبنا الروح القدس—«فرصة منحك إياها الله بصوت الله قائلاً: «أنا أنهى عن هذا»، وجب علينا حينئذ أن نصرف النظر حتى عن تلك الفرصة، وأن—صفحات الكتاب المقدس نخضع لأمر الله. وهذا بالتحديد هو سلوك الإنسان الحكيم الذي يتقي الله. ثالثاً: إن الحكمة التي تتألق بأشد سطوعها وسط الأزمات هي مبادرة المرء إلى معاملة من يسيء إليه بكل لطف وإحسان.

تأمل في سفر صموئيل الأول 24: 17: "فَقَالَ لِدَاوُدَ: «أَنْتَ أَبْرُ مِيَّي، لَأَنَّكَ جَارِيَّتِي خَيْرًا وَأَنَا جَارِيَّتُكَ شَرًّا»". لقد نطق الملك شاول بهذه الكلمات مخاطباً داود؛ فبعد أن أدرك شاول أن داود قد عفا عن حياته رغم أن الله كان قد أسلمه إلى يد داود (الآية 18)، رفع صوته وبكى وهو يتحدث إلى داود (الآية 16). ورغم أن شاول كان يسعى بوضوح لانتزاع حياة داود (الآية 11)، إلا أنه أقر بأن داود قد قدّر قيمة حياته وأحجم عن رفع يده لإيذائه (الآية 10)؛ وعليه، أعلن الملك شاول لداود قائلاً: "أَنْتَ أَبْرُ مِيَّي، لَأَنَّكَ

"جَارَيْتَنِي خَيْرًا وَأَنَا جَارَيْتُكَ شَرًّا" (الآية 17). وعلاوة على ذلك، قال الملك شاول لداود: "لِيَكْفِيكَ الرَّبُّ خَيْرًا عَمَّا فَعَلْتَهُ بِي الْيَوْمَ بكل هذا اللطف والإحسان؟—الذي كان يسعى بنشاط لإنهاء حياته—(الآية 19). ثرى، كيف تمكّن داود من معاملة الملك شاول ورغم أن داود لم يقترب أي ذنب أو إساءة بحق الملك شاول (الآية 11)، ورغم أن شاول كان يطارده ليقتله (الآية 11) استناداً فقط الذين ادعوا قائلين: "إن داود يضمّر سوء للملك" (الآية 9)—فكيف استطاع داود أن يعامل رجلاً كهذا—إلى أقوال المحيطين به، بكل هذا اللطف؟ لقد وجدت الإجابة على هذا التساؤل في سفر التكوين 50: 20: "أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللَّهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا لِكَيْ يُتِمَّ مَا تَرَاهُ الْيَوْمَ، وَيُحْيِي شَعْبًا كَثِيرًا". لقد نطق يوسف بهذه الكلمات مخاطباً إخوته الذين كانوا قد سعوا لإيذانه. ولأن يوسف إذ رأى كيف حوّل الله نوايا إخوته الخبيثة إلى أمرٍ صالح (مزمور 8: 34)—فقد تمكّن من أن—كان قد ذاق حلاوة صلاح الله الذي—يغمرهم بالتعزية من خلال كلماتٍ في غاية اللطف والنعمة (تكوين 50: 21). فكيف إذن تمكّن داود من معاملة الملك شاول بكل هذا اللطف والإحسان؟ لقد كان ذلك تحديداً لأنه هو أيضاً قد ذاق صلاح الله (مزمور 8: 34). لقد—كان يسعى بنشاط لإيذانه ذاق داود صلاح الله حين هزم العملاق الفلسطيني "جليات"، وذاق صلاح الله مرة أخرى حين سعى الملك "شاول"—الذي التهمته إلى قتله. ولهذا السبب عينه، ورغم أن الملك "شاول" أساء معاملته، تمكّن داود من معاملته بلطف. وهذا هو السلوك—الغيرة — المميز للأفراد الحكماء الذين يعيشون حياة تتمحور حول الله. وكما فعل يوسف في سفر التكوين (تكوين 9: 39)، كان داود أيضاً الذي يدور حوله نص اليوم في سفر صموئيل الأول، الإصحاح 23—يعيش حياة تتمحور حول الله. لقد رغب داود في أن يتولى الله، القاضي المطلق، الفصل في النزاع القائم بينه وبين الملك "شاول" (الآيتان 12 و15). وعلاوة على ذلك، طلب من الله أن ينظر في محنته، وأن ينصفه ويرفع عنه مظالمه، وأن ينفذه من برائث الملك "شاول" (الآية 15). كما طلب من الله أن ينتقم له، موقعاً القصاص بالملك "شاول" (الآية 12). أليس هذا أمراً مذهلاً؟ ففي تلك المناسبة التي سنحت له فيها الفرصة لقتل الملك "شاول"، كان وبذلك كان—بوسع داود أن يتقمص دور القاضي بنفسه—منفذاً حكم الإعدام في "شاول" بدافع الانتقام الشخصي لسعيه لإيذانه سيوفر على نفسه عناءً إضافياً وحياةً يقضيها مطارداً وهارباً. ومع ذلك، فقد اختار ألا يغتصب مكان الله الحق بصفته القاضي. وبدلاً طالباً منه أن يفصل في النزاع بينه وبين الملك "شاول". وهذا بالتحديد هو سلوك—من ذلك، احتكم داود إلى الله—القاضي البار. الشخص الحكيم؛ وهو سلوك يسطع بريقه بأشد ما يكون في خضم الأزمات.

ونحن أيضاً يجب أن نتصرف بحكمة. فنحن مدعوون للتصرف بحكمة في جميع الأوقات؛ لا سيما حين نواجه الصعوبات، وحين نشعر بالإنهك أو العجز، أو حتى حين ندرك أننا نواجه أزمة ما. فماذا يعني إذن أن نتصرف بحكمة؟ إنه يعني انتهاج سلوك يتمحور حول الله، تماماً كما فعل يوسف وداود. ومن منظور سلبي، ينطوي السلوك المتمحور حول الله على تفويض أمر أولئك الذين يسيئون معاملتنا إلى قضاء الله، القاضي المطلق؛ أما من منظور إيجابي، فهو يعني معاملة أولئك الظالمين أنفسهم بلطف وإحسان. والسبب في ذلك هو أن إلهنا صالح. ولأننا قد تدوَّقنا بأنفسنا صلاح الله (مزمور 8: 34)—ولأننا نؤمن بأن هذا الإله الصالح يُجري كل

الأشياء معاً للخير (رومية 8: 28)—فإننا نجد أنفسنا مدفوعين لإظهار اللطف حتى تجاه أولئك الذين يسيئون معاملتنا. وهذا هو الجوهر الحقيقي للتصرف بحكمة في خضم الأزمات.

إن العالم الذي نعيش فيه اليوم يشبه إلى حد كبير "جليات"، ونحن نشبه إلى حد كبير "داود". وكما نعلم، فإن المعركة التي دارت بين معركة يستحيل على داود الفوز بها. فكم بالأحرى، إذن، كان لا بد أن يبدو مشهد—من منظور بشري بحت—داود وجليات كانت بقصد إلحاق الأذى به، وكأنه صراع يائس تماماً وغير متكافئ بشكل صارخ؟—وشاول هو ملك أمة بأسرها—مطاردة شاول لداود إن صراعهما يحمل شبهة لاقتاً بتصرفات شخصيتي "توم وجيري". فتتماً مثل القط "توم"، لاحق الملك شاول داود بلا هوادة في الذي يشبه الفأر "جيري"—مضطراً باستمرار للفرار من وجه الملك. ومع ذلك، وحتى—محاولة للإمساك به وقتله، بينما كان داود في خضم تلك الظروف العصيبة، لم يتخذ داود أي إجراء إلا بعد التماس مشورة الله، وظل ممتنعاً بثبات عن فعل أي شيء نهى عنه بكل لطف. وتلك—الذي كان يضطهده أشد الاضطهاد—الله. وعلاوة على ذلك، وتجسيدا لصلاح الله ذاته، عامل داود الملك شاول من—اقتداءً بمثال داود—بالتحديد كانت حكمة داود التي تجلت بأبهى صورها في قلب الأزمة. إنني أصلي لكي نتمكن نحن أيضاً التصرف بحكمة مستمدين إياها من الحكمة التي يمنحنا إياها الله في أوقات الأزمات؛ وبذلك نختبر صلاحه بشكل مباشر، ونصبح أدوات يُعلن من خلالها صلاحه للعالم أجمع.

!الضيقة فرصة

أَمَّا الَّذِينَ تَشْتَتُّوْنَ مِنْ جَرَاءِ الضِّيقِ الَّذِي ثَارَ بِسَبَبِ اسْتِفَانُوسَ، فَقَدْ اجْتَأَزُوا حَتَّى بِلَادِ فِينِيقِيَّةَ وَقُبْرُصَ»
وَأَنْطَاكِيَّةَ، لَا يَكْلِمُونَ أَحَدًا بِالْكَلِمَةِ إِلَّا الْيَهُودَ فَقَطْ» (أعمال الرسل 11: 19)

في خضم الضيق والاضطهاد، حافظ القديسون على إيمانهم؛ وحين أتأمل في هذا الإيمان، يمتلئ قلبي فرحاً... واقتداءً بإيمان»
القديسين، سأحب أنا أيضاً أعدائي؛ وسأعلن عن هذا الإيمان من خلال الكلمات والأعمال الوديدة...» (ترنيمة 383، «في خضم
(الضيقة والاضطهاد»، البيتان 1 و3).

—بما أن هذا الأمر لا يتم بقوتنا أو قدرتنا الذاتية—إن حقيقة قدرة إخواننا المؤمنين على الحفاظ على إيمانهم عند مواجهة الضيقات
تُلمزنا بالاعتراف بأن هذا هو حقاً نعمة الله ومحبه. ولذلك، عندما نتأمل في الإيمان الذي صانه الله في داخلنا، لا يسعنا إلا أن نفرح
يحبون أعداءهم ويعلنون عن هذا الإيمان من خلال—حتى وهم يكابدون الضيقات—وعلاوة على ذلك، فإن حقيقة أن مؤمنينا
الكلمات والأعمال الوديدة، تُعد بلا شك عملاً عجباً من أعمال الله الروح القدس. فبينما يُعد الحفاظ على الإيمان وسط الضيقات
مهمة تقع كلياً خارج—أمراً لا يمكننا تحقيقه بقوتنا أو قدرتنا الذاتية، فإن الإعلان الفعلي عن ذلك الإيمان يُعد مهمة أكثر استحالة
نطاق قدرتنا البشرية. ومع ذلك، عندما نشهد الله القدير وهو يُمكننا من الإعلان عن هذا الإيمان بفرح، فإننا نُضطر للاعتراف بأن
هذا العمل المتمثل—هذا العمل هو، بلا أدنى شك، من صنع الله الروح القدس. وإلى أي مدى يبلغ هذا العمل العجيب للروح القدس
ليظلوا أمناء حتى الموت؛ بل إنه يستخدم حتى استشهادهم—حتى في خضم الضيقات—في نشر الإنجيل؟ إنه يمنح مؤمنينا القوة
!إلى أورشليم، وإلى كل اليهودية والسامرة، وإلى أقاصي الأرض—وسيلةً لنشر إنجيل يسوع المسيح، موسعاً بذلك ملكوت الله
وهو مقطع يُشار إليه أحياناً بـ«أعمال الروح» (أعمال الرسل 1: 8). ويصف الإصحاح 11، الآية 19 من سفر أعمال الرسل
الأحداث التي تكشف فصولها في أعقاب الضيقة التي أثارها استشهاد استفانوس. وكان في طليعة هذه الأحداث تشتت—«القدس
المؤمنين، الذين انطلقوا في كل حذب وصوب، مبشرين برسالة الإنجيل (8: 4). وكان من بين هؤلاء المؤمنين المتشتتين شخص
يُدعى فيليبس، الذي نزل إلى مدينة السامرة وبشر أهلها بالمسيح. ونتيجة لذلك، نشأت حركة روحية لافتة للنظر: إذ أصغت الجموع

،باهتمام شديد إلى كلمات فيلبس وشهدت الآيات والمعجزات التي أجزاها، متحدةً بقلبٍ واحدٍ للاستجابة لرسالته. وعلاوة على ذلك ومع شفاء الكثيرين ممن كانوا مسكونين بأرواح شريرة ومن كانوا مصابين بالشلل، عمت فرحة عظيمة تلك المدينة (الآيات 5-8). أرسلوا بطرس ويوحنا إلى تلك المنطقة—وبالتحديد أن السامرة قد قبلت هي الأخرى كلمة الله—ولما بلغ الرسل في أورشليم نبأ ذلك وعند وصولهما، صلى بطرس ويوحنا لكي ينال السامريون الروح القدس (الآيات 14-15)؛ وبعد أن شهدا لرسالة الرب، عادا إلى أورشليم وهما يبشران بالإنجيل في العديد من القرى السامرية على طول الطريق (الآية 25). وحينئذٍ، أوعز ملاك الرب إلى فيلبس قائلاً: "فمُ واذهب نحو الجنوب، على الطريق المنحدر من أورشليم إلى غزة" (الآية 26). فأطاع فيلبس وانطلق، حيث التقى بخصي وهو مسؤول ذو سلطة عظيمة كان مشرفاً على كافة خزائن "كنداكة"، ملكة الحبشة (الآية 27). وبدءاً من نبوءة النبي—رفيع المقام .إشعيا، علّم فيلبس الخصي عن يسوع وبشّره بالإنجيل (الآية 35)، مما قاد الخصي إلى اعتناق الإيمان ونيل المعمودية (الآية 38) وفي أعقاب ذلك، واهتداءً بعمل الروح القدس وتوجيهه، غادر فيلبس ذلك المكان؛ فظهر في "أشدود" وواصل رحلته عبر مدن شتى، مبشراً بالإنجيل في أرجاء تلك المنطقة (الآية 40). ثم، ومع وصولنا إلى الإصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل، نجد أن كان تحديداً هذا الأمر: تحوّل شاول—الذي تجلّى كإحدى تبعات الضيقة التي أشعل فتيلها استشهاد استفانوس—الحدث الثاني وخلاصه على الطريق إلى دمشق، حيث نال تكليفه الإلهي ودُعي خصيصاً ليقدم بصفته "رسولاً للأمم" (أعمال الرسل 9). عند التأمل في هذا الحدث، ألحظ أربعة لقاءات متميزة عمل من خلالها الله الروح القدس بسيادةٍ واقتدار في حياة شاول: (1) لقاءه مع يسوع القائم من الأموات (الآيات 1-9)؛ (2) لقاءه في دمشق مع تلميذ يُدعى حنانيا (الآيات 10-19)؛ (3) لقاءه مع برنابا (الآيات 26-27)؛ و (4) لقاءه مع الرسل في أورشليم (الآية 28). وعبر هذه اللقاءات ذاتها، كان الله الروح القدس يعمل على إعداد شاول (26-27) وتثييته ليكون "رسولاً للأمم". وفي أعقاب ذلك، نجد الحدث الثالث الناجم عن الضيقة التي تسببت فيها استشهاد استفانوس مذكوراً في الإصحاح العاشر من سفر أعمال الرسل: وهي اللحظة التي حلّ فيها الروح القدس على كل من كانوا يستمعون إلى الرسالة (الآية 4)؛ وتحديداً، حين سمع كرنيليوس (الآية 2) —وهو قائد مئة أممي من "الكتيبة الإيطالية"—ومعه أقاربه وأصدقائه المقربون (44) الذين تجمعوا في بيته (الآية 24)، عظة بطرس (الآيات 36-43). وأخيراً، كان الحدث الرابع—الذي تتكشف تفاصيله في نصنا اليوم، أي الإصحاح الحادي عشر من سفر أعمال الرسل (بدءاً من الآية 19 ووصولاً إلى الآية 26)—هو تأسيس الكنيسة في أنطاكية، وهي جماعة مؤمنين تألفت في المقام الأول من الأمم. وفي نهاية المطاف، وعبر الضيقة التي أثارها الأحداث المحيطة باستفانوس، قام الله الروح القدس بتثبيت المؤمنين في الكنيسة الأولى؛ وبينما كان هؤلاء المؤمنون المتشبتون يجوبون الآفاق من سماع—مبشرين بالإنجيل، أقام هو شاول ليكون رسولاً للأمم، ومكّن كرنيليوس الأممي—مع عائلته وأصدقائه المقربين البشارة السارة، وعلاوة على ذلك، أتمّ تأسيس الكنيسة في أنطاكية؛ تلك الكنيسة المخصصة للأمم. وفي ضوء ذلك، يمكننا القول إن الضيقة تُعد بمثابة فرصة؛ فرصة للتشبت والتبشير بالإنجيل، مما يوسع نطاق انتشاره؛ وفرصة لإقامة قادة؛ وفرصة لتوسيع ملكوت الله؛ وفرصة لبناء الكنيسة وتقويتها. وعلى وجه الخصوص، وأثناء تأملي في الآيات 19-26 من الإصحاح الحادي عشر من سفر أعمال الرسل، قادني الروح للتأمل في الطبيعة الحقيقية للضيقة والفرص التي تتيحها. لقد حدثت أربعة جوانب رئيسية

أولاً: إن الضيقة تُعد فرصةً للتشتت وإعلان الرب يسوع، وفرصةً لتوسيع نطاق خدمتنا الإنجيلية.

تأملوا في سفر أعمال الرسل 11: 19-20: «أَمَّا الَّذِينَ تَشَتَّتُوا بِسَبَبِ الصِّيقِ الَّذِي حَدَثَ بِسَبَبِ اسْتِفَانُوسَ، فَاجْتَاؤُوا إِلَى فِينِيقِيَّةَ وَفُيْرُسَ وَأَنْطَاكِيَّةَ، وَهُمْ لَا يُكَلِّمُونَ أَحَدًا بِالْكَلِمَةِ إِلَّا الْيَهُودَ فَقَطْ. وَلَكِنْ كَانَ مِنْهُمْ قَوْمٌ مِنْ فُيْرُسَ وَفَيْرَوَانَ، الَّذِينَ لَمَّا دَخَلُوا أَنْطَاكِيَّةَ تَكَلَّمُوا مَعَ الْيُونَانِيِّينَ أَيْضًا، مُبَشِّرِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ». فبسبب الضيقة التي اندلعت عقب الأحداث المحيطة باستفانوس، تشتت مؤمنو الكنيسة الأولى. وبينما نفرق هؤلاء المؤمنون المشتتون عبر مناطق شتى، أعلنوا في البداية رسالة يسوع المسيح لليهود فقط؛ غير الذين كانوا من الأمم (غير اليهود) —أن بعضهم وصل في نهاية المطاف إلى أنطاكية، وبدأوا يعلنون الرب يسوع لليونانيين أيضاً وبدلاً من أن نظل مجتمعين معاً لمجرد التشاجر والتقاتل والوقوع في الخطية داخل أسوار الكنيسة، فإننا بحاجة إلى أن نسمح للروح بأن يشتتنا، لكي ننطلق ونعلن إنجيل يسوع المسيح في كل مكان. وفي عملنا—حتى وإن كان ذلك من خلال وسيلة الضيقة—القدس الكرازي، لا ينبغي لنا أن نحصر أنفسنا في مشاركة الإنجيل مع إخواننا الكوريين فحسب؛ بل يجب علينا أيضاً أن نشاركه مع شعوب من أمم أخرى. وحتى إن كنا لا نتحدث لغاتهم الأم، فيجب علينا أن نعلن لهم إنجيل يسوع المسيح من خلال اللغة الكونية: لغة محبة من توسيع—حتى من خلال بوتقة الضيقة—الله. إننا بحاجة إلى توسيع آفاق خدمتنا الإنجيلية. وأصلي لكي يمكننا الله الروح القدس نطاق إعلاننا للإنجيل. ثانياً: تُعد الضيقة فرصةً ممتازةً حقاً لاختبار حضور الرب

يرجى النظر إلى سفر أعمال الرسل 11: 21: «وَكَاثَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُمْ، فَأَمَنَ عَدَدٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَرَجَعُوا إِلَى الرَّبِّ». فبسبب الضيقة موسعين—التي نشأت عقب الأحداث المتعلقة باستفانوس، تشتت مؤمنو الكنيسة الأولى؛ وبينما انطلقوا ليعلنوا إنجيل يسوع المسيح تجلّى عملٌ مذهل. ولأن يد الرب كانت مع هؤلاء—نطاق وصولهم حتى بلغوا أنطاكية ليشاركوا البشارة السارة حتى مع الأمم المبشرين، فقد آمن جمعٌ غفيرٌ من الناس بيسوع ورجعوا إلى الرب. ومن جانبي، فإنني أنظر إلى الأزمات في حياتنا باعتبارها فرصاً وإحدى الفرص الجوهرية التي تتيحها مثل هذه الأزمات هي، على وجه التحديد، فرصة اختبار حضور الله. وبخاصة، كلما إلى الحد الذي يراودني فيه شعورٌ بالرغبة في إرخاء يدي استسلاماً—شعرتُ بأن الصعوبات والشدائد قد أثقلت كاهلي فإنني أختبر بدلاً من ذلك عملاً معجزياً: إذ تمتد يد الرب اليمنى لتمسك بيدي، وترفعني، وتوجهني مجدداً نحو الغاية—والانسحاب التي رسمها لي. وفي مثل تلك اللحظات، أدرك حق الإدراك أن أزمات الحياة هي، في واقع الأمر، من أعظم الفرص لاختبار حضور الرب. وحين واجه مؤمنو الكنيسة الأولى الضيقات، لم يتزعزعوا؛ بل واصلوا إعلان الإنجيل واختبروا حضور الله اختباراً مباشراً حتى في—وشهدوا بذلك قوة الله ومجده المذهلين، إذ رجع جمعٌ غفيرٌ إلى الرب بالإيمان. وإن صلاتي هي أن نختبر نحن أيضاً حضور الله، بل وأن نشهد كذلك قوته ومجده—خضم الشدائد والأزمات التي تحل بنا

ثالثاً: تُعدّ الشدة فرصة ممتازة للخدمة الجماعية (خدمة الفريق)

تأملوا معي في سفر أعمال الرسل 11: 22، وفي النصف الأول من الأيتين 25 و 26: «فَسَمِعَتِ الْكَنِيسَةُ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ خَبَرَ هُمْ، فَأَرْسَلُوا بَرْنَابَا إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ... ثُمَّ حَرَجَ بَرْنَابَا إِلَى طَرَسُوسَ لِيَطْلُبَ شَاوُلَ، وَلَمَّا وَجَدَهُ جَاءَ بِهِ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ. فَحَدَّثَتْهُمَا الَّذِي أَثَارَتْهُ الشَّدَّةُ الَّتِي نَشَأَتْ بِسَبَبِ قَضِيَّةٍ—اجْتَمَعَا فِي الْكَنِيسَةِ سَنَةً كَامِلَةً وَعَلَّمَا جَمْعاً غَفِيراً». وبالإضافة إلى تشتت المؤمنين والذي أدى بدوره إلى الكرازة بالإنجيل، واتساع نطاق انتشاره، واختبار حضور الرب؛ فإننا نشهد أيضاً عمل الروح—استفانوس، القدس في جمع فريق للخدمة معاً. فعند سماع أخبار عمل الخلاص العظيم الذي كان يجري بين أعداد كبيرة من الناس في أنطاكية، الذي وُصف بأنه «رَجُلٌ صَالِحٌ وَمُتَلَيٍّ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْإِيمَانِ» (الآية 24)—إلى تلك المدينة—أرسلت كنيسة أورشليم برنابا ونتيجة لذلك، تضافرت جهود الكارزين المحليين في أنطاكية، وكنيسة أورشليم، وبرنابا، ليعملوا كفريق واحد من أجل إنجاز عمل الكرازة وصناعة التلاميذ في تلك المنطقة. وعلاوة على ذلك، نلاحظ أن الله الروح القدس قاد برنابا ليأتي بشاول من طرسوس، لكي يخطط الاثنان في خدمة جماعية مشتركة لمدة عام كامل (الآيتان 25 و 26). ونتيجة لذلك، انضم عدد كبير من الناس إلى الرب (الآية 24)، وفي أنطاكية دُعي التلاميذ لأول مرة «مسيحيين» (الآية 26). ولعلنا نجد صعوبة في الانخراط بفاعلية في الخدمة. أو، بلغة المجاز، لأننا أصبحنا «مُتخمين» (شبعي أكثر مما ينبغي)—الجماعية لأن كل شيء قد أصبح مريحاً للغاية بالنسبة لنا وسواء كان ذلك داخل الكنيسة المحلية أو في حقول الإرسالية، فإننا نحن الذين نُعلن إنجيل يسوع المسيح غالباً ما نفشل في خدمة الرب وخدمة جيراننا بقلبٍ واحدٍ وفكرٍ واحدٍ؛ ونتيجة لذلك، لا تزدهر خدماتنا في الكرازة وصناعة التلاميذ كما ازدهرت في عهد بولس وأبولس (1 كورنثوس 3: 5-9). فما هي المشكلة إذن؟ ولماذا نفشل في إنجاز الخدمة الجماعية معاً على الوجه الصحيح؟ أليس السبب هو الكبرياء؟ ولماذا نفتخر؟ هل لأننا بمنأى عن الضيقات والاضطهادات؟ تماماً كما شتت الروح القدس مؤمني الكنيسة مدفوعاً بالضيقة التي نشأت عن الأحداث المحيطة بـ "إستفانوس"—ليُنتشروا الإنجيل؛ وكما مكّن الروح القدس كنيسة—الأولى أورشليم، وكنيسة أنطاكية، وبرنابا، والمبشرين في منطقة أنطاكية، وشاول، من الانخراط في خدمة جماعية مشتركة؛ فإنني أصلي بصياغة الكنائس والخدام ليصبحوا فريقاً واحداً—حتى في خضم الضيقات—أن يقوم الروح القدس في هذا العصر الحاضر متماسكاً. وليمكننا الرب من التواصل مع النفوس التي يحبها، حاملين في قلوبنا قلب الرب ذاته؛ لكي نُعلن إنجيل الرب يسوع. ونُعلم كلمته، فنقوم برعاية قطيعه وسياسته على الوجه الأمثل.

رابعاً وأخيراً: تُعدّ الضيقة فرصة سانحة لبناء الكنيسة.

تأمل في الجزء الأخير من سفر أعمال الرسل 11: 26: "...وفي أنطاكية دُعي التلاميذ مسيحيين أولاً". فمن خلال الضيقة التي نشأت عن الأحداث المحيطة بـ "إستفانوس"، تشتت المؤمنون، مما أدى بالتالي إلى توسيع نطاق إعلانهم للإنجيل وامتداده الجغرافي. وبينما

كنيسة أنطاكية. ومرة أخرى، نلاحظ أن—كانوا يضطلعون بخدمتهم الجماعية وهم يختبرون حضور الرب، أسس الرب كنيسة المتمثل في بناء كنيسة حتى في خضم—الرب يبني كنيسة مستخدماً أساليبه الخاصة (متى 16: 18). وإذ نشهد عمل الرب هذا فما الذي ينبغي علينا فعله إذن؟ هل يجدر بنا، لمجرد أننا واجهنا ضيقاً، أن نرفض المشاركة في عمل الرب—بوتقة الضيق لبناء كنيسة؟ وهل ينبغي علينا، أسوةً بشعب إسرائيل في أيام النبي "حجي"، أن نتخلى عن المهمة ونسارع عاندين للاهتمام بمنازلنا الخاصة فحسب؟ (حجي 1: 4، 9). لربما كان ما نحتاجه، في هذه اللحظة بالذات، هو أن نُنمّي في أنفسنا شعوراً عميقاً بالإلحاح شعوراً نابعاً تحديداً من صميم الضيق التي نواجهها. وعليه، وبتوجيه من الروح القدس، يتحتم علينا أن نشارك—والضرورة خادمين بكل اجتهاد وأمانة، ومُركّزين أنظارنا على كلمته—تلك الكنيسة التي يؤسسها الرب بنفسه—بفاعلية في خدمة بناء الكنيسة. وعلى الإيمان به. إننا نصلي بقلوب مخلص أن يقوم الرب ببناء كنيسة

امتحان الإيمان

«إِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرْحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقْعُونَ فِي تَجَارِبٍ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا»
(يعقوب 1: 2-3).

كيف تكون ردة فعلنا عندما تعترضنا التجارب؟ ولا سيما عندما لا تقتصر تلك التجارب على واحدة أو اثنتين فحسب، بل تكون متنوعة ومتعددة؟ كيف تكون استجابتنا المعتادة حينئذ؟ ألا نجد أنفسنا في كثير من الأحيان غارقين في ثقل الصعوبة والضيق، لدرجة أننا لا نسقط في الإحباط فحسب، بل ننزلق حتى إلى الشعور باليأس؟ ومع ذلك، فإن سفر يعقوب (1: 2) يوجهنا قائلاً: «إِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرْحٍ». كيف يتسنى لنا ذلك؟ وكيف يمكننا حقاً أن نعتبر الأمر «كُلَّ فَرْحٍ» ونحن نواجه تجارب شتى؟

إن السبب الذي يدعونا لأن نحسب الأمر «كُلَّ فَرْحٍ» عند مواجهة التجارب المتنوعة هو أن امتحان إيماننا يُنْشِئُ صبراً (يعقوب 1: 3) —وحيث نسمح للصبر بأن يُتم عمله فينا، سنغدو كاملين وتامين، غير ناقصين شيئاً (الآية 4). غير أنه في الواقع، تمر بنا أوقات (3) وتاماً كما تعبر —نصبح فيها على وعيٍ حادٍ بمدى قصورنا وعجزنا الذاتي. فعلى سبيل المثال —تحديداً عندما نواجه تجارب شتى ندرك مدى ضلالة إيماننا وعدم كفايته حقاً عندما —كلمات المقطع الأول من الترنيمة رقم 543 بعنوان «عندما تنشأ الصعوبات وكما يذكر الكتاب المقدس في سفر يعقوب (1: 5) —ندرك أحياناً أيضاً مدى افتقارنا إلى —نصطدم بالمصاعب. وعلاوة على ذلك الحكمة ونحن نجتاز التجارب المتنوعة. وكيف لنا أن نعرف ما إذا كنا مفتقرين إلى الحكمة؟ إليكم مثلاً واحداً: لو كنا ممثلين بالحكمة وبما أن مخافة الرب هي بدء الحكمة (أمثال 1: 7؛ 9: 10) —لكننا كرهنا الشر، بغض النظر عن أي تجارب قد نواجهها —حقاً (أمثال 8: 13). وعليه، عندما نواجه التجارب، لن نقول إننا «تُجَرَّب» أو «تُمْتَحَن من قِبَل الله» (الآية 13). ولن ننساق أيضاً وراء ممن لا يخطئون —على غرار أيوب في العهد القديم —شهواتنا الخاصة التي تغرينا وتستدرجنا (يعقوب 1: 14). بل سنكون بشفاهم بالتذمر والشكوى ضد الله (أيوب 1: 22؛ 2: 10). بل سنكون سريعين في الاستماع، بطيئين في الكلام، وبطيئين في الذي يعطي الجميع بسخاء ودون أن يعيّر (الآية 5) —وسنسارع إلى الاستماع —الغضب (يعقوب 1: 19). وسنقترب من الله لصوته. وبينما نفعل ذلك، سنرفع طلباتنا إلى الله (الآية 5). ومع ذلك، ففي طلبنا، لن نكون مزدوجي الرأي أو مترددين (الآية 8)، سنصلي إلى الله دون شك (الآية 6)، منتظرين ومترقبين بملء الرجاء. وبدلاً من الصلاة والأمل في أن يُنجينا الله *من* تجاربنا

سنصلي ونأمل أن يكون هو ببساطة *معنا*. والسبب في ذلك هو أن حضور الله الشخصي معنا (خروج 33: 15) يُعد أكثر أهمية بكثير من النجاة من التجارب ذاتها. علاوة على ذلك، ومن خلال الاتكال الهادئ على الله (إشعياء 30: 15)، سننتظر خلاصه ونتيجة لذلك، سنشهد مجد الله (أيوب 42: 4).

وكلما واجهنا تجارب متنوعة، ينبغي علينا أن نعتبرها فرحاً محضاً (يعقوب 1: 2). وذلك لأن امتحان إيماننا يُنتج المثابرة. ولكي تُتم المثابرة عملها، فإننا بحاجة إلى شخص يُشكل لنا قدوة في المعاناة والصبر (10: 5). ومن هؤلاء الأشخاص شخصية "أيوب" الواردة شخصاً يتقي الله ويحيد عن الشر (أيوب 1: 1) —إلا أنه في العهد القديم (الآية 11). فعلى الرغم من أنه كان بلا لوم ومستقيماً احتمل تجارب هائلة تكاد تفوق قدرتنا على التخيل. وبالفعل، لقد احتمل تجربة عظيمة فقد فيها كل ممتلكاته ورأى أبناءه العشرة يهلكون جميعاً (الآيات 11-19). ومع ذلك، قدم أيوب التسبيح لله ولم يخطئ في أي من هذه الأمور (الآيات 21-22). كما أنه لم يُضمّر أي استياء تجاه الله (الآية 22؛ 2: 10). وعليه، ما هي النتيجة التي منحها له الرب (يعقوب 5: 11)؟ لقد ردّ الله إليه ضعف كل ممتلكاته السابقة (أيوب 42: 10). في الجزء الأخير من حياته، بارك الله أيوب بفيضٍ أعظم مما باركه به في البداية (الآية 12) كما وهبه الله سبعة أبناء وثلاث بنات، وقيل إنه "لم توجد في الأرض كلها نساءً بجمال بنات أيوب" (الآيات 13-15). وإذ نتأمل في هذه العقوبة التي منحها الرب لأيوب (يعقوب 5: 11)، يتحتم علينا نحن أيضاً أن نصبر ونحتمل بصبرٍ عندما نواجه تجارب شتى (1) إننا نعتبر أولئك الذين يثابرون ويحتملون مباركين (5: 11). طوبى للرجل الذي يحتمل التجارب بصبرٍ (1: 12)؛ فإن الرب (12) سيمنحه "إكليل الحياة" الذي وعد به أولئك الذين يحبونه (الآية 12).

النعمة الممنوحة بعد الكارثة

هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: "وَجَدَ الشَّعْبُ الَّذِينَ بَقُوا مِنَ السَّيْفِ نِعْمَةً فِي الْبَرِّيَّةِ، إِسْرَائِيلُ، حِينَ سِرْتُ لِأُريحَهُ" (إرميا 31: 2).

إن أفكار الله نحونا هي أفكار سلام (إرميا 29: 11). وأفكار الله نحونا هي أفكار مستقبل ورجاء (الآية 11). ومع ذلك، فإن أفكارنا —تختلف عن أفكار الله (إشعيا 55: 8). فنحن نُضمر أفكاراً شريرة في قلوبنا (متى 9: 4). وما يخرج من قلوبنا هو أفكار شريرة تحديداً: الفجور الجنسي، والسرقعة، والقتل، والزنا، والجشع، والحقْد، والمكر، والفسق، والحسد، والافتراء، والغطرسة، والحمافة (مرقس 7: 21-22). وهكذا، فإن أفكارنا ذاتها هي أفكار خاطئة (أمثال 24: 9). ونظراً لأن كل تصور ونية لأفكار قلوبنا هي دائماً شريرة فقط (تكوين 6: 5)، فإن الله يُدبنا وفقاً لشريعته (إرميا 30: 11). وفي سياق هذا التأديب، يُرسل الله علينا الكوارث ليقودنا إلى إدراك خطايانا والتوبة عنها. وحتى من خلال الكارثة، يُقوِّم الله طرقنا وأعمالنا، مُلزمنا بطاعة صوته (26: 13). وفقط بعد أن يفعل الله ذلك، يفيض علينا بنعمته (31: 2). فما هي إذن هذه النعمة؟

أولاً: إن النعمة التي يمنحنا إياها الله بعد الكارثة هي الخلاص

تأمل في سفر إرميا 31: 11: «لَأَنَّ الرَّبَّ قَدْ فَدَى يَعْقُوبَ، وَفَكَهُ مِنْ يَدِ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْهُ». وعبر لسان النبي إرميا، خاطب الله «إشعيا يهوذا بهذه الكيفية: «رَنِّمُوا لِيَعْقُوبَ بِفَرَحٍ، وَاهْتَفُوا لِرَأْسِ الْأُمَمِ. سَمِعُوا، سَبِّحُوا وَقُولُوا: "خَلَّصَ يَا رَبُّ شَعْبَكَ، بِقِيَّةِ إِسْرَائِيلَ" أن يتضرعوا—الذين سيقوا إلى السبي في بابل نتيجةً لتأديبه لهم—(الآية 7). فماذا يعني هذا؟ إنه يعني أن الله أراد من شعب يهوذا إليه بصدق طلباً للخلاص. والسبب في ذلك هو أن الله، المُخْلِص، أراد أن يُنقذ شعب يهوذا من أيدي البابليين عقب انقضاء زمن أولئك الذين هم غير مستحقين للخلاص على الإطلاق—محنتهم. أيها الأصدقاء، إن إلهاً يرغب في خلاص الخطاة أمثالي وأمثالكم تلك الخطيئة التي هي السبب الجذري لكل المعاناة التي—وقبل أن يُنجِّبنا من كل معاناتنا، يرغب الله في أن يُخَلِّصنا من خطيئتنا حلَّت بنا. وبالفعل، فإن الله يُنجِّبنا من خطيئتنا ومن كل معاناتنا على حد سواء. وهذه هي بالتحديد النعمة التي يفيض بها الله علينا في أعقاب الكوارث.

ثانياً، إن النعمة التي يمنحنا إياها الله عقب أوقات الشدائد هي فعله القاضي بإعادتنا إلى ديارنا

تأملوا في سفر إرميا 31: 8: «هَآ أَنَا آتِي بِهِمْ مِنْ أَرْضِ الشِّمَالِ وَأَجْمَعُهُمْ مِنْ أَقْصَايِ الْأَرْضِ. وَفِيهِمْ الْأَعْمَى وَالْأَعْرَجُ، وَالْحُبْلَى وَالْمَخَاضُ مَعاً؛ كَجَمَاعَةٍ عَظِيمَةٍ يَرْجِعُونَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ». فمن خلال النبي إرميا، وعد الله شعب يهوذا بأنه سيقودهم خارج أي أورشليم. وفي ذلك—ويجمعهم من أقاصي الأرض، ليعيدهم كجماعة عظيمة إلى «هذا الموضع—أي بابل—أرض الشمال الحين، سيعود شعب يهوذا إلى أورشليم وهم سيكون (الآية 9). وبينما هم عائدون، سينالون هداية الله وإرشاده (الآية 9). وكما كان الحال في الأيام الغابرة، ولأن الله يحب شعب يهوذا حباً أبدياً، فإنه سيقودهم بلطف ورأفة (الآية 3) ويعيدهم إلى أورشليم. لقد وعد إلى أورشليم. وعلاوة على ذلك، وعد الله بأنه متى انقضت السنوات—الذين تابوا ورجعوا عن خطيئتهم—الله بأنه سيعيد شعب يهوذا السبعون في بابل، فإنه سيلتفت بعنايته إلى شعب يهوذا، ويتم الوعود الصالحة التي قطعها لهم، ويعيدهم إلى أورشليم (29: 10). وقد منح الله شعب يهوذا الراحة والطمأنينة (31: 2). إن إلهنا هو إله ينتظر عودتنا إليه (لوقا 15: 11 وما يليها). وفضلاً عن ذلك هو بعينه النعمة التي يفيض بها—إعادتنا مرة أخرى—فإن إلهنا هو ذاك الذي يعيدنا إلى ديارنا، إلى بيته هو. إن فعل الإعادة هذا الله علينا عقب أوقات الشدائد والكوارث. ثالثاً: إن النعمة التي يمنحنا إياها الله بعد اجتياز فترة من الكوارث هي أنه يقودنا في طريق مستقيم ويرعانا.

تأمل في سفر إرميا 31: 9-10: «يَأْتُونَ بالبكاء؛ وإذ يَأْتُونَ استجابةً لإرشادي ولتضرعاتهم، سأقودهم في طريق مستقيم لا يتعثرون طريقاً بمحاذاة جداول المياه. لأنني صرْتُ أباً لإسرائيل، وأفرايم هو ابني البكر. اسمعوا كلمة الرب أيها الأمم، وأذيعوها في—فيه الجزر البعيدة قائلين: "إن الذي شتت إسرائيل سيجمعه، وسيرعاه كما يرعى الراعي قطيعه"». لقد كان شعب يهوذا بأسرهم كالخراف التي ضلت طريقها (إشعيا 53: 6)؛ إذ سلكوا في دروبٍ ملتوية. غير أنهم في نهاية المطاف واجهوا الكارثة وسيبقوا أسرى إلى بابل ومع ذلك، وعدهم الله بأن يخلصهم من قبضة بابل ويعيدهم إلى أورشليم (إرميا 31: 8). وعليه، وعدهم بأنه بينما يعودون والدموع تملأ عيونهم، ستكون يده هي التي ترشدتهم (الآية 9). وعلاوة على ذلك، وعد الله بأن يُقَوِّم مساراتهم ويقودهم في طريق مستقيم هو الإله—الذي هو راعيـنا—(الآية 9). كما وعد الله بأن يرعى شعب يهوذا تماماً كما يرعى الراعي قطيعه (الآية 10). إن ربنا تلك المدينة السماوية. وفضلاً عن ذلك، فإن الرب يرعانا ويمكّننا—الذي يرشدنا؛ فإرشاده، يقودنا الرب حالياً نحو أورشليم الحقيقية من السير في الطريق المستقيم. وهذه بالتحديد هي النعمة التي يفيض بها الله علينا في أعقاب الكوارث.

رابعاً: إن النعمة التي يمنحنا إياها الله عقب اجتياز فترة من الكوارث تتمثل في قيامه ببناينا وتشبيدنا من جديد.

تأمل في سفر إرميا 31: 4: «يا عذراء إسرائيل، سأبنيك من جديد، وسأعاد عمارتك؛ وستحملين من جديد دفوفك وتخرجين راقصةً مع أولئك الذين يبتهجون». فمن خلال النبي إرميا، وعد الله شعب يهوذا بأنه سينقذهم من بابل، ويُعيدهم إلى اورشليم، ويُرمم حالهم لدى عودتهم من بابل إلى—ويعيدهم إلى سابق عهدهم مرة أخرى. وفي سياق هذا الترميم، أعلن الله أنه سيمكّن شعب يهوذا من العيش في سلام وأمان، مكرسين أنفسهم للزراعة (الآية 5؛ بارك يون-سون). علاوة على ذلك، وعد الله بأن يُعيد—أورشليم توحيد المملكة الشمالية (إسرائيل) والمملكة الجنوبية (يهوذا)، ممكناً إياهما من الصعود معاً إلى الهيكل في اورشليم لتقديم عبادة على الصعد—حقيقية له (الآية 6؛ بارك يون-سون). وفي نهاية المطاف، وعد الله بأن يُعيد لشعب يهوذا عافيتهم واستقرارهم الاقتصادي والسياسي والروحي. إن إلها هو الإله الذي يُرممنا ويُعيد إلينا عافيتنا؛ فإنه فقط حين يُرممنا الله، يمكننا أن نستعيد عافيتنا وحالنا حقاً (الآية 4). وبما أن الرب قد وعد بأن يُعيد بناء كنيسه (متى 16: 18)، فإنه سيُتم ذلك حتماً. هذه هي النعمة التي يفيض بها الله علينا في أعقاب الكوارث والمحن.

"خامساً: إن النعمة التي يمنحنا إياها الله عقب أوقات الكوارث هي هبة "الفرح العظيم

—تأمل في سفر إرميا 31: 12: «سيأتون ويُصدحون بالتسبيح على مرتفعات صهيون، وستشرق وجوههم ابتهاجاً بصلاح الرب بسبب الحنطة، والمسطار (النبذ الجديد)، والزيت، وبسبب صغار الغنم والبق؛ وستكون نفوسهم كحديقة رويانة، ولن يذبلوا أو يخوروا أبداً بعد ذلك». إن إلها هو الإله الذي يُحوّل الحزن إلى فرح (الآية 13). وإلها هو ذاك الذي يُعزينا، ممكناً إيانا من العثور على الفرح وسط همومنا وقلقنا (الآية 13). وفي سياق منحه إيانا الفرح، يكون الله هو الذي يجعلنا نرقص ونحتفل بابتهاج وسرور (الآية 13). وبينما يقودنا الله إلى الرقص والابتهاج، فإنه يملأنا حتى الفيضان بفرح الغفران، وفرح الخلاص، وفرح الترميم واستعادة العافية. ونتيجة لذلك، يُحوّل الله نفوسنا إلى حديقة رويانية ومُفعمّة بالحياة. مرةً أخرى، سنتحرر من القلق؛ وهذه بالتحديد هي النعمة التي يفيض بها الله علينا في أعقاب الكوارث.

إن الله يمدّنا بنعمته عقب أوقات النكبات؛ وتتضمن هذه النعمة أن يُخلصنا الله، ويُعيدنا إلى ديارنا، ويهدينا إلى صراطٍ مستقيم، ويرعانا بعنايته. فضلاً عن ذلك، فإن الله يُعيد إلينا عافيتنا ويملأنا بفيض من الابتهاج؛ ونتيجةً لذلك، يمنحنا الله رضاءً تاماً واكتفاءً كاملاً. في أعقاب أي كارثة قد تحلّ بنا—(إرميا 31: 14). وأصلي أن تكون هذه النعمة ذاتها من نصيبكم—ومن نصيبي.

الله مُعِينِي

[المزمور ١٢١]

هل تُدرك أنك كائنٌ في حاجةٍ إلى العون؟ وإذا كنتَ تُدرك ذلك، فماذا تفعل حين تجد نفسك في ضائقةٍ أو حاجةٍ؟ وإلى مَنْ تلتفتُ طلباً للمساعدة؟ أما أنا شخصياً، فكلما وجدتُ نفسي في حاجةٍ إلى العون، أستمتعُ بترنيم الترنيمة رقم ٢١٤ من كتاب "الترانيم الجديد والتي تحمل عنوان: "أطلبُ عونَ الرب". تقول كلماتُها: "أطلبُ عونَ الرب؛ وأتضرعُ إلى يسوع. امنحني، (*New Hymnal*) خلاصك؛ واقبلني إليك يا رب" (المقطع الأول). وأنا أحبُّ بصفةٍ خاصةٍ كلماتَ المقطع الثالث التي تقول: "قوتي وعزمي واهنان ولأنني كثيراً ما أتعثرُ وأسقطُ في رحلةٍ—وسريعاً ما أتعثرُ؛ فخلصني باسمك، واقبلني إليك يا رب". ولأن قوتي وعزمي واهيان فإنني أشعرُ بحاجةٍ ماسّةٍ إلى عون الله؛ ولذا، كثيراً ما أتقربُ إلى الله بالصلاة، مُرثِماً ترنيمة "أطلبُ عونَ الرب" بقلبي—إيماني مفعمٍ بالتضرع. وفي مثل تلك الأوقات، لا تنفكُ الآيةُ التي يضعها الله في ذهني هي ما وردَ في المزمور ١٢١: ١-٢: "أَرْفَعُ عَيْنِي مِنْ أَيْنَ يَأْتِي عَوْنِي؟ عَوْنِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، صَانِعِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ". واليوم، وإذ تُركِّزُ على هذه الآية، وتحتَ عنوان—إلى الجبالِ اللهُ مُعِينِي"، أودُّ أن أتأملَ في المزمور ١٢١ بأكمله، وأن أستقبلَ الدروسَ التي يُقدمها الله لي ولك."

المزمور ١٢١: ١-٢—نرى أن كاتبَ المزمور قد رفعَ عينيه نحو الجبال، وتأمَّلَ في هذا السؤال: "مِنْ—وبينما نتفحصُ نصَّ اليومِ أَيْنَ يَأْتِي عَوْنِي حقاً؟". فكانت خلاصتهُ: "عَوْنِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، صَانِعِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ". وبالفعل، حين نكونُ أنا وأنتَ في حاجةٍ أن نجدَ—شأننا شأنَ كاتبِ المزمور—ماسّةٍ إلى العون، على مَنْ تُثَبِّتُ أنظارنا، وإلى مَنْ تلتفتُ طلباً للمساعدة؟ وهل من الممكن أنفسنا نتساءل: "مِنْ أَيْنَ يَأْتِي عَوْنِي؟"، ومع ذلك، وبدلاً من أن نتطلعَ إلى الله، نحاولُ التماسَ العون من البشر أو من أشياء أخرى؟ إن غرائزنا لا تقودنا إلى الاتكالِ كلياً على الله طلباً للعون، إلا بعد أن نُدرك إدراكاً تاماً عجزنا المطلق. وبناءً على ذلك، فبدلاً من ونطلب المساعدة—التماسَ العون من الله الذي خلق السماوات والأرض، كثيراً ما نتطلع نحو القوى الدنيوية العظيمة التي خلقها هو "مشبهين إياها بـ"الجبال". ومع ذلك، وحينما نفشل في نهاية المطاف في الحصول على أي مساعدة حقيقية من هذه "الجبال—منها ذلك الإله—الدنيوية، فإننا نقع فريسةً للإحباط واليأس؛ وحينها فقط يُمكننا الله، الروح القدس، من رفع أنظارنا نحو الخالق القدير

عينه الذي أوجد تلك الجبال ذاتها من العدم. ونتيجة لذلك، وبعد أن نكون قد تلقينا عون الله، فإننا ننضم إلى صاحب المزمور في هذا كيف أن الله، الذي—في ثلاث نقاط—الاعتراف: "مَعُونَتِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، صَانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ". لذا، دعونا نتأمل الآن بتقديم العون الفعلي لي ولك—وفقاً للنص الكتابي لهذا اليوم—يعترف صاحب المزمور بأنه معينه، يقوم

أولاً: إن الله، الذي هو معيننا، يضمن لنا ألا نتعثر

، تأملوا معي في النصف الأول من الآية الثالثة في نص اليوم، من المزمور 121: "لَا يَدْغُ رِجْلُكَ تَزُلُّ...". تشير هذه الآية إلى أن الله عن طريق الحق (بحسب تفسير "بارك يون-سون"). يا لها من بركة ونعمة ثمينة هذه—أنا وأنت—معيننا، يحول دون انحرافنا، التي ننالها من الله! فنحن كائنات ضعيفة، وكما وُصف حالنا في سفر إشعياء 53: 6، كثيراً ما نتصرف "كخراف" قد "ضلت الذي هو" الطريق—وانصرف كل واحد منا إلى طريقه الخاص". ولكن، كم هي عظيمة تلك البركة والنعمة التي بها يحفظنا يسوع والحق والحياة—حفظاً فعلياً، ضامناً لنا ألا نحيد عن طريق الحق؟ ودافعاً لي الفضول لمعرفة الأسباب الكامنة وراء جنوح الأحداث بين الشباب الكوري، أجريت بحثاً سريعاً عبر الإنترنت؛ وأود الآن أن أشارككم نتائج الاستطلاع التي عثرت عليها هناك. لقد أجرى —"بقيادة البروفيسورين "هونغ سيونغ-دو" و"كيم جي-هيه" من قسم الطب النفسي في "مركز سامسونغ الطبي—فريق بحثي استطلاعاً حول السلوك الجانح لدى 431 طالباً وطالبة من المرحلتين المتوسطة والثانوية في العاصمة سيول (224 ذكراً و207 إناث). كشفت نتائج دراستهم أن "القلق والمشاعر السلبية" كانت، بالنسبة للطلاب الذكور، هي الأسباب الرئيسية للسلوك الجانح؛ في حين كان "التصور المشوّه للذات" هو العامل المساهم الرئيسي لدى الطالبات الإناث. وقد أوضح فريق البروفيسور "هونغ" قائلاً: إن السبب في اختلاف مسببات الجنوح باختلاف الجنس يكمن في أن الطلاب الذكور غالباً ما يُظهرون سلوكيات جانحة مؤقتة" كوسيلة للتخفيف من حدة المشاعر السلبية، كالقلق مثلاً؛ وعلى النقيض من ذلك، تم تحديد التقييمات السلبية للذات وأنماط التفكير متأماً في كيفية نشوء—السلبية كعوامل رئيسية تُحفّز السلوك الجانح لدى الطالبات الإناث". وبينما كنت أقرأ نتائج هذه الدراسة: مسببات الجنوح لدى المراهقين من "المشاعر السلبية" (لدى الذكور) ومن "التقييم السلبي للذات" (لدى الإناث)—بدأت أتساءل إلى—ثري، ما هي الأسباب التي قد تقود *نحن*—المسيحيين الذين يؤمنون بيسوع ويتبعونه، وهو التجسيد الحي للحقيقة ذاتها الضلال والابتعاد عن تلك الحقيقة؟ إنني أعتقد أن أحد هذه الأسباب هو اتخاذ موقف سلبي تجاه المعاناة التي يتكبدنها الصديقون (الأبرار). ويكمن سبب تبني لهذا الرأي في المزمور 73، حيث كاد المرنم "أساف" أن يتعثر ويسقط بسبب التباين الصارخ بين "معاناة الصديقين" و"ازدهار الأشرار".

ما هي أفكاركم أنتم؟ وهل تؤمنون أنتم أيضاً بأن اتخاذ موقف سلبي تجاه معاناة الصديقين هو بالفعل أحد الأسباب التي تجعلنا نحن المسيحيين نحيد عن الحقيقة؟ وإذا كانت إجابتكم بـ "نعم"، فما الذي تعتقدون أنه يتحتم علينا فعله لغرس موقف إيجابي تجاه المعاناة؟

إنني أجد الإجابة في رسالة فيلبي (1: 29): "لأنَّهُ قَدْ وَهَبَ لَكُمْ لِأَجْلِ الْمَسِيحِ، لَا أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطُّ، بَلْ أَيْضاً أَنْ تَتَأَلَّمُوا لِأَجْلِهِ". فإذا وإذا تعلمنا كيف نتقبل تلك النعمة—أدر كنا الحقيقة القائلة بأن المعاناة من أجل يسوع المسيح هي، في واقع الأمر، نعمة من نعم الله فلن نحيد عن الحقيقة أبداً. دعونا نصلي من أجل هذا الأمر بالتحديد اليوم؛ لنرفع صلاتنا إلى الله، سائلين—ونستمع بها بقلب ممتن إياه أن يفيض علينا بنعمته، وبمكنا من إدراك أن المعاناة هي حقاً شكلاً من أشكال نعمته وبركته، لكي يحفظنا بذلك من الانحراف: عن جادة الحق. بينما نرفع هذه الصلاة، دعونا نفعل ذلك بإيمان راسخ في الضمان الذي قدمه كاتب المزامير في المزمور 121: "وهو أن الله لن يسمح لك أو لي بأن نتعثّر—3

ثانياً، إن الله، الذي هو معيني، يسهر علينا ويرعانا.

فكيف إذن يسهر الله فعلياً عليك وعلي؟ يخبرنا الكتاب المقدس أن الله يسهر علينا دون أن ينعس أو ينام قط. أرجو أن تنظروا إلى الجزء الأخير من الآية 3 وحتى الآية 4 من نص اليوم، المزمور 121: "هُوَ ذَا حَارَسُ إِسْرَائِيلَ لَا يَنعَسُ وَلَا يَنَامُ". قبل بضع سنوات كان ابني "ديلان" يخشى الذهاب إلى النوم ليلاً لأنه كان يعاني من الكوابيس. ونتيجة لذلك، شجعتُ ديلان على قراءة كتابه المقدس والصلاة قبل الخلود إلى الفراش. وفي ليلتي الأحد والاثنين الماضيتين، تحدثت زوجتي مع ديلان بعد أن ذكر أنه رأى "غوريلا" في أحلامه؛ ولتهدئة الطفل الخائف، اقترحت عليه أن يتخيل أنه يمسك ببالون صغير مملوء بـ "دواء"—بالبالون من شأنه أن يقضي على الغوريلا بينما يظل ديلان سالماً دون أذى. ويبدو أن هذا الاقتراح قد نجح، إذ يروى أنه نام نوماً عميقاً جداً في ليلة الأحد. ومع ذلك—واضعين أيدينا على رأسه—ومهما بلغ عمق حبا أنا وزوجتي لديلان، فإنه يستحيل علينا أن نجلس بجوار سريريه طوال الليل نصلي باستمرار. فكيف لنا، كأباء بشريين مجردين، أن نسهر على أطفالنا دون أن ينعس بنا الجفن قط؟ غير أن الكتاب المقدس يقرر، لا ينعس أبداً، ولا ينام أبداً. ولكن، ما هي المشكلة إذن؟ عندما يبدو عون الله متأخراً—بوضوح أن أبانا السماوي يسهر عليك وعلي—أو عندما تظهر صلواتنا وكأنها لم تُستجب، نجد أنفسنا أحياناً نتساءل عما إذا كان الله نائماً حقاً. ولكن في الواقع، إن الله ليس نائماً فإلهنا يقدم العون للمؤمنين الذين يواجهون الصعوبات في الوقت الذي حدده هو بنفسه. ولذلك، يجب على المؤمنين أن يتعلموا ممارسة الصبر. وعلاوة على ذلك، يصبح الله لنا ظلاً، يحميننا ويقينا من كل ما هو ضار. تأملوا في فقرة اليوم، المزمور 121: 5-6: "الرَّبُّ حَارِسُكَ. الرَّبُّ ظِلٌّ لَكَ عَنْ يَمِينِكَ. لَا تَضْرِبُكَ الشَّمْسُ فِي النَّهَارِ، وَلَا الْقَمَرُ فِي اللَّيْلِ".

بينما كنت أتأمل في النص القائل: "الله يقف عن يميني كظل لي"، خطرت ببالي فكرة معينة. فبينما كنت أفكر فيما كان سيؤول إليه حالي لو أن شمس الصحراء اللافتة قد انهالت عليّ بلا انقطاع، وجدتُ عزاءً عميقاً في قلبي من خلال هذه الحقيقة: أن الله نفسه، خلال القيظ الشديد في يوم صيفي ساطع—ويلجأ إليه—يصبح ظلاً لي. وكما قد يتوق المرء إلى الظل البارد تحت شجرة عظيمة ظلّنا—نتوق فيها نحن أيضاً إلى الله الأب—ونحن المتعبون والمنهكون جراء تجارب هذا العالم المتنوعة—كذلك تمر بنا أوقات

ونواجه القوى—الذي هو بمثابة برية في حد ذاته—ونشتاق إلى الاقتراب منه. وبينما نمضي في رحلتنا عبر هذا العالم—الحقيقي فإن هذا الوعد بأن الله يقف عن—مثل الشمس اللافحة والقمر القارس البرودة—المؤذية التي تهدد بالانقراض علينا ليلاً ونهاراً يميننا كظلٍ لنا يبعث فينا عزاءً عميقاً. إن الله الذي يعمل كظلٍ لنا هو ذات الإله الذي يحمينا من القوى المؤذية لهذا العالم التي تنهال بينما نمضي قدماً نحو "الدعوة العليا"، مبقياً إيانا في—أنت وأنا—علينا بعنف. إنه الإله الذي يعمل كترسٍ لنا؛ فهو يحمينا ويحرسنا: مأمّن من كل خطرٍ يكمن داخل هذا العالم الذي يشبه البرية. ولذلك، يمكننا أن نردد نفس الاعتراف الذي أطلقه داود في المزمور 23: "حتى وإن سرّث في وادي ظل الموت، فلن أخشى شراً، لأنك معي؛ عصاك وعكازك، هما يعزياني" 4:

فإن الله، الذي هو معيننا، ينجينا من كل ضيقة—وفي النقطة الثالثة—وأخيراً

أرجو منكم النظر إلى النص الكتابي لهذا اليوم، المزمور 121: 7: "الرب يحفظك من كل سوء؛ إنه يحرس حياتك". إن الإله الذي يعيننا هو إله الخلاص؛ فهو الذي يضمن ألا نتعثّر، ويحمينا ويحرسنا من كل خطر، وينجينا من كل ضيقة. أليس هذا أمراً مثيراً إلا أننا لا نزال مقدراً لنا أن نمر بـ "شتى أنواع—أنت وأنا—للدهشة؟ إنني أشير هنا إلى حقيقة أنه، ورغم أن الله يحمينا ويحرسنا يحمينا ويرعانا، فينبغي إذن أن نكون بمنأى عن—خالق السماء والأرض—الضيقات". قد نفترض بشكل طبيعي أنه إذا كان الله معاناة أي ضيق أو محنة. ومع ذلك، يخبرنا الله أنه في حين أنه يرعانا حقاً، فإنه يسمح لنا باختبار أشكال شتى من الضيق، لكي يُنجينا منها لاحقاً. واعتقد أن قصد الله هنا هو الآتي: بينما لن يسمح لنا أبداً بأن نحيد عن الحق، فإنه يسمح بوقوع الضيق لكي يُنقّينا ويهدينا. لنقترب أكثر فأكثر من موضع بركاته.

ويحضرني هنا مقطع تأملت فيه ذات مرة: سفر هوشع 2: 14. فعندما أدب الله شعب إسرائيل، قادهم إلى البرية وتحدث إلى قلوبهم سوى بركة إلهية في حقيقته؛ إذ كشف عن حقيقة—بدلاً من كونه مجرد شكل من أشكال العقاب—برقة وحنان. ولم يكن هذا الفعل، مفادها أن المعاناة بحد ذاتها هي بركة من الله. إن الصعوبات، والشدائد، وكل شكل من أشكال الضيق التي تواجهنا في حياتنا هي في الواقع، بركات من الله. ورغم أن تلك الأوقات قد تبدو شاقة، ومؤلمة، ومفطرة للقلب بينما نكابدها، إلا أنها تظل مع ذلك بركات لحظات يمنعا فيها من الانحراف عن الحق، وبدلاً من ذلك، يُعمّق جذور إيماننا وتفايننا. علاوة على ذلك، تُعد هذه التجارب—من الله إذ تحتنا على الصلاة، وتجعلنا نتلقى إجابات الله على تلك الصلوات، وبذلك نختبر نعمة خلاصه اختباراً—فرصة لا تُقدّر بثمن بعنوان "حتى في وسط"، (*New Hymnal*) "مباشراً. وعليه، يمكننا أن نُرثم الترنيمة رقم 336 من "كتاب الترانيم الجديد الضيق والاضطهاد"، كتسبيح لله قائلين: "حتى في وسط الضيق والاضطهاد، حافظ القديسون على إيمانهم؛ وحين أتأمل في هذا". الإيمان، يمتلئ قلبي فرحاً. وسيراً على خطى إيمان القديسين، أتعهد بأن أظل أميناً حتى الموت

أما الترنيمة رقم 214 من "كتاب الترانيم الجديد" — بعنوان "ألتمس عون الرب" — فهي ترنيمة كُتبت كلماتها بقلم إلزا إتش هاميلتون من اسكتلندا، ولحن موسيقاها القس الشهير دي. سانكي. يُروى أن "آيرا د. سانكي"، ملحن هذه الترتيلة، قد قصّ الحكاية على النحو التالي — الكامنة وراءها في كتابه *قصص تراثيل الإنجيل لسانكي* — الذي نُشر بطريقة "برايل" بعد أن فقد بصره (وفقاً لمصادر إلكترونية): "قبل سنوات عديدة، كنتُ أدير اجتماعات نهضة روحية في إحدى المدن الكبرى في اسكتلندا. وقد عادت فتاة شابة كانت تحضر تلك الاجتماعات إلى كنيسة الخاصة، وهي تملؤها رغبة عارمة في نيل الخلاص، وسألت راعي كنيسةها: الأول أن يشرح لها طريق الخلاص بالتفصيل. فأجابها الراعي بكل سهولة ويسر: 'يا ابنتي العزيزة، لا تقلقي؛ فالأمر بسيط للغاية اقرئي الكتاب المقدس وارفعي صلواتك، وحينها ستنايلن الخلاص'. عندئذٍ، انفجرت الفتاة المسكينة بالبكاء وهتفت قائلة: 'يا سيدي الراعي، إنني لا أعرف القراءة! ولا أعرف كيف أصلي!'. فصلى الراعي من أجلها، ثم علّمها كيفية الصلاة. وحينها رفعت الفتاة هذه الصلاة: 'يا رب يا يسوع، اقبلني كما أنا!' (يا رب يا يسوع، خذني كما أنا!). وبهذه الطريقة، أصبحت الفتاة تلميذة للمسيح. وقد تأثرت امرأة سمعت قصة هذه الفتاة تأثراً عميقاً، وشرعت إثر ذلك في كتابة كلمات هذه الترتيلة". وفي وقت لاحق، نقل إليّ أحد القساوسة — الإنجليز هذا الخبر في رسالة جاء فيها: "لقد أصبحت تلك الشابة في نهاية المطاف زوجةً لصانع أحذية — وكان رجلاً غير مؤمن كان يقيم نزياً في منزلها. وقد حثّت زوجها على الذهاب إلى الكنيسة، إلا أنه رفض الاستماع إليها. والأسوأ من ذلك، أنه مرّق الكتاب المقدس الذي كانت قد تركته على الأرض، أملاً منها أن يلتقطه ويقرأه. ومع ذلك، قامت تلك المرأة الصالحة — دون أن يبدو... بجمع أشلاء الكتاب وترميمها بعناية فائقة، ثم أعادته إلى مكانه، وشجعت برفق مرة أخرى قائلة: 'أرجوك — عليها أي أثر للغضب ألا تقرأه؟'. غير أن زوجها استمر في قراءة الروايات والصحف فحسب، ولم يكلف نفسه عناء إلقاء نظرة ثانية على الكتاب المقدس. قط. ومضت الأيام. وفي أحد أيام الربيع، أصيب الرجل العجوز بالتهاب حاد في الشعب الهوائية، ونُقل على إثره إلى المستشفى وهناك، قامت تلك المرأة الصالحة بتمريض الرجل العجوز الوحيد بكل تفان وإخلاص. وكلما سنحت لها الفرصة، تحدثت إليه عن خلاص النفس، وتلت عليه مقاطع من الكتاب المقدس، وقدمت له شروحات لطيفة ومحبة. وفي أحد الأيام، قرأت عليه كلمات الترتيلة التي تقول: 'أتي إلى البستان يا رب' (أو: 'أتي إلى يسوع'). بينما كانت تقرأ اللازمة، هتف الرجل العجوز قائلاً: "تلك الكلمات ليست موجودة في الكتاب!" فأجابت: "لِمَ تقول ذلك؟" وهي تمدّ إليه كتاب الترانيم ليرى بنفسه. حاول الرجل قراءته، لكنه وجد أنه عاجز عن ذلك؛ فطلب نظارته، وما إن قرأ الآية حتى تملكه الدهول. (*الرب الذي مات من أجلي...!) أخذ يقرأ الترنيمة مراراً وتكراراً الرب الذي مات من أجلي... اقبلني الآن. آه! اقبلني الآن... وبعد بضعة أسابيع، وفي صباح أحد الأيام، قال الرجل العجوز: "يا — عزيزتي، أريد أن أسرح من هنا؛ فأنا سعيدٌ حقاً الآن. سعيدٌ حقاً...". وبعد مرور أقل من ساعتين على عودته إلى منزله، أسلم الروح — وهو لا يزال يهتمهم: "الرب الذي مات من أجلي... اقبلني الآن".

الإله الذي يقوّيني

[المزمور 89: 19-52]

التقرير الوارد من كوريا بشأن لاعب بيسبول سابق أقدم على قتل أم وبناتها الثلاث، ثم—أظن أنكم أنتم أيضاً قد سمعتم بهذا الخبر أنهى حياته منتحراً. وحدث نفسي أتساءل: كيف يمكن لإنسان أن يبلغ هذا الحد من القسوة؟ كما دفعني الأمر إلى التأمل في مدى قدرة كان قد أخذ—قبل إقدامه على الانتحار—البشرية على ارتكاب الشرور القاسية. ووفقاً لما أوردته الأخبار، يُقال إن اللاعب السابق، مالاً من والدته الأخوات الثلاث اللواتي قتلن، واستخدم ذلك المال لسداد ديون مختلفة كان يدين بها للآخرين. وفي نهاية المطاف سواء عبر الأخبار أو من—أجد نفسي أتساءل عما إذا كانت جريمة القتل هذه نتاجاً للضغط المالية. ففي الآونة الأخيرة، أسمع أن الوضع الاقتصادي، ليس في الولايات المتحدة فحسب، بل في شتى أنحاء أوروبا وآسيا أيضاً، يمر بمرحلة—المحيطين بي عصبية للغاية. وعليه، يساورني الظن بأن شتى أنواع الأفعال الخاطئة، الناجمة عن مثل هذه الضوائق المالية، قد بدأت تطفو على السطح. وأتصور أن الكثيرين يشعرون بالإحباط واليأس؛ فإذا يغمرهم شعور بالعجز وسط أجواء من القنوط وفقدان الأمل، قد يصل الكثيرون منهم إلى مرحلة من الاستسلام التام.

حقاً، إن هذا العالم مكانٌ حافلٌ بالهموم والمتاعب؛ إنه عالمٌ يعجُّ بالشرور، عالمٌ يخيم عليه شبح الموت بظلاله الثقيلة (الترنيمة 474) وفي خضم العيش في عالم كهذا، تمر بنا أوقاتٌ لا مفر فيها من أن نختبر مشاعر عميقة من الإحباط، وفقدان العزيمة، بل وحتى اليأس. فما الذي ينبغي علينا فعله إذن في مثل تلك اللحظات؟ هنا، تحضرني الكلمات الواردة في المزمور 18: 1: "أحبك يا رب، يا قوتي". ورغم أن الترجمة الكورية للكتاب المقدس تصوغ هذه العبارة بهذا الترتيب تحديداً، إلا أننا إذا عدنا إلى النص العبري أنت الذي تمثل قوتي". وبينما أتأمل في—الأصلي أو الترجمات الإنجليزية، نجد أن الصياغة تأتي على النحو التالي: "أحبك يا رب هذه الآية، أدرك أن أحد الأسباب الجوهرية التي تدفعنا إلى محبة الرب يكمن، بالتحديد، في كون الله هو مصدر قوتنا وسندنا.

،المزمور 80: 21—نجد أنه يخبرنا بأن الله هو ذاك الذي يمنح القوة والعزيمة—وبالنظر إلى النص المقدس المخصص لتأملنا اليوم، لي ولك على حد سواء. واليوم، وتحت عنوان "الإله الذي يقويني"، أدعوكم للتأمل في طريقتين يفيض الله من خلالهما بنعمته علينا، وأدعوكم أيضاً لتلقي تلك النعمة واحتضانها في أعماق قلوبكم. أولاً، إن الإله الذي يقويني يمنحني قوة لأقدم العون، تأملوا معي في نص الكتاب المقدس لهذا اليوم، من المزمور 89: 19: «حِينَئِذٍ كَلَّمْتُ فِي رُؤْيَا أَتْقِيَاءَكَ وَقُلْتُ: «جَعَلْتُ عَوْنًا عَلَى جَبَّارٍ وَلِأَجْلِ خَلَاصِ شَعْبِهِ الْمُخْتَارِ، إِسْرَائِيلَ، أَقَامَ اللَّهُ عَهْدًا مَعَ عَبْدِهِ الْمُخْتَارِ دَاوُدَ؛ وَفِي إِتِمَامِهِ الْأَمِينِ. «دَوَّرَقَعْتُ مُخْتَاراً مِنَ الشَّعْبِ قُوَّةً لَتَقْدِيمِ الْعَوْنِ. لَقَدْ مَسَحَ اللَّهُ عَبْدَهُ دَاوُدَ بِزَيْتِ قُدْسِهِ (الآية 20)، مثبتاً—لذلك العهد، وهب الله داود—ذلك «الجبار» أو المحارب، إياه ملكاً على إسرائيل؛ وظل معه ليجعله راسخاً وثابتاً، وبيمينه القديرة، قوى الله داود (الآية 21). وهكذا، وإذ نال داود هذه القوة (الآية 26). ولأن داود هتف إلى الله الأب—الذي هو صخرة—«هتف إلى الله قائلاً: «هُوَ يَدْعُونِي: «أَنْتَ أَبِي، إِلَهِي وَصَخْرَةُ خَلَاصِي فَقَدْ كَفَلَ اللَّهُ لَا يَفْرُضُ عَلَيْهِ أَيْ عَدُوَّ جَزِيَّةٍ، وَأَلَا يَلْحَقُ بِهِ أَيْ شَرِيرٌ أَدَى (الآية 22). لقد سحق الله خصوم داود أمام عينيه—خلاصه مباشرة (الآية 23). وعلاوة على ذلك، رفع الله شأن داود (الآية 24) وسَّع نطاق سلطانه (الآية 25).

،إن إلها هو إله يمنحنا نعمته المعينة في حينها المناسب. تأملوا في الرسالة إلى العبرانيين 4: 16: «فَلَنَتَقَدَّمَ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ التَّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً لِلْعَوْنِ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ». إن إلها يعرف احتياجاتي واحتياجاتكم معرفة تامة. فهو الإله القدير الذي يدرك متى نحتاج إلى العون، وماهية العون الذي نطلبه. وفضلاً عن ذلك، فإن إلها هو إله يتعاطف مع ضعفنا—تماماً—وبأفضل صورة ولأنه يتعاطف مع هشاشتنا البشرية، فإنه يقف بجانبنا حين نكون في حاجة إلى المساعدة، وبذلك يمنحنا القوة. إن الله. (15: 4) يسندنا بيمينه القوية المليئة بالجبروت. لا سيما حين نكون في صراع، أو نشعر بالإعياء واليأس، أو نكون قد تعثرنا وافترقنا إلى القوة للنهوض مجدداً؛ حينها يقترب الله منا في صمت، ويأخذ بأيدينا، ويحدثنا (كما ورد في تلك الترتيلة الإنجيلية التي تقول: "أنت ابني"). فماذا يقول لنا الله؟ تماماً كما تقول كلمات تلك الترتيلة، ألا يقول لنا: "أنت ابني؛ أنا اليوم ولدتك. أنت ابني... ابني الحبيب؟" إن رجائي وصلاتي هما أن نجد أنا وأنت قوة متجددة، حين نسمع صوت الله هذا اليوم. فالله يرغب في أن يمنحنا القوة التي نحتاج وليمد بالقوة أولئك منا الذين يسمعون—وهو الذي يمنحنا النعمة لنجد العون في وقت حاجتنا—إليها لكي نجد العون. فليكن الله معنا. هذه الكلمة ويرفعون طلباتهم إليه بإيمان.

ثانياً: إن الله الذي يقويني يحفظ محبته الثابتة إلى الأبد.

تأمل في نص اليوم، من المزمور 89: 28: "إلى الدهر أحفظ له محبتي، وعهدي معه يثبت". وبالنظر إلى الآيتين 2 و3 ضمن سياق المزمور 89: 1-18، نرى أن الله قد أقام عهداً مع مختاره "داود"، وأقسم يميناً معلناً: "إلى الدهر أثبت نسلك، وأبني عرشك عبر

كل الأجيال". وكيف قال الله إنه سيصون هذا القسم؟ لقد وعد بأن يثبتته إلى الأبد من خلال محبته ورأفته، وبأن يجعل العهد راسخاً بفضل أمانته (الآية 2). وفي سياق وعده لداود، تعهد الله بأنه سيظل معه إلى الأبد من خلال محبته (رأفته). وفي هذا السياق، يكشف وتحديداً الآية 27—أن الله لم يعد داود فحسب بأن يجعله "البكر"، أي "الأعلى بين ملوك الأرض"، بل وعده أيضاً بأن—نص اليوم، يحفظه إلى الأبد (الآية 28) وبأن يجعل نسله يدوم إلى الأبد (الآية 29). ومع ذلك، وعد الله أيضاً بأنه إن أخطأ نسل داود في حقه فإنه سيعاقبهم (الآيات 30-32). تأمل في الآية 32: "أعاقب عصيانهم بالعصا، وإثمهم بالضربات". ومع ذلك، فإن الطبيعة المذهلة لمحبة الله الأبدية تتجلى بوضوح في الآيتين 33 و34 من نص اليوم: "أما أنا فلا أنزع رَحْمَتِي عَنْهُ، وَلَا أُخُونُ فِي أَمَانَتِي. لَا أَنْقُضُ عَهْدِي، وَقَوْلُ شَفَتِي لَا أُغَيِّرُهُ". لقد وعد الله بأنه إن أخطأ ذرية داود، فإنه سيؤدبهم حقاً، لكنه لن ينبذهم أبداً نبذاً كلياً. والسبب في أن الله لا يستطيع التخلي عن ذرية داود تخلياً دائماً هو أنه، وقد أقسم يميناً بقداسته، لا يمكنه أن ينكث بوعده لداود (الآية 35). ولذلك توسل كاتب المزمور إلى الله أن يذكر العهد الذي أقامه مع داود، وأن يُخَلِّص (يُنْقِذَ) إسرائيل من الضيق والذل اللذين كانوا يعانونهما آنذاك (الآيات 38-51؛ بارك يون-سون). وإدراكاً منه بأن الضيق والذل اللذين حلا بشعب إسرائيل كانا مظهرين من مظاهر غضب الله (الآيتان 38 و46)، صرخ إلى الله متسائلاً: إلى متى سيظل الرب يحجب وجهه وسط ذلك الغضب؟ (الآية 46). ففي خضم ذلك الغضب، كان الرب قد رفع يمين خصومهم (الآية 42)، مما أتاح لهم أن يصبوا سخرتهم واستهزاءهم على شعب إسرائيل (الآية 47). وبينما كان يصلي طالباً رحمة الله (الآيتان 47-48)، التمس كاتب المزمور خلاص الله متكللاً على "رَحْمَتِكَ الْأُولَى يَا". (50) سَيِّدُ، الَّتِي حَلَقْتَ بِهَا لِدَاوُدَ فِي أَمَانَتِكَ" (الآية 49).

في الماضي، وفي الحاضر، وإلى أبد الأبد. غير أن ما يجب—إن محبة الله لنا محبة أبدية. وبمقتضى تلك المحبة الأبدية، يحبنا الله ألا ننساه أبداً هو أن محبة الله هي أيضاً محبة مقدسة. فعندما نخطئ في حق الله، فإنه يؤدبنا، وذلك تحديداً لأنه يحبنا. ومع ذلك، فإن نعمة الله العجيبة تكمن في هذا الأمر: حتى عندما يؤدبنا، فإنه لا يسحب محبته الأبدية منا سحباً كلياً. وحتى في خضم غضبه، لا يحجب الله محبته لنا حجباً تاماً. إنه الله. لذا، وعلى غرار صاحب المزمور، حتى حين نقع في الخطيئة ونخضع للتأديب في خضم. وأن نتضرع إليه بصدق طالبين نعمة الخلاص—أي رحمته الثابتة—غضب الله، يتحتم علينا أن نتكل على محبته الأبدية والأمانة.

حتى في أوقات الشدة؟ إننا نستطيع أن نعقد—تماماً كما فعل صاحب المزمور—وبفضل الله الذي يمنحنا القوة، ما الذي بوسعنا فعله العزم على تسبيح الله، وأن نترجم هذا العزم إلى فعل ملموس (الآية 52). فإلهنا يمنحنا قوةً إضافيةً ليعيننا حين نصرخ إليه في ورحمته الثابتة. وعليه، فإن النفس التي اختبرت شخصياً محبة الله—ضيقتنا؛ وهكذا، فهو الإله الذي يكشف لنا عن محبته الأبدية الأبدية هذه، لا يسعها إلا أن تفيض بالتسبيح له.

"أُحِبُّكَ يَا رَبُّ، يَا قُوَّتِي"

[المزمور ١٨]

لماذا تخور عزائمننا؟ ولماذا يصيبنا الإحباط ونستسلم لليأس؟ إن رحلتنا عبر دروب الحياة غالباً ما تتخللها لحظات تخذلنا فيها قوانا لمجرد—وفي مثل تلك الأوقات، نواجه خطراً حقيقياً للغاية يتمثل في الاستسلام التام؛ إذ قد ينتابنا دافع طاغٍ لإلقاء كل شيء جانباً، "الانسحاب وترك كل شيء خلفنا. وبينما كنت أتأمل في أسباب حدوث ذلك، تبادرت إلى ذهني ثلاث كلمات: "الواقع"، و"الأفكار"—و"المشاعر". وباختصار، عندما تقتحم الصعوبات والشدائد حياتنا بعنف، فإن الأمر الأكثر أهمية هو كيفية استجابتنا لهذا الواقع. الواقع الذي غالباً ما نرغب في إنكاره.

تتمثل أولى هذه الاستجابات فيما يتعلق بـ "أفكارنا" (أو عقولنا). فعندما يباغتنا واقع المصاعب غير المتوقعة أو الشدائد، غالباً ما لطرح—أو ربما بمجرد عادة—تتبادر إلى أذهاننا أربعة أسئلة محددة. السؤال الأول هو: "لماذا؟". إذ يبدو أننا مدفوعون بغريزة، أسئلة من قبيل: "لماذا حدث هذا لي؟" أو "لماذا *أنا* تحديداً؟". وفي نهاية المطاف، يكشف هذا التساؤل المستمر عن "السبب" أننا في حقيقة الأمر، ننكر الواقع الذي يواجهنا في تلك اللحظة. ويتجلى هذا الإنكار في نهاية المطاف في صورة عدم رضا وتذمر، مما يفسح المجال لظهور شعور بـ "الضحوية" (أي الشعور بأننا ضحايا). وإلى جانب سؤال "لماذا"، هناك سؤال آخر نظرحه مراراً وتكراراً، وهو: "كيف؟". فقد نسعى جاهدين للعثور على حلٍ من خلال التساؤل: "كيف يُعقل أن يحدث هذا لي؟". ومع ذلك، وحين يتعلق الأمر بالحقائق الصعبة في حياتنا، نجد أنفسنا عاجزين عن العثور على إجابة في حالات تفوق بكثير الحالات التي ننجح فيها بالعثور على واحدة. وفي مرحلة تالية، وبصفتنا مسيحيين، غالباً ما نحاول طرح السؤال: "ماذا؟". فنحن نتساءل مرات لا تُحصى ما هي مشيئة الله في هذا الموقف؟، بينما نسعى جاهدين لاستجلاء قصده وسط ظروفنا العصبية. غير أننا لا يسعنا إنكار أنه في "نظل ببساطة في حيرة وجهلٍ بماهية الإجابة. فكيف—وفي حالات تفوق بكثير تلك التي نعثر فيها على إجابة—هذا السياق أيضاً يبرز السؤال الذي—وفي أعماق أفكارنا الخاصة—لنا أن ندرك مشيئة الله إدراكاً كاملاً وشاملاً؟ وسط الحقائق التي نصطدم بها من خلال الإيمان—يتحتم علينا طرحه، وهو ببساطة: "من؟". إذ يجب علينا أن نظرح السؤال: "من هو الله؟". وحين نفعل ذلك نغدو قادرين على تقبل واقعنا الراهن بروح من الإيمان. نتيج لنا هذه الاستجابة المعرفية التعبير عن—بسيادة الله والاعتراف بها

مشاعرنا بطريقة صحية؛ فهي لا تمنع مشاعرنا من التقلب بعنف فحسب، بل تمكننا أيضاً من إظهار انفعالات عاطفية متسقة، تركز على تفكير متزن وثابت.

فقد وُصف بأسلوب حيوي ونابض—أما الواقع الذي واجهه كاتب المزامير "داود"—مؤلف نص اليوم، المزمور الثامن عشر بالحياة في الآيتين 4 و5: "أَحَاطْتُ بِجِبَالِ الْمَوْتِ، وَسُيُولِ الْهَلَاكِ أَفْرَعْتُي. أَحَاطْتُ بِجِبَالِ الْقَبْرِ، وَشُرُكُ الْمَوْتِ اعْتَرَضَتْني وبالتحديد في "اليوم الذي أنقذه فيه الرب من أيدي جميع أعدائه ومن يد شاول" (كما هو مذكور—وبينما كان داود يتأمل في الماضي في عنوان المزمور)—قدم الله اعترافاً نابعاً من صميم قلبه ومن أعماق روحه، قائلاً: "أَجِبْكَ يَا رَبُّ، يَا قُوَّتِي" (الآية 1). إن وهي كلمة فسرّها أحد الرعاة على النحو التالي:—*racham* كلمة "الحب" التي استخدمها داود هنا تقابل المصطلح العبري إنها الشفقة والرحمة والمحبة التي يفيض بها الله على البشرية؛ محبة عميقة لدرجة أن قلب الله يتوجع من أجلنا، ويتألم ألماً شديداً، حتى ليبدو وكأن أحشائه الداخلية تذوب وتتلاشى" (مصدر عبر الإنترنت). إنه حب متجذّر بعمق في الروح البشرية؛ حب يُعد بالمعنى الحرفي للكلمة، "حباً ذائباً" (بارك يون-سون). وكان السبب الذي دفع داود لتقديم مثل هذا الاعتراف بالحب هو أن الله قد فقد—اللتين أنقذته من أزمت لا حصر لها—أصبح هو مصدر قوته. وبعبارة أخرى، ولأن داود قد اختبر شخصياً قوة الله ومحبه تمكن من أن يعلن قائلاً: "أَجِبْكَ يَا رَبُّ". وفي خضم هذه الاستذكارات لتجارب الخلاص الماضية، احتضن داود واقعه الحاضر بإيمانٍ راسخ، وبذلك قدم الحمد والتسبيح لله (الآية 3).

ولكن، لماذا أنقذ الله داود من جميع أعدائه ومن الملك شاول؟ يمكننا أن نستشف سببين لذلك من خلال نص اليوم، المزمور الثامن عشر.

أي في صفاته الإلهية—يتمثل السبب الأول في جوهر طبيعة الله ذاتها.

فبما أن كون الله "مُخْلِصاً" هو أمر متأصل في طبيعته وجوهره، فقد قام بإنقاذ داود (بارك يون-سون). تتجلى هذه الصفة الإلهية من خلال ألقاب شتى وردت في الآية الثانية من نص اليوم، أي المزمور الثامن عشر: "صخرتي" (وهو لقبٌ يشير إلى الأراضي المحاطة بمنحدراتٍ صخريةٍ وعرة)، و"حصني" (في إشارةٍ إلى تلةٍ مرتفعةٍ أو قمةٍ جبل)، و"منقذي" (أي المُخْلِص في أوقات الخطر الداهم)، و"إلهي"، و"صخرة ملجئي" (وهو لقبٌ يُشير إلى القمم الوعرة لجبلٍ صخري)، و"ترسي" (أي الأداة التي تصدُّ سهام الأعداء)، و"قرن خلاصي" (وهو استعارةٌ ترمز إلى قوة النصر)، و"معقلي" (أي الملاذ الآمن المُقام على قمةٍ جبلٍ وعرة وشاهق). وباختصارٍ شديد، لقد خلَّص الله داود لأنه هو حامي داود؛ ولذلك، صلَّى داود مُعلنًا أن الله هو المُخْلِص الذي يتولى حمايته.

أما السبب الثاني، فهو أن الله قد خلَّص داود من أيدي جميع أعدائه ومن يد شاول، لأنه هو الإله الذي يستجيب لصلواتنا.

تأمل في الآية السادسة من نص اليوم، أي المزمور الثامن عشر: "في ضيقي دعوتُ الرب، وإلى إلهي صرخت؛ فسمع من هيكله، صوتي، وبلغ صراخي إلى مسامعه". إن الله، الذي هو مصدر قوتنا، هو الرب الذي يسمع دوي صلواتنا. وعلى وجه الخصوص سواءً صرخنا مستغيثين من وسط المحن البالغة الخطورة (كما ورد في—فإن إلهنا هو الرب الذي يسمع صلواتنا ويستجيب لها. الأيتين 4 و5: "الموت"، و"الفيضانات"، و"الهاوية")، أو رفعنا تضرعاتنا بينما تندفع تلك المحن نحونا وتُحاصرنا.

أي المزمور 18: 7-15—لا يسعنا إلا أن نُصاب بالذهول والدهشة إزاء الطريقة التي خلّص—وبالفعل، ونحن نتأمل في نص اليوم الله بها داود. ويكمن سرُّ هذه الدهشة في حقيقة أن أسلوب الخلاص الموصوف في الآيات من 7 إلى 15 يأتي ليكشف لنا عن عظمة الله وجلاله المطلق. إذ يصف داود كيف "ارتجّت الأرض وارتعشت، واهتزّت أسس الجبال" (الآية 7)؛ وكيف "تصاعد الدخان من أنفه، وانبعثت نارٌ مُلتهمَةٌ من فمه" (الآية 8)؛ وكيف أنه "شقّ السماوات ونزل" (الآية 9)؛ وكيف أنه "امتطى الكروب وطار" (الآية 10)؛ وكيف "جعل الظلام سِتراً له" (الآية 11)؛ وكيف أنه "من سطوع حضرته اندفعت سحبه، حاملةً البَرْد وصواعق البرق" (الآية 12)؛ وكيف أطلق العنان "للرعد" و"البرق" (الآيتان 13-14). ويختتم داود حديثه بالقول إنه، ونتيجةً لهذا التدخل الإلهي، "انكشفت" أعماق البحار وتعرّت أسس الأرض" (الآية 15). وتعمل كل هذه التعبيرات على نقل الحقيقة القائلة إنه عندما جاء الله ليخلص داود—فقد وصل بمثل تلك الهيبة والقوة التي بدا معها وكأنه سيزلزل السماوات والأرض ذاتهما (بارك يون-سون). تلك هي هيبة الله ووسط هذه الهيبة ذاتها جاء الله ليخلص داود. "إن هذا الأمر ليبدو حقاً مذهلاً؛ فالهيبة التي أظهرها الله كانت—هيبةٌ تزلزل الكون شخصاً قد يبدو، بالمقارنة، ضئيلاً للغاية ولا يكاد يُذكر". "هل—هائلةٌ للغاية، ومع ذلك كان موضوع خلاصه المنشود فرداً واحداً زلزل السماوات والأرض ذاتهما لكي ينقذ هذا الشخص الواحد؟" (بارك يون-سون). إنه لأمرٌ كَفِيلٌ بأن يدفع المرء للتساؤل: هل صلاة الفرد الواحد عظيمةٌ حقاً إلى هذا الحد؟ ولا يسع المرء إلا أن يتعجب من الكيفية التي يمكن لصلاة شخصٍ وحيدٍ أن تُحدث بها عملاً عظيماً من أعمال الخلاص وسط اهتزاز السماوات والأرض.

وفي هذا الصدد، لقد تأملتُ في صلاة الفرد الواحد من أربعة منظورات:

أولاً: حقيقة أن الصلاة تفتح أبواب السماء.

في نص اليوم، وتحديدًا في المزمور 18: 16، يُعلن داود قائلاً: "انتشلني من مياه كثيرة". ويشير هذا القول إلى أنه عندما وجد داود فإنه—وقد أغلقت أمامه كافة سبل النجاة من الشمال والجنوب والشرق والغرب بفعل كوارث ومحن لا قِبَل له بها—نفسه محاصراً لجأ إلى الصلاة. ونتيجة لذلك، انفتح أمامه بابٌ لم يكن بوسع أي قوة بشرية أن تُغلقه؛ وكان ذلك الباب هو "بوابة السماء". وعبر هذا الذين، حينما حوصروا من كل جانب، نظروا إلى الأرض—المنفذ، تحققت أعمال الله الخلاصية. وعلى النقيض من بني إسرائيل

وأطلقوا شكاواهم وتظلماتهم متسائلين: "لماذا؟"—نظر موسى إلى أعلى، نحو السماوات، وصى. وفي نهاية المطاف، استجاب الله لصلاته، وفتح أبواب السماء، وأفاض عليهم نعمة الخلاص. وهكذا أيضاً، فإن صلواتنا تفتح أبواب السماء.

ثانياً: الصلاة قوة

"الذي هو أقوى بكثير من أي "عدو جبار" أو "خصم مبغض"—مُخلصنا—فالصلاة هي التي تُمكننا من اختبار القوة الخلاصية لله (الآية 17). لقد كان هؤلاء الأعداء أقوى من داود من الناحية الجسدية؛ ومع ذلك، وبواسطة الصلاة، تمكّن داود من اختبار القدرة الخلاصية لله القدير.

ثالثاً: الصلاة هي فعلٌ نُودِعُ به ثقتنا في الله

في نص اليوم، وتحديدًا في المزمور 18:18، يقول داود: "...صار الرب سندي". ورغم أن "يوم الكارثة" (الآية 18) قد حلّ بداود إلى "يوم الخلاص" الإلهي—يوم الكارثة—إلا أنه عندما لجأ إلى الصلاة، تحوّل ذلك اليوم ذاته.

رابعاً: تساعدنا الصلاة على إدراك مدى سرور الله ورضاه عنا

تأمل في المزمور 18:19 ضمن نص اليوم: "...أنقذني لأنه سرّ بي". فبينما كان داود يختبر خلاص الله من خلال الصلاة، كان يختبر أيضاً إرشاد الله الإلهي. غير أن أروع ما أدركه على الإطلاق كان اكتشافه لمدى عمق سرور الله ورضاه عنه. وعليه، فإن "...ترنيمة التسبيح التي تفيض من قلوبنا هي: "أشتهي أن أكون فرحك يا رب

وفي نهاية المطاف، ومهما كانت الحقائق الصعبة التي قد تواجهنا، فإذا ما ركزنا أفكارنا على الله—"الرب، قوتي"—وقبلنا تلك الظروف بإيمانٍ، ساعين في الوقت ذاته إلى حلّها من خلال الصلاة، فإن الله، مخلصنا وحامينا، سينزل بقوةٍ مهيبة—وكأنه، ليظهر قدرته العظيمة على الخلاص. وفي تلك اللحظة، وحين نختبر عمق سرور الله بنا—يزلزل السماوات والأرض ذاتهما، ستتحرك مشاعرنا لكي نرفع إليه تسبيحنا.

«...ما حدث لي قد أدى في الواقع»

وَأُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي حَدَّثَتْ لِي قَدْ آلَتْ بِالْأَكْثَرِ إِلَى تَقَدُّمِ الْإِنْجِيلِ. «(فيلبي 1: 12)»

كيف أنظر إلى الموقف الذي أجد نفسي فيه حالياً؟ وهل هذا الموقف هو حقاً ما أردته وتوقعته؟ على الأرجح، فإن الظروف التي أواجهها الآن ليست هي ما رغبت فيه ولا ما توقعته. ونتيجة لذلك، فإنني غير راضٍ عن وضعي الحالي. وعلاوة على ذلك، فإنني أصارع وأتألم بسبب حالة الأمور غير المرضية هذه؛ إذ لا أشعر تجاهها إلا بالضيق والألم. أشعر بأنني تائه تماماً، وأتساءل: إلى متى يجب أن أبقى في مثل هذا الموقف الصعب والمضني؟ وهكذا، كلما أمعنتُ التفكير في ظروفِي، ازداد شعوري بالإحباط — بل وحتى باليأس. إذ يبدو وكأنه لا يوجد أي أمل. فماذا ينبغي عليّ أن أفعل إذن؟

صادف أن قرأت اليوم الآية 12 من الإصحاح الأول من رسالة فيلبي. وبينما كنت أقرأ، لفت انتباهي بشدة تأكيدُ الرسول بولس بأن الأمور التي «تألم» بسببها قد تحولت في الواقع «إلى الأفضل». أولاً، تأملتُ في ماهية ما تألم منه بولس بالتحديد؛ وبعبارة أخرى، فكرتُ ملياً في الظروف المحددة التي كان يمر بها. وفي الآية التالية مباشرة، يصف بولس هذا الموقف بعبارة «قيودي» (الآية 13) وعلاوة على ذلك، فإن إشارته إلى أن أمره قد عُرف «في حرس القصر كله» تتيح لنا أن نستنتج أن المعاناة التي كابدها كانت، في حقيقة الأمر، السجن. لو كنتُ محتجزاً في سجن تماماً كما كان بولس، فكيف كان سيكون رد فعلي؟ سواء كان ذلك في دولة شيوعية أو في بلد مسلم — لو ذهبتُ كمبشرٍ لأعلن إنجيل يسوع المسيح، لأجد نفسي في النهاية خلف القضبان — فكيف، حقاً، كنتُ سأستجيب لهذا الموقف؟ لقد تذكرتُ الكلمات الواردة في سفر أعمال الرسل 16: 25: «نَحْوُ نِصْفِ اللَّيْلِ كَانَ بُولُسُ وَسَيِّلاُ يُصَلِّيَانِ وَيُسَبِّحَانِ اللَّهَ، وَالْمَسْجُونُونَ يَسْمَعُونَهُمَا». فبينما كان محتجزاً في أعماق السجن، وموثقاً بإحكام في المُفْطَرَةِ (الآية 24)، قام بولس — ومعه سيلا — بالصلاة وترتيل تسابيح الحمد لله. أتساءل: لو أنني أنا أيضاً سُجِنْتُ بينما كنتُ أبشرُ بالإنجيل في حقل الخدمة، هل كنتُ سأتمكن من الصلاة لله وتسبيحه تماماً كما فعل بولس؟ أظن أنني على الأرجح كنتُ سأتضرع إلى الله لكي يُنجيني من السجن. ومع ذلك، لستُ متأكداً مما إذا كنتُ سأذهب إلى حدِّ ترنيم التسيحات بصوتٍ عالٍ بما يكفي ليسمعها بقية السجناء. وفي الغالب الأعم، لو تُركتُ معتمداً على قوتي الذاتية، لربما لم أكن لأرغم تسبيحاتٍ قط. غير أنني أو من بأنه لو أنعم الله عليّ بنعمته، فإن الروح القدس الساكن فيّ سيتمكنني من تقديم التسبيح حتى في مثل تلك الظروف. والسبب وراء هذا الإيمان هو أنه، بعد أن قمْتُ بنشر رماذ طفلي البكر عقب وفاته، مكنتني الروح القدس من ترنيم التسيحات لله شكراً على محبته المُخْلِصة. ولأن الله قد منحني هذا سافرَ بسيادة الله وأقبل — بدلاً من إنكار ذلك الواقع — الإيمان، فإنه حتى لو وجدتُ نفسي في موقفٍ لم أكن أرغبه ولا أتوقعه، فإنني

الموقف بإيمان. وعلاوة على ذلك، حتى لو لم أدرك إدراكاً كاملاً مشيئة الله السيادية، فإنني سأؤمن إيماناً راسخاً بأن مشيئته هي حقاً صالحة ومقبولة وتامة" (رومية 12: 1)؛ واجداً عزائي في تلك الطمأنينة القائلة بأنني لا أزال أتحرك ضمن حدود تلك المشيئة" سأنتظر، مصلياً ومتربحلاً بلهفة، لأرى كيف سيجعل الله كل—مستنداً إلى الصبر الذي يمنحه الله—الإلهية. وفي خضم تلك الظروف—هذه الأمور تعمل معاً للخير (رومية 8: 28). ويكمن أساس هذا الرجاء في رسالة فيلبي 1: 12—وهو المقطع الذي قرأناه اليوم. حيث يُعلن الرسول بولس أن الصعوبات ذاتها التي تكبدها قد عملت في الواقع، "على العكس من ذلك"، على تعزيز انتشار الإنجيل وبينما كنتُ أتأمل في هذه الكلمات، اتضح لي حقيقتان: الأولى هي هذه: على الرغم من أن بولس نفسه كان مقيداً بالسلاسل، إلا أن إنجيل يسوع المسيح لا يمكن أبداً أن يُقيد. ولذلك، ومهما بلغت صعوبة الظروف التي قد أجد نفسي مقيداً فيها، فإنني أعقد العزم على الإيمان بأن إنجيل يسوع المسيح لا يمكن تقييده؛ بل وأعقد العزم أيضاً على الصلاة لكي يتقدم الإنجيل وينتشر حتى من خلال سجنني فإن مشيئة الله السيادية تتحقق—مُنادي الإنجيل—أنا شخصياً. أما الحقيقة الأخرى التي أدركتها فهي هذه: حتى في غياب بولس وتتم من خلال الآخرين. وبناءً على ذلك، أدركتُ مرةً أخرى أنه يجب عليّ أن أتخلّى عن الفكرة القائلة بأن وجودي أمرٌ لا غنى عنه إطلاقاً. فعندما كان بولس مقيداً بالسلاسل، حقق الله تقدماً للإنجيل من خلال مجموعتين متميزتين من الناس. توصف المجموعة الأولى في الآية 14 بقولها: "والمعظم من الإخوة، إذ وثقوا في الرب بسبب قيودي، ازدادوا جرأةً أكثر ليتكلموا بكلمة الله بلا خوف، لقد هولاء الأفراد بالمسيح بدافع النية الصالحة (الآية 15). وعلاوة على ذلك، وإدراكاً منهم بأن بولس قد عُيّن للدفاع عن الإنجيل فقد أعلنوا إنجيل المسيح بدافع المحبة (الآية 16). لقد كرزوا بالمسيح "بالحق" (الآية 18). ومع ذلك، قامت مجموعة ثانية من الناس بالتيشير بالمسيح بدافع الحسد والمنافسة (الآية 15). وإيماناً منهم بأنهم قادرين على زيادة ضيق سجن بولس، فقد كرزوا بالمسيح بدوافع غير نقية وبروح المخاصمة (الآية 17). لقد كرزوا بالمسيح لمجرد اتخاذ ذلك ذريعةً وحسب (الآية 18). ومع ذلك، وبغض فقد كان المسيح هو الذي يُعلن؛ ولهذا السبب، ابتهج الرسول—سواء كانت صادقة أم غير صادقة—النظر عن الوسائل المُستخدمة، بولس، بل واستمر في ابتهاجه (الآية 18). وفي نهاية المطاف، ابتهج بولس لأن الصعوبات ذاتها التي كابدها قد عملت، في الواقع، على تعزيز تقدم الإنجيل.

إلى تقدم الإنجيل. وأصلي لكي يُعلن المسيح من—على النقيض من ظاهرها—أصلي لكي تؤدي التجارب ذاتها التي نكابدها حالياً خلال الظروف التي نجد أنفسنا فيها في الوقت الراهن. وبينما يتقدم الإنجيل عبر الصعوبات التي نواجهها، أصلي لكي نخبر تقدماً موازياً في إيماننا وزيادةً في فرحنا (الآية 25).

الذين يتألمون بحسب مشيئة الله

«إِذَا، لِيَسْتَوْدِعِ الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ أَنْفُسَهُمْ لِخَالِقِ آمِينَ، وَهُمْ مُسْتَمِرُّونَ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ»
(ترجمة "كتاب الناس المعاصرين"): «إِذَا، ينبغي على الذين يتألمون وفقاً لمشيئة الله أن يستمروا في عمل
الأعمال الصالحة، وأن يستودعوا نفوسهم لله، الخالق الأمين» [1 بطرس 4: 19]

لماذا نتألم نحن المسيحيين؟ وما هو السبب؟ أعتقد أن هناك ثلاثة أسباب: (1) بسبب خطايانا، (2) لكي يباركنا هو، و(3) لأننا نعيش حياة تليق بالإنجيل. وبالطبع، ليس كل ما نعانیه من ألم ناتجاً عن خطايانا. ومع ذلك، ولسبب ما، غالباً ما يصعب علينا التخلص من الفكرة القائلة بأن الكثير من آلامنا قد يكون، في الواقع، نتيجةً لخطايانا. وأنا أعتبر النبي يونان مثلاً ممتازاً على ذلك. لماذا تألم يونان؟ ولماذا كادت السفينة التي كان يبحر عليها أن تتحطم؟ (يونا 1: 4). كان السبب هو أنه قد عصى أمر الله (الآية 2) (الآية 3) *وبالمثل، نحن أيضاً يمكننا بالتأكيد أن نختبر الألم عندما نعصي وصايا الله. غير أنني أعتقد أنه من الخطر جداً الافتراض بأن *كل آلامنا هي حصيلةً لخطايانا وحدها. والسبب في ذلك هو أن الكتاب المقدس لا يُعلم بأن كل حالة ألم مذكورة بين صفحاته هي ناتجة عن الخطيئة. ومن الأمثلة الممتازة على ذلك شخصية "أيوب". فعلى عكس يونان، لم يعص أيوب وصايا الله، ومع ذلك فقد احتمل يتقي الله ويحيد عن الشر (أيوب 1: 1؛ 2: 3) —إلا أنه لم يفقد أبناءه العشرة —ألاماً هائلة. ورغم كونه رجلاً بلا لوم ومستقيماً جميعاً فحسب (1: 18)، بل فقد أيضاً كل ممتلكاته (الآيات 12، 15-17). وعلاوةً على ذلك، أصيب بقروح مؤلمة من أخصص قدميه إلى قمة رأسه، لدرجة أنه جلس في الرماد وأخذ يحك جسده بقطعة من الفخار المكسور (2: 7-8). ولم يكن السبب في هذا وذلك كجزء —الرجل الذي كان يتقيه —الألم خطيئته هو، بل بالأحرى تدبير الله السيادي؛ لقد أذن الله للشيطان بأن يضرب أيوب من خطته الإلهية (1: 12؛ 2: 6). ونتيجة لذلك، صقل الله أيوب وهذبته حتى خرج نقياً كالذهب الخالص (23: 10)، مما مكنه من اختبار البركة المذهلة المتمثلة في حضور الله؛ فلم يعد يكتفي بسماع أخبار الرب بأذنيه فحسب، بل رآه بعينه هو (42: 5). وهكذا هم —مثل أيوب —بسبب عصيانهم لكلمة الله، نجد آخرين —مثل يونان —نلاحظ في الكتب المقدسة أنه بينما يعاني بعض الأفراد أناس أبرار يحدون عن الشر ويتقون الله، ومع ذلك يظلون يتحملون المعاناة. علاوة على ذلك، يُظهر لنا الكتاب المقدس أنه حتى مثل الرسول بولس (فيلبي 1: 27) —قد واجهوا عدداً لا يُحصى من المشقات —وأولئك الذين عاشوا حياة تليق بإنجيل المسيح يسوع والصعوبات (2 كورنثوس 11: 21-31). إذن، إذا كنا نحن حالياً نتحمل المعاناة لأي سبب كان، فما الذي ينبغي علينا فعله بالتحديد؟

أنه يجب علينا أن نربط معاناتنا الخاصة بمعاناة يسوع—كما اقترح الكاتب "هنري نووين" ذات مرة في كتاب قرأته—أعتقد، وبعبارة أخرى، عندما نكون في خضم المعاناة، ينبغي علينا أن نتأمل في الآلام التي احتملها يسوع على الصليب؛ فبقيامنا بذلك نسمح لآلامه بأن تكشف لنا عن الغرض الحقيقي والمعنى العميق لتجاربنا نحن. وهذا الأمر يمكننا من التحمل بصبر والصمود أمام وهو الغرض عينه الذي يسعى الله إلى إتمامه فينا من خلال تلك—مشقاتنا، مما يتيح لنا بالتالي أن نشهد تحقق مشيئة الله السيادية المعاناة.

من رسالة بطرس الأولى 4: 19—تتوجه الكتب المقدسة بالحديث إلى أولئك الذين يعانون وفقاً لمشيئة الله. وبينما—في فقرة اليوم، أولاً في خلوتي وتأملتي الشخصي، ثم أثناء إعلاني لكلمة الله خلال خدمة الصلاة الصباحية لهذا اليوم—كنت أتأمل في هذه الفقرة ركزت تأملتي على الحقيقة القائلة بأننا نحن المسيحيين مدعوون لنكون من أولئك الذين يعانون وفقاً لمشيئة الله—والآن مرة أخرى: فمن هم إذن أولئك الذين يعانون وفقاً لمشيئة الله؟ لقد حددت حوالي خمس سمات تميزهم

أولاً: إن الذين يعانون وفقاً لمشيئة الله يتسلحون بنفس العقلية التي تحلى بها يسوع المسيح، الذي احتمل هو نفسه الآلام في الجسد تأمل في رسالة بطرس الأولى 4: 1-2: «فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد، فعليكم أنتم أيضاً أن تتسلحوا بنفس الفكر؛ لأن من تألم بالجسد قد انقطع عن الخطية. وعليه، فلبقية حياتكم الأرضية، لا ينبغي لكم أن تعيشوا بعد لإشباع الشهوات البشرية، بل لإتمام مشيئة الله». [الترجمة الكورية المعاصرة] «بما أن المسيح قد تألم المأ جسدياً، فيجب عليكم أنتم أيضاً أن تتسلحوا بنفس العقلية. فكل من تألم جسدياً قد قطع بالفعل علاقته بالخطية. ومن الآن فصاعداً، لا تعيشوا ما تبقى من حياتكم لأجل الشهوات البشرية، بل عيشوا لأجل وبالتحديد، الإيمان بحقيقة أن المسيح قد—مشيئة الله». إن عقلية أولئك الذين يتألمون وفقاً لمشيئة الله تركز على العيش بالإيمان تألم جسدياً بالفعل على الصليب ومات، وبذلك غفر جميع خطايانا وتعدياتنا مرة واحدة وإلى الأبد. وبينما يعيشون بالإيمان، فإنهم يوقنون تماماً أنهم من خلال موت يسوع الفريد على الصليب، لم ينالوا غفران الخطايا فحسب، بل قطعوا أيضاً علاقتهم بالخطية ذاتها؛ وهكذا، لم يعودوا يسعون وراء الشهوات البشرية، بل يعيشون ما تبقى من حياتهم الأرضية وفقاً لمشيئة الله. وبعبارة أخرى فإن أولئك الذين يتألمون وفقاً لمشيئة الله لا يعيشون بقية حياتهم لأجل الشهوات البشرية، بل لأجل مشيئة الله. فهم لم يعودوا يعيشون وفقاً للشهوات البشرية (الآية 2)—منغمسين في الخلاعة، والشهوة، والسكر، والمجون، والعبث، وعبادة الأوثان المحرمة (الآية 3) وهم لا يندفعون بتهور نحو مثل هذا الانحلال الأخلاقي المتطرف جنباً إلى جنب مع أولئك الذين لا يؤمنون بيسوع (الآية 4). وإدراكاً يُعد كافياً (الآية 3)، فإنهم يعيشون—أي الوقت الذي قضوه في العيش وفقاً لمشيئة الأمم قبل إيمانهم بيسوع—منهم بأن الماضي الآن ما تبقى من حياتهم وفقاً لمشيئة الله (الآية 2).

ثانياً: إن أولئك الذين يتألمون وفقاً لمشيئة الله يفرحون بمشاركتهم في آلام المسيح

«تأمل في رسالة بطرس الأولى 4: 13: «بل افرحوا بقدر ما تشاركون في آلام المسيح، لكي تفرحوا وتبتهجوا أيضاً عند إعلان مجده. إن الذين يتألمون وفقاً لمشية الله لا ينظرون إلى التجارب النارية التي تأتي لتنتقيتهم باعتبارها أمراً غريباً أو غير مألوف (الآية 12) وبعبارة أخرى، عندما يواجهون محناً نارية تهدف إلى اختبارهم، فإنهم لا يُصابون بالذهول، وكأن أمراً عجبياً أو شاذاً يحدث لهم (الآية 13). بل على العكس من ذلك، عندما يحتملون مثل هذه التجارب النارية، فإنهم يعتبرون أنفسهم مشاركين في آلام المسيح ويفرحون بذلك. وحتى عندما تعترضهم تجارب شتى، فإنهم ينظرون إليها باعتبارها مصدراً للفرح (يعقوب 1: 2). وعلاوة على ذلك، فإن الذين يتألمون بحسب مشية الله يعتبرون أنفسهم مباركين حين يُهائون من أجل اسم المسيح (الآية 14). والسبب الذي يمكنهم من التفكير والاعتقاد بهذه الطريقة هو أن "روح المجد — أي روح الله" — يحلّ عليهم (الآية 14).

ثالثاً: إن الذين يتألمون وفقاً لمشية الله لا يشعرون بالخزي عند تحملهم للمشقات؛ بل إنهم يجدون الله، وتحديداً لأنهم يحملون اسم "مسيحي".

انظر إلى رسالة بطرس الأولى 4: 16: "وإن تألمت كمسيحي، فلا تخجل، بل مجدّ الله بهذا الاسم" [(الترجمة الكورية المعاصرة) ومع ذلك، إن تألمت لكونك مسيحياً، فلا تخجل؛ بل مجدّ الله لذات الحقيقة القائلة بأنك قد نلت اسم 'مسيحي']]. إن الذين يتألمون وفقاً لمشية الله لا يشعرون بالخزي حين يتألمون بصفقتهم مسيحيين (الآية 16). والسبب في ذلك هو أنهم لا يتألمون — كما ربما كانوا، يفعلون قبل إيمانهم بيسوع — نتيجة اتباعهم لشهواتهم الخاطئة (الآيتان 2 و3) من خلال أفعال مثل القتل، أو السرقة، أو فعل الشر أو التدخل في شؤون الآخرين (الآية 15)؛ بل إنهم، بعد أن نالوا غفران الخطايا وقطعوا صلاتهم بالخطيئة من خلال الإيمان بيسوع (الآية 1)، يعيشون الآن بما يتوافق مع مشية الله (الآية 2). ولذلك، عندما يتألمون لمجرد كونهم مسيحيين، فإنهم لا يشعرون بالخزي؛ بل يجدون الله باسم "مسيحي" (الآية 16). وبعبارة أخرى، فإن الذين يتألمون وفقاً لمشية الله يجدون الله (الآية 16) من خلال إطاعتهم لإنجيل الله بصفقتهم مسيحيين (الآية 17).

رابعاً: إن الذين يتألمون وفقاً لمشية الله يواصلون فعل الخير ويستودعون نفوسهم لله، خالقهم الأمين.

انظر إلى رسالة بطرس الأولى 4: 19: "إذن، فليستودع الذين يتألمون وفقاً لمشية الله نفوسهم لخالق أمين، بينما يواصلون فعل الخير" [(ترجمة "كتاب الشعب الحديث") "لذلك، ينبغي على الذين يتألمون بما يتوافق مع مشية الله أن يواصلوا فعل الأعمال الصالحة ويستودعوا نفوسهم لله، الخالق الأمين"]]. إن الذين يتألمون وفقاً لمشية الله يستودعون خلاص نفوسهم (الآية 18) لله الخالق الأمين (الآية 19). وعلاوة على ذلك، فإنهم يواصلون فعل الأعمال الصالحة (الآية 19، بحسب ترجمة "كتاب الشعب الحديث"). حتى في خضم معاناتهم كمسيحيين، لا يكفون عن فعل الأعمال الصالحة لمجد الله. والسبب في ذلك هو إدراكهم أنهم قد خلّقوا خلقاً جديداً في المسيح يسوع لغرض القيام بالأعمال الصالحة (أفسس 2: 10). ولذلك، لا يخورون عزماً حتى حين يتألمون أثناء فعل الخير (2 تسالونيكي 3: 13)، ولا يتخلّون عن القيام بتلك الأعمال الصالحة (غلاطية 6: 9).

،خامساً وأخيراً، يؤمن أولئك الذين يتألمون وفقاً لمشية الله بأنه بعد أن يتألموا لبرهة يسيرة، سيقوم الله بنفسه بترميمهم، وتثبيتهم، وتقويتهم، وإرسائهم رسواً راسخاً. تأمل في رسالة بطرس الأولى 5: 10: «وإله كلِّ نعمةٍ، الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى مَجْدِهِ الْأَبَدِيِّ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، بَعْدَ أَنْ تَتَأَلَّمُوا قَلِيلاً، هُوَ نَفْسُهُ سَيُرْمِمُكُمْ وَيَجْعَلُكُمْ أَقْوِيَاءَ وَثَابِتِينَ وَرَاسِخِينَ» [(الترجمة الكورية المعاصرة): «بعد أن سيقوم هو بنفسه بجعلكم —الذي دعاكم في المسيح لتشاركوا في مجده الأبدي— تحتملوا المعاناة لبعض الوقت، فإن إله كل نعمة كاملين، وثابتين، وأقوياء، وراسخين رسواً متيناً»]. إن الذين يتألمون وفقاً لمشية الله يدركون الحقيقة القائلة بأن المعاناة هي، في الواقع، نعمة من الله. وحين يتألمون بصفتهم مسيحيين، يدركون أنهم يشاركون في آلام يسوع المسيح؛ فيقدمون الشكر على ذلك، لإيمانهم بأن المشاركة في آلام المسيح هي بحد ذاتها فعلٌ من أفعال نعمة الله (فيلبي 1: 29؛ 1 بطرس 5: 12). وعلاوة على ذلك: حتى في خضم معاناتهم، يرفعون الشكر لله لإدراكهم أنهم من خلال هذه التجارب يخضعون لعملية تنقية وتصفية (1 بطرس 4 لا بقوتهم الذاتية، بل—جسد الرب—ومن أحد جوانب هذه التنقية أنهم، إذ صُقلوا وهُذبوا عبر المعاناة، يخدمون الكنيسة. (12) يعلمون أن—وهم يخضعون للتنقية عبر تجاربهم—بالقوة التي يمنحها الله (الآية 11). وهكذا، فإن الذين يتألمون وفقاً لمشية الله المعاناة التي يحتملونها كمسيحيين هي معاناة مؤقتة فحسب (5: 10). وفضلاً عن ذلك، فإنهم يتمسكون بإيمان راسخ بأن الله قد دعاهم للدخول إلى مجده الأبدي (الآية 10). إدراكاً منهم بأن المجد العظيم الذي لم يُكشف لهم بعد هو أمر لا يُقارن البتة بالآلام التي يكابدونها حالياً (رومية 8: 18)، فإنهم يثابرون ويحتملون الشدائد حتى في خضم تجاربهم. وفي غمرة هذه المسيرة، يقوم الله بنفسه بترميمهم وتثبيتهم، وتقويتهم، وترسيخ أقدامهم (1 بطرس 5: 10). ولهذا، فإنهم يعلنون قائلين: "له (الله) القوة إلى أبد الأبدین. آمین" (الآية 11).

نحن المسيحيين هم أولئك الذين يتألمون وفقاً لمشية الله. وبصفتنا المتألمين انسجماً مع مشيئته، يتحتم علينا أن نتسلح بذات العقلية التي تحلى بها يسوع المسيح، الذي سبق له أن تألم بالجسد. وعلاوة على ذلك، ينبغي لنا أن نبتهج بامتياز المشاركة في آلام المسيح وفضلاً عن ذلك، عندما نواجه الألم، لا يجوز لنا أن نخجل؛ بل بالأحرى، ينبغي علينا أن نمجد الله من أجل اسم "مسيحي" ذاته. إذ واثقين بأنه بعد أن نتألم لبرهة يسيرة، سيقوم الله—مستودعين نفوسنا لدى خالقنا الأمين، الله—يجب علينا أن نواصل فعل الخير بنفسه بترميمنا، وتثبيتنا، وتقويتنا، وترسيخ أقدامنا. فلنتم مشية الله بالكامل من خلال الآلام التي نتحملها.

"ضع دموعي في قارورتك"

أنت تعرف حزني. ضع دموعي في قارورتك... (المزمور 56: 8)"

دموع لن أنساها ما حبيت. لا أزال أذكر بوضوح شديد اللحظة التي سُفكت فيها تلك الدموع؛—هناك دموع تجمعت في وعاء قلبي، فهي تحمل بالنسبة لي دلالة تفوق كل تقدير. إن أكثر الدموع رسوخاً في أعماق قلبي هي دموع واحدة انحدرت من عيني طفلي البكر، في سلام داخل أحضاني—جويونغ". فعندما غفت "جويونغ"—التي احتضنتها بين ذراعي للمرة الأولى، وللمرة الأخيرة أيضاً—تلك التي—تجمعت دموع واحدة في زاوية عينها اليمنى. وكلما شاركْتُ في سرّ العشاء الرباني، أستحضر بوعي صورة تلك الطفلة سهرت على رعايتها لمدة 55 يوماً في وحدة العناية المركزة، وجسدها الصغير مُثَقَّلٌ بآلاف الوخزات بالإبر. وفي كل مرة، تحرك تلك الدفعة الواحدة قلبي إلى أعماق أعماقه. أما الدموع الثانية الأكثر رسوخاً في قلبي، فهي دموع زوجتي الحبيبة. أستعيد في ذاكرتي صورة زوجتي وهي تقف على مسافة قصيرة في وحدة العناية المركزة بالمستشفى؛ وبينما كانت تحدد في طفلتنا "جويونغ"—التي كانت ترقد في حالة حرجة، وقد تحول جسدها بالكامل إلى اللون الأزرق جراء مضاعفات في القلب وفشل في الدورة الدموية انخرطت زوجتي في بكاء لا يمكن السيطرة عليه، وسالت دموعها مدراراً على وجهها. لم تبدُ زوجتي لي جميلةً قط كما بدت في تلك اللحظة. وهناك دفعة أخرى لزوجتي لن أنساها أبداً؛ حدثت بعد الانتهاء من حرق جثمان "جويونغ". فبينما كنا نستقل قارباً صغيراً التفتت فجأة من مؤخرة القارب لتتظر إليّ (بينما كنت أتولى—وزوجتي تحمل الصندوق الصغير الذي يحوي رفاتها—لنثر رمادها زوجتي وهي تلقي دعابة (?) حتى—أبدأ—توجيه القارب)، ونطقت بكلمة "تايتانيك"، ثم انفجرت بالبكاء مرة أخرى. لن أنسى أبداً في خضم ذلك الحزن العميق. وهناك دفعة أخرى تقبع داخل "وعاء قلبي"؛ وهي تلك التي ذرفها جدي من زاوية عينه اليمنى في وذلك في اللحظة التي فتحتُ فيها عيني بعد أن فرغت من الصلاة—أي قبل يوم واحد من وفاته في المستشفى—صباح يوم أحد ونظراً لأنه كان يضع قناع الأكسجين، لم يتمكن من النطق بكلمة واحدة؛ ومع ذلك، لن أنسى أبداً تلك الدفعة التي ذرفها في تلك اللحظة. كما لا يسعني أن أنسى دموع جدتي. أذكر أنني زرتها في المستشفى بصحبة زوجتي؛ وحين شرعت فجأة في البكاء، سألتها يا جدتي، هل تبكين خوفاً من الموت؟" فأجابت بأنها تبكي بدافع امتنانٍ غامرٍ لله. وحين سألتها: "على ماذا أنتِ ممتنةٌ كل هذا"

—الامتنان؟" أذكر أنها أجابت بأنها تشعر بامتنانٍ عميقٍ لأن الله قد أقام العديد من خدام الرب من بين أفراد عائلتنا. وتلك الدموع —لا تزال هي الأخرى محفوظةً ومجمعةً داخل وعاء قلبي—الدموع التي ذرفتها شكراً لله.

حتى هذه اللحظة من مسيرتي الإيمانية، كنت أميل إلى التركيز حصراً على الدموع التي تراكمت داخل وعاء قلبي أنا. غير أنه في استقر بصري على الآية الثامنة من المزمور 56—أثناء قراءتي للنص الكتابي المخصص لصلاة فجر اليوم—مساءً الأمس وكان السبب في ذلك أنني رأيت صاحب المزمور، داود، يرفع هذا التضرع إلى الله قائلاً: "أنت تعرف أحزاني؛ فاجعل دموعي في حتى—قنينتك" (بحسب الترجمة الإنجليزية المعاصرة). ورغم أنني لا بد وأني قرأت هذه الآية مراتٍ عديدةٍ من قبل، إلا أنه يبدو بينما كنت ألقى عظةً تتمحور—أنني كنت أمرُّ عليها مرور الكرام دون أن أتوقف عندها. ثم، وأثناء صلاة فجر اليوم—مساءً الأمس حول الآية الرابعة من المزمور 56—وجدتُ نفسي منجذباً مرةً أخرى نحو الآية الثامنة باهتمامٍ متجدد؛ وهكذا، وبينما أتأمل فيها مجدداً، أدون هذه الأفكار. ومن الآن فصاعداً، أنوي أن أحول بؤرة تركيزي بعيداً عن الدموع الراكدة داخل وعاء قلبي أنا، لأوجهها وثوقاً مني في تلك الحقيقة القائلة—تلك الدموع المحفوظة داخل وعاء الرب ذاته. أو بالأحرى—بدلاً من ذلك نحو دموع أحبائي أرغب في أن أقدم كل تلك الدموع—هي في الواقع مجمعةً سلفاً داخل وعاء الرب—التي تقبع داخل وعاء قلبي—بأن دموع أحبائي إليه؛ إلى الرب الذي يحبهم حباً أعمق بكثيرٍ من حبي لهم، والذي يدرك المعنى الحقيقي لدموعهم خيراً من أي أحدٍ سواه. فكيف لي أن أستوعب إدراكاً كاملاً مغزى الدموع التي ذرفتها ابنتي البكر "جويونغ"، أو زوجتي، أو جدائي؟ ومع ذلك، ولأن الله—الذي يعلم يدرك تماماً ويفهم فهماً كاملاً المعنى الكامن خلف كل دموع ذرفوها، فإنني أصلي أن يجمع الرب تلك الدموع جميعها—كل شيء ويضعها في وعائه هو. وبهذه الروح، أصلي أيضاً أن تُجمع في وعاء الرب، على المنوال—التي تحتضنها حالياً أوعية قلبي—ذاته، الأنواع الثلاثة من الدموع التي ذرفتها في شهر مايو من عام 1987—أثناء خلوة روحية مع خدمة طلاب الجامعات في كنيسة المشيخية "سيونغري"—وهي: دموع التوبة، ودموع التكريس، ودموع الامتنان. وأصلي، في الحاضر وفي الأيام القادمة على حد سواء، أن أظل أدرف هذه الأنواع الثلاثة من الدموع. ولهذا، فإنني أصبو إلى أن أملاً وعاء الرب بهذه الدموع ذاتها.

«سأظل أحمل الأمل دائماً»

[مزمو ر 71: 1-14]

مستلهما مادته من تجاربه، (Born Again) *كتب تشاك كولسون، وهو مساعد سابق للرئيس نيكسون، كتاباً بعنوان *وُلد من جديد — الشخصية داخل السجن. وقد لاحظ أن هناك ثلاثة أنماط متميزة من البشر بين السجناء: يتألف النمط الأول من السجناء فاقدى الأمل أولئك الذين كانوا يضربون رؤوسهم بالحائط ويلحقون الأذى الجسدي بأنفسهم. أما النمط الثاني فكانوا أيضاً فاقدى الأمل؛ إذ كانوا يكتفون بالانزواء في زاوية زنازينهم، بلا حراك. غير أن النمط الثالث كان يضم أولئك الذين كانوا يترقبون بشوق يوم إطلاق سراحهم؛ فكلما سنحت لهم الفرصة، كانوا يخرجون إلى ساحة السجن لممارسة التمارين الرياضية. وحتى وهم محتجزون داخل زنازينهم، كانوا يتصرفون وكأنهم سيُطلق سراحهم في اليوم التالي مباشرة. ورغم أن أجسادهم كانت حبيسة السجن، إلا أن عقولهم تجوب العالم الخارجي وتنعم بالحرية. إن حياة المرء الذي يعيش على أمل هي حياة حرة. فالشخص الذي يحمل الأمل — كانت حرة يفيض تفاؤلاً. إن الأفراد الإيجابيين والسباقين إلى العمل يبحثون عن النور، حتى في خضم الظلام. أما المتشائمون، فلا يرون سوى الظلام، حتى وهم يقفون في قلب النور. حقاً، هل *أنت* ممن يبحثون عن النور حتى في الظلام، أم أنك لا ترى سوى الظلام حتى عندما تكون محاطاً بالنور؟

، ما هي أفكار الله نحونا؟ إذا نظرنا إلى سفر إرميا 29: 11، فنجد أنه يخبرنا بأن أفكاره هي بالتحديد هذه: «مَشَارِبُ لِّلسَّلَامِ لَا لِلشَّرِّ يود أن يغرس ذلك الرجاء فينا اليوم، مستنداً في—الذي يرغب في أن يمنحنا رجاء لمستقبلنا—لأَعْطِيَكُمْ آخِرَةً وَرَجَاءً». إن الله، ذلك إلى كلمات نصنا الكتابي: مزمو ر 71: 1-14. إنه يرغب منا أن نعقد هذا العزم الراسخ: «سأظل أحمل الأمل دائماً». ولذلك وتحت العنوان «سأظل أحمل الأمل دائماً»، أود أن أتأمل في هذا النص من خلال استعراض ثلاث نقاط رئيسية: أولاً، ما هو الوضع، وهو وضع بدا وكأنه خالٍ تماماً من أي أمل؟ ثانياً، لماذا قام كاتب المزمور... أود أن أنظر، أولاً—الذي كان يعيشه كاتب المزمور رغم—فيما إذا كنا قد عقدنا العزم على أن نقول: «سأظل أحمل الأمل دائماً»؛ وثانياً، في الأسباب التي دفعت كاتب المزمور

إلى أن يعقد العزم على «حمل الأمل»؛ وثالثاً: طبيعة الحياة التي عاشها كاتب المزمور هذا، والذي اتخذ مثل هذا القرار—ظروفه الحازم.

إن النقطة الأولى التي أود تناولها هي الوضع اليائس الذي وجد كاتب المزمور نفسه فيه؛ وهو وضعٌ بدا فيه الأمل غائباً تماماً.

لقد وجد كاتب المزمور نفسه في موقفٍ محفوفٍ بالمخاطر، حيث كانت حياته ذاتها معرضةً للخطر بسبب "يد الأشرار" —أي غير (الآية 4)، أو بسبب "أعدائه" (الآية 10). فقد كانوا يتربصون بنفسه، ساعين لانتزاع حياته (الآية 10). وهنا —الصالحين والقساة يحمل المصطلح العبري الأصلي —الذي تُرجم بكلمة "قاسٍ" أو "عديم الرحمة" — دلالةٌ تشير إلى "الشخص المنتفخ كالعجين المختمر" (بحسب تفسير بارك يون-سون). فالشخص "القاسي" هو فاعل شرٍ أو فردٌ غير بارٍ؛ وهو شخصٌ بلغ من السوء والشر حداً جعله لا يعرف كيف يكفّ عن أفعاله الشريرة ولا كيف يتوب عنها، بل لا يخدم سوى غايةٍ واحدة: نشر الشر وتوسيعه نطاقاً (بحسب تفسير بارك يون-سون). ونظراً لأن هؤلاء الأفراد كانوا يستهدفون حياته، فقد وقف كاتب المزمور عند مفترق طرقٍ بين وكأنه لا يوجد أي أملٍ على الإطلاق. ومع ذلك، وفي تلك اللحظة —الحياة والموت؛ وهو موقفٌ بدا فيه —من منظورٍ بشريٍّ بحت —بالبذات، نرى كاتب المزمور يتخذ قراراً حازماً في الآية 14 من نص اليوم: "أَمَّا أَنَا فَأَرْجُو دَائِماً، وَأَزْدَادُ تَسْبِيحاً لَكَ".

إلى أن يعزم قائلاً: "سأظل —ثانياً: أود استكشاف الأسباب التي دفعت كاتب المزمور —حتى وهو في تلك الحالة البالغة من اليأس —أحمل الأمل دائماً".

السبب الأول هو أن الرب نفسه هو مصدر أمله (1).

أرجو منكم النظر إلى النصف الأول من الآية 5 في نص اليوم، من المزمور 71: "لَأَنَّكَ أَنْتَ يَا سَيِّدُ الرَّبِّ رَجَائِي...". إن هذا العالم لا يمكنه أبداً أن يمنحنا الأمل؛ فالشيء الوحيد الذي يوسع هذا العالم أن يقدمه لنا هو اليأس. ويظل الشيطان ساعياً باستمرارٍ لدفعنا نحو هاوية اليأس. ومع ذلك، فحتى ونحن نعيش في هذا العالم الذي يهدد بإغراقنا في بحور اليأس، فإننا نحيا مبتهجين بالأمل والسبب في ذلك هو أن ربنا هو رجاؤنا. تقول كلمات المقطع الثالث من الترنيمة رقم 539 ما يلي: "حتى في اليوم الذي تنقطع فيه كل الأمور التي وثقتُ بها في هذا العالم، سأظل واثقاً بعهد المُخْلِص، وسيزداد رجائي نمواً وعظمةً". نحن المسيحيين هم أولئك ازدادوا ثباتاً ورسوخاً على وعود الرب؛ وهكذا، فإن —كلما جُردوا أكثر من الأمور التي وضعوا ثقتهم فيها في هذا العالم—الذين الرجاء الذي نجده فيه لا بد أن يزداد قوةً ورسوخاً.

السبب الثاني هو أن الرب هو الصخرة التي نسكن فيها (2).

تأملوا في فقرة الكتاب المقدس المخصصة لهذا اليوم، من المزمور 71: 3: "كُنْ لِي صَخْرَةً مَلْجَأً إِلَيْهَا دَائِماً؛ لِأَنَّكَ أَمَرْتَ وفي كلِّ—بِخْلَاصِي، إِذْ أَنْتَ صَخَّرْتَنِي وَحَصَّنْتَنِي". كلما سعى أعداء كاتب المزمور لاصطياده وقتله، كان يلجأ باستمرار الذي—إلى الرب، الذي كان بمثابة صخرته وحصنه. وفي الآية الثالثة من فقرة اليوم، يصف كاتب المزمور هذا الرب—الأوقات وهنا، يشير مصطلح "جرف صخري" إلى موضوع للإيمان جدير. (Crag) "بأنه" "جرف صخري—يقوم بدور صخرته وحصنه بالثقة نظراً لصلابته وثباته (بحسب باريك يون-سون). وعلى وجه الخصوص، ومن خلال تأملنا في المزامير، لاحظنا كيف اعتمد تحديداً عندما شعر بأن طاقته تتلاشى وتستنزف جراء أفعال أعدائه—كاتب المزمور ووضع ثقته في "يهوه الله"—مصدر قوته والسبب في أن قلب كاتب المزمور ظل راسخاً غير متزعزع وسط الاضطهاد والمعاناة التي ألحقها به خصومه، يكمن تحديداً في الذي رجا حتى—أبونا في الإيمان—الذي هو جرفه الصخري، وصخرته، وحصنه. وكما فعل إبراهيم—أنه قد لجأ إلى الرب حينما لم يكن هناك أي أساس للرجاء؛ هكذا نحن أيضاً، بينما نشق طريقنا في هذا العالم الذي يبدو وكأنه خالٍ من الأمل، فإن قدرتنا تتنبع من "كلمة الوعد" التي منحنا إياها. وحينما—حتى في خضم الظروف التي تبدو ميؤوساً منها—على إيجاد الرجاء في الرب نقف راسخين على تلك "كلمة الوعد"، فإننا نظل ثابتين غير متزعزعين. وعلاوة على ذلك، فإننا نتمكن من الصلاة للرب، وترقب عمله، والانتظار أمامه، ونحن على يقين بأنه سيتم تلك "كلمة الوعد" بأمانة وإخلاص. إن كلمة الوعد المحددة التي التجأ إليها. كانت هذه: "لَأَنَّكَ أَمَرْتَ بِخْلَاصِي" (الآية 3) —صاحب المزمور وتمسك بها —منصرفاً بوجهه نحو الرب، صخرته الحصينة وهكذا، وإذا كان رجاءه مثبتاً على الخلاص، وممتلكاً لليقين بذلك النجاة، التجأ داود إلى الرب وسكن فيه بأمان —الرب الذي هو صخرته الراسخة.

السبب الثالث هو أن الرب كان عماده وسنده منذ حداثة سنه (3).

تأملوا معي في الجزء الأخير من الآية 5 في نص اليوم، من المزمور 71: "...أَنْتَ مُتَّكِلِي مُنْذُ حَدَاتْنِي". إن السبب الذي مكن قائلًا: "أَمَّا أَنَا فَأَرْجُو دَائِماً"، هو أنه —صاحب المزمور من أن يعزم في حضرة الرب —حتى في ظروف بدت ميؤوساً منها تماماً كان قد اختبر حماية الله، وهدايته، وخلاصه منذ طفولته المبكرة وصولاً إلى اللحظة التي دَوَّن فيها هذا المزمور. ونتيجة لذلك، كان واثقاً تمام الثقة بأن الله سيستمر في حمايته وخلاصه، حتى في خضم المعاناة والأزمات التي كان يواجهها آنذاك. بل إنني لأصلي أن في نفوس أطفالنا الصغار. فلو —نغرس هذه الثقة ذاتها التي امتلكها صاحب المزمور، ليس في أنفسنا فحسب، بل —وبشكل خاص

تعلموا الاتكال على الله منذ نعومة أظفارهم، يا له من مصدر هائل للقوة والرجاء سيكون لأطفالنا وهم يواصلون شق طريقهم في هذه الحياة القاسية والمضطربة!

"وثالثاً وأخيراً، دعونا نتأمل في طبيعة الحياة التي عاشها صاحب المزمور الذي عزم قائلاً: "أَمَا أَنَا فَأَرْجُو دَائِمًا

إنه يلتجئ إلى إلهه (1).

تأملوا في نص الكتاب المقدس المخصص لهذا اليوم، المزمور 71: 1: "بِكَ يَا رَبُّ اخْتَمَيْتُ...". وفي الآية 7 من النص ذاته، يعترف هرباً من الأعداء الذين سعوا —صاحب المزمور بأن الرب هو "مَلَجُوهُ الْقَوِي". ولذلك، فقد فرَّ إلى الرب —الذي يمثل ملجأً قوياً في كل —لإغراقه في بحر من اليأس. وعلاوة على ذلك، لم يكتفِ بمجرد الالتجاء فحسب؛ بل كان يفرُّ إلى الرب —ملجئه القوي حين (بشكل دائم ومستمر) (الآية 3).

إنه يصلي إلى إلهه (2).

لقد كان طلب صلاته الأساسي هو أن يمنحه الله الخلاص والنجاة. في الآية الثانية من نص اليوم (المزمور 71)، يتضرع كاتب طالباً—المزمور إلى الله قائلاً: "بِرُّنِي بَعْدَكَ وَنَجِّنِي؛ أَمِلْ أَدْنَكَ إِلَيَّ وَخَلِّصْنِي". وبينما كان كاتب المزمور يرفع صلاته إلى الله، فقد توسل إلى الله تحديداً أن يمنحه ملجأً يحتمي به منهم (الآية 4). وثانياً—النجاة من أعدائه، ومن الأشرار والظالمين والعنفاء صلى كاتب المزمور لكيلا يتخلى الله عنه. تأملوا معي في الآية 9: "لَا تَرْفُضْنِي فِي زَمَنِ الشَّيْخُوخَةِ؛ وَلَا تَتْرُكْنِي عِنْدَمَا تَضَعُ قُوَّتِي". لقد صلى كاتب المزمور لكيلا يهجره الله، حتى مع تقدمه في السن وبدء تضاول قواه. أما الطلب الثالث في صلاة كاتب المزمور، فكان توسلاً صادقاً إلى الله لكي يُنزل الهزيمة بأعدائه. ففي الآيات من 10 إلى 13 من نص اليوم، يرفع كاتب المزمور أولئك الذين يتربصون بنفسه، ويدعون زوراً أن الله قد تخلى عنه وأنه لا يوجد من يخلصه من—هذه الصلاة بخصوص أعدائه قبضتهم: "لِيَحْزَرْ وَيَفْنَى مُقَاوِمُو نَفْسِي؛ وَلِيَكْتَسِ الْعَارُ وَالْهَوَانُ الَّذِينَ يَتَأَمَّرُونَ عَلَى هَلَائِي" (الآية 13).

ثالثاً: يواصل كاتب المزمور تسبيح الرب بلا انقطاع (3).

تأملوا في الآيتين 6 و14 من نص اليوم، المزمور 71: "عَلَيْكَ اعْتَمَدْتُ مِنْذُ وَلَدْتَنِي؛ وَأَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي. إِيَّاكَ أَسْتَحْ دَائِمًا" (الآية 6)؛ و"أَمَا أَنَا، فَسَأَرْجُو دَائِمًا، وَأَزْدَادُ تَسْبِيحاً لَكَ" (الآية 14). لقد عزم كاتب المزمور على تسبيح الرب بمزيد من

الحماس والغيرة، وتحديدًا في الوقت الذي كان فيه أعداؤه ينشرون شرورهم بنشاط. وإذا كان كاتب المزمور يلجأ باستمرار إلى الذي يمثل له الصخرة الراسخة (وملجأه الحصين) في كل حين (الآية 3) —فقد قدم تسبيحاً متواصلاً للرب، وهو ينعم—الرب بالأمان والسكينة تحت حمايته. وهكذا أعلن كاتب المزمور قائلاً: "أَمْتَلَأْ قَمِي مِنْ تَسْبِيحِكَ، مُحَدِّثًا بِجَلَالِكَ طَوَالَ النَّهَارِ" (الآية 8) إن الذين يضعون ثقتهم في الله في كل حين سيظلون يسبحون الرب، حتى عندما يواجهون ظروفًا تبدو خالية تمامًا من الأمل. والسبب ساكنٌ في—الذي هو رجاؤنا ذاته—في ذلك هو أنهم يدركون ويؤمنون بأن الرب وحده هو رجاؤهم. وبينما نحيا إيماننا والرب قلوبنا، يتحتم علينا نحن أيضاً أن نقدم له تسبيحنا في كل موقف.

على أن نقول: "سأظل—تماماً كما فعل صاحب المزمور—[مواقف تبدو] خالية من الأمل: ومهما كانت الظروف، دعونا نعقد العزم أحمل الأمل دائماً"، وذلك من أجل الرب الذي هو رجاؤنا، وصخرة ملجئنا، وسندنا الراسخ منذ صبا. وعلاوة على ذلك، دعونا نسبح الرب في كل الأوقات. لیتنا جميعاً نغدو أناساً يضعون رجاءهم في الرب باستمرار، ولیتنا نقدم له تسبيحنا بلا انقطاع. وأصلي لكي نكون أنا وأنتم من الذين يواصلون تسبيح الرب، حتى في خضم اليأس.

